



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



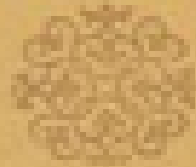
عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران



کتابخانه الیاسی فہرست



إعداد و تقديم
سيد شادي خسرو شاهي

تحقيق
شوقي محمد

مركز المؤلفات و الدراسات العلمیة
الاسلامیة و العلوم الإنسانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اهل البيت عليهم السلام فى مصر

نويسنده:

عدۀ من الباحثين

ناشر چاپى:

المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الاسلاميه

ناشر ديڤيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

الفهرس

٥	الفهرس
١٥	اهل البيت فى مصر
١٥	اشاره
١٥	فهرس مواضع الكتاب
١٦	اشاره
٢٠	مقدمه المركز
٢١	كلمه المحقق
٢١	اشاره
٢٢	مدرسه و ثقافه تقريبيه
٢٣	هذا الكتاب
٢٤	المقدمه
٢٩	مكانه آل البيت و منزلتهم «١»
٢٩	اشاره
٣٢	من هم آل البيت؟
٣٥	وجوب محبه آل البيت و مودتهم:
٣٧	اختصاص أهل البيت بفضائل كثيره:
٣٩	فى مشروعيه الزياره لقبور الصالحين:
٤٢	أهل البيت فى مصر
٤٢	اشاره
٤٢	أهل البيت فى مصر «١»
٤٢	اشاره
٤٣	لما ذا مصر؟
٤٥	من جاء من أهل البيت إلى مصر؟

- ٤٧ دوحه النبي صلى الله عليه و آله المباركه لما ذا الكثير من اغصانها في مصر؟ «١»
- ٤٧ اشارة
- ٤٧ (١) دوحه النبي صلى الله عليه و آله المباركه «٢»
- ٥١ (٢) المشهد الحسيني
- ٦١ (٣) رءوس الشهداء في مصر
- ٦١ اشارة
- ٦١ ١ - على زين العابدين، زهرة آل البيت:
- ٦٢ ٢- ثم يأتي الحديث حول الرأس الثاني:
- ٦٨ ١- الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام
- ٦٨ اشارة
- ٦٨ أهل البيت المدفونون في مصر «١»
- ٦٨ اشارة
- ٧٠ الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام من هو؟
- ٧٤ المرقد الحسيني
- ٧٤ اشارة
- ٧٨ القبة:
- ٨١ الإمام الحسين عليه السلام «١»
- ٨٩ ٢- السيدة زينب (أم الشهداء) عليها السلام
- ٨٩ اشارة
- ٨٩ السيدة زينب عليها السلام «١»
- ٨٩ اشارة
- ٩٧ رحلة إلى الشام
- ١٠٠ خطبة علوية زينية
- ١٠٣ بيان الحقيقة واجب

- ١٠٧ أم الشهداء زينب بنت الإمام على عليها و على أبيها السلام «١»
- ١١٦ السيدة زينب بنت الإمام على بن أبي طالب عليها و على أبيها السلام «١»
- ١١٦ إشارة
- ١١٦ من هي
- ١١٨ علمها و صفاتها
- ١١٩ وصف الضريح
- ١٢١ مرقد السيدة زينب عليها السلام «١»
- ١٢١ ٣- السيدة نفيسة عليها السلام
- ١٢١ إشارة
- ١٢٣ مولدها و سبب تسميتها ب «نفيسة»
- ١٢٩ نفيسة العلم
- ١٣٢ أخلاقها
- ١٣٤ من بلد الرسول محمد صلى الله عليه و آله إلى القاهرة
- ١٣٧ السيدة نفيسة حفيدة الرسول صلى الله عليه و آله «١»
- ١٣٧ إشارة
- ١٣٧ من هي
- ١٤٠ صفاتها و علمها
- ١٤٢ وصف المزار
- ١٤٢ مرقد السيدة نفيسة «١»
- ١٤٣ ٤- السيدة سكينه بنت الإمام الحسين عليها و عليه السلام
- ١٤٣ إشارة
- ١٤٣ السيدة سكينه بنت الحسين «١»
- ١٤٣ إشارة
- ١٤٥ سكينه في بحر الأحداث

- ١٤٨ سكينة الأديبة
- ١٥٠ شجاعتها
- ١٥١ كرمها و ظرفها و أديبها
- ١٥٣ وفاتها
- ١٥٣ المشهد الموجود بالقاهرة
- ١٥٤ سكينة المفترى عليها «١»
- ١٥٤ اشارة
- ١٥٤ * مشهد أول
- ١٥٥ * مشهد ثان
- ١٥٧ * مشهد ثالث
- ١٥٨ * لقطات من الماضي
- ١٦٠ * عودة إلى المشهد
- ١٦١ * الافتراءات
- ١٦٣ * المشهد الختامى
- ١٦٤ السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليها و على أبيها السلام «١»
- ١٦٤ اشارة
- ١٦٤ من هي
- ١٦٦ صفاتها و علمها
- ١٦٧ وصف المقبرة
- ١٦٩ مرقد السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليهما السلام «١»
- ١٧٠ ٥- السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها و على أبيها السلام
- ١٧٠ اشارة
- ١٧٠ فاطمة بنت الحسين عليهما السلام «١»
- ١٧٠ اشارة

- ١٧٢ فاطمة بنت الحسين و مقتل الحسين
- ١٧٣ مواقف عطرة من سيرة فاطمة بنت الحسين
- ١٧٥ وفاة فاطمة بنت الحسين
- ١٧٥ السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها و على أبيها السلام «١»
- ١٧٥ اشارة
- ١٧٥ من هي
- ١٧٦ صفاتها و أخلاقها
- ١٧٦ زهدا و قريبا من الله
- ١٧٧ وصف الضريح
- ١٧٧ ٦- السيدة رقية بنت الإمام على عليها و على أبيها السلام
- ١٧٧ اشارة
- ١٧٧ السيدة رقية بنت الإمام على عليها و على أبيها السلام «١»
- ١٧٧ اشارة
- ١٧٨ من هي
- ١٨١ المشاهد التي بجوارها
- ١٨١ * مشهد السيد محمد المرتضى
- ١٨١ * مشهد أسماء
- ١٨١ * مشهد السيدة زبيدة
- ١٨٢ مشهد عاتكة و الجعفرى
- ١٨٣ تعليق:
- ١٨٤ السيدة رقية من آل بيت النبوة «١»
- ١٨٤ اشارة
- ١٨٤ من هي
- ١٨٥ صفاتها و أخلاقها

- ١٨٦ وصف الضريح
- ١٨٧ ٧- إبراهيم ابن الإمام الحسن عليهما السلام
- ١٨٧ اشارة
- ١٨٧ مرقد إبراهيم بن الحسن عليهما السلام «١»
- ١٩٠ ٨- الإمام حسن الأنور حفيد الإمام الحسن بن علي عليهم السلام
- ١٩٠ اشارة
- ١٩٤ الحياة الدينية و العلمية
- ١٩٤ حياة الحسن الأنور السياسية
- ١٩٧ الحياة الاقتصادية
- ٢٠٠ حسن الأنور و الولاية
- ٢٠١ ذرية الحسن
- ٢٠٢ منزلته العلمية
- ٢٠٢ تشدده في إقامة معالم الدين
- ٢٠٣ كرمه
- ٢٠٣ وفاته
- ٢٠٥ ٩- الإمام زيد ابن الإمام علي زين العابدين عليهما السلام
- ٢٠٥ اشارة
- ٢٠٥ الإمام زيد بن علي زين العابدين عليهما السلام «١»
- ٢٠٥ اشارة
- ٢٠٥ من هو
- ٢٠٨ صفاته و بلاغته
- ٢١٠ وصف المشهد
- ٢١١ مرقد زين العابدين «١»
- ٢١٢ ١٠- محمد الجعفرى ابن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام

- ٢١٢ اشارة
- ٢١٢ من هو
- ٢١٤ صفاته و علمه
- ٢١٤ وصف المقبرة
- ٢١٦ ١١- السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق عليهما السلام
- ٢١٦ اشاره
- ٢١٦ السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق عليها و على أبيها السلام «١»
- ٢١٦ اشارة
- ٢١٦ من هي
- ٢١٧ صفاتها و علمها
- ٢١٧ وصف المقبرة
- ٢١٩ مرقد السيدة عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق عليها و على أبيها السلام «١»
- ٢١٩ ١٢- السيدة كلثوم حفيدة الإمام جعفر الصادق عليهما السلام
- ٢١٩ اشارة
- ٢١٩ من هي
- ٢٢٠ علمها و ورعها
- ٢٢٠ وصف المشهد
- ٢٢١ زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام
- ٢٣٠ خاتمة
- ٢٣٠ ملاحق الكتاب
- ٢٣٠ اشارة
- ٢٣٠ ملحق (١) كتاب أخبار الزينبات
- ٢٣٠ اشارة
- ٢٣١ مقدمة

- ٢٣١ وثيقة تاريخية حول مرقد السيدة زينب عليها السلام
- ٢٣٢ تصدير
- ٢٣٢ السيدة زينب رمز الحق و الفضيلة
- ٢٣٣ جثمان السيدة في مصر
- ٢٣٥ أخبار الزينبات للعلامة النشابة الجليل أبي الحسن يحيى العبدلى المتوفى سنة ٢٨٨ هـ
- ٢٣٥ اشارة
- ٢٣٥ فمن الزينبات:
- ٢٣٥ * زينب بنت النبي صلى الله عليه و آله
- ٢٣٦ * زينب بنت جحش
- ٢٣٧ * زينب بنت عقيل بن أبي طالب
- ٢٣٧ * زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب
- ٢٣٩ * زينب الوسطى بنت علي بن أبي طالب
- ٢٣٩ * زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب
- ٢٣٩ * زينب بنت الحسن بن علي بن أبي طالب
- ٢٣٩ * زينب بنت علي زين العابدين ابن علي بن أبي طالب
- ٢٤٠ * زينب بنت عبد الله الكامل
- ٢٤٠ * زينب بنت خزيمه بن الحارث
- ٢٤٠ * زينب بنت يحيى بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب
- ٢٤٠ * زينب بنت عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
- ٢٤٠ * زينب بنت عيسى الجون ابن عبد الله الكامل ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
- ٢٤٠ * زينب بنت الحسن المثني ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب
- ٢٤١ * زينب بنت القاسم الطيب ابن محمد المأمون ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر
- ٢٤١ * زينب بنت موسى الكاظم
- ٢٤١ * زينب بنت محمد الباقر ابن علي زين العابدين

- ٢٤١ * زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب
- ٢٤١ * زينب بنت القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب
- ٢٤١ * زينب بنت عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح
- ٢٤٢ * زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب أخت عثمان بن مظعون
- ٢٤٢ * زينب بنت عمر بن الخطاب أمها أم ولد تدعى فكيهة
- ٢٤٢ * زينب بنت صيفي بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدّي بن غنم بن كعب بن مسلم
- ٢٤٢ * زينب بنت الحنّاب بن الحارث بن عمرو بن عوف بن مبذول من بني النّجار
- ٢٤٢ * زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال
- ٢٤٢ * زينب بنت المهاجر الأحمسية أخت جابر بن المهاجر
- ٢٤٢ * زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبي عقيل أخت الحجاج الثقفي
- ٢٤٣ * زينب بنت نبيط بن جابر بن مالك بن زيد بن النّجار
- ٢٤٣ * زينب بنت كعب بن عميرة
- ٢٤٣ * زينب امرأة قيس بن أبي حازم
- ٢٤٣ * زينب بنت الحارث
- ٢٤٣ * زينب بنت عمر بن أبي سلمة المخزومي
- ٢٤٣ * زينب بنت الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة
- ٢٤٣ * زينب بنت الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّي بن قصي
- ٢٤٤ ملحق (٢) مالك الأشر
- ٢٤٤ اشارة
- ٢٤٤ مالك الأشر «١»
- ٢٤٥ ملحق (٣) محمد بن أبي بكر رضي الله عنه
- ٢٤٥ اشارة
- ٢٤٥ محمد بن أبي بكر رضي الله عنه «١»
- ٢٤٧ الفهارس الفتية

- ٢٤٧ اشارة
- ٢٤٧ فهرس الآيات
- ٢٤٨ فهرس الأحاديث
- ٢٥١ فهرس الأعلام
- ٢٤٧ فهرس الأماكن
- ٢٧٠ درباره مركز تحقيقات راينه‌اي قائميه اصفهان

اهل البيت في مصر

اشاره

عنوان و نام پديدآور : اهل لبيت في مصر / اعداد و تقويم هادي الخسرو شاهي ؛ تحقيق شوقي محمد

نويسنده: عدة من الباحثين / اعداد سيد هادي خسرو شاهي

وفات: معاصر

مشخصات نشر: تهران : مجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الاسلاميه - المعاونه الثقافيه، مركز التحقيقات والدراسات العلميه ،

١٤٢٧ ق = ١٣٨٥ .

مشخصات ظاهري : ص ٥٢٠

فروست : (سلسله فضائل اهل البيت عند اهل السنه)

شابك : ٩٦٤-٨٨٨٩-٢٦-٠

وضعيت فهرست نويسى : فهرست نويسى قبلى

يادداشت : فهرست نويسى براساس اطلاعات فييا

موضوع : امامزاده ها -- مصر

موضوع : زيارتگاههاى اسلامى -- مصر

موضوع : آرامگاهها -- مصر

شناسه افزوده : خسرو شاهي، هادي ، ١٣١٧ - ، گردآورنده و مقدمه نويس

شناسه افزوده : محمد، شوقي ، محقق

شناسه افزوده : مجمع جهانى تقريب مذاهب اسلامى . معاونت فرهنگى

شناسه افزوده : مجمع جهانى تقريب مذاهب اسلامى . مركز مطالعات و تحقيقات علمى

رده بندي كنگره : BP٢٦٣/٨ / الف ٩

رده بندي ديويى : ٢٩٧/٧٦٦

شماره كتابشناسى ملى : م ٨٥-٥٨٠

نام كتاب: اهل البيت في مصر

تعداد جلد واقعى: ١

زبان: عربى

موضوع: اهل البيت عليهم السلام

ناشر: المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلاميه - المعاونه الثقافيه / مركز التحقيقات و الدراسات العلميه

مكان نشر: تهران

سال چاپ: ١٤٢٧ ق - ٢٠٠٦ م

نوبت چاپ: اول

فهرس مواضع الكتاب

إشارة

- مقدمه المركز ١٣
- كلمه المحقق ١٧
- مدرسه و ثقافه تقريبية ١٨
- هذا الكتاب ٢٠
- المقدمه ٢٣
- مكانه آل البيت و منزلتهم مكانه آل البيت و منزلتهم / النبوى جبر سراج ٣٥
- من هم آل البيت؟ ٣٩
- وجوب محبه آل البيت و مودتهم ٤٤
- اختصاص أهل البيت بفضائل كثيره ٤٧
- فى مشروعيه الزياره لقبور الصالحين ٤٩
- أهل البيت فى مصر أهل البيت فى مصر / الشيخ عبد الحفيظ فرغلى ٥٧
- لما ذا مصر؟ ٦٠
- أهل البيت فى مصر، ص: ٦
- من جاء من أهل البيت إلى مصر؟ ٦٣
- دوحه النبى صلى الله عليه و آله لما ذا الكثير من أغصانها فى مصر؟ / أحمد أبو كف ٦٧
- (١) دوحه النبى صلى الله عليه و آله المباركه ٦٧
- (٢) المشهد الحسينى ٧٥
- (٣) رءوس الشهداء فى مصر ٩٠
- ١- على زين العابدين، زهره آل البيت ٩٠
- ٢- ثم يأتى الحديث حول الرأس الثانى ٩٢
- ١- الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب عليهما السلام أهل البيت المدفونون فى مصر / حنفى المحلاوى ١٠٥
- الإمام الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ١٠٨
- من هو؟ ١٠٨
- علمه و صفاته ١١٤
- وصف الضريح ١١٦
- المرقد الحسينى / الدكتور سعاد ماهر ١٢١
- القبة ١٢٩
- الإمام الحسين عليه السلام / مأمون غريب ١٣٥
- ٢- السيدة زينب (أم الشهداء) عليها السلام السيدة زينب عليها السلام / على أحمد شلبى ١٥١
- رحله إلى الشام ١٦٥
- خطبه علوية زينية ١٧٠
- بيان الحقيقه واجب ١٧٥

أهل البيت فى مصر، ص: ٧

أم الشهداء زينب بنت الإمام على عليها السلام/ صافيناز كاظم ١٨٣

السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب/ حنفى المحلاوى ٢٠١

من هى؟ ٢٠١

علمها و صفاتها ٢٠٣

وصف الضريح ٢٠٦

مرقد سيدة زينب عليها السلام/ د. سعاد ماهر ٢٠٩

٣- السيدة نفيسة عليها السلام السيدة نفيسة عليها السلام/ توفيق أبو علم ٢١٣

مولدها و سبب تسميتها ب «نفيسة» ٢١٥

نفيسة العلم ٢٢٥

أخلاقها ٢٣١

من بلد الرسول محمد صلى الله عليه و آله إلى القاهرة ٢٣٤

السيدة نفيسة حفيده الرسول صلى الله عليه و آله/ حنفى المحلاوى ٢٤١

من هى؟ ٢٤١

صفاتها و علمها ٢٤٥

وصف المزار ٢٤٨

مرقد السيدة نفيسة/ الدكتور سعاد ماهر ٢٥١

٤- السيدة سكينه بنت الإمام الحسين عليها و عليه السلام السيدة سكينه بنت الحسين/ د. حمزة و عبد الحفيظ و عبد الحميد ٢٥٥

سكينه فى بحر الأحداث ٢٥٧

سكينه الأدبية ٢٦٢

أهل البيت فى مصر، ص: ٨

شجاعتها ٢٦٦

كرمها و ظرفها و أدبها ٢٦٧

وفاتها ٢٧٠

المشهد الموجود بالقاهرة ٢٧١

سكينه المفترى عليها/ صافيناز كاظم ٢٧٣

* مشهد أول ٢٧٣

* مشهد ثان ٢٧٤

* مشهد ثالث ٢٧٧

* لقطات من الماضى ٢٨٠

* عودة إلى المشهد ٢٨٣

* الافتراءات ٢٨٤

* المشهد الختامى ٢٨٧

السيدة سكينه بنت الإمام الحسين / حنفى المحلاوى ٢٩١

من هى ؟ ٢٩١

صفاتهما و علمها ٢٩٣

وصف المقبره ٢٩٦

مرقد السيدة سكينه بنت الإمام الحسين عليهما السلام / الدكتور سعاد ماهر ٣٠١

٥- السيدة فاطمه بنت الإمام الحسين عليها و على أبيها السلام فاطمه بنت الحسين عليهما السلام / مجدى فتحى السيد ٣٠٥

فاطمه بنت الحسين و مقتل الحسين ٣٠٨

مواقف عطره من سيره فاطمه بنت الحسين ٣١٠

وفاه فاطمه بنت الحسين ٣١٢

أهل البيت فى مصر ، ص: ٩٠

السيدة فاطمه بنت الإمام الحسين عليها السلام / حنفى المحلاوى ٣١٥

من هى ؟ ٣١٥

صفاتهما و أخلاقها ٣١٦

زهدها و قربها من الله ٣١٧

وصف الضريح ٣١٧

٦- السيدة رقيه بنت الإمام على عليها و على أبيها السلام السيدة رقيه بنت الإمام على عليها السلام / حمزه النشرى ٣٢١

من هى ؟ ٣٢١

المشاهد التى بجوارها ٣٢٧

* مشهد السيد محمد المرتضى ٣٢٧

* مشهد أسماء ٣٢٧

* مشهد السيدة زبيده ٣٢٧

* مشهد عاتكه و الجعفرى ٣٢٩

تعليق ٣٣٠

السيدة رقيه من آل بيت النبوه / حنفى المحلاوى ٣٣٣

من هى ؟ ٣٣٣

صفاتهما و أخلاقها ٣٣٥

وصف الضريح ٣٣٦

٧- إبراهيم ابن الإمام الحسن عليهما السلام مرقد إبراهيم بن الحسن عليهما السلام / الدكتور سعاد ماهر ٣٤١

أهل البيت فى مصر ، ص: ١٠

٨- الإمام حسن الأنور حفيد الإمام الحسن بن على عليهم السلام الإمام حسن الأنور والد السيدة نفيسه / أحمد أبو كف ٣٤٩

الحياة الدينيه و العلميه ٣٥٥

حياة الحسن الأنور السياسيه ٣٥٨

الحياة الاقتصديه ٣٦٠

حسن الأنور و الولاية ٣٦٥

ذرية الحسن ٣٦٧

منزلته العلمية ٣٦٨

تشده فى إقامة معالم الدين ٣٦٨

كرمه ٣٦٩

وفاته ٣٦٩

٩- الإمام زيد ابن الإمام على زين العابدين عليهما السلام الإمام زيد بن على زين العابدين عليهما السلام/ حنفى المحلاوى ٣٧٧

من هو؟ ٣٧٧

صفاته و بلاغته ٣٨١

وصف المشهد ٣٨٤

مرقد زين العابدين/ د. سعاد ماهر ٣٨٧

١٠- محمد الجعفرى ابن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام الإمام محمد الجعفرى ابن الإمام جعفر الصادق/ حنفى المحلاوى ٣٩١

من هو؟ ٣٩١

صفاته و علمه ٣٩٥

أهل البيت فى مصر، ص: ١١

وصف المقبرة ٣٩٥

١١- السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق عليهما السلام السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق/ حنفى المحلاوى ٤٠١

من هي؟ ٤٠١

صفاتها و علمها ٤٠٣

وصف المقبرة ٤٠٣

مرقد السيدة عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق/ الدكتورة سعاد ماهر ٤٠٧

١٢- السيدة كلثوم حفيده الإمام جعفر الصادق عليهما السلام السيدة كلثوم بنت القاسم/ حنفى المحلاوى ٤١١

من هي؟ ٤١١

علمها و ورعها ٤١٢

وصف المشهد ٤١٢

زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام/ النبوى جبر سراج ٤١٧

خاتمة ٤٣٣

ملاحق الكتاب ملحق (١) كتاب أخبار الزينات مقدمة ٤٣٩

وثيقة تاريخية حول مرقد السيدة زينب ٤٣٩

أهل البيت فى مصر، ص: ١٢

تصدير ٤٤٣

السيدة زينب رمز الحق و الفضيلة ٤٤٣

جثمان السيدة فى مصر ٤٤٥

أخبار الزينبات ٤٤٩

فمن الزينبات: ٤٤٩

ملحق (٢) مالك الأشر مالك الأشر ٤٤٥

ملحق (٣) محمد بن أبى بكر رضى الله عنه محمد بن أبى بكر رضى الله عنه ٤٤٩

الفهارس الفتيه فهرس الآيات ٤٧٧

فهرس الأحاديث ٤٧٩

فهرس الأعلام ٤٨٣

فهرس الأماكن ٥٠١

أهل البيت فى مصر، ص: ١٣

مقدمة المركز

مع ال

زيادة المستمرة فى تأليف الكتب التى تصدح بمناقب و سيرة أهل بيت النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، المستندة إلى المصادر و الوثائق المختلفة و المحفوظة فى خزانات متعددة، و مع النمو الكمي للعناوين و الموضوعات و الزوايا التى تتصل بالحديث عن تاريخ العترة الطاهرة و أبنائهم الطيبين، المنتشرين فى بقاع عدّة من بلاد الإسلام العريضة، إمّا خوفاً من ظالم، أو هجرة لعيش أفضل، أو طلباً للعلم و الحكمة، أو نشرًا لتعاليم دين جدّهم الأكرم صلى الله عليه و آله، أو نفيًا و إبعادًا من قبل السلطات ...، فمهما تعددت الأسباب للسفر إلى تلك البقاع البعيدة عن مدينة جدّهم، و عن عشيرتهم و أهليهم، فالهدف يبقى ساميًا، و يتلخّص بنشر الاصول الأخلاقية و المعنوية و الدينية فى الأمة من ناحية، و الدفاع عن حياض الدين القويم - كتابًا و سنّة - بقمع الشبهات و الأوهام التى يحاول الأعداء نسجها فى عقول العوام من ناحية ثانية، و حلّ المشاكل التى تهّم الناس و الهموم التى تعانى منها شعوب هذه الأمة و تقديم المعونة لهم من ناحية ثالثة.

نقول: إنّه مع الزيادة فى هذه التراكمات الموضوعية على هذا الصعيد، بدأت الفكرة تلحّ فى أذهان البعض من الوسط الثقافى الإسلامى إلى تصنيف معجم يضمّ كلّ ما ألف

أهل البيت فى مصر، ص: ١٤

و كتب فى أهل البيت عليهم السّلام، و يبدى اهتمامًا كبيرًا فى الكشف عن أبرز العناوين التى تصدّت بالحديث عن سيرة و تاريخ و شخصيات هذا البيت العتيق.

و لعلّ كتاب «أهل البيت فى المكتبة العريية» من آثار المحقّق المتتبع المرحوم السيد عبد العزيز الطباطبائى، من أروع ما صنّف على هذا الصعيد، حيث عرض لعناوين الكتب و الرسائل المؤلّفة فى حبّ و سيرة و تاريخ أهل البيت عليهم السّلام، و المنسوبة للمتقدّمين و المتأخّرين، و حسب الحروف الألفبائية، مع ذكر النسخ المتعدّدة لها، و أماكن وجودها فى خزانات مكاتب العالم كلّ.

لكن الأستاذ حجة الإسلام و المسلمين السيد هادى خسروشاهاى حفظه الله قد قام بمبادرة جديدة تجدر الثناء عليها و تقديرها، حيث أحضر كل ما كتب عن أهل البيت عليهم السّلام المدفونين بمصر، من الأبناء و الأحفاد الأشراف من ولد على بن أبى طالب و بناته، و التى تشهد أضرحتهم أرض الكنانة، و تشمخ ماذنهم سماء القاهرة، و اقتطف منها ما يراه مناسبًا للحديث عن الشخصية الشريفة، و موضع دفنها، و أبرز ما قيل فيها، و بأقلام متعددة، بعيدة عن كل ما يمسّ المشاعر المذهبية، و يعكّر صفو النفوس النبيلة.

إنّنا نجد لزامًا علينا - من واقع خبرتنا فى التقريب - أن نثمن جهد السيد المعدّ، لأنّ من شأنها أن تسهم فى توثيق الروابط المقدّسة بين

الأمة و أبناء هذا البيت الشريف من جانب، و في تمتين أواصر الوحدة بين شعوب الأمة الإسلامية عبر الارتكاز على محور أهل بيت النبوة و معدن الرسالة من جانب آخر، و يقينا أن كل نجاح نحققه في هذا الميدان - من طبع الكتب بعد تحقيقها و توثيقها - سوف يصب بالضرورة في اتجاه تحقيق التقارب و الترابط بين أطراف المسلمين كافة.

و من هنا فحبذا لو تلتقى جهود كل العالمين و المصلحين مع جهود المؤسسات و المراكز و الهيئات الثقافية الإسلامية التي تعنى بشأن التقريب و الوحدة، و على رأسها المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية الأغر، عبر مركزه العلمي المبارك، من أهل البيت في مصر، ص: ١٥

أجل إرساء أعمدة الأخوة و المحبة و الوداد بين أفراد المسلمين، و رفع راية التوحيد عاليا، و التكاثر ضد كل الهجمات الشرسة التي يشنها الأعداء ضد هذا الدين، و هذه الأمة المحرومة.

كما أننا نقدم شكرنا و تقديرنا للمحقق الكريم الأخ الفاضل شوقي شالباف (شوقي محمد) الذي بذل جهدا حثيثا في سبيل توثيق و تصحيح الموارد المدرجة في طي هذا السفر الشريف، و ما قام به من تعليقات رآها ضرورية لتدوينها، فشكر الله سعيه، و وفقه للمزيد من الأعمال التي تخدم الدين و الرسالة، إنه ولي التوفيق.

مركز التحقيقات و الدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
أهل البيت في مصر، ص: ١٧

كلمة المحقق

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم
و الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على نبي الهدى محمد صلى الله عليه و آله و على أهل بيته الطيبين الطاهرين و على صحبه المنتجبين المخلصين.

و بعد، فإن الله قد تفضل عليّ و أكرمني بأن أتاح لي الفرصة أن أقوم بتحقيق هذا الكتاب الذي أراه «موسوعه» منوعه تحكي حياة و سيرة بعض أهل البيت عليهم السلام ممن نزلوا مصر الكنانة و توفوا بين أهاليها.

و الحديث عن أهل البيت عليهم السلام حديث طويل و متفرع، لأنه يتصل بكل جانب من جوانب حياة الأمة الإسلامية بكل تفاصيلها و تاريخها. و لذا فإنني أعجز عن أن أروي جانبا واحدا فكيف بالباقي؟!

لكن استميت القارئ عذرا لو اقتطعت من وقته لأقول كلمة مختصرة و هادفة في مسألة سرّ تهافت الناس إلى صوب أهل بيت علي و أحفادهم: نسائهم و رجالهم، صغيرهم و كبيرهم رغم وجود البيوتات الأخرى من آل أبي طالب؟! و لم هذا التقديس العظيم لأحفاد فاطمة دون غيرها من بنات رسول الله صلى الله عليه و آله؟

فهل اكتسبوا هذه الحفاوة و الاحترام و التقديس لكونهم من أبناء النبي صلى الله عليه و آله فحسب، أم أنهم رافقوا شرف نسبهم بمناب أخرى؟

أهل البيت في مصر، ص: ١٨

فصحيح أن لأبناء علي عليه السلام شئونا كبيرا، و صحيح أن أحدا غيرهم عجز أن يبلغ ما بلغوه من سمو و رفعة، و جلاله و تقدير جماهيري واسع، و لكن الصحيح أيضا أنهم لم يدركوا هذا المقام السامي إلا بتوافرهم على الورع و التقوى، و العلم و الشجاعة و الخلق الحميد! فهم لم يكتسبوا تقديس الناس و تجليلهم بسبب نسبهم الشريف فحسب، بل بما بذلوه من جهود في ترويض نفوسهم،

و تهذيبها من كلّ علائق الدنيا الدنية.

إذ هم يجالسون العلماء و الحكماء، يقعدون مع الفقراء و يأكلون مع المساكين أيضا.

و إذ هم يهدون الناس إلى النور، و يمسحون عنهم غبار الجهل، تراهم يمدّون المحتاجين بما يقدرون عليه، و لم يحتفظوا لأنفسهم شيئا سوى القليل! و هكذا برزوا مصاديق حيّة للشريعة المعطاءة، و مشاعل نيرة تضيء درب المحرومين.

و التاريخ خير شاهد على ذلك، حيث يؤكّد على الدور الكبير الذى لعبه أبناء على فى نشر مفاهيم الدين الصحيحة فى ربوع الأرض الإسلامية، و ترويح الثقافة السليمة حيثما حلّوا، و أينما نزلوا.

و ليس هذا الكلام ينطبق على الأجداد العظام الذين ضمّوا جملة معان رفيعة فى أدقّ تفاصيل حياتهم، و جسّدوا أوامر الشريعة، بل ينسحب إلى أبنائهم و أحفادهم، فضلا عن حواريّهم و تلاميذهم، حتّى صاروا يمثّلونهم فى المحافل المختلفة.

و إذا ما تأملت الأمة مواقف الأحفاد- فضلا عن الأبناء- تجده امتدادا حقيقيا لسلوك و مواقف جدّهم الأعلى: على بن أبى طالب عليه السّلام الذى كان يعدّ أحد أبرز و أعظم و أهمّ تلاميذ و حواريّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه و آله، و بالتالى سوف تعود الأمة إلى وعيها الذى كادت تفقده، و ترجع إلى تراثها الذى أهملته، فتستمدّ منه أروع الدروس و العبر من أجل بناء حياة أفضل لأجيالها المتلاحقة.

مدرسة و ثقافة تقريبية

إنّ من يطالع سيرة أى فرد من أفراد هذا البيت الشريف، و فى أى بقعة من بقاع الدنيا

أهل البيت فى مصر، ص: ١٩

عاش، يجده مدرسة بحدّ ذاته، و نبع بركة يفور منه الخير و الصلاح و الخلق الكريم، سواء كان فى الجزيرة العربية أو فى العراق أو مصر أو المغرب أو ... فحالها هو هو، و سلوكه هو هو، لا تمنعه العقبات الجغرافية عن تقديم المعونة للآخرين، و لا تصدّه الحواجز النفسية: قطرية أو قومية و ما شاكل عن المساهمة فى مساعدة الناس.

أى أنّهم قد جسّدوا الثقافة التقريبية فى سلوكهم اليومى، و بالتالى خطوا الخطوة الأولى نحو الوحدة و التقريب بين أطراف المسلمين. لقد ساهموا بأفعالهم و أقوالهم فى إنشاء تيار من الوعى التقريبى الصحيح للأجيال المتعاقبة، من خلال تعريف الرسالة الإسلامية و صاحبها بالصورة الصحيحة، و توجيه مشاعر المسلمين فى غرب البلاد و شرقها باتجاه كتابهم الكريم، و تمتين العلاقات و الوشائج فيما بينهم، و رفض كل الحواجز المصطنعة بينهم.

و هذا ما دعا إلى تهافت الناس: عالمهم و جاهلهم، كبيرهم و صغيرهم، أبيضهم و أسودهم، إلى الالتفات حول مشاهدتهم المشرفة، و تقبيل أضرحتهم، و لثم صفحات قبورهم، و تلاوة الأدعية و الزيارات المأثورة لأرواحهم، ليرجموا و فاءهم و حبّهم لهم.

و ليس هذا فحسب، بل تبارى العلماء و المفكّرون، و الأدباء و المثقّفون فى الكتابة عنهم، و الثناء عليهم من خلال سرد سيرتهم الحسنة، و تحليل مواقفهم، بالتأليف تارة و بالتدريس أخرى.

فقد ألفت عشرات الكتب التى تحكى فضائلهم، و تحدّث عن مناقبهم الشريفة. فكما صنّف ابن خالويه (٣٧٠ هـ) و هو إمام اللغة و النحو، و ابن أبى حاتم الرازى (٣٢٧ هـ) و هو إمام فى الرجال، و هكذا ابن حجر (٩٧٣ هـ)، و ابن الفحام الفقيه المعروف (٤٥٨ هـ)، و ابن جرير الطبرى (٣١٠ هـ) و هو إمام فى الحديث و التاريخ، و هكذا جلال الدين السيوطى (٩١١ هـ) و السخاوى الحافظ (٩٠٢ هـ)، و الفخر الرازى (٦٠٦ هـ) و هو إمام فى التفسير، كذلك صنّف القاضى الجعابى (٣٥٥ هـ)، و السبط ابن الجوزى (٦٥٤ هـ)، ... و ابن الطيب المغربى الفاسى (١١٨٧ هـ) فى منظومته المسماة «الدرّة الفريدة فى العترة المجيدة».

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٠

و لم ينقطع هذا الاهتمام عند الكتاب المسلمين و أدبائهم الأوائل، بل امتد حتى عند المعاصرين، شعورا منهم بمسئولية المساهمة في هذا الاندفاع العارم باتجاه التعريف بأفراد و سيرة و مناقب هذا البيت الشريف، مما يدل على دوام تمسكك و اعتزاز هذه الأمة بذرية النبي الأكرم صلى الله عليه و آله.

هذا الكتاب

و هذا الكتاب يعدّ إحدى المحاولات الجديرة بالتقدير في هذا السياق، إذ فضلا عن كونها مبادرة هادفة ترمي إلى التعريف بمنازل أبناء على في مصر الكنانة، فهو يمثل مشروعا ينهض بمستوى الوعي الثقافي و التقريبي لدى المسلمين، و يدفعها إلى المزيد من التطور.

كما أنه يقوم بتأسيس أشبه ما يكون بمنتدى ثقافي و تاريخي في الوسط العربي الإسلامي، يحاول من خلاله الأستاذ الحجة السيد هادي الخسروشاهي التعريف بشخصيات من آل على عليه السلام قد نزلوا مصر الكنانة، و عاشوا وسط أهلها، ثم بيان منزلتهم و جلالتهم، و محاولة تحديد تاريخ مدفنهم، و مواضع أضرحتهم، و غير ذلك ... عبر جمع مقاطع من الكتب التي ألقت بهذا الصدود. إضافة إلى سعيه إلى نشر الثقافة الإسلامية عبر التعريف لرموزها الكريمة، و تأسيس مناحات ملائمة تزيد من تمسك الناس بدينهم و رسالتهم المقدسة، فهو يخطو خطوة هامة بما يمتلك من صبر و موهبة، و حكم موقعه و علاقته بدار التقريب الشريفة بالقاهرة، نحو تجذير الوعي التقريبي لدى المسلمين في الشمال الإفريقي، و تعزيز النظرة التجليلية إلى مكانة و دور أهل البيت عليهم السلام العلمي و الأخلاقي و الإصلاحى في ذلك الجزء من العالم الإسلامي.

إنّ هذا المشروع الموضوعى - على بساطته - خليق بأن ينال الحظوة من التقدير من قبل الآخرين، و الاقتداء به لإنشاء مشاريع أخرى على وتيرته، كأن يكون: أهل البيت

أهل البيت في مصر، ص: ٢١

في المغرب أو تونس أو العراق أو ايران أو ... فهذا الكتاب ربّما أضحى أساسا لما بعده من تأليفات جامعة في هذا الموضوع. إننا بحاجة إلى دراسة التاريخ من زاوية أخرى، و حاجتنا أشدّ إلى التعرف على شخصيات البيت النبوى، و علمائهم الأشراف، و الوجوه التي ساهمت في تثبيت الدين و نشر علومه في كافة بقاع العالم.

فأمر رائع حقّا أن نساهم جميعا في تعريف شخصيات البيت الشريف، أينما كانت مشاهدهم، و الأروع منه أن نلغى كلّ الحواجز المصطنعة فيما بيننا، و نلتقى معا، و بقلب واحد ينبض بحبّ أبناء و أحفاد بيت الرسالة لنشكّل منعطفًا إسلاميا واحدا، و نواجه أعدائنا بقوة، مستمدّين منهم أروع الدروس و العبر من أجل بناء حياة أفضل و وداد دائم.

فمن أجدر من مثقفي هذه الأمة و مفكرّيها لأن يكونوا أمثلة حقيقية لكلّ معانى السموّ الإسلامي، و من أجدر منهم لأن يفهم رموز هذه المعانى؟

و باختصار شديد، فقد قام هذا السيد الجليل بإنجاز كبير على الصعيد الثقافي، أراد منه تجذير الوعي التاريخي و التقريبي للأمة، و لا سيّما بين محبّي و عشاق آل بيت محمد صلى الله عليه و آله، و جذب الاهتمام بمشاهدتهم الشريفة، و القيام بمسئولية الحفاظ على الإرث النبوى و العناية به، كما صرّح به في خاتمته، فجزاه الله جزاء المحسنين، و بلّغه شفاعة النبي صلى الله عليه و آله و أهل بيته المكرمين.

و لا بدّ من الإشارة إلى قيمة هذا الكتاب في إطار تقريبي و تاريخي، إذ يمكن أن يعدّ مصدرا مهمّا جامعا يقدّم للباحثين ما يحتاجونه فيما يتعلّق بآل على في مصر الكنانة، و دليلا مختصرا لمشاهد الأشراف في القاهرة لمن أراد زيارة أضرحتهم المقدسة. و لذا وقع الاختيار على هذا الكتاب لتحقيقه و توثيقه، و طبعه بحلّة جديدة، بمعونته و إشراف مركز التحقيقات و الدراسات العلمية التابع لمجمع

التقريب بين المذاهب الإسلامية.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٢

وختاماً لا يسعنى إلّا أن أتوجه بالشكر والامتنان لمركز التحقيقات و الدراسات هذا لتبنيّه نشر الكتب التى تعنى بالفكر الوجدوى المشرق، و تخدم أهداف التقريب المباركه، بغضّ النظر عن كون أصحاب هذه الكتب من الشيعة أو أهل السنّة. نسأل البارى عزّ و جلّ أن يوفّق العاملين فى هذا المركز، من مسئول و مدراء أقسام علمية و فنية و إدارية، و يزيد من لطفه لخدمة الدين، و توحيد صفوف أتباعه، و غرس المحبّة و الإخاء بينهم، إنّه سميع عليم. و الحمد لله ربّ العالمين.

شوقى محمد ٢٥ ذو القعدة ١٤٢٦ هـ / ٢٨ كانون الأول ٢٠٠٥ م

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٣

المقدّمة

... لظالما راودنى حبّ الأطلاع أن أقف بنفسى على معالم الحبّ و الودّ الذى يكّنه شعب مصر لأهل البيت عليهم السّلام، خصوصا و أنّ وشائج تاريخية عريقة ربطت بين الشيعين المسلمين فى إيران و مصر ألقت بظلالها على المشاعر و العلاقات بينهما، ممّا جعلهما - و فى مقدّمتهم العلماء و المثقّفون منهما - يستشرفون التطلّعات الثقافية فى كلا- البلدين، و يتبادلون الرؤى و الأفكار المتجدّدة فى حركتيهما العلمية و الثقافية رغم الحواجز و الموانع التى حاول أعداء الإسلام و المسلمين وضعها لعرقلة هذا التواصل و التناصر. وهكذا تحقّقت الأمانة، فحطّطت رحالى فى مصر، و كانت أولى محطّاتى هى القاهرة عاصمة مصر الكنانة، و رحت أجول بقلب شغوف، و عقلية ثقافية تاريخية يقظة واعية، أجواء القاهرة و غيرها من الحواضر المصرية العريقة، فأدهشنى ما رأيت من ظواهر فاقت تصوّرى الأولى عن مدى و عمق الحبّ و الودّ الذى يحمله مسلمو مصر لأهل البيت عليهم السّلام، حتّى شعرت و أنا فى وسط تلك الظواهر الولائية كأنتى فى إيران أو العراق، حيث ألفنا المراسم و الشعائر المتعارفة فى إحياء ذكرى أهل البيت عليهم السّلام و مدحهم أو رثائهم، فكان ممّا وقع نظرى عليه و أدهشنى هو الأفواج الضخمة من المسلمين المصريين الذين يتوافدون - ليل نهار - لزيارة مساجد و مقامات أهل البيت عليهم السّلام فى القاهرة؛ للدعاء و الصلاة و الذكر فيها.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٤

و قد كرّس هذا الودّ و الحبّ لأهل البيت عليهم السّلام فى مصر وجود مقامات مشرّفة متعدّدة منها: مسجد الإمام الحسين بن على بن أبى طالب عليه السّلام، و مقام رأسه الشريف الذى قد دفن فيه، و مسجد و مرقد السيدة زينب ابنة الإمام على بن أبى طالب عليه السّلام، حيث يعتقد المؤرّخون بأنّها دفنت فيه، و مسجد و مرقد السيدة نفيسة ابنة زيد بن الحسن بن على ابن الإمام الحسن المجتبى عليهم السّلام، و زوجة السيد إسحاق ابن الإمام الصادق عليه السّلام التى رافقته إلى مصر و ماتت و دفنت فيها. و من الآثار المتميّزة فيها: وجود لوحة جميلة تزين أحد أبواب حرم السيدة نفيسة، مكتوب عليها فقره من دعاء «الافتتاح» الشهير، المنقول عن الإمام المهدي عليه السّلام، و هى «اللهم إنّنا نرغب إليك فى دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام و أهله، و تذللّ بها النفاق و أهله

«...»

كما أنّ هناك مجموعة أخرى من الألواح النفيسة داخل الحرم، تتضمّن مقاطع من ذكر و مدح أهل البيت عليهم السّلام. و ينقل المؤرّخون كرامات كثيرة، و دعوات مستجابة لهذه المراقد الشريفة.

و من المشاهد التى أثارت دهشتى: الاحتفال الجماهيرى الضخم بمناسبة مولد الإمام الحسين عليه السّلام، و حين تواجدى فى مصر تلقّيت دعوة من شيخ الطريقة العزمية - و هى إحدى الطرق الصوفية فى مصر - لحضور مراسم إحياء ذكرى مولد سبط النبى صلّى الله

عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام الذي أقيم في جوار المسجد الحسيني، ولبيت الدعوة بشوق، وقصدت السراشق الخاص المعد للضيوف، ففوجئت بالسيل البشري من المسلمين المصريين - والذى قدرته الصحف المصرية آنذاك بحوالى مليونى نسمة - كانوا قد توافدوا من القاهرة، ومن مختلف المدن المصرية القريبة منها والبعيدة؛ للمشاركة فى إحياء هذه الذكرى الإسلامية الكبرى.

وقد راعنى أننى لم أرقط مثل هذا العدد من المشاركين فى أى مكان آخر، حيث كانت جميع الشوارع المؤدية إلى مسجد سيدنا الحسين عليه السلام مزدحمة بالوافدين، وقد أغلقت كلها بوجه مرور السيارات ووسائل النقل المختلفة، ولا يجد أحد قدرة على أهل البيت فى مصر، ص: ٢٥

الحركة إلا بشقّ الأنفس، ولم يكن لنا سبيل إلا السير بعناء على الأقدام مسافة كبيرة جدا وسط هذه الكتل البشرية حتى وصلنا إلى المسجد، إلا أننا وبسبب الزحام الشديد، وعدم إمكانية الوصول إلى المكان المخصص للضيوف الذى أقامته العشرات من مشيخات الطرق الصوفية المحبّة لأهل البيت عليهم السلام، اضطررنا - أنا والإخوة أعضاء سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى القاهرة - إلى مغادرة المكان بعد لحظات من وصولنا.

وقد يتساءل سائل عن السرّ فى عراقة هذه المودة الراسخة والحبّ الشغوف لآل البيت عليهم السلام عند شعب مصر، والذى سبق فى عمقه التاريخى عهد الدولة الفاطمية، ولعلنا نجد الجواب عند ما نقلت وريقات التاريخ الإسلامى المدوّن، فنجد أن هذا الودّ والحبّ لآل البيت عليهم السلام قد نما وترعرع منذ صدر الإسلام، حين فتح الجيش الإسلامى الظافر بلاد مصر، وكان الرواد الأوائل بهذا الفتح مجموعة من كبار صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، وخواص أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، والدعاة إلى حبه وولايته، والمجاهرين بموقعه ومواقع أهل بيته عليهم السلام من الرسول صلى الله عليه وآله والرسالة، وعلى رأسهم: أبو ذر الغفارى والمقداد بن الأسود الكندى وأبو أيوب الأنصارى، وعندها يمكننا التأكيد على أن مودة أهل البيت عليهم السلام وحبهم دخل قلوب المصريين فى اليوم الذى دخل فيها الإسلام، فقرنوا مع شهادتهم بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله: ودّ آل محمد صلى الله عليه وآله وحبهم.

كلّ هذا قبل أن تستوثق الأمور لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، ويتصدى لخلافة المسلمين، ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية ما نقله ابن الأثير فى «الكامل» عن حوادث سنة ٣٦ هـ من أن مبعوث الإمام على عليه السلام إلى مصر دعا فى خطبته إلى مبايعته «فقام الناس فبايعوه واستقامت مصر، وبعث عليها عماله...»، كما أورد المقرئى فى «خطط مصر»: أن قيس بن سعد الأنصارى بعث على مصر، فدخلها مستهلّ ربيع الأول سنة سبع و ثلاثين للهجرة، ومصر يومئذ من جيش على عليه السلام.

وتوّجت أجواء الحبّ والودّ والولاء لآل بيت النبى صلى الله عليه وآله بتعيين الإمام على عليه السلام محمد بن أبى بكر وقيس بن سعد على مصر، وهما خلص أصحابه والمحبين لآل البيت عليهم السلام،

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٦

فكان لهم الدور الرائد فى تعريف شعب مصر بمقام أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم وفواصلهم، حتى سرى حبّ آل البيت عليهم السلام وودهم فى عروقهم، وأشرق فى نفوسهم، وانفلقت معانيه السامية فى عقولهم.

ولم يستطع الولاة والسلاطين الذين تعاقبوا على حكم مصر بعد استشهاد أمير المؤمنين على عليه السلام، وخصوصا فى عهد معاوية بن أبى سفيان تغيير عقائد مسلمى مصر وحبهم ولائهم لأهل البيت عليهم السلام رغم القتل والسجن والنفى للكثير منهم؛ وذلك لعمق عقيدتهم بأهل البيت عليهم السلام، ورسوخ حبهم وودهم لهم، وغاية ما استطاعوا فعله هو أنّهم حولوا أجهزة السلطة وجيشها إلى ولاية السلاطين، وصنعوا منهم أتباعا لهم، يدورون معهم ما دارت معاشهم.

أمّا فى عهد بنى العباس، وبعد أن استتبّ لهم الحكم والسلطان، اشتدوا بالتكليل بالعلويين وآل البيت عليهم السلام، ممّا أدى إلى بروز انتفاضات ونهضات علوية هنا وهناك، كان منها نهضة على بن محمد بن عبد الله - وهو من أحفاد الإمام الحسن المجتبى عليه

السّلام- وهو أول علوى دخل مصر فى تلك الحقبة الزمنية و بويع فيها من قبل المسلمين، و كان له أثر كبير فى إخراج محبى أهل البيت عليهم السّلام و أتباعهم من عزلتهم التى ضربها عليهم بنو أمية و من بعدهم بنو العباس.

و توالى انتفاضات العلويين فى مصر، و رغم أنّها لم تستطع أن تحقّق هدفها فى إقامة حكومة موالية لأهل البيت عليهم السّلام، إلّا أنّها عزّزت حالة الولاء و الحبّ لأهل البيت عليهم السّلام عند أهل مصر.

و ظهرت حركة تجديد الولاء و الحبّ لأهل البيت عليهم السّلام مرّة أخرى فى مصر على يد الفاطميين، و قد أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السّلام؛ لاعتقادهم بأنّهم من ذريتها، و كان أول خليفة فاطمى استولى على الاسكندرية عام (٣٠١هـ) هو عبيد الله المهدي المنتسب إلى محمد بن إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السّلام، و أقام حكومة السلسلة الفاطمية فى تونس عام (٣٠٨هـ).

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٧

ثم امتدّ بحكومته إلى أجزاء من مصر، إلّا أنّ الأمير المعزّ لدين الله، هو أول خليفة فاطمى يفلح فى بسط سيطرته على كلّ مصر، حيث فتحها عام (٣٥٨هـ) و بنى مدينة القاهرة و اتخذها عاصمة لمصر، و انتشر مذهب أهل البيت عليهم السّلام فى عهده، و أصبح الفقه الشيعى أساسا للشعائر و العبادات و المعاملات، و انتشرت فى عهده أيضا محافل ذكر فضائل أهل البيت عليهم السّلام و مدائحهم، و أسس الجامع الأزهر تيمنا باسم فاطمة الزهراء عليها السّلام، بهدف تدريس علوم أهل البيت عليهم السّلام و فقهم.

و توالى تأسيس مؤسّسات التعليم و التربية فى عهود الخلفاء الفاطميين، كان منها:

دار الحكمة؛ لتتواصل الحركة العلمية فى نشر معارف و علوم مدرسة أهل البيت عليهم السّلام فى حواضر مصر و آفاقها.

و ممّا تميّزت به هذه المؤسّسات العلمية- و خصوصا الجامع الأزهر- هو عقد حلقات الدروس العلمية، و الحوار العلمى بين علماء مذهب أهل البيت و علماء المذاهب الإسلامية الأخرى؛ كعلماء الشافعية و الحنفية و المالكية و غيرهم.

*** و قد كان من الأمانى التى خالجتنى قبل أن أحطّ رحالى فى القاهرة أن أطلع عن قرب على المراقد و المقامات الشريفة لآل البيت عليهم السّلام فى مصر، بهدف تحقيق طموحى لتأليف كتاب عن معالم أهل البيت عليهم السّلام فى مصر، إلّا أنّ هذه الأمانى- بعد الذى شاهدته- تحوّلت إلى ضرورة ملّحة أخذت علىّ جميع مشاعرى، فانبريت لهذا الأمر بعزيمة لا تنفسخ، خصوصا و أنّ مثل هذا العمل الثقافى التاريخى سوف يصبّ فى إطار تعميق العلاقات التاريخية و الثقافية فى بعدها الإسلامى الرسمى بين الشعبين المسلمين فى إيران و مصر؛ لتعيد لحواضرها ذلك التواصل و التكامل فى محور أهل البيت عليهم السّلام حبا و ودا و ولاء، و عندها سوف تتلاشى الموانع التى صنعتها يد الاستكبار على أرضيه الجهل و العصبية و الوهم، فتجد جامعة الأزهر الشريف تعانق حوزة قم المقدسة علما و معالم و معارف و منابر، و تجد مشاعر الحبّ و الودّ و الولاء لأهل البيت عليهم السّلام فى مصر

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٨

تناغم نظائرها فى إيران و يحاكي أحدها الآخر؛ ليعكس حقيقة وحدة الكلمة فى أصل كلمة التوحيد، و عندها سنجد أنّ العلاقات الأخوية الشاملة و الراسخة لا ينقصها إلّا العلاقة السياسية القائمة على وحدة الهدف الكبير، و التواصل التاريخى الثقافى المشترك، و المصلحة الإسلامية و الإنسانية المتبادلة.

و الذى زاد فى ترسيخ فكرة تأليف كتاب، بل سلسلة كتب عن معالم أهل البيت عليهم السّلام فى مصر، هو ملاحظتى الفاحصة لثلاث ظواهر أصيلة تشكّل مادّة المعالم الشاخصة لأهل البيت عليهم السّلام، و مدى حبّهم و ودهم فى أوساط مسلمى مصر، و هذه الظواهر هى:

الظاهرة الأولى: ظاهرة الحبّ الشغوف و الودّ العميق فى الأوساط الشعبية العامة، من خلال مجالس الذكر، و مناسبات المواليد و الوفيات لأهل البيت عليهم السّلام، خصوصا ذكرى سيدنا الحسين عليه السّلام كما يعبر المصريون، و التى أخذت حالة شعائرية

تقليدية، توارثتها الأجيال و تفاعلت معها، دون أن تؤثر فيها سلبا التحولات العصرية المتواصلة.

الظاهرة الثانية: ظاهرة الثقافة الولائية لأهل البيت عليهم السّلام بين أوساط الكثير من مثقفي مصر، سواء كانوا أزهريين أم غيرهم، و انفتاحهم الموضوعى على مدرسة أهل البيت عليهم السّلام و علومها و ثقافتها خصوصا فى القرن الأخير، فهناك عشرات الكتاب و عشرات الكتب، بحثت بعقلية علمية و قلم واع مسائل أهل البيت عليهم السّلام و معالم مدرستهم الإصلاحية، و لعلّ الحركة العلمية و الثقافية التى كانت على عهد الدولة الفاطمية كان لها الأثر الكبير فى نشوء و دوام هذه الظاهرة، و قد أشار عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر: عبد الحليم الجندى فى كتابه «الإمام الصادق» عليه السّلام إلى ذلك قائلا: «الإمام الصادق هو الإمام الوحيد فى التاريخ الإسلامى، و العالم الوحيد فى التاريخ العالمى الذى قامت على أسس مبادئه الدينية و الفقهية و الاجتماعية و الاقتصادية دول عظمى، و مصر تذكر منها أكبر دولة عرفها التاريخ فيها من عهد الفراعنة: الدولة الفاطمية التى امتد سلطانها من المحيط الأطلسى إلى برزخ السويس، و لو لا هزيمة جيوشها أمام الأتراك لخفت

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٩

أعلامها على جبال الهمالايا فى وسط آسيا» (١) و (٢).

الظاهرة الثالثة: أن العديد من علماء الإسلام المصريين- و خصوصا كبار شخصيات جامعة الأزهر الشريف- لم يقتصروا على إبراز حبهم و ودهم لأهل البيت عليهم السّلام فى محاضراتهم و خطبهم و محافلهم العلمية، بل نجدهم منفتحين بعقلية طلاب الحق على علوم مدرسة أهل البيت عليهم السّلام فى المطارحات و المناقشات العلمية، و لعلّ أبرز مصاديق ذلك هو مطارحات إمام الأزهر الأكبر: العلامة الشيخ عبد الحليم البشرى مع العلامة الحجّة الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين العاملى فيما اشتهر بعد ذلك ب «المراجعات».

و قد وقفنى الله سبحانه لأن أشرع بهذا العمل المهمّ، فقامت بجمع الكتب التاريخية، قديمها و حديثها، التى ألفها و نشرها كبار علماء الأزهر الشريف، و الباحثون و المؤرّخون المصريون، فاكتشفت أن جلّ هذه الكتب تظهر مدى حبّ أهل البيت عليهم السّلام و ودهم عند المصريين بصفة عامة، و لم يقف التنوع المذهبى الفقهى عقبه أمام ذلك، بل كثيرا ما كان يكشف عن مدى القرب من أهل البيت سلام الله عليهم و مدرستهم المباركة، و قد كثر لى بعض كبار رجالات الدين و السياسة فى مصر عند لقائى بهم مقولتهم عن علاقة أهل مصر بأهل البيت عليهم السّلام، و هى: «إنّ شعب مصر شيعى الهوى و سنّى المذهب» (٣)، و هكذا هو فعلا فيما سمعناه و رأيناه.

و بعد تجميعى لهذه الكتب التى بلغت العشرات، جاءتنى فكرة أخرى، و هى أن أعدّ كتابا جامعا أو سلسلة كتب متكاملة باللغّة العربية، يكون مخاطبوها كلّ الشيعة و غير الشيعة، و من ثم تترجم إلى اللغّة الفارسية و الإنجليزية و إلى اللغات الحيّة الأخرى.

(١). عبد الحليم الجندى: الإمام الصادق عليه السلام، ط القاهرة.

(٢). و قد نشره المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الاسلامية ضمن تطلّعاته فى هذا المضمار فى طبعه أئيفة و محقّقه، أشرف على تحقيقها المركز العلمى التابع للمجمع تحقيقا علميا، جديرة بأن تطالع و تقلّب صفحاتها بإمعان.

(٣). آخرهم صديقى الأستاذ الدكتور مصطفى الفقى حيث يقول: «إنّ المصرى سنّى المذهب شيعى المزاج» الأهرام ٣١ / ١٢ / ٢٠٠٢، مقال: «دعوة و نداء».

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٠

و كانت باكورة هذه الجهد و السعى بدءا هو هذا الكتاب الذى بين يديكم، تحت عنوان: «أهل البيت فى مصر» و يتضمّن مختارات ممّا كتبه بعض العلماء أساتذة الأزهر الشريف، أو بعض البارزين من الباحثين و المفكرين المصريين، حيث قمنا بتلخيصها و تنقيحها و

تبويبها؛ لتكون المجموعة الأولى من مشروعنا.

و جدير بالذكر أن الكثير من العلماء و المفكرين الإسلاميين و الكتاب المثقفين كتبوا كثيرا عن أهل البيت عليهم السلام عموما، و في مصر خصوصا، منهم: الدكتور عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر الأسبق)، و الشيخ محمد زكي إبراهيم (رائد العشيرة المحمدية الراحل)، و الشيخ أحمد حسن الباقوري (وزير الأوقاف الأسبق)، و الشيخ محمد أبو زهرة، و الشيخ عبد الحليم الجندى، و الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود، و الأستاذ خالد محمد خالد، و عبد الرحمن الشرفاوى، و السيدة صافيناز كاظم، و الأديب عبد الحميد جودة السحار، و الأستاذ حسن كامل المطاوى، و الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل، و عشرات غيرهم، و كل ذلك يدل بوضوح على موقع و مقام أهل البيت عليهم السلام في نفوس هذه الشريحة العليا من العلماء و المفكرين و الكتاب المصريين.

و لا- يفوتنى أن أشير إلى أن الضوء الذى سلطته في هذا الكتاب على مشاهد و مرقد أهل البيت عليهم السلام في مصر هو لمحفة خاطفة، لا تستوعب كل ما فى الواقع، أملا أن تتم الإحاطة المناسبة لها فى الكتب القادمة إن شاء الله.

*** إن نشر هذا الكتاب باللغة العربية أولا- و بعدها باللغة الفارسية و الإنجليزية- و إن كان يعدّ جهدا متواضعا فى حجمه، إلا أنه كبير فى معناه و دلالاته، فهو خطوة إيجابية مباركة على طريق التفاعل الإسلامى و التقارب المذهبى، و مفردة ثقافية لتحقيق أرضية التكامل و التحسين للعلاقات السياسية بين جمهورية مصر العربية و الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الأمر الذى سيصبّ فى هدفه الكبير المتمثل بالتقريب بين المذاهب الإسلامية، و بوحدة الأمة الإسلامية جمعاء، بقومياتها المتنوعة و أقطارها المتعددة.

و هذه المقولة تصديق لما قاله أخى العزيز السيد محمد خاتمي رئيس الجمهورية

أهل البيت فى مصر، ص: ٣١

الإسلامية الإيرانية فى مقابلته الصحفية مؤخرا، فى الردّ على سؤال مراسل وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية بأن: «مصر و إيران ركيزتان أساسيتان للحضارة الإسلامية» و بلا أدنى شكّ إذا انطلقت هاتان الركيزتان كجناحين قويين يمكنهما الطيران إلى أعلى القمم، و هو ما يخافه الأعداء، و هم فى كلّ يوم يواصلون السعى لخلق العقبات و المشاكل للحيلولة دون تحقّقه، و لكن بلا تردّد يارادة الرجال و عزمهم يمكن التغلّب على هذه المشاكل، و تمهيد الطريق لتطوّر جديد فى العلاقات بين البلدين الهامين فى العالم الإسلامى (١).

(١). عقد الرئيس السيد محمد خاتمي رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى بداية الدورة الثانية لرئاسته و فى ختام «أسبوع الحكومة» مؤتمرا صحفيا ضمّ جمعا من الصحفيين من وسائل الإعلام الداخلىة و الأجنبية، أجاب على أسئلتهم، منها سؤال حول العلاقات المصرية الإيرانية على النحو التالى:

وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية الإيرانية (أرنا):

بالنسبة للسياسة الخارجية لدى عدّة أسئلة حول علاقات إيران و مصر التى تعتبر من الدول المهمة فى العالم الإسلامى، منذ فترة مضت أعلن السيد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية بأنهم على استعداد لإقامة علاقات منطقية مع إيران، أودّ أن أسأل سيادتكم عن مستقبل هذه العلاقات و العقبات الموجودة فى طريقها، مع الأخذ فى الاعتبار أن البعض يعتقد بأنه من الممكن أن تكون التيارات المتشدّدة غير راغبة فى استئناف العلاقات!

رئيس الجمهورية: إنّ لمصر عندنا جميعا و العالم الإسلامى و العالم العربى مكانة و قاعدة مهمة، فشعبها شعب نبيل جدا، حضارته عريقة، له دور ممتاز فى الحضارة الإسلامية، كما كان له دور حيوى فى المحافل السياسية و الاجتماعية خلال القرن الأخير فى المجتمع العربى الإسلامى.

و اليوم يتمتع المفكرون و العلماء المصريون باحترام فائق، فمصر و إيران كانتا و ما زالتا فى الواقع ركيزتين أساسيتين للحضارة الإسلامية فى تاريخ العالم الإسلامى، و لا يقتصر تعامل مصر و إيران على وقتنا هذا، فالمصريون يحبّون إيران و شغوفون بأهل البيت،

كما كان لهم دور مهم في تجديد الفكر في العالم الإسلامي، فهم قاعدة مهمّة، كما أنّ صلة الشعيين العظمين لا يمكنها أن تنقطع بهذه السهولة، ولا يمكن للقضايا السياسية أن تخدمها وإن كان من الوارد أن تختلف السياسات والحكومات في وجهات النظر، وهذا الاختلاف في وجهات النظر لا يزول في يوم و ليلة.

لقد كانت العلاقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية- أي العلاقات بين المفكرين وشعبنا والمفكرين وشعب مصر- قائمة، واليوم ما زالت محلّ تشجيع وتأييد. ولأسباب تعلمونها جميعا، والعالم يعرفها؛ تأثرت العلاقات فيما بين مصر وإيران من الناحية السياسية. آمل في المستقبل في نفس الوقت-

أهل البيت في مصر، ص: ٣٢

وسيقوم قريبا مركز البحوث الإسلامية في مدينة قم المقدسة في إيران- الذي أسسته منذ ربع قرن، ولا زلت أشرف عليه- بطباعة و نشر هذا الكتاب باللغة الفارسية، و من ثم ترجمته إلى اللغات الحيّة الأخرى، وبذلك يمكننا وضع الكتاب في متناول مسلمي العالم على اختلاف لغاتهم؛ ليعرف الجميع أنّ قواسم مشتركة وأساسية تجمعنا- شيعة وسنة- في وحدة ثقافية تاريخية شاملة، و روح معنوية إسلامية واحدة، وأن لا عقبات تقف في طريقها لتحقيق أفضل صور العلاقات السياسية الإسلامية بين بلدانها، و في مقدمتها: إيران و مصر.

نوّد أن نشير إلى أنّ الطبعة الأولى لهذا الكتاب تمّ إصدارها في ٢٠٠ صفحة عن «دار الهدف» عام ١٤٢٢ هـ- القاهرة- و تضمّنت الطبعة الثانية التي أصدرتها (مكتبة الشروق الدولية) عام ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤ م أكثر من ٣٣٠ صفحة.

و نرى من الضروري أن نعرب للسيد المهندس عادل المعلم مدير هذه المؤسسة الموقرة، عن فائق تقديرنا للقيام بنشر هذا الكتاب التاريخي القيم.

و ختاماً أتضرّع إلى الله سبحانه أن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه تعالى، و أن يتقبّله منّي بأحسن القبول، و يحقّق الهدف السامي الذي قصدته من ورائه، إنّه سميع مجيب، و هو على كلّ شيء قدير.

سيد هادي خسروشاهي أرض الكنانة- القاهرة ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م

الذي نشجع فيه مختلف العلاقات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين شعبي البلدين، أن نتمكن من أن نسير في الاتجاه الذي حافظنا فيه، و ما زلنا نحافظ فيه على المبادئ والمعايير مع رعاية مبدأ إزالة التوترات واجتناب التدخّل في الشؤون الداخلية؛ لنتمكن من حلّ المشاكل، و على الصعيد السياسي مع رعاية المعايير التي ننشدها، يمكننا من تحسين موقفنا إلى مرحلة أفضل ممّا هو عليه الآن.

على أيّ حال، فإنّ مصر تعتبر مهمّة بالنسبة لنا، كما أنّ مصر لها نظرة و اهتمام خاصّ بإيران، من هنا فنحن نوّيد التعاون الثنائي على كافة الأصعدة، و إن شاء الله نستطيع أن نصل إلى المرحلة التي نتغلب فيها على المشاكل السياسية.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٣

مكانة آل البيت و منزلتهم بقلم النبوي جبر سراج

أهل البيت في مصر، ص: ٣٥

مكانة آل البيت و منزلتهم «١»

إشارة

النبوي جبر سراج

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «الزموا محبتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عزَّ وجلَّ و هو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا» أخرجه الطبراني «٢». و أخرج الطبراني في الأوسط كذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «خلق الناس من أشجار شتى، و خلقت أنا و علي بن أبي طالب من شجرة واحدة، أنا أصلها، و فاطمة ابنتي غصنها، و علي لقاحها، و الحسن و الحسين فروعها، و شيعتنا أوراقها، من تعلق بغصن من أغصانها ساقه إلى الجنة، و من تخلف عنها هوى إلى النار» «٣».

- (١). مقتبس من كتاب أحفاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، طبع مكتبة طاهر للتراث، القاهرة ٢٠٠١ م.
- (٢). المعجم الأوسط للطبراني ٣: ١٢٢ حديث (٢٢٥١) بإسناده عن ابن أبي ليلى عن الحسن بن علي عليهما السلام. و فيه: «الزموا مودتنا» بدل «محبتنا»، و في آخره بعد «بشفاعتنا»: «و الذي نفسى بيده، لا ينفع عبدا عمله إلا بمعرفة حقنا».
- (٣). لم نعثر على هذا الحديث في معاجم الطبراني الثلاث المطبوعة، و خاصة الأوسط منها رغم وجود فهرس كامل قد قام بتنظيمه الدكتور محمود الطحان، و نشرته مكتبة المعارف في الرياض. غير أن الحديث بعينه أخرجه ابن جرير الطبري في بشارة المصطفى: ٧٦ حديث (٨) عن ابن عباس. و تجدر الإشارة إلى أن الحديث قد رواه و أخرجه الفريقان عن طرق عدّة و لو كانت بألفاظ متغايرة أحيانا، إلا أنها متقاربة، نذكر -
أهل البيت في مصر، ص: ٣٦
و عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي و لأصحابي».
رواه ابن حبان في صحيحه «١» و الطبراني في المعجم الكبير «٢».
- أخرج ابن حبان: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «ما بال رجال يؤذونني في أهل بيتي، و الذي نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني، و لا يحبني حتى يحب ذريتي» «٣».
- و عند ما اشتدت قطيعة قريش لقراءة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خاصة و للمسلمين في بداية الرسالة- فقد كانوا يعبسون في وجوه آل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و يقطعون الحديث عند رؤيتهم- غضب لذلك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غضبا شديدا، ففي الأثر: «ما بال أقوام يتحدثون، فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، و الله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لقربتهم مني» «٤».
- لهذا نجد المحبين يتسابقون في إظهار الحب الصادق لآل البيت، و لله درّ الإمام محيي الدين بن عربي قال:

-
- من المصادر لا على سبيل الحصر: الأمامي للطوسي ١: ١٨، الأمامي للمفيد البغدادي: ٢٤٥، بصائر الدرجات: ٧٨ و ٨٠، تفسير جوامع الجامع ٢: ٢٨٢ عند تفسير الآية الشريفة: ٢٤ من سورة إبراهيم المباركة، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١: ٤٠٦ و ما بعده، تاريخ دمشق لابن عساکر ٤: ٣١٨، كنوز الحقائق للمناوي: ١٥٥، المقتل للخوارزمي: ١٠٨، كفاية الطالب: ٤٢٥، نزهة المجالس ٢: ٢٢٢، الرياض النضرة ٢: ٢٥٣، الإصابة: ٣٠٦، لسان الميزان ٤: ٤٣٤، المستدرک علی الصحیحین للحاکم ٣: ١٦٠، عنه في كنز العمال ١١: ٦٠٨ حديث (٣٢٩٤٤)، السيدة فاطمة الزهراء لمحمد بيومي: ١٠٢ و ١٦٦ و غيرها.
- (١). صحيح ابن حبان ٦: ٢٨٥ رقم (٦٩٨٧) بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام.
 - (٢). لم نعثر عليه في المعجم الكبير المطبوع، و لكن الحديث بعينه أورده المتقي الهندي في كنز العمال ١٢: ٥٦ رقم (٢٤١٥٧) عنه، و أيضا عن ابن عدى في الكامل ٦: ٣٠٢. و أخرجه أيضا المناوي في الفيض ١: ١٤٨ و في الكنوز أيضا: ٥.
 - (٣). صحيح ابن حبان ٦: ٢٨٠ - ٢٨١ رقم (٦٩٧٢). و أخرجه أيضا الشبلنجي في نور الأبصار: ١٢٦.

(٤). أخرجه ابن ماجه في سننه ١: ٥٠ حديث ١٤٠ عن العباس بن عبد المطلب، و قال: في الزوائد: رجال اسناده ثقات. و أخرجه الحاكم في المستدرک ٤: ٧٥ و ذكر حديثا آخر عن العباس عنه صلى الله عليه و آله قال: «و الذى نفس محمد بيده، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله و لرسوله». و أورده المتقى الهندي في الكتر ١٢: ١٠٢ رقم (٣٤١٩٣) و عزاه إلى ابن ماجه و الرويانى و الطبرانى و ابن عساكر.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٧ رأيت و لائى آل طه فريضة على رغم أن البعد يورثنى القربا
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى بتبليغه إلا المودة في القربى كما قال كذلك برواية ثانية:

أرى حب آل البيت عندى فريضة على رغم أهل البعد يورثنى القربا

فما اختار خير الخلق منا جزاءه على هديه إلا المودة في القربى «١» و فى الحديث الشريف: «لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار».

رواه الحاكم على شرط الشيخين «٢».

و عند ما حذر الإمام على كرم الله وجهه معاوية بن أبى سفيان قال له: إياك و بغضنا، فإن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: «لا يبغضنا و لا يحسدنا أحد إلا زيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار» رواه الطبرانى فى الأوسط «٣».

لذلك التزم السلف الصالح بما أمروا به من حب آل البيت و إكرامهم و توقيرهم، فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يقول لعبد الله بن الحسن بن على - رضى الله عنهم جميعا- و قد جاءه فى حاجة: إن كانت لك حاجة فأرسل أو اكتب بها إلى،

(١). ذكرهما ابن حجر فى الصواعق المحرقة ١: ١١٠.

(٢). المستدرک على الصحيحين ٤: ٣٥٢ (المؤلف).

و أخرج الحديث أيضا ابن حجر فى الصواعق: ١٤٣ و قال: إنه صحيح. و السيوطى فى الدر المنثور ٦: ٧ و عزاه إلى أحمد بن حنبل و ابن حبان و الحاكم كلهم عن أبى سعيد الخدرى. و أخرجه جمع فى كتب المناقب، مثل: ابن المغازلى: ١٣٨، و السيوطى فى الخصائص ٢: ٢٦٦، و القندوزى فى الينابيع: ٤٨، و الأمر تسرى فى أرجح المطالب: ٣٣٤ و غيرهم.

(٣). المعجم الكبير للطبرانى ٣: ٨٢ رقم (٢٧٢٦). (المؤلف).

نعم، و قد أخرجه فى المعجم الأوسط أيضا ٣: ٢٠٣ - ٢٠٤ رقم (٢٤٢٦) بسنده إلى معاوية بن حديج عن الحسن بن على عليهما السلام.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٨

فإنى أستحى من الله أن يراك على بابى «١».

أما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد قال للإمام الحسين رضى الله عنهما حين علم أنه كان قادما إليه، فلما قابله عبد الله بن عمر فى الطريق قال له: إن أبى مشغول ببعض الأمور، فرجع، فلما علم عمر بذلك نهر ابنه، و دعا الحسين و اعتذر له، و قال له: حتى و إن كنت أنا مشغولا فلا أنشغل عنك، فأنت ابن رسول الله صلى الله عليه و آله، و قضى له حاجته بعد أن اعتذر له عما بدر من ابنه عبد الله «٢».

و ما أروع ما قال الفرزدق فى مدح آل البيت فى شخص الإمام زين العابدين ابن الحسين رضى الله عنهم جميعا، مبينا فضلهم:

من معشر حبهم فرض و بغضهم كفر و قربهم منجى و معتصم

يستدفع السوء و البلوى بحبهم و يستزاد به الإحسان و النعم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم فى كل بدء و مختوم به الكلم

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل: من خير أهل الأرض؟ قيل: هم لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وإن كرموا «٣» وفي الأثر: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عند ما اضطروا إليه، والمحّب له بقلبه ولسانه» «٤».

(١). أورد الأثر ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧: ٣٦٦ بسنده عن ضمرة و ذكر أيضا: أنه كان يستعين به على سليمان في حوائجه، فقال له عمر: إن رأيت أن لا تقف ببابي إلّا في الساعة التي ترى أنه يؤذن لك فيها عليّ، فإنّي أكره أن تقف ببابي فلا يؤذن لك عليّ.
(٢). رواه ابن حجر في التهذيب ٢: ٣٠٠ ضمن ترجمة الحسين بن علي عليهما السلام برقم (٦١٥) و أضاف: «فقال: أنت أحقّ بالإذن من ابن عمر، وإنما أنبت ما ترى في رءوسنا الله ثم أنتم».
(٣). ديوان الفرزدق ٢: ٣٥٥.

(٤). أورد هذا الأثر المحبّ الطبري في ذخائر العقبى: ١٨، و ابن حجر في الصواعق: ٢٣٧، و الزبيدي في إتحاف السادة المتّقين ٨: ٧٣، كلّهم عن علي عليه السلام. و أخرج الأثر الخوارزمي في المقتل ٢: ٢٥ و لكن بلفظ: «أنا لهم شفيع يوم القيامة و لو أتوا بذنوب أهل الأرض: الضارب بسيفه أمام ذريتي، و القاضي لهم ... الخ».
أهل البيت في مصر، ص: ٣٩

فواجب المسلم أن يملأ قلبه بحبّ من وصّى بحبهم المصطفى صلّى الله عليه و آله، فبحبهم ينال الخير الكثير في الدنيا و الآخرة، و ما أجمل ما قال المحبّ:

فيا ربّ زدني من يقيني بصيره و زد حبّهم يا ربّ في حسناتي «١» و رحم الله الشاعر الملهم، شاعر الأولياء، شيخنا الشيخ علي عقل إذ يقول في دفع ملامة الذين يلومونه في شدّة تعلقه بآل البيت:
و مهما ألام على حبّهم فلست الفتى خائف اللائمه
فروحي على بابهم ترتمي و نفسي بأعتابهم خادمه
إذا مسّ نفسي فتور المعاصي بذكرهمو أصبحت هائمه
فيا عاذلي ثمّ يا عاذري سواء رضاك أو اللائمه
فقل ما تشاء و كن ما تشافئني أحبّ بني فاطمه

من هم آل البيت؟

لَمَّا نزلت الآية الكريمة في سورة الشورى: قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى سأل ابن عباس رضي الله عنهما رسول الله صلّى الله عليه و آله، قال: يا رسول الله، من قرابتك الذين نزلت فيهم الآية؟ قال:
«علي و فاطمة و الحسن و الحسين» «٢».

كذلك جاء: أن ذوى قربي رسول الله صلّى الله عليه و آله كلّ من ينسب إلى جدّه الأقرب

(١). ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى: ١٦، و البيت من قصيدة طويلة لدعبل بن علي الخزاعي، يذكر فيها ما أصاب آل محمد صلّى الله عليه و آله من رزايا، انظر ديوانه: ٦٣.
(٢). ذكر الخبر الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٤٧ رقم (٢٦٤١)، و العلامة القندوزي في ينابيع المودة ١: ١٠٥ و عزاه إلى أحمد و ابن أبي حاتم و الحاكم في المناقب و الواحدى فى الوسيط و أبى نعيم فى الحلية و غيرهم.

و ذكره من المفسرين ابن كثير في تفسيره ٤: ١٦٩ - ١٧٠، و القرطبي في أحكام القرآن ١٦: ٢٢، و الزمخشري في الكشاف ٤: ٢١٩ - ٢٢٠، و علي بن إبراهيم القمي في تفسيره ١: ٢٧٥، و الثعلبي في الكشف و البيان ٨: ٣١٠، كلهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذيل آية: ٢٣ من سورة الشورى المباركة.

اهل البيت في مصر، ص: ٤٠

عبد المطلب «١»، و قيل: قريش كلها «٢»، و قيل: كل مسلم محب لرسول الله صلى الله عليه و آله «٣».

و إنما المعنى الخاص لذوى القربى يقصد به عليا و فاطمة و الحسن و الحسين كما جاء في إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى و فضائل أهل بيته الطاهرين، للصبان «٤».

روى أنه لَمَّا نزل قوله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا [الأحزاب: ٣٣]، لَفَّ رسول الله صلى الله عليه و آله كساء علي و فاطمة و الحسن و الحسين، و قال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا» «٥».

و في رواية قال: «اللهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك و بركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم، إنك حميد مجيد» «٦».

(١). ذهب إليه البعض لرواية مسلم عن زيد بن أرقم، قال له الحصين بن سبرة: و من أهل بيته؟ أ ليس نساؤه أهل بيته؟ قال: أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: و من هم؟ قال: هم آل علي و آل عقيل و آل جعفر و آل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. (صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ رقم (٢٤٠٨) كتاب فضائل الصحابة).

(٢). قاله الزجاج في معاني القرآن ٣: ١٧٦ قال في ذيل الآية: إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى: «الخطاب لقريش خاصة، قاله ابن عباس و أبو مالك و الشعبي».

(٣). ذهب إليه بعض المفسرين؛ كالقرطبي في أحكام القرآن ١٦: ٢٢ حيث قال: الآية منسوخة، و إنما نزلت بمكة، و كان المشركون يؤذون النبي صلى الله عليه و آله، فنزلت الآية و أمرهم الله بمودة نبيه صلى الله عليه و آله و صلته رحمته، فلَمَّا هاجر آوته الأنصار و نصره، و أراد الله أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء حيث قال: و مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، و عزاه إلى الضحاك و الحسين بن الفضل.

(٤). إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار: ٢٢٥.

(٥). أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣: ٢٠٤ ترجمة الحسن بن علي عليهما السلام و الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٥٣ رقم (٢٦٦٦) و: ٥٤ رقم (٢٦٦٨) و: ٥٥ رقم (٢٦٦٩) و الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ٢: ٦٤ رقم (٦٨٦) و ما بعده، و ابن المغازلي الشافعي في المناقب: ٣٠٥، و الشبلنجي في نور الأبصار: ٢٢٥، و الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣: ٣٨٥.

(٦). و أخرجه بهذا اللفظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣: ٢٠٣ ترجمة الحسن بن علي عليهما السلام و الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٥٣ رقم (٢٦٦٤) و (٢٦٦٥)، و الشبلنجي في نور الأبصار: ٢٢٥، و الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ٣٧٢.

اهل البيت في مصر، ص: ٤١

و جاء كذلك أن آل البيت هم زوجاته صلى الله عليه و آله؛ أخذنا من سياق الآيات القرآنية في سورة الأحزاب، فالحديث القرآني موجه إلى نسائه صلى الله عليه و آله ثم أتبعه الله تعالى بهذه الآية: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا [الأحزاب: ٣٣] و هو ما ذهب إليه الزمخشري في تفسيره «١» و «٢».

و لقد أصبح الإقرار بفضل آل البيت و الشعور بفضلهم سمة من سمات المسلمين، و لدى المصريين خاصة، و يستدل عليه بانعطاف

قلوب المصريين نحوهم، وزيارتهم لهم في أضرحتهم، والمزاحمة للوقوف عند قبورهم، وإهداء آيات الدعاء وقراءة القرآن على أرواحهم، والتعبير عن حبهم لنبيهم وعترته الطاهرة. وكذلك انجذاب الأرواح إلى مشاهدتهم، والصلاة في المساجد المنسوبة إليهم في صلاة الفجر والعشاء، وخاصة في شهر الروحانيات شهر رمضان.

لأن واجب العرفان والوفاء يقتضى إسناد الفضل لأصحابه، أهل البيت الذين طهرهم الله تطهيرا، فهم أهل التقوى، وأهل العلم والحكمة، وهم نواب المصطفى صلى الله عليه وآله في نشر فضائله وأخلاقه، فحب الناس لأهل البيت يعد امتدادا لحب الرسول صلى الله عليه وآله والتأسي به وحب من أحبه.

ومما يؤيد أن أهل البيت هم على وفاطمة وابناها خاصة، ما رواه أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقف عند بيت السيدة فاطمة ابنته وهو خارج لصلاة الفجر، ويقول:

(١). تفسير الكشاف ٣: ٥٣٨.

(٢). يذكر أن عكرمة ومقاتل بن سليمان ينفردان من بين المفسرين جميعا بتخصيص الآية بنساء النبي صلى الله عليه وآله، ويرويان عبر التمسك بالسياق العام: أن المراد بالبيت هنا بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ومسكن زوجته. بل أنه يروى عن عكرمة أنه كان ينادى بالأسواق والطرقات بهذا. ومن يتبع كتب جرح الرجال وتراجمهم يرى ما يكفيه عن هذين الرجلين أن يدير الصفح عنهما، فضلا عن استماع أقوالهما، فقد اتفهما بالاضطراب والوضع والتدليس، بل قد عرفا بالكذب عند المحدثين، وبالتجسيم أيضا. راجع في أحوالهما: تهذيب التهذيب ٧: ٢٦٧ و ١٠: ٢٨١، وتقريب التهذيب ٢: ٢٧٢، التاريخ الكبير للبخارى ٨: ١٤، وفيات الأعيان ٤: ٣٤٢، الكاشف للذهبي ٢: ٢٧٦.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٢

«الصلاة أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» (١).

كما كان يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله» (٢).

ومعلوم أن المودة تكون من أثر المحبة، بل هي الثبات على المحبة، ومعلوم كذلك أنه لا دين لمن لا محبة له، وأن محبة آل البيت نابعة من محبة صلى الله عليه وآله، ومحبة النبي صلى الله عليه وآله نابعة من محبة الله تعالى. ومن هنا، فإن محبة آل البيت أصبحت واجبة على كل مسلم؛ لأنها أجر لنبيه صلى الله عليه وآله وعلى هديه المسلمين إلى نور الإيمان في الدنيا، كما أنها وفاء له بعد انتقاله.

وقد أشار المحب إلى هذا المعنى، فقال:

إن النبي هو النور الذي كشفت به عمايات باقينا وماضينا

وربطه عصمة في ديننا ولهم فضل علينا وحق واجب فينا وهناك فريق آخر يرى أن أهل البيت هم ذرية النبي صلى الله عليه وآله؛ تمييزا لهم عن باقي المهاجرين والأنصار (٣)، كما يرى غيرهم: أن اللفظ يتسع ليشمل الأمة الإسلامية،

(١). أخرجه عن أنس الإمام أحمد في المسند ١: ٣٣١ قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر...». و الترمذى في سننه ٥: ٣٥٢ رقم (٣٢٠٦) وقال: وفي الباب عن أبي الحمراء ومقل بن يسار وأم سلمة. و السيوطى فى الدر المنثور ٦: ٦٠٦ ذيل تفسير الآية (٣٣) من سورة الأحزاب المباركة وعزاه إلى ابن جرير وابن مردويه، وفى ص ٦٠٥ عزاه إلى ابن أبى شيبه وأحمد و الترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وابن مردويه.

(٢). رواه بهذا اللفظ ابن مردويه عن ابن عباس، قال: «شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة أشهر، يأتى كل يوم باب على بن

أبى طالب عند وقت كل صلاة فيقول ...» الدر المنثور ٦: ٦٠٦.

(٣). وهو ما يتمسك به الفريق الأعظم والأكبر من المفسرين، لرواية أبى سعيد الخدرى وأم سلمة وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه ووائله بن الأسقع وعائشة أخرجه جمع غير من المحدثين وأعلام الفقهاء كأحمد بن حنبل فى المسند ٤: ١٠٧ و ٦: ٢٩٦ و ٣٠٤، والطبرانى فى المعجم الكبير ٣: ٤٨ ضمن ترجمة الإمام الحسن بن على عليهما السلام، ومحبّ الدين الطبرى فى الذخائر: ٢١-٢٤، وابن المغازلى فى المناقب:

٣٠٥ ناهيك عن أرباب التفسير كالطبرى وابن كثير والسيوطى فى الدرّ المنثور والحبرى عند تفسير الآية إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً الأحزاب: ٣٣.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٣

ولقوله تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ [الأحزاب: ٦].

ويرى الأستاذ حسن المطاوى: أَنَّ آل البيت هم المنسوبون إلى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَوْلَادِ فَاطِمَةَ وَعَلَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَقَالَ: «إِنَّ الْفُقَهَاءَ ذَكَرُوا أَنَّهُ مِنْ خِصَائِصِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّهُ يَنْسَبُ إِلَيْهِ أَبْنَاءُ بَنَاتِهِ، وَأَوْلَادُ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا يَنْسَبُونَ إِلَيْهِ، وَأَوْلَادُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَنْسَبُونَ إِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَيْنَمَا أَوْلَادُ أُخْتَيْهِمَا زَيْنَبُ وَأُمُّ كُلثُومٌ يَنْسَبُونَ إِلَى أَبِيهِمْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَزَوْجِيهِمَا، وَإِنَّمَا خَرَجَ أَوْلَادُ فَاطِمَةَ وَحَدَاها؛ لِلْخُصُوصِيَّةِ الَّتِي وَرَدَ الْحَدِيثُ بِهَا، وَهُوَ مَقْصُورٌ عَلَى ذُرِّيَّةِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لِكُلِّ بَنِي آدَمَ عَصَبَةٌ، إِلَّا ابْنِي فَاطِمَةَ، أَنَا وَلِيَّتُهُمَا وَأَنَا عَصَبَتُهُمَا» (١) «...».

أما لفظ «الشريف» الذى اختصّ به أهل البيت و سلالته الطاهرة فيطلق على كل من كان من أهل البيت، سواء كان حسنياً أو حسيتياً أو علويّاً، من ذرية محمد بن الحنفية- وهو ابن الإمام على من زوجته الحنفية- أو غيره من أولاد على، أو جعفرياً أو عقيلياً أو عباسياً، فيقال: الشريف العقيلي، والشريف العباسى، والشريف الجعفرى، والشريف الزينبى «٢». ولما تولّى الفاطميون الخلافة فى مصر قصروا لفظ الشريف على ذرية الحسن والحسين.

ومن هنا، فإنّ اختصاص الحسن والحسين وذريتهما بال «آل» خصوصية وإيثار؛ لأنّ أباهم الإمام عليّاً كان الابن والأخ للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةٍ»

(١). أخرج الحديث الطبرانى فى المعجم ٣: ٤٤ رقم (٢٦٣١) و (٢٦٣٢) بلفظ: «كلّ بنى أنثى ...» و «كلّ بنى أم ...»، والحاكم فى المستدرک ٣: ١٦٤ بهذا اللفظ. وابن حجر فى الصواعق: ٢٣٦.

(٢). يقول الحافظ ابن حجر فى الألقاب: «الشريف ببغداد لقب لكلّ عباسى، وبمصر لكلّ علوى. ولا شك أنّ المصطلح القديم أولى، وهو إطلاقه على كلّ علوى وجعفرى وعقيلى وعباسى، كما صنعه الذهبى، وكما أشار إليه الماوردى من أصحابنا، والقاضى أبو يعلى من الحنابلة ...» (نزهة الألباب فى الألقاب ١: ٣٩٩ رقم ١٦٦٩).

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٤

هارون من موسى، غير أنّه لا نبى بعدى» (١). أمّا أمّهما، فهى ابنته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وريحانته، وبضعه منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، ورضى اللهُ عنهم جميعاً، وأكرمنا بمحبّتهم.

وجوب محبة آل البيت و مودتهم:

قال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلْعَبَّاسِ عَمَّهُ لَمَّا شَكَا إِلَيْهِ نَفراً مِنْ قَرِيْشٍ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيْمَانَ حَتَّىٰ

يحبكم لله و لرسوله» (٢).

(١). صحيح الترمذى (٣٧٥٨).

أقول: أخرجه الترمذى مسندا إلى جابر بن عبد الله (٥: ٦٤٠-٦٤١ رقم ٣٧٣٠) وقال: وفي الباب عن سعد و زيد بن أرقم و أبي هريرة و أم سلمة. و بسند آخر عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص، و قال: هذا حديث حسن صحيح (٣٧٣١). و أخرجه الطبراني ١: ١٤٦ رقم (٣٢٨) بسنده عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه إلى قوله: «من موسى». و يذكر أن حديث المتزلة من أثبت الآثار، و قد صرح بتواتره أعلام الحديث، كالحاكم: «هذا حديث دخل حدّ التواتر» (كفاية الطالب: ٢٨٣ ب ٧٠)، و السيوطي في الأزهار المتناثرة: ٧٦ رقم ١٠٣، و نظم المتناثر: ٢٠٦ رقم ٢٣٣، و إتحاف ذوى الفضائل: ١٦٩ رقم ٢١٧. و قال ابن الجوزي و الخطيب التبريزي:

«أخرجه في الصحيحين و اتفقا عليه» (تذكرة الخواص: ٢٧ ب ٢، مشكاة المصابيح: ١٧١٩٣ رقم ٦٠٧٨ مناقب على عليه السلام) و قد أخرجه البخارى في صحيحه ٣: ١٣٥٩ رقم ٣٥٠٣ كتاب فضائل أصحاب النبي باب مناقب على رقم ٩، و ٤: ١٦٠٢ رقم ٤١٥٤ كتاب المغازي، غزوة تبوك، كما أخرجه مسلم في فضائله رقم (٦١٦٧) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل على عن سعد. و قال ابن عبد البر و التلمساني: «هو من أثبت الآثار و أصحها» (الاستيعاب ٣: ٣٤٠ بداية ترجمة على عليه السلام، الجوهرة في نسب الإمام على: ١٤). و مما يجدر ذكره أن الإمام أحمد قد أخرجه من طرق كلها صحيحة، في فضائل الصحابة، مناقب على: ٢/ ٥٦٧ و ٥٦٩ و ٥٩٢ و ٦٣٣ و ٩٥٦ و ٩٦٠ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٧٩ عن سعد و ٥٩٨ و ٦٤٢ و ١٠٩١ عن أسماء.

(٢). صحيح البخارى (٣٧١٤-٣٧٦٧).

أقول: لم أثر عليه في صحيح البخارى المطبوع في دار ابن كثير و دار اليمامة للنشر، لكن الحديث أورده المتقى الهندي في الكنز ١١: ٧٠٠ رقم (٣٣٣٩٥) و عزاه إلى أحمد و الترمذى و الحاكم عن عبد المطلب بن ربيعة، و عن الحاكم أيضا عن العباس. و قد أخرجه الترمذى في كتاب المناقب، باب مناقب العباس بن عبد المطلب رقم (٣٧٥٨) و قال: هذا حديث حسن صحيح، و الشجرى في الأمالي ١: ١٥٧.

اهل البيت في مصر، ص: ٤٥

و لذلك، قال أبو بكر رضى الله عنه صلته قرابة رسول الله صلى الله عليه و آله أحب إلى من صلته قرابتي (١).

و لذلك أنشأ الإمام الشافعى هذه الأبيات في وجوب حب آل البيت:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له (٢) يشير إلى أنه لا تقبل صلاة من لم يصل على آل البيت في التشهد.

و كما قال المحب:

أحب النبي المصطفى و ابن عمه عليا و سبطيه و فاطمة الزهرا

همو أهل بيت أذهب الرجس عنهم و إني أرى البغضاء في حقهم كفرا

عليهم سلام الله ما دام ذكرهم لدى الملائكة و أكرم بهم ذكرا (٣) و كذلك قال الإمام الشافعى:

يا راكبا قف بالمحصب من منى و اهتف بساكن خيفها و الناهض

(١). أخرج الأثر البخارى ٣: ١٣٦١ رقم (٣٥٠٨) عن عروة بن الزبير عن عائشة، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله

صلى الله عليه و آله (١٢).

(٢). بيتان من البسيط، يؤكد فيهما الإمام على أن حب أهل البيت فرض، وهو العالم الحبير. ورد البيتان في ديوانه: ١١٥ رقم (١١٨).
 (٣). الأبيات أوردها المحب في الرياض ٢: ١١٠ في مناقب على عليه السلام، و الشبلنجي في نور الأبصار: ٢٣٢-٢٣٣، و نسبها إلى أبي الحسن بن جبير.

و يظهر هنا أن الأبيات قد حدث فيها خلط، حيث أن عجز البيت الثاني كما يلي
 و أطلعهم أفق الهدى أنجما زهرا

مولاتهم فرض على كل مسلم وحبهم أسنى الذخائر للأخرى

و ما أنا للصحب الكرام بمبغض فأتى أرى البغضاء في حقهم كفرا

أهل البيت في مصر، ص: ٤٦ سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كملتطم الفرات الفائض

إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنني رافضي «١» و قال المحب كذلك:

هم القوم من أصفاهم الودّ مخلصاتمسك في أخراه بالسبب الأقوى

هم القوم فاقوا العالمين مناقبماحسنهم تحكى و آياتهم تروى

مولاتهم فرض و حبهم هدى و طاعتهم ودّ و ودهمو تقوى «٢» و قال الفخر الرازي: «إن أهل بيته صلى الله عليه و آله ساووه في هذه الأشياء:

في الصلاة عليه و عليهم في التشهد، فيلزم أن قال: اللهم صل على محمد و على آل محمد.

و في الطهارة، قال تعالى: وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ٣٣].

و في المحبة، و في قوله تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى [الشورى: ٢٣] ... «٣».

(١). الأبيات من الكامل، أنشأها الإمام لما نسبت إليه الخوارج الرفض؛ حسدا و بغيا. وردت الأبيات في ديوانه: ٩٣ رقم (٨٤). و وردت أيضا في مناقب الشافعي ٢: ٧١، و في الوافي بالوفيات ٢: ١٧٨ أن الربيع بن سليمان قال: خرجنا مع الشافعي من مكة نريد منى، فلم نزل واديا و لم نصعد شعبا إلّا و سمعته يقول الأبيات تلك.

(٢). الأبيات يرويها الشبلنجي في نور الأبصار: ٢٣٣، و ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة: ٢٩ عن بعضهم في مدح أهل البيت عليهم السلام.

(٣). التفسير الكبير ٢٧: ١٦٦ ذيل تفسير آية القربى: ٢٣ من سورة الشورى.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٧

و ما أفضل ما قال المحب:

يا بنى الزهراء و النور الذى ظنّ موسى أنه نور قبس

لا أوالى قطّ من عاداكم إنهم آخر سطر في عبس «١» و نقول متمثلين قول المحب:

صلوا جبل ودّى بالنبي و آله تمسكت بالمختار جزئى و أجمعى

اختصاص أهل البيت بفضائل كثيرة:

من هذه الخصائص: تحريم الصدقة عليهم، و تعويضهم الخمس من الفىء و الغنيمه، و كذلك إطلاق لقب الأشراف عليهم، و يطلق اللقب على سائر أهل البيت، و خاصه على ذرية الحسن و الحسين و السيدة زينب «٢».

و من خصائصهم كذلك: وجوب إكرامهم و توقيرهم، لأجل قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه و آله، فقد كان هذا حال الصالحين

معهم.

(١). تحفة الأحاب للسخاوى: ١١٢-١١٣ يرويها ضمن زيارة مخصوصة ينقلها عن بعض السلف. و يشير إلى قوله تعالى فى آخر آى عبس: أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ.

(٢). و هل يشاركون أولاد الحسن و الحسين عليهما السّلام فى أنّهم ينسبون إلى النّبي صلّى الله عليه و آله؟ لقد ذكر جمهور الفقهاء أنّ من خصائصه صلّى الله عليه و آله أنّه ينسب إليه أولاد بناته، و لم يذكروا مثل ذلك فى أولاد بنات بناته، فالخصوصية للطبقة العليا فقط، و هم أولاد فاطمة عليها السّلام ينسبون إليه، و أولاد الحسن و الحسين عليهما السّلام ينسبون إليهما فىهم الأمر على قاعدة آله أمّا أولاد زينب و أم كلثوم فإنّهم ينسبون إلى أبيهم، لا إلى الأم، و لا إلى النّبي صلّى الله عليه و آله فجرى فيهم الأمر على قاعدة الشرع فى أنّ الولد يتبع أباه فى النسب، لا أمه، و أنّما خرج أولاد عليها السّلام للخصوصية التى وردت عنه صلّى الله عليه و آله، و هى مقصورة على ذرية الحسن و الحسين عليهما السّلام. فقد أخرج الحاكم بسنده عن جابر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله «لكلّ بنى أمّ عصبه، إلّا ابنى فاطمة، أنا وليّهما و عصبتهما».

و لهذا جرى السلف و الخلف على أنّ ابن الشريفة لا يكون شريفاً.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٨

و منها: أنّ محبتهم تطيل العمر، و تحصل بها البركة، و تبيض الوجه يوم القيامة و عكس ذلك كرههم.

و على خلاف ذلك، فبغضهم يورث الشقاوة، و يعرض المبعوض لهم على رسول الله صلّى الله عليه و آله مسودّ الوجه يوم القيامة، و ما أحسن ما عرض هذا المعنى المحبّ:

فيا من يواليهم و يحفظ ودهم و يكرم متواهم هنيئاً لك البشرى

فلا بد يوم العرض تسمع قائلاً تفضّل تفضّل فادخل الجنة الخضرا

و يا من يعاديهم لفرط شقائه تمهّل قليلاً أنت فى سقر الحمرا و منها: أنّ أولاد فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله يسمون أبناء صلّى الله عليه و آله.

و هذه الخصوصية لأولاد فاطمة ابنته رضى الله عنها دون بقية أولاد بناته، و أبناء فاطمة هم: الحسن و الحسين و المحسن و زينب و أم كلثوم، فهم الذين لهم هذه الخصوصية، و ما تبع هذا من ذريتها من الأبناء الذكور؛ لأنّ أبناء الإناث ينسبون إلى آبائهم. و منها: أنّ مهدي آخر الزمان من ذرية أهل البيت.

و ممّا يبيّن مكانة أهل البيت، و خاصّة الحسن و الحسين هذه المحاورّة التى تمّت بين الحجاج و الشعبى حول بنوّه الحسين و نسبتها إلى الرسول صلّى الله عليه و آله، و كان الشعبى يحبّ آل البيت، و يقول عنهم: إنّهم أبناء النّبي صلّى الله عليه و آله و ذريته.

فذات يوم استدعاه الحجاج إلى مجلسه، و حضر المجلس علماء الكوفة و البصرة، و لمّا دخل الشعبى لم يحسن الحجاج استقباله، و لمّا جلس سأله الحجاج:

يا شعبى، أمر بلغنى عنك يشهد عليك بجهلك!

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٩

فقال الشعبى: ما هو أيّها الأمير؟

قال الحجاج: ألم تعلم أنّ أبناء الرجل إنّما ينسبون إليه؟ و الأنساب لا تكون إلّا بالأباء؟ فما بالك تقول عن أبناء فاطمة الزهراء بنت النّبي صلّى الله عليه و آله: إنّهم أبناء رسول الله صلّى الله عليه و آله و ذريته، مع أنّ أباهم على، و ليس لهم اتّصال بالنّبي صلّى الله

عليه و آله إلّا من جهة أمهم فاطمة؟!

فردّ عليه الشعبى ردّ الواثق: أيها الأمير، ما أراك تتكلم إلّا بكلام من يجهل كلام الله و سنّه نبيّه صلى الله عليه و آله. فقال الحجاج و قد اشتدّ غضبه: ويلك! كيف تقول لى هذا؟! فقال الشعبى: هؤلاء هم العلماء و القراء و حملة كتاب الله، أليس الله تعالى يقول:

يا بَنِي آدَمَ، يا بَنِي إِسْرَائِيلَ، و أَلَمْ يَقُلْ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَنْ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ عِيسَى، فَهَلْ كَانَ اتِّصَالُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْأُمِّ فَقَطْ؟ كَمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ قَالَ عَنْ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَذَا ابْنِي سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

عندئذ خجل الحجاج، و أخذ يتلطف مع الشعبى بعد أن أفحمه الشعبى بالحجّة من الكتاب و السنّة «١».

فى مشروعية الزيارة لقبور الصالحين:

لكى ندفع شبهات المنكرين للزيارة نستند الى أدلّة منسوبة للأئمة الكبار ... فجميعهم متفق على زيارة المصطفى صلى الله عليه و آله فى القبر الشريف، و أنّها أعظم قرينة لمن له سعته، و أنّها مستحبة و واجبة كذلك. و يدلّ على زيارة قبور أهل البيت: القياس، أى

(١). حكى المحاوره محمد بن طلحة الشافعى فى مطالب السئول فى مناقب آل الرسول ١: ٢٤-٢٥.

أهل البيت فى مصر، ص: ٥٠

قياس الأولى، و هو قبر المصطفى صلى الله عليه و آله «١».

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله يزور أصحابه فى البقيع و فى أحد- رضى الله عنهم جميعا- و من بعده صلى الله عليه و آله كان الصحابة الكرام يواظبون على هذه الزيارة، و لو كانوا يأتون إلى هذه الأماكن من بلاد بعيدة. و من بعد الصحابة إلى اليوم يواظب المقتدون به صلى الله عليه و آله على هذه الزيارة كسنّه متوارثة جيلا بعد جيل.

غير أنّ هناك من يعترضون على زيارة مشاهد آل البيت، لزعمهم أنّ الحديث الشريف ينصّ على عدم شدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد فقط: المسجد الحرام، و المسجد النبوى، و المسجد الأقصى. بينما جاء فى تفسير الحديث الشريف «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد» «٢»: أنّ جميع المساجد متساوية فى فضل الصلاة فيها

(١). أفتى فقهاء الإسلام بجواز زيارة القبور، و خاصية قبور الأنبياء و الأولياء الصالحين، استنادا إلى مجموعة من الأدلّة الشرعية من الكتاب و السنّة و الإجماع و القياس و العقل، بل قد أفتى أئمة المذاهب كلّها باستحبابها و أفضليتها. يقول ابن هبيرة ٥٦٠ هـ فى كتابه «اتفاق الأئمة»: اتفق مالك و الشافعى و أبو حنيفة و أحمد رضى الله عنهم على أنّ زيارة قبر النبى مستحبة (عند كتاب المدخل لابن الحاج ١: ٢٥٦).

و قد ألّف تقي الدين السبكي الشافعى ٧٥٦ هـ كتابا حافلا فى خصوص زيارة النبى الأعظم صلى الله عليه و آله و باقى الأولياء الصالحين أسماه «شفاء السقام فى زيارة خير الأنام» ردّا على ابن تيمية، و ذكر كثيرا من أحاديث الباب، ثم عقد بابا فى نصوص العلماء من المذاهب الأربعة على استحبابها، ثم قال: «إنّ ذلك مجمع عليه بين المسلمين» و قال: «لا حاجة إلى تتبع كلام الأصحاب فى ذلك مع العلم باجماعهم و إجماع سائر العلماء عليه، و الحنفية قالوا: إنّ زيارة قبر النبى صلى الله عليه و آله من أفضل المندوبات و المستحبات، بل يقرب من درجة الواجبات» (راجع ص ٤٨).

و يقول السيد نور الدين السمهودى ٩١١ هـ فى كتابه الموسوم «وفاء الوفاء ٢: ٤١٢» بعد ذكر أحاديث الباب: «و أمّا الاجماع، فأجمع

العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووي، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها... و أضاف الدمهورى الكبير- و هو من كبار المتأخرين- إلى ذلك: قبور الأولياء و الصالحين و الشهداء» و به قال الحافظ أبو العباس القسطنانى المصرى ٩٢٣ هـ فى كتابه «المواهب اللدنية» فى الفصل الثانى منه، و كذا الشربىنى محمد الخطيب ٩٧٧ هـ فى كتابه «مغنى المحتاج ١: ٣٥٧».

(٢). أخرج الرواية البخارى فى صحيحه ١: ٣٩٨ كتاب صفة الصلاة ب ١٤ من أبواب التطوع حديث ١١٣٢ و ص ٤٠٠ ب ١٩ ح ١١٣٩، و مسلم فى صحيحه ٢: ١٠١٤ كتاب الحج ب ٩٥ ح ١٣٩٧ كلاهما عن أبى هريرة، و الترمذى فى سننه ٢: ١٤٨ ب ٢٤٢ من أبواب الصلاة ح ٣٢٦ عن أبى سعيد الخدرى.

أهل البيت فى مصر، ص: ٥١

إلّا فى هذه المساجد الثلاثة المذكورة يكون الثواب أكبر «١». و هذا لا يعنى إلّا يسافر المرء إلى مسجد غير هذه الثلاثة المذكورة، و إلّا لما حرص المسلمون على الصلاة فى مسجد قباء على سبيل المثال، و هم قد جاءوا إلى هذا من بلاد بعيدة، و كذلك يحرص الحجاج و المعتمرون على زيارة مساجد المدينة و مكّة للصلاة فيها.

فالمعنى ينصرف إلى بيان أفضلية المساجد الثلاثة على غيرها، و لا ينفى السفر لزيارة غيرها و الصلاة فيها، و كلّ له درجته عند الله. و حول الحديث الثانى، و هو قوله صلّى الله عليه و آله: «لا تجعلوا قبرى عيداً» من رواية أبى داود «٢» فإنّ ما فهمه العلماء المنصفون هو: إلّا تجعلوا قبر الرسول صلّى الله عليه و آله كالعيد بالكوف عليه و إظهار الزينات عنده، و الاشتغال عنده باللهو و الطرب ممّا يجتمع له فى الأعياد، أى: لا يؤتى القبر إلّا للدعاء و الزيارة. و هذا كلام ابن حجر رضى الله عنه، ثم أضاف: و كذلك يعلم من الحديث: إلّا تجعلوا للزيارة يوماً مخصوصاً مثلما للعيد يوم مخصوص، فلا يزار القبر إلّا فى هذا اليوم فقط «٣».

كما يستفاد من الحديث: الزجر عن سوء الأدب عند القبور، و التزام الأدب الذى لا يتجاوز الدعاء و الاعتبار و التأسى بأعمال و سيرة الصالحين الذين تضمّمهم هذه القبور.

و عن الحديث النبوى الشريف: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» «٤»، فقد جعل بعض المعترضين من هذه ذريعة لمنع الزيارة، و يزعمون أنّ سبب المنع لديهم المحافظة على التوحيد، و هذا الزعم باطل؛ لأنّ الممنوع هو اتّخاذ القبور مساجد يعكفون عليها، أمّا الزيارة و الدعاء عند القبور بقصد الموعظة

(١). انظر شرح الكرمانى على صحيح البخارى ٧: ١٢.

(٢). سنن أبى داود ٢: ٢١٨ كتاب المناسك باب: زيارة القبور ح ٢٠٤٢. و أورده المتقى الهندى فى الكنز ١:

٤٩٨ ح ٢١٩٩ و عزاه إلى الحكيم.

(٣). الجوهر المنظم لابن حجر، ذكره السهودى فى وفاء الوفاء ٢: ٦١٢.

(٤). رواه ابن أبى شيبه فى المصنّف ٨: ٣٢٥، و ابن عبد البرّ فى التمهيد ٥: ٤١ و ٤٣ كلاهما عن أبى سعيد الخدرى.

أهل البيت فى مصر، ص: ٥٢

و الاعتبار ممّا أوجبه الشرع الذى شرّع الزيارة و الدعاء.

بل كيف يكون الشرك و الزائر حين يدخل المسجد يصلّى لله تحية المسجد أولاً، فيعظّم ربّه، و يسجد له، و يشهد أنّه لا إله إلّا هو شهادة توحيد خالص!؟

و من هنا، فإذا كان الهجر لكلّ مسجد فيه قبر، لهجر المسجد النبوى الشريف و الصلاة فيه بعد إدخال القبر فيه فى عهد عمارة عمر بن عبد العزيز له، و لما كانت الصلاة فيه بألف صلاة «١». و لقد قال صلّى الله عليه و آله: «ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة» و الحديث برواية البرّاز، و هو بسند صحيح «٢».

وقد قال النووي: يسن الإكثار من زيارة القبور، وإكثار الوقوف عند قبور أهل الخير والصلاح (٣).
كما قال ابن الحاج في مدخله: ما زال العلماء كابرا عن كابر، مشرقا ومغربا، يتبركون بزيارة قبور الصالحين، فإن بركتهم جارية بعد موتهم، كما كانت في حياتهم (٤).
وكذلك قال الإمام الغزالي رضى الله عنه - كما نقل عنه ابن الحاج في مدخله - إن السفر لأجل العبادة يدخل في جملة زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء (٥).
فما القول بعد هذا في زيارة أضرحة أهل البيت الذين دعانا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مودتهم ومحبتهم، وحدث عن فضلهم؟! فمن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم.
وقد اهتم كثير من المسلمين بزيارة أضرحة آل البيت، كما اهتموا بزيارة

- (١). لرواية أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله التي أخرجها مسلم في صحيحه ٢: ١٠١٢ كتاب الحج ب ٩٤ فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ح ١٣٩٤ وما بعده.
 - (٢). مجمع الزوائد ٤: ٦ عن علي عليه السلام وأبي هريرة برواية البراز، أما برواية ابن عبيد «ما بين بيتي ومنبري...» أخرجها البخاري في صحيحه ١: ٣٩٩ ب ١٨ من أبواب التطوع ح ١١٣٧ و ١١٣٨ عن عبد الله بن زيد وأبي هريرة.
 - (٣). حكاه عنه السيد نور الدين السمهودي في وفاء الوفاء ٢: ٤١٣.
 - (٤). المدخل ١: ٢٤١.
 - (٥). المصدر السابق: ٢٤٩.
- أهل البيت في مصر، ص: ٥٣

مشايخهم أينما كانوا، مستندين إلى كلام جاء في «نور الأبصار» للشبلنجي قال: فإن الأنوار التي على أضرحتهم شاهد صدق على وجودهم بهذه الأضرحة، ولا ينكر ذلك إلّا من ختم الله على قلبه، وجعل على بصره غشاوة (١). كما قال: إن مثل هذه الأشياء تؤخذ بحسن النية، فإذا كان صاحب المزار غير موجود فيه فإن ثواب الزيارة يحصل، كما أن الزيارة تصل إليه في أي مكان أينما كان (٢).
وكما قال العلامة العقاد: إن لم تكن هذه الأماكن التي دفن فيها رأس الإمام الحسين - وسمّاها في أنحاء العالم الإسلامي كلّ - قال: فإنها الأماكن التي تحيا بها ذكراه لا مراء ...

وأيا كان الاختلاف في موضع الرأس الشريف، فهو في كلّ موضع أهل للتعظيم والتشريف (٣).
وقال في كتابه «أبو الشهداء»: وإنما أصبح الحسين بكرامة الشهداء وكرامة البطولة وكرامة الأسرة النبوية معنى يستحضره الرجل في قلبه، وهو قريب أو بعيد من قبره، وهذا المعنى في القاهرة، وفي عسقلان، وفي دمشق، وفي الرقة، وفي كربلاء، وفي المدينة، وفي غير تلك الأماكن سواء (٤).
و صدق المحبّ حيث قال:

لا- تطلبوا المولى الحسين بأرض شرق أو بغرب و ذروا الجميع و يمموا نحوى فمشهده بقلبي و يضيف الصوفية قولهم: حكم باب البرزخ حكم التيار الذى نزل فيه إنسان، فيغطس ثم يطفو فى موضع آخر، و تلك خاصية من خواصّ الأولياء الذين لهم ما يشاءون عند ربّهم.

(١). نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: ٣٥٦.

(٢). المصدر السابق: ٣٥٧.

(٣). أبو الشهداء الحسين بن علي: ٢٦٢.

(٤). المصدر السابق.

أهل البيت في مصر، ص: ٥٥

أهل البيت في مصر

إشارة

بقلم عبد الحفيظ فرغلي أحمد أبو كف

أهل البيت في مصر، ص: ٥٧

أهل البيت في مصر «١»

إشارة

الشيخ عبد الحفيظ فرغلي

تعرض أهل البيت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله لمحنة شديدة، و كان لهذه المحنة جذور عميقة تمتد إلى أيام الجاهلية، و ظهرت أيام النبي صلى الله عليه وآله، و اشتدت بعد وفاته ...

و كانت هناك أحداث عاتية قد حدثت في أيام ثالث الخلفاء عثمان رضى الله عنه، انتهت بمصرعه على يد بعض الثوار الذين حاصروا داره عدة أيام، ثم قتلوه و هو يقرأ في مصحفه، و كان بين المدافعين عنه ابنا على كرم الله وجهه: الحسن و الحسين، و حين علم «علي» بمقتل الخليفة جاء إلى الدار حزينا والها، و ثار غاضبا في وجه ابنه، و قال لهما: كيف قتل أمير المؤمنين و أنتما على الباب؟ و شتم محمد بن طلحة، و لعن «عبد الله بن الزبير».

و اجتمع الناس على «علي» يبايعونه، و لم يكن بالراغب في هذه البيعة، و قال للناس و قد اجتمعوا حوله و تكاثروا عليه: «لا حاجة لى فى أمركم، فمن اخترتم رضيت به». و كأنه رضى الله عنه كان يحس بما ستتهى إليه الأمور، و بما بيت نحوه من غدر، و تحت إلحاحهم الشديد قبل، و صعد المنبر و ألقى بيانه الذى يوضح فيه طريقه للناس: «ليس لى من دونكم إلا مفاتيح مالكم معى، و ليس لى أن آخذ درهما دونكم ...».

(١). مقتبس من مقدمة كتاب «أهل البيت في مصر» ط. القاهرة.

أهل البيت في مصر، ص: ٥٨

و لكن على الرغم من هذه الخطبة التى من شأنها أن تقوّم الأمور، إلا أن التبييت كان أقوى من خطته، و المكيدة أشد من أن تقف فى طريقها المبادئ و المثل، فظهرت فكرة الأخذ بثأر عثمان، و أحسن استغلالها استغلالا يرحح كفة الباطل على الحق ...

و اشتد الخلاف، و أريقت دماء، و انتهى الأمر بقتل الإمام على كرم الله وجهه، بيد مارق من الخوارج هو عبد الرحمن بن ملجم. و هال مقتل «علي» الناس فالتقوا حول ابنه «الحسن» رضى الله عنه ... و لكنّه لقى حتفه بعد قليل مسموما، و بعد أن كان سببا فى حقن دماء المسلمين، فقد آثر صلح معاوية- على ما فيه من غمط لحقه- على الاستمرار فى القتال و إراقه الدماء، و صدق قول جدّه العظيم عنه: «إن بنى هذا سيد، و سيصلح الله به بين طائفتين من المسلمين» (١).

و بوفاء الحسن استتب الأمر لمعاوية قليلا، فأراد أن يمهد لولايه ابنه يزيد، فقد سنحت أمامه الفرصة، و تمكن معاوية من أن يأخذ

العهد لابنه قبل وفاته، و بايعه الناس على ذلك ما عدا بضعة نفر، منهم: الحسين و عبد الله بن عمر و عبد الرحمن بن أبي بكر و عبد الله بن الزبير، لذلك كان شغل يزيد الشاغل، حين تولّى الخلافة بعد موت أبيه أن يأخذ هؤلاء بالبيعة. و لجأ الحسين رضى الله عنه إلى مكّة معتصماً بها، و لاجئاً إليها من عنت هؤلاء الذين اغتصبوا الحقّ من أهله، و قتلوا أباه، و سمّوا أخاه ...

و بقى الحسين بمكّة وقتا جاءته فيه الرسل و الوفود من الكوفة طالبين منه الخروج إليهم، فعزم على ذلك، و لكن عزمه هذا أقلق عليه قلوبا تحبّه، و خشيت أن يصيبه ما أصاب أباه و أخاه من الخذلان ... و لكن الحسين كان يرى بعين لا يرى بها غيره، إنّه ما زال يحفظ لمكّة قداستها،

(١). أخرجه البخارى فى صحيحه ٢: ٩٦٢ كتاب الصلح ب ٩ قول النبى صلّى الله عليه و آله للحسن بن على: ابني هذا سيد ... ح ٢٥٥٧ و ٣: ١٣٢٨ كتاب المناقب ب ٢٢ علامات النبوة فى الإسلام ح ٣٤٣٠، و ص ١٣٦٩ كتاب فضائل الصحابة ب ٢٢ مناقب الحسن و الحسين ح ٣٥٣٦.

أهل البيت فى مصر، ص: ٥٩

و خشى أن يكون سببا فى انتهاك حرمتها، فقال: «لأن أقتل خارجا منها بشيرين أحبّ إليّ من أن أقتل خارجا منها بشير، و أيم الله لو كنت فى جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتّى يقضوا بى حاجتهم، و الله ليعتدى علىّ كما اعتدى اليهود فى السبت». و يمضى الحسين إلى الكوفة، و لكنّه يضيق عليه الخناق فى الطريق، و يحاصر فى كربلاء بجيش كثيف ينتهى باستشهاده رضى الله عنه بعد أن أبلى بلاء حسنا، و بعد أن حيل بينه و بين الماء، و بعد أن ناشد المحيطين به من أهله و ذوى قرابته و المناصرين له أن يتفرّقوا عنه فى سواد الليل؛ لأنّ القوم ليس لهم مطمع سواه، و لكنّ هؤلاء أبوا مفارقتة، و استشهدوا دونة، و استشهد معهم. و أثارت هذه الحادثة ثائرة الناس، و كان من نتائجها ثورة المدينة بعد ذلك التى قمعت بكلّ عنف «١»، و تبعها حصار مكّة و ضربها بالمنجنيق.

و كان والى فى المدينة قبل نشوب الثورة يخشى وجود السيدة زينب بها، فطلب منها بأمر يزيد أن تخرج من المدينة و تختار أىّ بلد تريد، و لكنّها رفضت فى أول الأمر قائلة: «قد علم الله ما صار إلينا، قتل خيرنا، و سيق الباقون كما تساق الأنعام، و حملنا على الأفتاب، فو الله، ما خرجنا و إن أريقتم دماؤنا».

و أحاط بها نساء بنى هاشم مشفقات عليها من مصير آخر مشثوم إن هى استمرت فى مناوأة والى.

و قالت لها ابنة عمها زينب بنت عقيل: «يا ابنة عمى، قد صدقنا الله وعده، و أورثنا الأرض نتبؤاً منها حيث نشاء، و سيجزى الله الشاكرين، ارحلى إلى بلد آمن» فاختارت مصر.

(١). و قد جرت على ألسنة المؤرّخين بوقعة الحرّة سنة ٦٣ هـ حينما ثار أهل المدينة على عثمان بن محمد بن أبى سفيان عامل يزيد و أخرجوه و بنى أمية منها، و لمّا كتبوا إلى يزيد يستغيثون به بعث إليهم مسلم بن عقبه المرمى، و هو الذى سمى مسرفاً؛ لإسرافه فى القتل و الجريمة و إراقه الدماء بالجملة، فقمع الثورة و بدّد أهلها، و هتك عرضها، بعد ما أباحها لجنده ثلاثا، يقتلون الناس كيفما شاءوا، و يأخذون المتاع و الأموال بما يحلو لهم، و فيها الصحابة الكرام و القرّاء و الزهّاد و الحفّاظ، فقتل فيها خلق كثير. انظر تفصيله فى الكامل ٤: ١١١-١٢٢.

أهل البيت فى مصر، ص: ٦٠

ذكرنا تلك الأسباب لنخلص منها إلى اختيار السيدة زينب رضي الله عنها- وهي أول مهاجرة من أهل البيت- مصر مقاما لها، فلما ذا اختارت مصر بالذات لتهاجر إليها؟

والجواب على ذلك ورد على لسان ابنه عمها حين قالت لها: «ارحلي إلى بلد آمن». فقد كانت مصر في هذه الآونة أكثر البلاد أمانا و استقرارا، فالحجاز و حاضرتاه مكة و المدينة، قد اشتعل غضبا على «يزيد» كما يقول المسعودي:

و لَمَّا شَمِلَ النَّاسَ جُورَ يَزِيدَ وَعَمَّالَهُ، وَ مَا ظَهَرَ مِنْ فَسَقِهِ وَ قَتَلَ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ أَنْصَارِهِ ... أَخْرَجَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَامِلَهُ عَلَيْهِمْ وَ هُوَ عَثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ، وَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَ سَائِرَ بَنِي أُمِيَّةٍ.

و نما فعل المدينة بنى أمية إلى يزيد، فسير إليهم الجيوش بقيادة مسلم بن عقبة المرى الذي حاصر المدينة من جهة «الحرّة»، و أخاف أهلها، و قتل منهم عددا كبيرا، و لا سيما من بنى هاشم الذين لم ينج منهم سوى على بن الحسين المعروف بالسجاد، و على بن عبد الله بن العباس و قد عصم الله الأول بدعائه، و منع الثاني أخواله من كنده الذين كانوا في جيش مسلم بن عقبة.

و ترك مسلم بن عقبة المدينة متجها إلى مكة التي ثارت بقيادة ابن الزبير، و لكنه هلك في الطريق، و تولّى بعده قيادة الجيش الحصين بن نمير الذي نصب المجانيق حول الكعبة و رماها بالأحجار المحمّاء، حتّى اشتد الأمر على أهل مكة و ابن الزبير «١».

فلا يمكن- و الحالة هذه- أن يستقرّ مقام أهل البيت في هذا الجوّ المشحون بالخطر في الحجاز، أما الشام فهو مقرّ الأمويين، الذين اصطنعوا أهله بالمال و الوعود، و زينوا لهم كراهية على و بنيه.

أما العراق و هو شيعه على، فقد وجّه إليه الأمويون سخطهم، و بلوا أهله

(١). انظر مروج الذهب ٣: ٧٨ و ما بعده.

أهل البيت في مصر، ص: ٦١

بالجبارين، من أمثال زياد ابن أبيه، ثم ابنه عبيد الله، ثم الحجاج بن يوسف الثقفي، الذين تتبّعوا شيعه على و بنيه فأذاقوهم ألوان العذاب.

ظلت هذه الأنحاء- الحجاز و العراق و الشام- تضطرب بالفتن و القلاقل، و لم ينج من ذلك إلّا مصر التي جعلها الله كنانته في أرضه، و قد أصبحت معقل الإسلام و دار الأمان.

و لقد ورد في فضائل مصر أخبار كثيرة، خصّ بها الله بالذكر في كتابه الكريم في مواطن متعددة «١»، كما جاء عن عيسى عليه السلام أنّه مرّ بسفح «المقطم» في أثناء ذهابه إلى الشام، فالتفت إلى أمه و قال لها: «يا أماه، هذه مقبرة أمه محمد صلى الله عليه و آله» «٢». و بغضّ النظر عن ثبوت هذا الخبر أو عدم ثبوته، فإنّه يدلّ على فضل مصر، و أنّها

(١). فقد ذكر السيوطي أنّ مصر ذكرت في القرآن في أكثر من ثلاثين موضعا، بعضها من طريق الصراحة و بعضها بطريق الكناية. فمن الصريح قوله: اهبطوا مِصْرًا البقرة/ ٦١ و أَنْ تَبْؤَأَ لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بِيوتًا يونس/ ٨٧ و اشترأه مِنْ مِصْرَ يوسف/ ٢١ و ادخلوا مِصْرَ يوسف/ ٩٩ و أليس لي مُلْكُ مِصْرَ الزخرف/ ٥١.

و من الكناية قوله تعالى: وَ قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ يوسف/ ٣٠ وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ الْقَصَص/ ١٥ وَ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ الْقَصَص/ ١٨ و وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى الْقَصَص/ ٢٠ و لَمَكَّرْ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ الْأَعْرَافِ/ ١٢٣ و آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ الْمُؤْمِنُونَ/ ٥٠ و اجعلني على خزائن الأرض يوسف/ ٥٥ و إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ الْقَصَص/ ٤ و نُريدُ أَنْ نُمِّنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ الْقَصَص/ ٥ و نَمَكَّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ الْقَصَص/ ٦ و إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ الْقَصَص/ ١٩ و الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ غافر/ ٢٩ و أَوْ أَنْ يُظْهَرَ فِي

الْأَرْضِ الْفَسَادَ غَافِرٍ / ٢٦ وَ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ الْأَعْرَافِ / ١٢٩ وَ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ الْأَعْرَافِ / ١٢٧ وَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا الْأَعْرَافِ / ١٣٧ وَ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ الْأَعْرَافِ / ١١٠ وَ الشُّعْرَاءِ / ٣٥ وَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ* وَ كُنُوزٍ وَ مَقَامِ كَرِيمٍ الشُّعْرَاءِ / ٥٧-٥٨ وَ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ* وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامِ كَرِيمٍ الدُّخَانِ / ٢٥-٢٦ وَ مُبَوَّأً صِدْقٍ يُونُسَ / ٩٣ وَ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ الْبَقْرَةَ / ٢٦٥ وَ اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الْمَأْدَةَ / ٢١ وَ نَسُوقُ الْمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ السَّجْدَةَ / ٢٧ وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنَ السِّجْنِ وَ جَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ يَوْسُفَ / ١٠٠ فَجَعَلَ الشَّامَ بَدْوًا، وَ سَمَّى مِصْرَ مِصْرًا وَ مَدِينَتَهُ (نور الأبصار: ٣٥٤ نقلا عن حسن المحاضرة للسيوطي).

(٢). كتاب المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار ١: ٥١.

اهل البيت فى مصر، ص: ٦٢

ستظل مهوى القلوب و محط الأنظار من عتره النبي الكريم على مر الزمان (١).

و لقد مر بمصر كثير من الأنبياء، منهم: إبراهيم، و موسى، و عيسى، و إدريس، و يوسف عليهم السلام، و نجت مصر من الفتن التي اشتعلت في غيرها من الحواضر و الأقطار الأخرى، و ليس يرجع ذلك في الحقيقة إلّا إلى طبيعة أهلها الذين امتازوا «بالبسطة و اليسر و عدم المبالغة، و الصبر و قوّة العزيمة و الهدوء».

جاء فى كتاب مصر العربية (٢): «و حدثت موقعة كربلاء التي استشهد فيها سبط الرسول صلى الله عليه و آله و معه كثير من أهل بيته و ولده، و لم يظمن بهذه الأسرة الكريمة المقام بعد أن أدركوا الحقد الذي يتعقبهم به خلفاء بنى أمية و ولاتهم ... فأقبلت وفودهم إلى مصر، حيث وجدوا فى رحابها الأمن و الهدوء ... و أكرمت وفادتهم، و أفسحت لهم صدرها، و لاقتهم بما يليق بهم و بمجدهم الكريم، من حفاوة و تكريم، و بذلك أصبحت مصر دارا للأسرة النبوية المجيدة التي بادلت مصر الحبّ و الوفاء ... و أصبحت مصر فى نظر العالم الإسلامى منذ ذلك الوقت رمزا للوفاء و التقدير، يتطلع إليها المسلمون فى شتى الأقطار، و أصبحت بيوت الهاشميين فى مصر قبله يحجّ إليها المسلمون، و أضحت قبورهم من بعدهم مثار ذكرى و مهبط رحمة و كعبة يقصدها الآلاف، يستعيدون فيها سيرة رسول الله الكريم، و يتبركون فيها بآثار عثرته الطاهرة الزكية. و لحكمته ما اختصّ الله مصر بهذه النعمة المباركة، فقد أكرمها الله بأوليائه الطاهرين و أصفياؤه المقربين، حتّى إن شاء الله أن يقبض بعيدا عن مصر، قفيض الله له من ينقل رأسه الشريف إليها».

(١). و قد وردت أخبار فى مصر، منها: ما روى عن كعب بن مالك عن أبيه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «إذا اقتحمت مصر فاستوصوا بأهلها خيرا، فإنّ لهم ذمّة و رحما». و فى مسلم أيضا عن أبى ذرّ قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «ستفتحون مصر، و هى أرض يسمّى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإنّ له ذمّة و رحما». و غيرها.

(٢). تأليف أحمد حسنين القرنى و عبد الحفيظ فرغلى القرنى. (منه)

اهل البيت فى مصر، ص: ٦٣

من جاء من اهل البيت إلى مصر؟

تفرّق بعض اهل البيت فى الأمصار، و بقى بعضهم فى مكّة و المدينة، و يحسن بنا أن نذكر أسماء ولد على بن أبى طالب، لنعرف هذا النسل الشريف، و من جاء منه إلى مصر.

أمّا أولاد على من فاطمة الزهراء، الذين ينتسبون إلى النبي صلى الله عليه و آله، فهم: الحسن و الحسين و محسن و أم كلثوم الكبرى و زينب الكبرى.

و أولاده من غيرها: محمد و أمه خولة بنت إياس الحنفية، و قيل: ابنه جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفى، و عبد الله و أبو بكر و أمهما ليلي بنت مسعود، و عمر و رقية و أمهما تغلبية، و يحيى و أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، و كانت متزوجة من جعفر الطيار رضى الله عنه، و أعقبت منه عونا و محمدا و عبد الله، ثم تزوجها أبو بكر الصديق، ثم تزوجها على بن أبى طالب، الذى أعقب منها يحيى و جعفر و العباس و عبد الله و أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية، و رمله و أم الحسن و أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفى. كما أن له بنات أخريات، هن: أم كلثوم الصغرى و زينب الصغرى و جمانه و ميمونه و خديجة و فاطمة و أم الكرام نفيسة و أم سلمة و أم أبيها.

أما العقب للإمام على من أولاده، فكان من الحسن و الحسين و محمد و عمر و العباس رضى الله عنهم أجمعين. و يوجد بمصر كثير من الأضرحة و المزارات لا حصر لها، و التى ينسب كثير منها إلى أهل البيت، و مصر من قديم تشتهر بكثرة ما بها من المساجد و القباب و الأضرحة، و ما ذلك إلا لطيبة و صلاح يغلبان على أهلها، و الشاهد على ذلك واضح. قال القضاعى: «إنه كان بمصر سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة من المساجد: ستة و ثلاثون ألف مسجد، و ثمانية آلاف شارع مسلوك، و غالب هذه المساجد كانت أهل البيت فى مصر، ص: ٦٤ بالقرافة الكبرى و مدينة مصر و الكيمان و العسكر و أرض القطائع» (١).

فما بالك بما وجد بعد ذلك؟

جاء فى كتاب تحفة الأحباب: «أنه لما قتل الحسين بن على بأرض كربلاء طيف برأسه و سير فى البلاد، إلا بأرض مصر، فإن أهلها لم يمكنوا حامله من الدخول على تلك الحالة البشعة ... ثم يقول: إن أهل مصر تلقوا أهل البيت بمدينة الفرما- و هى أول مدينة من مدائن مصر- و حملوهم فى الهودج، و أوسعوا لهم فى الكرامة، و أنزلوهم خير الأماكن بمصر و أووهم، و بنوا لموتاهم المشاهد و اتخذوها مزارات، و جعلوا لهم أرزاقا من أموالهم تقوم بهم، فكان أهل البيت يقولون: يا أهل مصر! نصرتمونا نصركم الله، و آوئتمونا آواكم الله، و أعنتمونا أعانكم الله، و جعل لكم من كل مصيبة فرجا، و من كل ضيق مخرجا» (٢).

و هناك اختلافات حول وجود بعض أصحاب الأضرحة بداخلها، فمن منكر و من مثبت. و حجة المنكر عدم وجود النصوص القاطعة و الشواهد الدالة على التنقل و الارتحال فى بعض الأحيان، أو وجود نصوص متعارضة مع ما هو شائع معروف. و نحن فى حديثنا هنا، ليس من هدفنا أن نكذب أحداث التاريخ، و لكننا نود أن نلقى الضوء على أصحاب هذه الأضرحة من السلالة الطيبة الطاهرة، و ننوه إلى أن هناك مصادر كثيرة مفقودة، كما أن حركة التأليف فى الفترة التى تقع بين منتصف القرنين الأول و الثانى، لم تكن قد نضجت بعد، و هى الفترة التى شهدت الأحداث الدامية التى تعرض لها أهل البيت. يضاف إلى ذلك حملة التشويه الكبرى التى دعا إليها الأمويون؛ ليطمسوا بها آثار الهاشميين و فضائلهم، ليحولوا بينهم و بين التعريف بهم حتى لا يلتفت الناس حولهم و يظهرون فى نيل حقهم.

(١). تحفة الأحباب: ١٨٠ ط القاهرة.

(٢). المصدر السابق: ٢٢١.

أهل البيت فى مصر، ص: ٦٥

على أنه لا يمنع أن يكون هناك بعض الأخبار التى جاءت فى بعض المصادر التى ألفت فيما بعد، و التى اعتمدا أصحابها على الرواية التى كانت العماد الوحيد للعرب قبل عصر التدوين و التأليف، مثل كتب السيرة و الطبقات و الفتوح و الأنساب و التاريخ. ثم لا ننسى ما فعله التار بعد ذلك بالكتب و المؤلفات التى أغرقوها فى دجلة، و جعلوها جسرا عبروا عليه.

وقد اعتنى الصوفية على وجه خاص بشأن هذه المزارات والأضرحة على اعتبار أنها ذكرى من ذكريات الرسول صلى الله عليه وآله، وأثر من آثاره الشريفة. فصاحب الضريح منسوب إلى المصطفى، ومن حق المنسوب أن يحترم؛ إجلالا للمنسوب إليه. أهل البيت في مصر، ص: ٦٧

دوحة النبي صلى الله عليه وآله المباركة لما ذا الكثير من أغصانها في مصر؟ (١)

إشارة

أحمد أبو كفف

(١) دوحة النبي صلى الله عليه وآله المباركة (٢)

دوحة النبي صلى الله عليه وآله المباركة ظللت أرض مصر من أوراقها وأغصانها، ولآلى من كنوز آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله و آله رصعت جبين مصر، وصارت أنوارا مضيئة يفوح عطرها الذكي. وهذه الدوحة النبوية المباركة ألقت ثمارها وأوراقها أكثر ما ألقت من نسل فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله، وبعضها من نسل الحسن بن علي. بل إن أرض مصر وأهل مصر - حبا في آل البيت وعشقا وتشيعا - لم يكتفوا

(١). مقتبس من كتاب «آل البيت في مصر» ط. دار المعارف بالقاهرة.

(٢). الدوحة: الشجرة العظيمة، ومنه حديث الرؤيا: «فأتينا على دوحة عظيمة» أي شجرة. راجع النهاية: مادة «دوح».

أهل البيت في مصر، ص: ٦٨

بتلك الأضرحة والمشاهد الحقيقية، وإنما بنوا عشرات ومئات من أضرحة أو مشاهد الرؤيا (١).

إذا كانت القاهرة - خاصية القديمة منها - تعرف بمدينة الألف مئذنة، فإن ما على جغرافية أرضها من قباب ومشاهد يفوق العدد والحصر، ولا شك أن هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن مصر أرض الإيمان، وأن أهل مصر منذ أن ارتفعت الراية الخضراء في سماءها، اختاروا الإسلام عن صدق و يقين واقتناع.

آمن المصريون برسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله و آله و تحمسوا للدين، بل أنهم قد انغمسوا فيما وقع من أحداث مصيرية، ولا أكون متجاوزا أو مبالغاً إذا قلت: إن أهل مصر كانوا من صنّاع السياسة في صدر الدولة العربية الإسلامية وما بعد ذلك من قرون. وقد كان تحمس أهل مصر للنبي الكريم صلى الله عليه وآله و آله و لدعوته، ولآل بيته، تحمسا يدعو إلى الفخر ما يدعو إلى التساؤل. والذين يتساءلون لهم بعض العذر من تساؤلهم؛ لأنهم ليس لهم رؤية شاملة بالنسبة لمصر بالذات، وبالنسبة لتاريخها الإيماني والعقائدي، حتى من قبل الإسلام، بل إن - وهذا ثابت تاريخيا - الذين ليس لهم رؤية بالنسبة للمصريين، ليس لهم هذه الرؤيا أيضا بالنسبة للفرس، حول سّر تحمس أهل فارس لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

والإجابة التي يمكن أن نعطيها بالنسبة لمصر هي نفس الإجابة لفارس! فأهل الحضارات والمعتقدات القديمة كان تحمسهم و تشيعهم رائعا للدين الجديد ولآل البيت. وطبعاً، إن تشيع المصريين يختلف بعض الشيء عن تشيع الفرس!

(١). مشاهد الرؤيا أو أضرحة الرؤيا مصطلح يطلق على تلك المشاهد التي بنيت جراء رؤيا يراها أحد الصالحين في منامه مؤداها أن

يقيم مسجداً أو ضريحاً لأحد من أهل البيت عليهم السلام أو الوليِّ المسمّى في الرؤية، فكان عليه أن يقيم الضريح أو المسجد باسمه. وقد كثر بناؤها في العصور الوسطى، وما زالت شاهدة تاريخية تحكى حياة أهل البيت، و تعكس محبة المصريين لهم، لكن هذا لا يمنع من أعمال التحقيق و ايجاد الوثائق التي تؤكد أو تنفي واقع الأمر.

أهل البيت في مصر، ص: ٦٩

إنّ الإسلام جاء كسفينه أمان؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، بما في هذه المعاني من أبعاد و أبعاد، بل إنّ الذين لم يدخلوا الإسلام من أهل تلك البلاد كان الإسلام بالنسبة لهم رائعاً؛ لأنّه حافظ على معتقداتهم و احترامها من خلال شريعته السمحاء. فمثلاً في مصر، حين جاء عمرو بن العاص و فتحها جند الإسلام، وجد منه القبط ما لم يجدوه من الرومان، و من كلّ غاز لها من قبل، ألّف عمرو بن العاص بين المسلمين و القبط، و أرسل كتاب أمان إلى بنيامين بطيرك القبط، و ردّه إلى كرسيه، و أعاد إليه إدارة شئون الكنيسة، و كان الرومان قد أقصوه عن هذا الكرسي ثلاثة عشر عاماً، فعاد بنيامين إلى الإسكندرية، بعد أن كان مختفياً في الصحارى، و عاش الأقباط في ظلال حرّية العقيدة و الأمان.

سألني أحدهم- بعد أن كتبت عن كوكبة من آل بيت النبي صلّى الله عليه و آله- هل هم في مصر حقاً؟ و هل دفنوا فيها؟! أجبتة و بثقة: نعم، على الأغلب.

و أضفت قائلاً:

- إنّي لم أكتب إلّا عن الذين عاشوا في حدود القرون الأولى تقريباً للإسلام، بمعنى أنّي كتبت عن بعض من دفن من آل بيت النبي صلّى الله عليه و آله في مصر، في إطار قرون أربعة أو خمسة من الهجرة، و المدفونون في مصر من آل البيت يفوقون هذا العدد- بلا شكّ- أضعافاً مضاعفةً.

و قلت: إنّي لم أشرّف بالكتابة عن بعض المشهورين، و الذين لهم قبور لا تزال في مصر من آل البيت، و هم كثيرون، و ممّا هو ثابت أنّهم مدفونون عندنا، و ثابت أيضاً أنّهم من آل بيت رسول الله صلّى الله عليه و آله. أهل البيت في مصر ٦٩ (١) دوحه النبي صلى الله عليه و آله المباركة ص : ٦٧

قلت كذلك: إنّي أردت من هذه الحلقات القليلة أن أزيل النقاب عن الكثير ممّا

أهل البيت في مصر، ص: ٧٠

لا- يعرفه الكثيرون، خاصّة بالنسبة للشباب المسلم و الشابات المسلمات، فحياة أهل البيت هي نماذج و قدوة ينبغي على الشباب المسلم- فتيانا و فتيات- أن يتأسوا بها، و يعرفوا شيئاً من سيرتها و من تاريخها، و من قوة إيمانها و صدقها، و من دفاعها عن العقيدة السمحاء، و عن دين محمد صلّى الله عليه و آله.

فليس من الدين في شيء أن يذهب المسلم إلى ضريح سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين ليزوره، و هو لا يعرف شيئاً عن تاريخه، و عن صلابته في الإيمان و المبدأ، و النضال و الكفاح إلى حدّ الاستشهاد.

و من غير المعقول أن تذهب السيدة المسلمة إلى مقام سيدتنا زينب، أو سيدتنا فاطمة النبوية، أو سيدتنا نفيسة، دون أن تعرف شيئاً عن التاريخ الإيماني لتلك النماذج المسلمة الرائعة من آل البيت.

إنّ تعرّف التاريخ و السيرة يجعلك تقتنع أكثر، و تكون لك أسوة حسنة تتأسى بها، و تجعلها نبراساً لك و مصباحاً هادياً.

فالتاريخ و السيرة عظات و عبر، و من لم يتأسّ بذلك يصبح كالبيغاء، يظلّ يردّد دون وعى ما يسمعه، و هذا ليس من الإسلام في شيء.

فالحبّ التلقائي الوراثي وحده لا يكفي، و إنّما الحبّ المبني على المعرفة، يصبح يقيناً، خاصة بالنسبة لآل بيت رسول الله صلّى الله عليه و آله الذين ضربوا بسلوّهم و سيرتهم أعظم الأمثال، و جمعوا حولهم قلوب المؤمنين في حياتهم و مماتهم على السواء.

*** بعد كربلاء عادت السيدة زينب أخت الإمام الشهيد الحسين بن علي إلى المدينة المنورة و معها سيدات آل البيت، بالإضافة إلى الزهرة التي بقيت من صلب الحسين، سيدى علي زين العابدين.

لكن حين ضيق عليها الأمويون الخناق في المدينة، و خيروها أن تذهب إلى

أهل البيت في مصر، ص: ٧١

أرض الله الواسعة- غير مكة بالطبع- حتى لا تؤلب المسلمين عليهم، اختارت مصر دارا لإقامتها و مقامها، لما ذا؟

تجمع كتب التاريخ أنها اختارت مصر أرض الكنانة، لما سمعته عن أهلها من محبتهم لآل البيت، و موذتهم لذوى القربى من آل محمد صلى الله عليه و آله.

و كذلك لما وعته عما حدثت به أم سلمة من أن رسول الله صلى الله عليه و آله أوصى بأهل مصر، حين بدأ التفكير في فتحها، و روى عنه قوله صلى الله عليه و آله:

«إنكم ستفتحون مصر، و هى أرض يسمي فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذممة و رحما» (١). و فى رواية أخرى: «ذمة و طهرا» (٢).

و قد فسّر البعض «رحما و طهرا»: مارية القبطية التى يقال: إنها كانت ابنة المقوقس عظيم القبط فى مصر، التى أرسلها إلى رسول الله صلى الله عليه و آله، فتروجها، و أنجب منها ابنه إبراهيم (٣).

و يعجز القلم عن أن يصف موكب السيدة زينب حين بدأت تشارف أرض مصر، من الذين ذهبوا على اختلاف طبقاتهم لاستقبالها عند «بلييس» عام ٦١ هجرية، حتى أنها رضى الله عنها حين شاهدت احتفاء أهل مصر بها، ظلت تردّد و تقول:

هذا ما وعد الرّحمن و صدق المرسلون [يس: ٥٢].

و منذ ذلك التاريخ كانت السيدة زينب أول جوهره من دوحه النبوة المباركة ترصع أرض مصر، بل هى رضى الله عنها ظلت منذ هذا التاريخ قبسا من أقباس النبوة فى مصر.

و ما فعله أهل مصر مع السيدة زينب فعلوه مع تلك الأغصان من الدوحه النبوية المباركة التى جاءت إلى مصر بعدها.

(١). أخرجه مسلم فى صحيحه ٤: ١٩٧٠ كتاب فضائل الصحابة، باب وصية النبى صلى الله عليه و آله بأهل مصر ح ٢٥٤٣/٢٢٦ عن أبى ذر.

(٢). المصدر السابق: ح ٢٥٤٣/٢٢٧. و رحما لكون هاجر أم اسماعيل منهم، و صهرا لكون مارية أم إبراهيم منهم.

(٣). راجع خطط المقرئى ١: ٤٧.

أهل البيت فى مصر، ص: ٧٢

فعلوه مع السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور، التى جاءت إلى مصر فى الخامس و العشرين من رمضان عام ١٩٣ هـ، تلقتها نساء مصر و رجالها بالهوادج و الخيول، رافعين المصاحف عند العريش، مكبرين مهللين، فرحين مستبشرين بتلك اللؤلؤة المباركة التى ستضاف إلى عقد لآلى آل البيت فى مصر.

و حين فكرت السيدة نفيسة فى العودة إلى المدينة المنورة، فإن أهل مصر لم يتركوها، و تكاثروا عليها من كل فجّ و فى كل وقت يرجون بركتها، و أسقط فى يدهم حتى أنهم ذهبوا إلى الوالى؛ كى يتشفع لهم و يرجو السيدة نفيسة البقاء.

و قيل على لسان السيدة نفيسة: إن سبب تفكيرها فى العودة إلى المدينة المنورة هو كما قالت: «إني كنت قد اعترمت البقاء عندكم، غير أنني امرأة ضعيفة، و قد تكاثرت الناس حولي، فشغلوني عن أوراى، و جمع زادى» (١).

و ما فعله أهل مصر مع لآلى آل بيت النبوة فعلوه أيضا مع تلك الرؤوس الشريفة، التى بذلوا من أجلها الغالى و النفيس لنقلها أو دفنها

في مصر.

فعلوا ذلك مع رأس الإمام الحسين بن علي.

و كذلك مع رأس سيدي زيد بن زين العابدين، و رأس سيدي إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي. *** أما رأس كل من سيدي زيد بن علي زين العابدين، و سيدي إبراهيم بن عبد الله فقد جازف المصريون أيام الأمويين و أيام العباسيين على التوالي، و سرقوا الرأسين من المسجد الجامع - جامع عمرو - لكي يدفنوهما، ليصبحا مزارات، رغم أن التشيع لآل البيت كان في أيام دولة الأمويين، و في فترات كثيرة في زمن العباسيين جريمة لا تغتفر، فرأس سيدي زيد دفن بالفسطاط، و رأس سيدي إبراهيم دفن بالمطرية (٢).

(١). ذكره الشبلنجي في نور الأبصار: ٣٨٩.

(٢). راجع المصدر السابق: ٤٠٦.

أهل البيت في مصر، ص: ٧٣

لكن لما ذا هذا كله؟

إن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله رأس هذه الدوحة المباركة يقول: «المرء مع من أحب» (١).

و أهل مصر أحبوا آل البيت و وقفوا معهم، بلا شك.

و أهل مصر أيضا حفظوا عن ظهر قلب، و عوا ما قاله الرسول صلى الله عليه و آله، و ما قاله صدق. فقد روى الإمام أحمد بسنده: أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: «إني أوشك أن ادعى فأجيب، و إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله جبل ممدود من الأرض إلى السماء، و عترتي أهل بيتي، و إن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة، فانظروني بما تخلفوني فيهما» (٢).

و روى الديلمي و الطبراني و ابن حبان و البيهقي: أنه صلى الله عليه و آله قال: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، و تكون عترتي أحب إليه من عترته، و أهلي أحب إليه من أهله و ذاته» (٣).

و قد كان أهل مصر - و ما زالوا - مؤمنين محبين لرسول الله صلى الله عليه و آله و دوحته المباركة، و سيظلون على هذا الإيمان إلى أن يشاء الله. و من هنا جاء تحمس أهل مصر لآل بيت النبي صلى الله عليه و آله، و لكل أثر من آثار النبوة الكريمة.

و أقصد بآثار النبوة الكريمة تلك المخلفات النبوية الشريفة التي تقبع في حجرة المخلفات في مسجد سيدي الإمام الحسين، بعد أن جاءت إلى مصر في القرن

(١). أخرجه البخاري ٥: ٢٢٨٣ كتاب الأدب باب: علامة الحب في الله عز و جل ح ٥٨١٦ و ٥٨١٧ و ٥٨١٨.

و مسلم ٤: ٢٠٣٤ كتاب البر و الصلة و الأدب باب: المرء مع من أحب ح ١٦٥ / ٢٦٤٠ كلاهما عن ابن مسعود.

(٢). مسند أحمد ٣: ١٧ عن أبي سعيد الخدري. و حديث الثقلين قد رواه أجلاء علماء الجمهور و أكابر محدثيهم في صحاحهم و سننهم و بأسانيد متعدّدة، فضلا عن الإمام أحمد فقد رواه مسلم و الترمذي و الدارمي و ابن ماجه و أبو داود و صاحب الجمع بين الصحاح الست و الحميدية من أفراد مسلم و السمعاني في فضائل الصحابة و الطبراني و ابن حجر و أغلب المفسرين. و قد روى من طريق أهل البيت باثنين و ثمانين طريقا.

(٣). فردوس الأخبار للديلمي ٥: ١٥٤ ح ٧٧٩٦، المعجم الكبير للطبراني ٧: ٧٥ ح ٦٤١٦، شعب الإيمان للبيهقي ٢: ٦٥٤ رقم ١٥٠٥،

كلهم عن أبي ليلى.

أهل البيت في مصر، ص: ٧٤

السابع الهجري من مدينة «ينبع» حتى أن المصريين بلغوا من حرصهم على تلك المخلفات- كما تقول الدكتورة سعاد ماهر- أنهم جعلوا من بين وظائف الدولة المهمة: وظيفة «شيخ الآثار النبوية». بنوا لها رباطا؛ أى حصنا من الحصون العسكرية، أو قلعة ليحفظوها بها، و لم تذهب الآثار النبوية إلى تلك الغرفة المباركة في المشهد الحسيني إلا في موكب هائل، و حراسة مشددة من مكانها في «سراى عابدين» في عام ١٣٠٥ هـ، و هذا الموكب اعتبره البعض من المواكب المشهورة في تاريخ مصر الحديث «١».

*** و الذين لم يقتنعوا، و ما زالوا يتساءلون أيضا: لما ذا آل بيت النبي صلوات الله و سلامه عليه في مصر؟

أقول: معهم الحق؛ لأنهم لا يعرفون أن مصر لم تكن بعيدة عن مكة و المدينة في يوم من الأيام، و لا بعيدة أيضا عن تلك الفتنة التي قامت بعد مقتل الخليفة عمر بن الخطاب، حيث قتله أبو لؤلؤة المجوسي في عام ٢٣ هـ. و هذه الفتنة هي التي مهدت «للفتنة الكبرى» كما يسميها طه حسين.

و منشأ هذا كان من مصر أيضا.

لقد كانت الفتنة التي أدت إلى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان من مصر! و أذكى نيرانها صحابي قديم، اشتهر- كما يقول صحيح مسلم- بأنه أول من حيا النبي صلى الله عليه و آله بتحية الإسلام «٢»، و بأنه رابع- أو خامس على رواية الطبراني «٣»- من اعتنق دين الإسلام «٤»، و اشتهر بالورع و التقوى، و كان من أئمة الحديث، و قصد به «أبو ذر الغفاري».

(١). مخلفات الرسول صلى الله عليه و آله في المشهد الحسيني: ٣٢.

(٢). راجع صحيح مسلم ٤: ١٩١٩ ب ٢٨ من فضائل الصحابة ح ١٣٢ / ٢٤٧٣ بطوله.

(٣). المعجم الكبير ٢: ١٤٧ ترجمة جندب بن جنادة الغفاري رقم ١٦١٧ و ١٦١٨.

(٤). في رواية الحاكم في المستدرک ٣: ٣٤٢: «كنت ربيع الإسلام».

أهل البيت في مصر، ص: ٧٥

(٢) المشهد الحسيني

منطقة المشهد الحسيني كانت مقر حكم الفاطميين في القاهرة، و في مكان المشهد الحسيني الحالي و حوله «قصر الزمرد»، أهم قصور دولة الفاطميين. و هذا القصر كان يشمل من منطقة «خان الخليلي»، و يمتد ربما إلى حافة شارع بور سعيد الآن. و في مكان الزمرد- و كان أشرف مكان بالقصر تقام به الصلاة- جىء بالرأس الشريف ليدفن هناك، و لأن الزمرد لونه أخضر، قد سميت المنطقة بالباب الأخضر، و منطقة الباب الأخضر، هي التي تضم مقام الحسين رضى الله عنه.

و هذا المقام يضم الرأس الشريف، و عليه الآن المقصورة من الفضة، تحوى فصوصا خمسة من الماس هدية من طائفة «البهرة». و كانت المقصورة قبلها من خشب الساج الهندي، المحفور و المعشق ... نقلت إلى متحف الفن الإسلامى، و قبل مقصورة الفضة كانت هناك مقصورة من النحاس نقلت إلى مشهد آخر.

و قد ترددت الآراء حول رأس الإمام الحسين «١»:

رواية تقول: إن الرأس أرسل إلى عمرو بن سعيد بن العاص والى يزيد على المدينة المنورة، حيث قام الوالى بدفنها فى البقيع عند قبر السيدة فاطمة رضى الله عنها «٢».

و رواية أخرى تقول: إن الرأس وجد بخزانة يزيد بن معاوية بعد موته، فأخذ، و دفن بدمشق عند باب «الفراديس» «٣».

- (١). بينما اتفقت الأقوال في مدفن جسده الطاهر. راجع نزهة المشتاق ٢: ٦٦٨، إعلام الوری ١: ٤٧٠، البداية و النهاية ٨: ٢٠٣.
- (٢). راجع المنتظم ٥: ٣٤٤، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٦، تاريخ الإسلام للذهبي: حوادث و وفیات ٦١ هـ - ٨٠ هـ، مرآة الجنان ١: ١٠٩، البداية و النهاية ٨: ٢٠٤.
- (٣). راجع أنساب الأشراف ٣: ٢٤١، المنتظم ٥: ٣٤٤، البداية و النهاية ٨: ٢٠٤، سمط النجوم العوالی ٣: ١٩٧ - ١٩٨.

أهل البيت في مصر، ص: ٧٦

و يقول ابن كثير: ادعت الطائفة المسماة بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية: أنهم دفنوه، و بنوا عليه المشهد المشهور بمصر «١».

و يحصى العقاد عدّة أماكن ذكرت بأنّ رأس الإمام الحسين دفن فيها، و هي: المدينة المنورة، كربلاء، الرقة، دمشق، عسقلان، القاهرة، مرو «٢».

و أقرب رواية للتاريخ: أنّه بعد استشهاد الإمام الحسين على أرض كربلاء، جرى التمثيل بالجثة، فقدم الجسد الطاهر خولى بن يزيد الأصبحي ليجزّ الرأس، لكنّه لم يستطع، و ارتعد جسده، فتقدّم شمر بن ذى الجوشن بنفسه و جزّ الرأس، ثم أرسله إلى يزيد بن معاوية ليتلقّى المكافأة، و هي توليته على إحدى الإمارات الإسلامية «٣».

و ترى د. سعاد ماهر: أنّ أقوى الآراء هو الذى يقول: إنّ الرأس طيف به فى الأمصار الإسلامية حتّى وصل إلى عسقلان «٤» حيث دفن هناك، و حينما استولى الفرنجة على عسقلان «٥»، تقدّم الصالح طلائع «٦» وزير الفاطميين بمصر، فدفن ٣٠ ألف درهم، و استردّ الرأس الشريف و نقله إلى القاهرة.

و يؤيد هذا الرأى ابن خلّكان، الذى يذكر فى تاريخه: أنّ رأس الحسين ابن بنت

(١). البداية و النهاية ٨: ٢٠٦ و فيه: «... المشهد المشهور به بمصر، الذى يقال له: تاج الحسين، بعد سنة خمسمائة».

(٢). أبو الشهداء الحسين بن على: ٢٦١ - ٢٦٢.

(٣). تاريخ أبى مخنف ١: ٤٩٣ - ٤٩٤، الكامل فى التاريخ ٣: ٢٩٦.

(٤). مدينة الشام، من أعمال فلسطين، تقع على ساحل البحر بين غزّة و بيت جبرين، و يقال لها: عروس الشام، قد نزلها جماعة من الصحابة و التابعين. راجع معجم البلدان ٣: ٣٢٧.

(٥). و ذلك سنة ٥٤٨ هـ، و بقيت فى أيديهم نحو خمس و ثلاثين سنة حتّى حرّرها صلاح الدين الأيوبي منهم سنة ٥٨٣ هـ. راجع معجم البلدان ٣: ٣٢٧.

(٦). أبو الغارات طلائع بن رزيك الأرمنى المصرى، من الأدباء و الخطباء فضلا عن كونه وزيراً للفاطميين، ولى نواحى الصعيد، و استولى على مصر بعد أن أخذ بتأثر الظافر. له كتب و ديوان شعر صغير، تزوّج العاضد ابنته ثم دبّر قتله مع بعض الأمراء، فاغتيل سنة ٥٥٦ هـ. راجع وفیات الأعيان ٢: ٥٢٦ - ٥٢٩، البداية و النهاية ١٢: ٢٤٣، أعيان الشيعة ٧: ٣٩٦ و ما بعده.

أهل البيت في مصر، ص: ٧٧

محمد صلّى الله عليه و آله كان مدفوناً بعسقلان قبل نقله إلى مصر، و إنّ الأفضل شاهنشاه «١» بنى مشهد الرأس فى عسقلان «٢».

و ابن بطوطة «٣» يؤيد الرواية، و يقول بعد زيارته لعسقلان: «ثم سافرت من القدس الشريف إلى ثغر عسقلان، و هو خراب، و قد عاد رسوما تامسة و أطلالا دارة، و بها المشهد الشهير، حيث كان رأس الحسين بن على قبل أن ينقل إلى القاهرة، و هو مسجد عظيم سامى العلو» «٤».

ثم يقول ابن بطوطة عند زيارته للقاهرة: «و من المزارات الشريفة: المشهد المقدس العظيم الشأن، حيث رأس الحسين بن علي، و عليه رباط ضخّم عجيب البناء، على أبوابه حلق فضة و صحائفها، و هو موفى الحق من الإجلال و الإعظام» (٥).
و يقول المؤرخ الهروي في كتابه «إشارات إلى أماكن الزيارات»: «و فيها- أي عسقلان- مشهد الحسين ... فلما أخذتها الفرنج، نقله المسلمون إلى مدينة القاهرة سنة تسع و أربعين و خمسمائة» (٦).
و تفنّد الدكتور سعاد ماهر الآراء التي قيلت، من الناحية الأثرية، من خلال

(١). أبو القاسم شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي، الملقّب بالأفضل، مولده بعكّا، خلف أباه في إمارة الجيوش المصرية، أرمنى الأصل، و طّد دعائم الملك للآمر بأحكام الله العبيدي صاحب مصر، و دبر شؤون دولته، لكنّه نغم عليه لأمر، فدرّس له من قتله على مقربة من داره بالقاهرة عام ٥١٥ هـ.

(٢). وفيات الأعيان ٢: ٤٥٠.

(٣). أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة، رحّال و مؤرّخ معروف، ولد سنة ٧٠٣ هـ بطنجة و نشأ فيها، و طاف بلادا كثيرة، و اتصل بملوك و أمراء، توفّي بمراكش سنة ٧٧٩ هـ راجع إيضاح المكنون ١: ٢٤٢.

(٤). رحلة ابن بطوطة: ٦٠.

(٥). المصدر السابق: ٨٧.

(٦). و السائح الهروي هو أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي، المولود بالموصل، و قد استوطن حلب، كان فاضلا جوالا- فسّمى بالسائح بنى له مدرسة يدرّس بها و يخطب، له كتاب الاشارات المذكور و الخطب الهروية، توفّي ٦١١ هـ، و قبره في مدرسته بظاهر حلب. راجع سير أعلام النبلاء ٢٢: ٥٦-٥٧.

أهل البيت في مصر، ص: ٧٨

كتابتها «مخلفات الرسول صلّى الله عليه و آله في المشهد الحسيني» و «مساجد مصر».

فعن القول بوجود الرأس في المدينة المنورة، هناك ما ينقصه الدليل المادي الذي ذكره المسعودي، و هو أنّه كان يوجد حتّى القرن الرابع الهجري شاهد مكتوب عليه العبارة الآتية: «الحمد لله مميت الأمم و محيي الأمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله، سيدة نساء العالمين، و الحسن بن علي بن أبي طالب، و علي بن الحسين بن علي، و محمد بن علي، و جعفر بن محمد. رضوان الله عليهم أجمعين».

فلو أنّ الرأس كان مدفونا في البقيع لما أغفل ذكر اسم سيد الشهداء. و هذا النصّ منقول من كتاب «الإشراف و التنبيه» للمسعودي عن ابن كثير في «البداية و النهاية» (١).

أمّا قول غالبية الشيعة الإمامية «الاثني عشرية»، بأنّ الرأس مدفون مع الجسد في كربلاء، فهو لا تؤيده مراجعة الحوادث، فمن المستبعد عقلا أن يعيد يزيد بن معاوية الرأس إلى كربلاء، حتّى لا يزيد النار اشتعالا، و هو يعلم بأنّها مركز الشيعة و المتشيعين للإمام الحسين، و المؤيدين لمذهبه. هذا بالإضافة إلى ما جاء في أحداث سنة ٢٣٦ هـ، من أنّ الخليفة المتوكّل أمر «النويريج» بالمسير إلى قبر الحسين و هدمه، فتناول النويريج مسحة و هدم أعلى قبر الحسين، و انتهى هو و من معه إلى الحفر أو موضع اللحد، فلم يروا أثرا للرأس. و لا يمكن أن يتصوّر أحد أنّ الرأس قد بلى في ذلك الوقت المبكر، إذا عرف أنّ أرض كربلاء رملية تحتفظ بالعظام مئات السنين (٢).

(١). الإشراف و التنبيه: ٤٩، و راجع البداية و النهاية ٨: ٢٠٦.

(٢). لم تنفرد الشيعة الإمامية وحدها بهذا القول، فقد ذهب غيرها إليه. راجع على سبيل المثال كتاب نزهة المشتاق لابن ادريس

الحسنى المعروف بالشريف الإدريسي من علماء القرن السادس الهجرى: ٦٦٨، بل فى تذكرة الخواص: ٢٦٥ أنه أشهرها. و البداية و النهاية لابن كثير ٨: ٢٠٥ حيث يقول: «اشتهر عنه كثير من المتأخرين أنه (أى قبر الحسين عليه السلام) فى مشهد على، بمكان من الطفّ عند نهر كربلاء ... وقد ذكر ابن جرير وغيره أنّ موضع قتله عفى أثره حتّى لم يطلع أحد على تعيينه بخبر ... و ذكر هشام بن الكلبي أنّ الماء لما أجرى على قبر الحسين ليمحى أثره نصب الماء بعد أربعين يوما، فجاء أعرابى من بنى أسد- أهل البيت فى مصر، ص: ٧٩»

أمّا الرأى الذى يقول: إنّ الرأس موجود فى رباط مرو بخراسان هو منقوض من أساسه؛ لأنّ أبى مسلم الخراسانى الذى قيل: إنّهُ نقل الرأس من دمشق، لمّا استولى عليها و بنى عليها الرباط بمرو، لم يكن أبى مسلم موجودا بالشام وقت فتحها أيام العباسيين، ثم إنّ العباسيين لو ظفروا بالرأس لأظهروه للناس.

و أقرب الآراء: أنّ الرأس وضع أول الأمر فى خزائن السلام بدمشق، ثم دُفن فى عسقلان على البحر، و حين استولى الفرنج على عسقلان تقدّم الصالح طلائع بن رزيك وزير الفاطميين بمصر، فدفع ٣٠ ألف درهم، و استردّ الرأس الشريف، و نقله إلى مصر، حيث جاء الرأس فى حراسة ثلثة من الجند، و استقبله الخليفة الفاطمى - كما يقول الإمام الشعرانى «١» فى طبقات الأولياء «٢» - هو و عسكره حفاة من الصالحية، و قد وضع الرأس الشريف فى كيس أخضر من الحرير، على كرسى آبنوس، و فرش تحته المسك و الطيب، و بنى عليه القبّة المعروفة.

و الدليل على وجود الرأس الشريف ما ذكره عثمان مدوخ فى كتابه «العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد» و قد ألقه فى القرن التاسع عشر، و قال فيه: «إنّ المرحوم عباس كتنخدا الفزدوغلى لمّا أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الحسينى، قيل: إنّ هذا المشهد لم يثبت فيه دفن، فأراد تحقيق ذلك، فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس، و نزل فيه الأستاذ الجوهري الشافعى و الأستاذ الشيخ

فجعل يأخذ قبضة قبضة و يشمّها حتّى وقع على قبر الحسين، فبكى و قال: بأبى أنت و أمى، ما كان أطيبك و أطيب تربتك! ثم أنشأ يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه فطيب تراب القبر دلّ على القبر»

(١). أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن على الحنفى الشعرانى، من العلماء المتصوّفين، يرجع نسبه إلى ابن الحنفية محمد بن على بن أبى طالب عليه السلام. ولد سنة ٨٩٨ هـ فى قلقشندة بمصر، و نشأ بساقية أبى شعرة إحدى قرى المنوفية، و إليه يرجع نسبه، له مصنفات منها: طبقات الأولياء، لوائح الأنوار فى طبقات الأخيار، البدر المنير و غيرها، توفى سنة ٩٧٣ هـ بالقاهرة. راجع شذرات الذهب ٨: ٣٧٢-٣٧٣.

(٢). طبقات الأولياء: ٢٦. و راجع نور الأبصار: ٢٦٩-٢٧٠.

أهل البيت فى مصر، ص: ٨٠

الملوى المالكى ... و كانا من كبار العلماء العاملين، و شاهدا ما بداخل البرزخ، ثم ظهرا و أخبرا بما شهداه. و هو كرسى من خشب الساج، عليه طست من ذهب، فوّه ستار من الحرير الأخضر، تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق، داخله الرأس الشريف ...» و الذى نريد أن نقوله هنا: إنّنا لا نرجح وجود الرأس الشريف فقط، بل إنّنا نؤكّد ذلك، ليس ممّا أوردناه من الأدلّة، و إنّما أيضا من خلال الاهتمام بالمشهد الحسينى قرنا وراء قرن، ذكرنا بعضا منه و أغفلنا الكثير من الاهتمامات المتنوّعة.

و دليل آخر محسوس ملموس، هو كثرة الإخوة الإيرانيين، الذين جاءوا إلى مصر عبر العصور، و اختاروا مقامهم و سكناهم، بل مقدار أعمالهم، بجوار الرأس الشريف، حتّى أنّ الكثير من الأسماء الإيرانية كانت إلى فترة قصيرة - و لا تزال - تنتشر فوق الدكاكين و الوكالات و غيرها، و انتشر حول المشهد بالذات بيع السجاد الشيرازى و التبريزى.

و يضاف إلى ذلك تلك المقصورة التي أهدتها جماعة «البهرة» للمشهد الحسيني، و هذه الجماعة فيها الكثير من العلماء و الباحثين الذين درسوا و تأكدوا من وجود الرأس الشريف، و هو السبب في إهدائهم المقصورة عام ١٩٦٥، و التي تكلفت ٣٠٠ ألف جنيه، جمعت من جماعة البهرة أنفسهم، بالإضافة إلى تلك المقصورة التي أهديت إلى مشهد السيدة زينب رضى الله عنها. و الواقع أن لجلال المشهد و بركته، فإن الدولة بمصر المؤمنة قد جعلت من المشهد الحسيني المسجد الرئيسي الذي يختص بصلاة العيدين فيه، كما تقام فيه أيضا الاحتفالات بالمناسبات الدينية المهمة.

هكذا يثبت وجود الرأس في مصر.

و على أية حال، ففي أي مكان رأس الحسين أو جسده - كما يقول سبط ابن

اهل البيت في مصر، ص: ٨١

الجوزي «١» - فهو ساكن في القلوب و الضمائر، قاطن في الأسرار و الخواطر «٢».

و المهم كما يرى العقاد: «أيا كان ذلك الموضع الذي دفن فيه الرأس الشريف، فهو في كل موضع أهل للتعظيم و التشريف، و إنما أصبح الحسين بكرامة الشهادة، و كرامة البطولة، و كرامة الأسرة النبوية ... معنى يستحضره المسلم في صدره، و هو قريب أو بعيد من قبره» «٣».

لكن ما ذا بقي من القديم الآن، و قد ثبت أن الرأس الشريف موجود في مشهد الإمام الحسين بمصر؟!

يقول المقرئى «٤»: «نقل رأس الحسين من عسقلان إلى القاهرة يوم الأحد ٨ من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ (٣١ أغسطس ١١٥٣ م)، وصل الرأس إلى القاهرة يوم الثلاثاء العاشر من نفس الشهر، ثم أنزل بالرأس إلى الكافورى - حديقة القصر الفاطمى - ثم حمل فى سرداب إلى قصر الزمرد، و دفن عند قبّة الديلم بباب دهليز الخدمة» «٥».

و يضيف ابن عبد الطاهر: أن طلائع بن رزيك بنى الجامع خارج باب زويلة ليدفن الرأس به و يفوز بهذا الفخار، فغلبه أهل القصر الفاطمى، و عمدوا إلى هذا المكان الموجود به الآن، هو قصر الخلافة الفاطمية فى ذلك الوقت، و بنوه له، و كان ذلك فى خلافة الفائز الفاطمى سنة ٥٤٩ هـ (١١٤٥ م). و حمل الرأس الشريف فى سرداب

(١). شمس الدين يوسف بن قزاعلى بن عبد الله التركى العوينى الهيرى البغدادى الحنفى، المعروف بسبط ابن الجوزى الواعظ البليغ و المؤرخ المتفتن. ولد سنة ٥٨١ هـ ثم رحل إلى دمشق و سكنها، فأفتى و درّس، حتّى توفى فيها سنة ٦٥٤ هـ بسفح قاسيون. راجع وفيات الأعيان ٣: ١٤٢.

(٢). تذكرة الخواص: ٢٦٦.

(٣). أبو الشهداء الحسين بن على: ٢٦٢.

(٤). أحمد بن على بن عبد القادر الحسينى العبيدى المقرئى، مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبك من احدى حاراتها: حارة المقارزة، ولد سنة ٧٦٦ هـ، و نشأ بالقاهرة، و قد ولى الحسبة و الخطابة و الإمامة مرات فيها. من مصنفاته المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار و يعرف بخطط المقرئى، و تاريخ الأقباط، و السلوك فى معرفة دول الملوك و غيرها، توفى بالقاهرة سنة ٨٤٥ هـ. راجع الاعلام ١: ١٧٧.

(٥). خطط المقرئى ٢: ٣٢٣.

اهل البيت في مصر، ص: ٨٢

طويل حفر تحت الأرض من باب زويلة إلى القبّة الشريفة «١».

و يقول ابن جبير الذى زار مصر فى عصر الأيوبيين، و بعد الحريق الذى شبّ فى المشهد عام ٦٤٠ هـ و فى عهد الصالح نجم الدين

أيوب، أنه أنشئت منارة على باب المشهد عام ٦٣٤ هـ (١٢٣٧ م)، أنشأها أبو القاسم ابن يحيى السكري، و لم يتمها، فأتمها ابنه و هي مليئة بالزخارف الجصية و النقوش، تعلقو الباب الأخضر، و قد قام بترميمها و توسيعها بعد ذلك القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، ثم في عصر الناصر محمد بن قلاوون أمر بتوسيع المسجد عام ٦٨٤ هـ.

و في العصر العثماني أمر السلطان سليم بتوسيع المسجد لما رآه من الإقبال العظيم من الزائرين و المصلين، ثم بعد ذلك أحضرت للمسجد عمد الرخام من القسطنطينية، و بنيت ثلاثة أبواب من الرخام جهة خان الخليلي، و مثلها الباب الأخضر بجوار القبلة بالجهة الشرقية.

و لما قدّم مصر السلطان عبد العزيز العثماني عام ١٢٧٩ هـ و زار المقام الحسيني، أمر الخديوي إسماعيل بعمارة و تشييده على أتم شكل و أحسن نظام، و استغرقت العملية التي أشرف عليها على باشا مبارك و وصفها في خطه عشر سنوات.

هذه ملامح ممّا حدث لسبط الرسول صلّى الله عليه و آله و حضور رأسه الشريف إلى مصر، و تشریف مصر به؛ ممّا يجعل المشهد الحسيني قبلة لمحبّي آل البيت، و المؤمنين الصابرين المجاهدين.

*** أقيم المشهد الحسيني، لكنّ الدولة الفاطمية تلاشت، و لكنّ الأيوبيين الذين أنهبوا الحكم الفاطمي الشيعة بمصر اهتموا بالمشهد. فصلاح الدين «٢» جعل به حلقة تدريس

(١). المصدر السابق.

(٢). يوسف بن أيوب بن شاذي، صلاح الدين الأيوبي، الملّقب بالملك الناصر، ولد سنة ٥٣٢ هـ بتكريت، كان-

أهل البيت في مصر، ص: ٨٣.

و فقهاء، و فوّض ذلك للفقهاء البهاء الدمشقي السنّي المذهب. و كان يجلس عند المحراب الذي يقع الضريح خلفه، و في مكان هذه المدرسة بنى المسجد الحسيني.

و زيادة في الاهتمام- كما يقول الأثرى حسن عبد الوهاب- فإنّ صلاح الدين الأيوبي أهدى للمشهد مقصورة، تشبه المقصورة التي أهداها للإمام الشافعي عام ٥٧٤ هـ.

و بعد صلاح الدين كان الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي بنى إيوانا للتدريس، و بيوتا خاصة للفقهاء، و قد وصفها ابن جبير في رحلته «١»، و هذا الرخالة زار مصر عام ٥٧٨ هجرية. و في عصر الكامل «٢» الأيوبي بنيت المنارة على باب المشهد عام ٦٣٤ هـ، تعلقو الباب الأخضر، تهّدّم معظمها، و لم يبق حتّى الآن إلّا القاعدة المربعة و عليها لوحتان تثبتان ذلك.

و في عصر الصالح نجم الدين أيوب «٣» (٦٣٧-٦٤٧ هجرية) احترق بناء المشهد

أبوه و أهله من قرى دوين في شرقي آذربيجان و هم بطن من الرواية، من قبيلة الهدانية، من الأكراد، نزلوا تكريت، ثم ولى أبوه أعمالا في بغداد و الموصل و دمشق، فنشأ هو في دمشق، و تأدّب بها و بمصر كان له دور في إنهاء الحكم الفاطمي بعد مرض العاضد، و صار يخطب للعباسيين، ثم استقلّ بملك مصر، ثم اضطرت البلاد الشامية و الجزيرة، فدعى إلى ضبطها، فأقبل على دمشق و استولى على بعلبك و حمص و حماة و حلب، توفّي بدمشق سنة ٥٨٩ هـ.

و يذكر أنّ حكم الأيوبيين قد امتدّ إلى القسم الأكبر من بلاد الشام و مصر فترة تقرب من التسعين عاما، و قد استمرت في مصر حتّى قبيل سقوط بغداد بيد المغول. راجع دراسة و وثيقة للتاريخ الإسلامي لمحمد ماهر حمادة: ٢٥٩، و الاعلام ٨: ٢٢٠.

(١). رحلة ابن جبير: ٢٤.

(٢). محمد بن محمد العادل ابن أيوب، ناصر الدين، من سلاطين الدولة الأيوبية، ولد بمصر سنة ٥٧٦ هـ و نشأ بها، فأعطاه أبوه الديار

المصرية، فتولّاهما مستقلا بعد وفاة أبيه سنة ٦١٥ هـ، ثم اتّجه إلى توسيع نطاق ملكه حتّى امتلك الديار الشامية، له مواقف مشهورة فى الجهاد بدمياط، و ولع فى البناء و الترميم، من آثاره بمصر المدرسة الكاملية، توفى بدمشق سنة ٦٣٥ هـ و دفن بقلعتها. راجع السلوك للمقريزى ١: ١٩٤ و ما بعده.

(٣). أيوب بن محمد بن أبى بكر بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين، الملقّب بالملك الصالح، من كبار الملوك الأيوبيين بمصر، ولد و نشأ بالقاهرة، و ولى بعد خلع أخيه سنة ٦٣٧ هـ، فضبط الدولة بحزم، و عمر بمصر ما- أهل البيت فى مصر، ص: ٨٤

فى عام ٦٤٠ هجرية، و قد رَمَمه الصالح و وسّعه، و ألحق به ساقية و ميسأة «١»، و وقف عليه أراضى.

و ظلّت العناية بالمشهد الحسينى أيام المماليك، فالظاهر بيبرس «٢» حين بيعت قطعة أرض بجانب المشهد من حقوق الفاطمى، ردّ ثمنها و هو ٦ آلاف درهم و وقفها على الجامع. ثم إنّ الناصر محمد قلاوون «٣» وسّع المسجد عام ٦٨٤ هجرية.

و فى العصر العثمانى تم توسيع المسجد نظرا للإقبال الشديد عليه من جماهير مصر المؤمنة، و صنعت له مقصورة من أنبوس مطعم بالصدف، عليه ستر من الحرير المزركش، و نقلت إلى المشهد الحسينى فى احتفال كبير وصفه الجبرتى بأنّها حملت و أمامها طائفة الرفاعية و الصوفية بطولهم و أعلامهم، و بأيديهم المباخر الفضية و بخور العود و العنبر، و بأيديهم قماقم ماء الورد يرشونه على الناس.

لم يعمره أحد من ملوك بنى أيوب، و فى أواخر أيامه أغار الفرنج على دمياط سنة ٦٤٧ هـ و احتلوها، و كان غائبا فى دمشق، فلمّا قدم مات بناحية المنصورة، و نقل إلى القاهرة. راجع الاعلام ٢: ٣٨.

(١). الميسأة و الميسأة: الموضع يتوضأ فيه، أو المطهرة يتوضأ منها.

(٢). بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى، الملك الظاهر، صاحب الفتوحات، ولد سنة ٦٢٥ هـ بأرض القبيحاق، ثم أسر و بيع فى سيواس، ثم نقل إلى حلب، و منها إلى القاهرة فاشتره الأمير علاء الدين البندقدار، و بقى عنده، فلمّا قبض عليه الملك الصالح نجم الدين الأيوبي أخذه فجعله فى خاصة خدمه، ثم أعتقه، ثم اصبح «أتابك العسكر» بمصر أيام الملك المظفر، ثم استولى على سلطنة مصر و الشام سنة ٦٥٨ هـ، و كان يباشر الحروب بنفسه، و له وقائع مع التتر و الافرنج، و أخباره و عمائره كثيرة، توفى بدمشق سنة ٦٧٦ هـ و مرقد معروف فيها، أقيمت حوله المكتبة الظاهرية. راجع النجوم الزاهرة ٧: ٩٤.

(٣). محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى، من كبار ملوك الدولة القلاوونية، ولد سنة ٦٨٤ هـ بدمشق، و أقام فيها مدّة طفولته، ثم ولى سلطنة مصر و الشام سنة ٦٩٣ هـ و هو صبى، و خلع منها لحدائته بعد عام، و أعيد إليها سنة ٦٩٨ هـ فأقام بالقلعة كالمحجور عليه، و الأعمال كلّها بيد الأمير بيبرس و نائب السلطنة الأمير سلار، و استمرّ الحال نحو عشرين سنة، و ضاق بالأمر فأظهر العزم على الحجّ، و توجه بعائلته و حاشيته و مماليكه و خيله، حتّى بلغ الكرك فنزل قلعتها و استولى على ما فيها من أموال، ثم وثب فدخل دمشق، ثم زحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس حتّى ظفر به فقتله خنقا بيديه و شرّد أنصاره، و امتلك قيادة الدولة و استمرّ حكمه ٣٢ عاما، كانت له فيها سير و أبناء و عمران كثير، توفى بالقاهرة سنة ٧٤١ هـ. راجع الاعلام ٧: ١١.

أهل البيت فى مصر، ص: ٨٥

أمّا عبد الرحمن كتحدا فقد أعاد بناء المسجد عام ١١٧٥ هجرية، و عمل له صهريجا و حنفية، و خصّص رواتب لخدمه و سدنته «١». ثم إنّه فى عهد الخديوى «٢» إسماعيل - كما يقول على باشا مبارك - أعاد عمارته و تشييده، و استغرق ذلك عشر سنوات، و فرش بالفرش النفيسة، و نور بالشموع و الزيوت الطيبة و الأنفاس الغازية فى قناديل البلور، و ربّوا له فوق الكفاية من الأئمة و المؤذنين و المبلّغين و البوّابين و الفّرّاشين و الكنّاسين و الوقّادين و السقّائين و نحو ذلك، و أوقفوا عليه أوقافا جمّة بلغ إيرادها نحو ألف جنيه فى السنة.

و كما يقول على مبارك كمهندس قام بتصميم البناء الحالى: وقد صرفت هذه العمارة ٧٩ ألف جنيه من ميزانية الأوقاف، هذا عدا ما تبرع به الأمراء و عليّة القوم.
و يذكر أنه أحضرت للمسجد الأعمدة الرخامية من القسطنطينية، وقد احتوى صحن الجامع على ٤٤ عمودا، كما بنى له المئذنة الكبيرة الحالية على الطراز العثماني، و هى تشبه القلم الرصاص، و على هذه المئذنة لوحتان بخطّ السلطان عبد المجيد خان.
*** على أننا لا يمكن أن نتحدّث عن المشهد الحسينى دون أن نتحدّث عن غرفة تجاور الرأس الشريف، و هذه الغرفة أنشأها عباس حلمى الثانى «٣» لمجموعة من

(١). عجائب الآثار فى التراجم و الأخبار لعبد الرحمن الجبرتى ١: ٤٩٢.

(٢). الخديوى: لقب أطلق على بعض الحكّام، منحه السلطان العثمانى عبد العزيز لإسماعيل باشا والى مصر عام ١٨٦٧ م، ثم أطلق على أفراد سلالة محمد على فى مصر. راجع المنجد فى الاعلام: ٢٦٧.

(٣). عباس حلمى بن توفيق بن إسماعيل، حفيد محمد على، و يعرف بالخديوى عباس حلمى الثانى، أحد الذين حكموا مصر، ولد بالقاهرة سنة ١٨٧٤ م و تعلّم بمدرسة عابدين، و ولى الخديوية بعد وفاة أبيه ١٨٩٢ م بإرادة سلطانية من الآستانة، نشبت الحرب العالمية الأولى و هو فى أوروبا، فتأخّرت عودته، فخلعته الحكومة البريطانية التى بسطت سيطرتها على مصر آنذاك، و ولّت أحمد فؤاد مكانه، فاستقرّ فى لوزان بسويسرا، و قضى بقية عمره مغتربا حتّى توفّى فيها سنة ١٩٤٤ م (١٨٧٤ هـ) و نقل جثمانه إلى القاهرة ليُدفن فيها. راجع الاعلام ٣: ٢٤١.

أهل البيت فى مصر، ص: ٨٦.

الآثار النبوية الشريفة، كانت قد نقلت إلى المشهد الحسينى عام ١٣٠٥ هجرية، و حفظت فى دولاب فى الجدار الجنوبى الغربى للمزار الشريف.

و هذه الغرفة الآن مفروشة بالسجاد الثمين، و فيها مصابيح و ثريات بلورية نادرة، و جدرانها مكسوة بالرخام المجزّع «١»، و بها محراب صغير، كما أنّها تحتوى على دولاب عبارة عن دولاب حائط، و هو فجوة فى الجدار قوى ظهرها بقضبان من حديد، و كسيت بالجوخ «٢» الأخضر، و لهذه الفجوة باب من خشب الجوز المطعم بالعاج «٣» و الصدف و الآبنوس «٤»، و كتب بأعلى الباب بأحرف من عاج: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا «٥».

هذه الغرفة لها بابان: أحدهما يفتح على المسجد، و الآخر يفتح على مشهد الإمام الحسين، و فى داخل الدولاب الآثار النبوية الشريفة، و تشمل: قطعة من قميص الرسول صلّى الله عليه و آله و مكحلة، و مرودا «٦»، و قطعة من قضيب، و شعرات من شعره الشريف، ثم مصحفين كريمين بالخط الكوفى على رق «٧» غزال: أحدهما منسوب لعثمان رضى الله عنه، و الثانى لسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه.

و هذه الآثار النبوية الشريفة- كما تقول المصادر- تداولها آل البيت، و تسارع عليها الخلفاء و الأمراء.

و قد ذكرت المصادر أيضا أنّ ما تركه رسول الله صلّى الله عليه و آله بعد وفاته: ثوبا حبرة «٨»،

(١). المجزّع: ما فيه سواد و بياض.

(٢). الجوخ: النسيج من الصوف.

(٣). العاج: ألياف الفيل.

(٤). الآبنوس: نوع من الشجر، يكثر فى البلدان الحارة، خشبه ثمين يميل إلى السواد، و عوده صلب للغاية.

(٥). النساء: ٥٨.

(٦). المرود: الميل يكتحل به.

(٧). الرق: جلد رقيق يكتب عليه، و ذلك لما يخترع الورق بعد.

(٨). الحبر من الثياب: ما كان موشيا و مخططا.

أهل البيت في مصر، ص: ٨٧

و إزار عثمانى، و ثوبان صحاريان، و قميص صحارى «١»، و قميص سحولى «٢»، و سراويل، و جبّة يمانية، و خميصه أو كساء أبيض، و قلانس «٣» ... و مجموعات من شعره الشريف «٤».

أما هذه الآثار الموجودة بالمشهد الحسينى فهى بعض ما خلفه الرسول صلى الله عليه و آله، و قد قامت د. سعاد ماهر بدراسة هذه الآثار، و يقال: إن هذه الآثار فى مصر، كانت عند بنى إبراهيم فى مدينة «ينبع» بالحجاز، و هؤلاء توارثوها، و فى القرن السابع الهجرى ١٣ ميلادى، فى عصر الظاهر بيبرس، اشترى هذه الآثار الشريفه من بنى إبراهيم الوزير المصرى صاحب تاج الدين، و لكن اختلفت المصادر على المبلغ الذى دفعه، فمصادر تقول: إنه دفع فيها ٦٠ ألف درهم فضة، و قيل: مبلغ ٢٥٠ ألف درهم، و قيل كذلك مائة ألف درهم. و هذه الآثار نقلت إلى مصر، و حفظت بمكان على النيل سُمى «رباط الآثار» أو «الرباط الصحابى التاجى»، و عرف مؤخرا باسم «أثر النبى» فى حى مصر القديمة.

و هذا الرباط لأهميته كان له شيخ بوظيفه «شيخ الآثار النبويه»، و كان هذا الشيخ من القضاء الموثوق بهم، و منهم من ذكره ابن إياس فى حوادث ٨٨٩ هجرية و هو الشيخ ولى الدين أحمد. و فى الضوء اللامع للسخاوى ذكر فى عام ٨٧٠ هجرية كان شيخ الآثار هو ولى الدين أبو زرعه أحمد بن محمد الذى نقل قاضيا لدمياط.

و الواقع أنه كما اختلف المؤرخون - على عاداتهم - على ثمن شراء هذه المخلفات النبويه من بنى إبراهيم، فقد اختلفوا أيضا فى نوعها و عددها، و لكنهم يذكرون

(١). صحارى: منسوب إلى صحار، و هى قرية باليمن اشتهرت بصناعة القمصان و الثياب.

(٢). قال ابن الأثير: يروى بفتح السين و ضمها، فالفتح منسوب إلى السحول، و هو القصار؛ لأنه يسحلها، أى يغسلها، أو إلى سحول و هى قرية باليمن. و أما الضم فهو جمع سحل، و هو الثوب الأبيض النقى، و لا يكون إلّا من قطن ... و قيل: إن اسم القرية بالضم أيضا. راجع النهاية ٢: ٧٦٠.

(٣). القلانس و القلانيس و القلاس و القلاسى: جمع قلنسة، نوع من أنواع ملابس الرأس، و يكون على هيئات متعدده.

(٤). راجع البداية و النهاية ٦: ٣ و ما بعده.

أهل البيت فى مصر، ص: ٨٨

الكثير عن رباط الآثار، و كيف بنى و من بناه، و مهاجمة مياه الفيضان له، و اهتمام الخلفاء و السلاطين به، و منهم الأشرف شعبان «١» فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى، و منهم أيضا السلطان برقوق «٢» عام ٧٨٤ هجرية.

و المهم أن هذه المخلفات النبويه الشريفه ظلت فى رباط الآثار إلى أن نقلت منه إلى قبة السلطان الغورى «٣» عام ٩٢٦ هجرية أو قبل هذا التاريخ؛ خشية السرقة، بعد أن تصدع مبنى رباط الآثار.

و لقد بقيت هذه الآثار بقبة الغورى حوالى ثلاثة قرون، إلى أن نقلت فى عام ١٢٧٥ هجرية، و بعدها نقلت إلى ديوان عموم الأوقاف، ثم فى عام ١٣٠٥ هجرية نقلت إلى سراى عابدين، و من سراى عابدين إلى المشهد الحسينى فى دولاى خاص، إلى أن أنشئت لها الغرفة الحالية عام ١٣١١ هجرية.

و عملية النقل من قصر عابدين إلى المشهد الحسيني جرت في احتفال كبير تقدمه رجال الطرق الصوفية... و تقدمه الشيوخ و البكري و السادات و قناصل الدول

(١). شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، من ملوك الدولة القلاوونية بمصر و الشام، ولد عام ٧٥٤ هـ بالقاهرة، و ولي السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجي سنة ٧٦٤ هـ، عرف بحبه للعلم و أهله، كثير البرّ و الصدقات، و قد اضطرب أمر الجيش مدة، و في عام ٧٧٨ هـ لما أراد الحجّ ثار عليه بعض مماليكه، فعاد فقاتلهم، لكنّه انهزم و عاد إلى القاهرة و اختفى فيها، و اكتشفوا مخبأه و قبضوا عليه، ثم خنقه الأمير اينك البدري و رماه في بئر. راجع الدرر الكامنة ٢: ١٩٠، الأعلام ٣: ١٦٤.

(٢). الظاهر برقوق بن آنص - أو أنس - العثماني، أول من ملك مصر من الشركسة، جلبه إليها أحد تجار الرقيق فباعه فيها، ثم أعتق و ذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة، و عاد إلى مصر، و تقدّم في دولة المنصور القلاووني، و انتزع السلطنة من آخر بني قلاوون سنة ٨٧٤ هـ، و انقادت إليه الشام و مصر، قام بأعمال من الاصلاح، و بنى المدرسة البروقية بمصر توفي بالقاهرة سنة ٧٩٢ هـ. راجع الضوء اللامع ٣: ١٠.

(٣). قانصوه بن عبد الله الظاهري الأشرفي الغوري، الملقّب بالملك الأشرف سلطان مصر، جركسي الأصل، خدم السلاطين، و ولي حجابة الحجاب بحلب، ثم بويج بالسلطنة بقلعة الجبل في القاهرة سنة ٩٠٥ هـ، كان ملماً بالأدب، له ديوان شعر، قصده السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٢ هـ بجيش جزار، فقاتله لكنّه انهزم عسكر الغوري، فأغوى عليه و هو على فرسه، فمات قهراً. راجع خطط المقريزي ٣: ٤٢٠ - ٤٢١، الأعلام ٥: ١٨٧.

اهل البيت في مصر، ص: ٨٩

و غيرهم، و سار الموكب الكبير من قصر عابدين، بشارع عبد العزيز، فالعتبة الخضراء، إلى شارع محمد علي، فميدان باب الخلق، فطريق تحت الربع، فالسكرية، فالعقادين بالغورية، فالسكة الجديدة إلى أن وصلت إلى المشهد الحسيني. و لكن يأتي سؤال هنا: هل هذه المخلفات النبوية الشريفة الموجودة بالمشهد الحسيني هي المخلفات الموجودة و التي تمّ توارثها منذ عصر النبوة؟

إنّ في المشهد الحسيني - كما أحصت د. سعاد ماهر - ثلاث قطع من النسيج، و قطعة من القضيّب - أي العصا - و المكحلة، و المسبل أو المورد، و بعض شعر اللحية و الرأس الشريف.

و بالطبع فهناك الكثير في عالم الإسلام في استانبول، و باكستان، و تونس، بل هناك في المسجد الأحمدى في «طنطا» غرفة خاصّة و خزائن بها شعرات من شعر رسول الله صلّى الله عليه و آله.

الواقع أنّه منذ أن مات رسول الله صلّى الله عليه و آله - بل و قبل وفاته صلّى الله عليه و آله - كانت مثل هذه المخلفات الشريفة مطلباً للمسلمين، يحفظونها بين أحداق العيون، بمعنى أنّه لم يكن بنو إبراهيم في «ينبع» و حدهم الذين توارثوا مخلفات الرسول صلّى الله عليه و آله، فالكثير كان لديهم الكثير من المخلفات الشريفة، بل أنّه في مصر أيضاً كانت هناك كثير من المخلفات الشريفة - خاصّة الشعرات - في الخانقاوات و المساجد و المقتنيات الخاصّة.

و هذا يعني أنّ في المشهد الحسيني قليلاً - من كثير من الآثار النبوية الشريفة، بل أنّه - و هذا ما يثبت وجهة نظري - في المشهد الحسيني - كما أحصيت - ١٥ شعرة من شعرات الرسول صلّى الله عليه و آله الشريفة، فبعضها اشترى من بنو إبراهيم، و بعضها أهدى للمشهد الحسيني. و هذا يؤكد ما قيل من أنّ الرسول صلّى الله عليه و آله كان يهدى شعره بين الناس! «١»

(١). أخرج مسلم ٢: ٩٤٧ كتاب الحج ح ١٣٠٥ عن أنس: أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله أتى منى، فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى

منزله بمنى و نحر، ثم قال للحلماق: «خذ» و أشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس. و فى أخرى: فأعطاه أبا طلحة فقال: «اقسمه بين الناس».

أهل البيت فى مصر، ص: ٩٠

(٣) رعوس الشهداء فى مصر

إشارة

ثلاثة من الرؤوس الشريفة لثلاثة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله جاءت إلى مصر لترصع جبينها، و تصبح لآلى و محاور بركة، و مقامات تزار، ليس لأهل مصر وحدهم، و إنما لمحبي و عاشقى آل البيت رحمة الله عليهم، الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا.

و الرؤوس الشريفة، حسب الترتيب التاريخى لدخولها مصر هى كالتى:

الأول: رأس سيدى زيد بن على زين العابدين ابن الإمام الحسين رضى الله عنهم، و هو مدفون فى المشهد المنسوب لسيدى على زين العابدين، فى الحى المعروف بذلك الاسم، و كان يعرف فى عصور الإسلام الأولى «الحمراء القصوى» أو هو مدفون قرب ضريح نجله سيدى حسن الأنور، قرب سور مجرى العيون.

الثانى: رأس سيدى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب، و جدته لأبيه السيدة فاطمة النبوية. و هذا الرأس مدفون فى حى المطرية، فى شارع البرنس «ماهر حاليا».

و الثالث: رأس سيد شباب أهل الجنة، سيدى الإمام الحسين بن على، فى الحى الذى يحمل اسمه (و قد أفضنا فى الرأس الشريف و كيف جاء مصر).

١ - على زين العابدين، زهرة آل البيت:

فالمعروف أن سيدى زين العابدين هو الوحيد الذى بقى من بنى الحسين بن على بعد مأساة كربلاء، و قد عاش حياته قطبا كبيرا، نفعه عطرة زكية، و أنجب بذورا صالحه، منها سيدى زيد.

أهل البيت فى مصر، ص: ٩١

و فى نطاق اغتصاب بنى أمية للخلافة من آل البيت، كان سيدى زيد أول من طالب بحقه فى الخلافة فى أيام الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك، فكانت الجفوة و الصراع مع الخليفة الأموى، و كانت السبب فى خروج سيدى زيد على بنى أمية.

و كما سار جدّه الإمام الحسين رضى الله عنه إلى الكوفة، سار إليها أيضا سيدى زيد، و فى اللحظات الأخيرة حين هم بالعودة إلى المدينة المنورة؛ لعدم ثقته بأهل الكوفة، أقنعوه بالنصر و البقاء و محاربة الأمويين معه، قائلين له: نعطيك الأيمان و العهود و المواثيق ما تثق به، فإننا نرجو أن تكون المنصور، و أن يكون هذا الزمان الذى تهلك فيه بنو أمية!

و ما زال أهل الكوفة على إغرائهم - و هم الذين خذلوا جدّه - حتى اقتنع سيدى زيد، و بقى هناك.

و هكذا نشب القتال بين سيدى زيد و مناصريه و بين يوسف بن عمر والى الكوفة، من قبل هشام بن عبد الملك. و تفرق الكوفيون كعادتهم! من حول سيدى زيد، ليبقى فى فئة قليلة من أهله يحارب الأمويين، حتى سقط شهيدا فى صفر عام ١٢٢ هـ، و قبل زوال ملك الأمويين بعشر سنوات.

و اختلفت المصادر على مكان دفن رأس سيدى زيد، فقيل: إن جسده الشريف حمل إلى الكوفة ثم أحرق و ذرّ رماده فى النهر؛

ليكون عبرة لمن تحدّثه نفسه بالخروج على الأمويين! «١»

وقيل: إن رأسه احتزّ، وبعث به إلى الخليفة الأموي، فنصبه على باب دمشق: ثم أعيد الرأس الشريف إلى المدينة «٢».

(١). تاريخ دمشق ١٩: ٤٧٧، بغية الطلب ٩: ٤٠٤٦، المعرفة و التاريخ ٣: ٣٤٨، وفيات الأعيان ٦: ١١١ ترجمه هيثم بن عدى، مروج الذهب ٣: ٢٢٠ ذكر أيام هشام بن عبد الملك، أمالي الصدوق: ٣٢١ مجلس (٦٢) ح ٣، تاريخ الإسلام ٨: ١٠٦ و غيرها (٢). البداية و النهاية ٩: ٣٤٤ حوادث سنه ١٢٢ هـ.

أهل البيت في مصر، ص: ٩٢

لكن أغلب المؤرخين يقولون: إن الرأس جاء مصر، فالكندي في كتابه «الولاء و القضاء» و هو من المؤرخين الثقات، يؤكّد قدوم الرأس إلى مصر «١».

و في «الجواهر المكنون» نصّ يقول: «إنه بعد قدوم رأسه - يقصد رأس سيدي زيد - إلى مصر، طيف به، ثم نصب على المنبر الجامع بمصر - جامع عمرو - في سنه ١٢٢ هـ فسرق، و دفن في هذا الموضع، إلى أن ظهر، و بنى عليه المشهد في عهد الدولة الفاطمية».

٢- ثم يأتي الحديث حول الرأس الثاني:

رأس سيدي إبراهيم بن عبد الله، المدفون في مشهده، داخل المسجد الحالي، الذي يعرف باسم مسجد سيدي إبراهيم، في حي المطرية. و هو مسجد تعددت أسماؤه في الماضي، فقد عرف باسم مسجد التبر، و مسجد التبن، و مسجد البئر، و مسجد الجميزة. أمّا الاسم الذي يعتمد على أسانيد تاريخية صحيحة، كما ترى الدكتورة سعاد ماهر في كتابها «مساجد مصر و أولياؤها الصالحون» فهو مسجد «تبر» أو مسجد «سيدي إبراهيم»، و لكلّ دلالة.

لكن، من هو سيدي إبراهيم الذي تدور الحياة حوله في المطرية، و يأتيه الزوّار من كلّ أنحاء عالم الإسلام؟

سيدي إبراهيم كما تجمع المصادر عليه هو إبراهيم الجواد ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن أبي طالب، و هو من أوائل الذين جمعوا بين سلالة الحسن و الحسين رضي الله عنهما، من خلال جدّه الحسن المثنى ابن الحسن السبط، و من خلال جدّته السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين بن علي.

(١). الولاية و القضاء ١: ٨٢. و يذكر أنّ ياقوت الحموي يذهب إلى هذا الرأي حينما يتكلّم عن مصر فيقول:

«و على باب الكورتين مشهد فيه مدفن رأس زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتل بالكوفة، و أحرق، و حمل رأسه فطيف به الشام، ثم حمل إلى مصر فدفن هناك». معجم البلدان ٥: ١٤٣.

أهل البيت في مصر، ص: ٩٣

و ثابت في المصادر أنّ سيدي إبراهيم قتل في عهد الخليفة المنصور العباسي سنه ١٤٥ هـ.

و كما يقول المقرئ في خطه «١»: «أرسل إلى مصر فنصب في المسجد الجامع العتيق» أي مسجد عمرو بن العاص.

و يقول المؤرخ أبو المحاسن في كتابه «النجوم الزاهرة» «... و بينما الناس في ذلك، قدم يزيد برأس إبراهيم بن عبد الله فنصب في المسجد أياما، في محلّة مطر، و هو الاسم القديم للمطرية» «٢».

و في «الولاية و القضاء» للكندي يقول: «ثم قدمت إلى مصر رأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، في ذي الحجّة سنه خمس و أربعين و مائه، لينصبوه في المسجد الجامع، و قامت الخطباء فذكروا أمره...» «٣».

و يقول القضاعي في كتابه «عيون و فنون أخبار الخلايف» حول مسجد سيدي إبراهيم: «مسجد تبر بنى علي رأس إبراهيم بن عبد الله،

أنفذه المنصور، فسرقه أهل مصر، و دفنوه هناك ...» و يقصد بهناك أى المطرية.
 أمّا الشيخ الشبلنجي في «نور الأبصار»، فهو يحقّق الاسم، و يذكر بعضاً ممّا جرى لسيدى إبراهيم، و يقول: «هو إبراهيم بن عبد الله المحض، أخو محمد المهدي- يقصد محمد النفس الزكية- و كان مرضى السيرة، من كبار العلماء» (٤).
 قال أبو الحسن العمري: «قتل إبراهيم في ذى الحجة سنة خمس و أربعين و مائة، و هو ابن ثمان و أربعين سنة، و حمل ابن أبي الكرام رأسه الشريفه إلى مصر».

(١). المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار ٤: ٢٨٠ ذكر مسجد تبر.

(٢). النجوم الزاهرة ١: ١٢١.

(٣). الولاة و القضاء ١: ٤٢. و في نور الأبصار: ٤٠٦: «و قال الكندي في كتابه الأمراء ...» و ذكر هذا النصّ.

(٤). نور الأبصار: ٤٠٦.

أهل البيت في مصر، ص: ٩٤

و السؤال الذى ينبغى طرحه هنا لنعرف تسلسل الأحداث حول آل البيت: كيف قتل سيدى إبراهيم؟ و لما ذا؟ و كيف جاء رأسه الشريف إلى مصر بالذات دون بقية الولايات أو الأمصار الإسلامية؟
 حين انتهت دولة الأمويين فى ١٣٢ هـ، و ظفر العباسيون بالخلافة، أدرك آل على بن أبى طالب أن أبناء عمومته من العباسيين قد خدعوه و استأثروا بالخلافة دونهم، مع أنّهم- بالطبع- أحقّ بها منهم.
 و طبيعة الأمور أن ينشأ نتيجة لذلك صراع يغذّيه و ينفخ فى جذوته الكثيرون من المخلصين، و أيضا الكثير من المتأمّرين على دين الإسلام، و الذين يعرفون كيف يصيدون فى المياه العكرة.
 و هكذا، ألفت الظروف على كلّ من محمد و إبراهيم ولدى عبد الله المحض أن يكونا أول المطالبين بالخلافة لبنى على، و أول الخارجين من آل البيت على العباسيين، رغم أنّ محمدا و إبراهيم لم يكونا وحدهما من أعمدة آل البيت فى ذلك الوقت، فقد كان هناك من أحفاد الإمام الحسين: جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن الحسين بن على، إمام الشيعة الإمامية، لكنّه لم يحرك ساكنا، و أوصى أصحابه و مشايخه بالخلود إلى السكينة، حتّى تحين الفرصة الذهبية «١».

(١). لكن من يقف على سيرته عليه السّلام يجده أنّه كان يحضّ على الجهاد بالنفس و المال، و يقول للمسلمين: «الجهاد واجب مع إمام عادل، و من قتل دون ماله فهو شهيد» (بحار الأنوار ٩٧: ٢٣، و سائل الشيعة ١٥: ٤٩).

و كان يرى الانحياز إلى الظالمين تمكينا لهم، و الجهاد مع العادلين تثبيتا للإسلام، فقد سأل يوما عبد الملك بن عمرو الأحول الكوفى (من الممدوحين): «لم لا تخرج إلى هذه الديار التى يخرج إليها أهل بلادك؟» أى تجاهد مع الولاة، فقال عبد الملك: انتظر أمركم، فقال الإمام: «أى و الله، لو كان خيرا ما سبقونا إليه».

و لما سأله عبد الملك أنّ البعض يقولون أنّك لا ترى الجهاد، أجابه: «أنا لا أرى الجهاد؟! ... بلى و الله، إنى أراه، لكنى أكره أن ادع حلمى إلى جهلهم». راجع جواهر الكلام ٢١: ١٣، الإمام الصادق عليه السّلام للمستشار عبد الحليم الجندى: ٤١٤.

أهل البيت في مصر، ص: ٩٥

كان محمد- إذا- و أخوه إبراهيم أولى المطالبين بالحقّ، و محمد كان الأخ الأكبر لإبراهيم «١».

و لذلك فقد طالب محمد النفس الزكية بالخلافة، و ساعده أخوه إبراهيم استنادا على دعواه الأساسية من أنّه من أولاد على و فاطمة الزهراء، و هو الوصى و الإمام كما ذكر ذلك فى خطابه إلى أبى جعفر المنصور، ضمن الخطابات التى تبودلت بينهما و سجّلتها كتب

التاريخ، و أهمها كتاب ابن طباطبا: «الفخرى في الآداب السلطانية».

و كان محمد قد طالب بحقه أيضا استنادا إلى أحداث و اتفاقات جرت في أواخر دولة الأمويين يقول عنها ابن طباطبا: «إن بني هاشم من العلويين و العباسيين اجتمعوا في مغرب دولة الأمويين، و تذكروا حالهم، و ما تعرضوا له من الاضطهاد، و ما آل إليه بنو أمية من الاضطراب، و ميل الناس إلى آل البيت، و رغبتهم في أن تكون لهم دعوة، و اتفقوا على مبايعة محمد النفس الزكية، الذي كان في ذلك الوقت من سادات بني هاشم، علويهم و عباسيهم، فضلا و شرفا و علما، و كانت مبايعته بعد اجتماع حضره كبار آل البيت، و منهم الإمام جعفر الصادق و عبد الله المحض، و ابنه

(١). محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالنفس الزكية، أحد الأشراف من الطالبين، ولد سنة ٩٣ هـ بالمدينة و نشأ بها، كان غزير العلم شجاعا حازما، لما ذهب ملك الأمويين و قامت دولة العباسيين تخلف هو و أخوه إبراهيم عن الوفود على السفاح، ثم على المنصور، و لم يخف المنصور ما في نفسه، فطلبه و أخاه، فتواريا بالمدينة، فقبض على أبيهما و اثني عشر من أهلها، و أذاقهم العذاب حتى ماتوا في الحبس بالكوفة بعد سبع سنوات، فعن ذاك خرج محمد ثائرا في (٢٥٠) رجلا، فقبض على المدينة و بايع أهلها، و أرسل أخاه إلى البصرة فغلب عليها و على الأهواز و فارس، و جرت مراسلات بينه و بين المنصور انتهت بقتال بعد ما أرسل له المنصور جيشا بأربعة آلاف فارس، فقاتلهم محمد بثلاثمائة رجل على أبواب المدينة، و لما اشتد الأمر تفرق عنه أصحابه فقتله عيسى بن موسى و بعث برأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ.

و أما أخوه فسيّر الجموع نحو الكوفة، فكانت بينه و بين جيوش المنصور وقائع هائلة، إلى أن قتله حميد بن قحطبة، و بعث برأسه إلى المنصور في تلك السنة التي قتل فيها أخوه محمد. راجع الاعلام ٦: ٢٢٠ و ١: ٤٨.

أهل البيت في مصر، ص: ٩٦

محمد و إبراهيم، كما حضره أبو العباس السفاح، و المنصور، و غيرهم.

ثم تغرب شمس الأمويين.

و لكن العباسيين ها هم الذين يخلفون الأمويين و يضربون بالاتفاق عرض الحائط، و من هنا يمتنع محمد النفس الزكية و أخوه إبراهيم عن مبايعة أبي العباس السفاح، و حين حاول أخوه المنصور أن يأخذ له البيعة في الحجاز، يمتنع النفس الزكية عن البيعة؛ لأنه أحق بها، و يمتنع أخوه تدعيما له.

و كان لا بد من احتدام الصراع الذي وصل إلى حد استخدام السلاح، و القتل و الصلب، و احتراز الرؤوس!

حين ولى المنصور الخلافة! كانت دعوة محمد النفس الزكية و إبراهيم قد جمعت حولها الأنصار و المشايخين، و صارت خطرا يهدد الدولة العباسية، و هنا رأى المنصور أنه لا بد من التخلص منهما، و لا بد من الظفر بهما، مع إعمال كل الحيل، كما يقول الطبري في تاريخه الجزء التاسع (١).

بل إن المنصور العباسي أصدر تعليماته إلى واليه بالمدينة المنورة، أن يبذل كل ما في طاقته للقبض على الأخوين، لكن الوالي - في الواقع - تهاون في القبض عليهما، بل إنه اتصل سرًا بمحمد النفس الزكية، و ساعده على الهروب من المدينة المنورة، فسافر إلى عدن، ثم إلى السند، ثم إلى الكوفة، بعدها عاد إلى المدينة المنورة بعد أن جمع عددا كبيرا من الأعوان و المشايخين.

و هنا يقسو المنصور على واليه في المدينة، فيجزله، بل يأمر بتكيله بالحديد، و يحبسه بعد أن يصادر أمواله، و يوّلى مكانه خالد بن عبد الله القسري الذي اتهم أيضا بالتهاون و التفريط في مصادرة النفس الزكية و أخيه إبراهيم، ثم يوّلى المنصور على المدينة رباح بن عثمان بن حيان، و هو عم مسلمة بن عقبة المرّي قائد معركة

(١). تاريخ الطبرى: حوادث سنة ١٤٤ هـ.

أهل البيت في مصر، ص: ٩٧.

«الحرّة» في عهد يزيد بن معاوية الأموى.

و يتولّى مسلمة بن عقبه المرمى المدينة المنورة سنة ١٤١ هـ، و يعتلى المنبر يخطب في أهل المدينة مهّدا إذا ساند أهلها محمدا النفس الزكية و أخاه إبراهيم، و يستخدم في خطبته ألفاظا لا تختلف عن ألفاظ خطبة الحجاج بن يوسف الثقفى في أهل الكوفة. لكن أهل المدينة لم يخافوا، بل أعلنوا الاستمرار فى موقفهم، و تدفّق شعورهم حماسه نحو آل البيت، فرجموا الوالى بالحصى، حتّى أنّه بعث للمنصور يشكو له ما حدث من أهل المدينة.

و هنا ثور ثائرة المنصور، و يبعث بخطاب يتوعّد فيه أهل المدينة، و يقرأ الخطاب من فوق المنبر مسلمة بن عقبه المرمى، فكان نصيبه مثلما حدث له أثناء خطبته العتريّة السابقة.

لكن، ما العمل و المنصور يشدّد على واليه فى طلب محمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم؟

هنا يبدأ التنكيل الحقيقى بآل البيت من قبل العباسيين، و يأتى مسلمة بن عقبه المرمى بعبد الله المحض، والد محمد و إبراهيم من سجنه، و كان المنصور قد حبسه بعد قيام ابنه و معارضتهما مبايعه العباسيين، و هدّد مسلمة عبد الله بالويل و الثبور و عظام الأمور إن لم يأت به بانيه.

و يزداد الاضطهاد و التنكيل، فيقبض مسلمة على إبراهيم القمر، و الحسن المثلث أخوى عبد الله المحض، و عمى محمد و إبراهيم و من يناصرهما فى المدينة المنورة «١».

كلّ ذلك يحدث و الأخوان مختفيان.

و حين عرفا ما حلّ بأهلهم، بعث محمد- كما يقول اليعقوبى فى تاريخه «٢»

(١). راجع مقاتل الطالبين: ١٤٠ و ما بعده.

(٢). تاريخ اليعقوبى ٢: ٢٢١.

أهل البيت فى مصر، ص: ٩٨.

و المسعودى فى مروج الذهب و معادن الجواهر «١»- إلى أبيه فى سجنه بمن يشاوره، لكنّ أباه شجّعه على الكفاح و النضال من أجل حقّ آل البيت، هذا رغم ما كان يلاقه الأب و أسرته من اضطهاد و تعذيب.

و هنا بدأ محمد و إبراهيم يعدّان العدة للخروج من دعوتهما السريّة إلى الدعوة العلنيّة، و يستفحل أمرهما، ممّا أزعج المنصور؛ لأنّهما هدّدا أركان الدولة العباسية بأسرها.

و يحجّ المنصور فى سنة ١٤٤ هـ، و يأتى إلى المدينة المنورة، فجاءوا له بالمسجونين من آل البيت؛ لينكل ببعضهم، و يرسل البعض الآخر إلى سجون أخرى، على أفتاب جمال بغير و طاء، جمال بغير سروج و غطاء- كما يقول الطبرى «٢»- و يحبس أغلبهم فى سرايب تحت الأرض، لا يفترقون فيها بين ضياء النهار و سواد الليل.

و يزيد المنصور فى تعذيب كبار آل البيت، حتّى يموت عبد الله المحض و أخواه:

إبراهيم القمر و الحسن المثلث، خنقا داخل السرايب المظلمة.

و كان لا بدّ لمحمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم من الظهور، بعد ما جرى لأهلهم أهل البيت النبوى الكريم.

و فعلا ظهرا علنا فى جمادى الآخرة سنة ١٤٥ هـ- ٧٦٢ م. ظهر محمد النفس الزكية بعد أن بايعه الناس بالإمامة فى مكة و المدينة، أى

الحجاز، و تلقب بأمير المؤمنين. وقد شجعه أيضا على الظهور فتوى الإمام مالك بنقض بيعه المنصور، حين قال لأهل المدينة: «إنما بايعتم مكرهين، وليس على مكره يمين». كما شجع محمدا النفس الزكية و إبراهيم على الظهور تلك الخطابات التي جاءت من الأمصار الإسلامية بتأييد الناس له، و هي خطابات- كما يقول المؤرخون- غالبيتها دسيسه من تدبير الخليفة المنصور و أعوانه؛ لكي يظهر محمد و أخوه و يسهل على العباسيين اصطيادهما.

(١). مروج الذهب ٣: ٣٠٦، ٣١٠.

(٢). تاريخ الطبرى ٦: ١٧٤ حوادث سنة ١٤٤ هـ، و انظر تاريخ الإسلام ٩: ١٨ حوادث سنة ١٤٤ هـ.

أهل البيت فى مصر، ص: ٩٩

يظهر محمد و إبراهيم، و يكون الصراع سافرا بين من لهم الحق، و من اغتصبوا هذا الحق. و يرسل محمد أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته و أخذ البيعة له، و قبلها توجه الاثنان و أشياعهما إلى سجن المدينة، و أخرجوا من لا يزال حيا فيه من آل البيت، كما قبضا على والى المنصور و حبساه. و قيل: إن المنصور حاول أن يقبض على إبراهيم و هو فى طريقه إلى البصرة متخفيا، لكنه- أى المنصور- لم يوفق. و بالفعل وصل إبراهيم إلى البصرة «سرا فى عشرة أنفس» كما يقول الذهبى «١» ... و وجد الأشياع كثيرين، و استولى على دار الإمارة بعد أن هزم والى المنصور هناك، و قد شد من أزره و رحب به فقهاء البصرة و غيرهم من ذوى الجاه و الرأى هناك.

و انضوت الزيدية و المعتزلة تحت لوائه بمعاونة الإمام أبى حنيفة، و راسله سرا. كما سبق أن ذكرنا فتوى الإمام مالك للنفس الزكية. و قد استطاع إبراهيم إدخال أهل واسط و الأهواز و فارس فى دعوته، و حصل منهم على اعتراف بمبايعة أخيه محمد النفس الزكية بالإمامة، بل إن الأخوين- قبل ذلك- أرسلوا إلى الأمصار الإسلامية، و منها مصر التي رحبت بذلك. و يوالى محمد و إبراهيم انتصاراتهما. و بدت الصورة أن الخلافة العباسية أوشكت على زوالها. و لكن الأخبار تصل إلى إبراهيم بمقتل أخيه النفس الزكية فى المدينة المنورة، و قبل عيد الفطر بثلاثة أيام فى عام ١٤٥ الهجرى. فقد أرسل المنصور إلى المدينة بجيش كبير، و حين وجد محمد النفس الزكية أنه لا قبل له بجيش المنصور أشار عليه البعض أن يرحل إلى مصر؛ لأنه سيجد فيها

(١). سير أعلام النبلاء ٦: ٢١٩.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٠٠

أرضا خصبة و قلوبا مفتوحة مرحبة و مشايعة، لكن البعض الآخر رجوه أن يبقى فى المدينة و يصمد، رغم أن المدينة من الناحية الاستراتيجية العسكرية غير صالحة.

و قد انقاد النفس الزكية للرأى الذى غلب ببقائه فى المدينة لحرب قوات المنصور، و كان لا بد مما ليس منه بد، إذ كانت المدينة هى المصيدة بالنسبة لمحمد النفس الزكية الذى هزم و قتل و احتز رأسه.

و فى كتاب «العبر فى خبر من غبر»: «أن محمدا النفس الزكية ظهر فى المدينة المنورة، و خرج فى مائتين و خمسين نفسا بالمدينة، فندب الخليفة المنصور لحربه ابن عمه عيسى بن موسى، يدعوه إلى الإنابة، فلم يسمع، ثم أنذر عيسى أهل المدينة و رغبهم و رهبهم، ثم زحف إلى المدينة فظهر عليها، و قتل محمدا و بعث برأسه إلى المنصور» «١».

وقد أثر في إبراهيم مقتل أخيه. حتى أنه صعد إلى المنبر و نعاه، فأبكى الناس «٢». و يقال: إن إبراهيم جمع حوله مائة ألف محارب، و أنه لو أحكم التخطيط لانهزمت الدولة العباسية. و كان المنصور يستشعر هذا الأمر، فجنّد كلّ القوى ضد إبراهيم، و أرسل إليه المنصور- ابن عمّه- عيسى بن موسى الذي قتل النفس الزكية، بجيش عباسي كبير، فدارت معركة هائلة في «باخمري» «٣»، أو «باغمري»، ما بين واسط و الكوفة، و كادت الهزيمة تلحق بالجيش العباسي، لو لا أنّ عيسى بن موسى ثبت في المعركة، و أبي أن يغادر ساحتها حتى يقتل أو ينتصر. و ما زال الفريقان يقتتلان، حتى بدا أنّ جيش إبراهيم ينهزم، بعد أن تخلى عنه

(١). العبر في خبر من غير: ٢: ١٤٧.

(٢). الكامل في التاريخ ٥: ٥٦٥، و انظر تاريخ الطبري ٦: ٢٥.

(٣). باخمري: موضع بين الكوفة و واسط، و هو إلى الكوفة أقرب، و آياها عنى الشاعر دعبل بن علي بقوله:

و قبر بأرض الجوزجان محلّه و قبر بباخمرا لدى الغربات راجع معجم البلدان ١: ٣١٦.

أهل البيت في مصر، ص: ١٠١

الكثيرون. و مع ذلك فإنّ إبراهيم ثبت في عدد قليل من أنصاره، حتى أصيب بسهم في حلقه، فأنزله و هو يقول: «و كان أمر الله مقدورا، أردنا أمرا و أراد الله غيره».

و بسرعه حمل عيسى بن موسى على إبراهيم و من بقى معه، و كان عددهم سبعين رجلا، فتفرّق عنه حتى أنصاره. و جاء ابن قحطبة- من قواد عيسى بن موسى- فاحتزّ رأس إبراهيم و أرسله للمنصور في يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس و أربعين و مائة.

يقول د. حسن إبراهيم حسن في كتابه «تاريخ الإسلام السياسي»: «كانت هزيمة إبراهيم بسبب تقسيمه جيشه إلى كراديس يقم منها إلى المعركة كردوسا، فإذا انهزم قاد آخر، و هكذا، بمعنى أنّ إبراهيم لم يقاتل بجيشه صفاً واحداً... بالإضافة إلى أنّ الخطّة التي رسمها مع أخيه النفس الزكية في المدينة المنورة لم تنفّذ، و هي خطّة كانت تهدف بدء القتال في المدينة و الكوفة في وقت واحد، و قيل: إنّ تأخر إبراهيم في بدء القتال يرجع إلى مرضه. و قيل أيضاً: إنّ تعجّل أخيه محمد للحرب كان سبب الهزيمة، و لو خرج الأخوان في وقت واحد لحرب قوات المنصور، لتغير وجه التاريخ» «١».

هزّ مقتل سيدى إبراهيم- شهيد باخمري- أركان دولة العباسيين هزاً عنيفاً، و كاد يصدع أركانها، حتى أنّ المؤرّخ الحافظ الذهبي يقول: «إنّ الخليفة العباسي المنصور مكث لا- يقرّ له قرار، فجّهز العساكر، و لم يأو إلى فرش خمسين ليلة، و كلّ يوم يأتيه فتق في ناحية» «٢». و المقصود بالفتق هنا هو الهبات و الثورات على الحكم العباسي.

و يضيف الذهبي عن المنصور العباسي: «... و لو لا السعادة لثلّ عرشه بدون ذلك، فلو هجم إبراهيم بالكوفة لظفر بالمنصور، و لكنّه كان فيه دين- أى إبراهيم- قال:

(١). تاريخ الإسلام السياسي و الدينى و ... ٢: ١٣٧-١٣٨. و يذكر أنّ خروج محمد كان بالمدينة أول رجب سنة ١٤٥ هـ، و كان ظهور

أخيه إبراهيم بالبصرة في أول رمضان من تلك السنة، أى بعد شهرين من ظهور النفس الزكية.

(٢). تاريخ الإسلام ٩: ٣٩ حوادث سنة ١٤٥ هـ.

أهل البيت في مصر، ص: ١٠٢

أخاف إن هاجمتها يستباح الصغير و الكبير، و كان أصحابه يختلفون عليه» «١».

و الواقع أنه من بين أسباب هزيمة إبراهيم - خلافا لما ذكرنا - أن الخليفة المنصور استطاع أن يحتفظ بالكوفة؛ لأنها موقع استراتيجي، و أثناء ثورة إبراهيم ألزم الناس بلبس السواد، و جعل يقتل كل من اتهم بالتعاون و التعاطف مع العلويين، و يحبسه. و لو أن سيدي إبراهيم سيطر على الكوفة بجانب البلدان التي ذكرناها لتغيرت المقادير، خاصّة و أن محمدا النفس الزكية و إبراهيم بعد أن خرجا بعثا بإخوتهما و أبناء عمومتهما إلى الأمصار الإسلامية ليأخذوا البيعة لمحمد.

ففي مصر - كما يقول «ابن ظهيرة» في كتابه «الفضائل الباهرة في محاسن مصر و القاهرة»:- «و في أيام يزيد بن هاشم والى مصر من قبل الخليفة المنصور، ظهرت بمصر دعوة بنى الحسن بن على بن أبى طالب، و تكلم بها الناس، و بايع منهم لبنى الحسن فى الباطن، و ماجت الناس بمصر، و كاد أمر بنى الحسن أن يتم، و البيعة كانت باسم على بن محمد بن عبد الله، أى ابن محمد النفس الزكية أخى إبراهيم، و بينما الناس فى ذلك، قدم يزيد برأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب فى ذى الحجة سنة خمس و أربعين و مائة، فنصب فى المسجد أياما!»

و هذا يعنى أن مصر، كولاية إسلامية، لعبت دورا خطيرا و مرموقا فى هذه الثورة العلوية، بل إن مصر، منذ أيام كربلاء و ربّما قبلها، أيام الخلاف بين على عليه السّلام و معاوية، أعلنت تعاطفها مع آل البيت، و لذلك فليس بغريب أن نجد الكثير من آل بيت النبى صلّى الله عليه و آله مدفونين بمصر.

(١). تاريخ الإسلام ٩: ٤٠ حوادث سنة ١٤٥ هـ، سير أعلام النبلاء ٦: ٢٢٢ رقم ١٠٦ ترجمة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٠٣

١- الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب عليهما السّلام

إشارة

بقلم حنفى المحلاوى د. سعاد ماهر مأمون غريب

أهل البيت فى مصر، ص: ١٠٥

أهل البيت المدفونون فى مصر «١»

إشارة

حنفى المحلاوى من هم آل البيت ... أو آل بيت النبوة؟!

سؤال نردده كثيرا، و فى المناسبات عديدة - و نتناوله فى كثير من الأحوال بالبحث و الدراسة - و قد نعر على الإجابة المطلوبة. إلّا أن البعض منّا يريد تحديدا أكثر لما يسمعه من إجابات، خاصّة حين يأتى الحديث عن آل البيت الذين وفدوا و عاشوا فى مصر حتّى توقّاهم الله تعالى، و تركوا وراء ظهورهم آثارا لا تزال باقية، نستظلّ بها، و نعيش فى رحابها.

و كان علينا أيضا - و نحن بصدد الحديث عن «مقابر» آل البيت و صفاتهم و عملهم و أخلاقهم - أن نردّد هذا التساؤل، و ذلك من أجل إحداث نوع من الربط التاريخى الواجب لما سوف نتلوه من كلمات، و بين ما هو شائع من أقوال و أقاويل عن أهل البيت رضى الله عنهم أجمعين.

و الحديث عن توصيف أهل البيت، و تحديد ماهيتهم بالضبط، قد بدأ يتردد بقوة حين أنزل ربّ العالمين هذه الآية الكريمة: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ**

(١). مقتبس من كتاب مقابر المشاهير من آل البيت، ط. القاهرة ٢٠٠٠ م.

أهل البيت في مصر، ص: ١٠٦

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهَّرُكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ٣٣]. إذ حاول المفسرون تحديد المقصود بأهل البيت الذين جاء ذكرهم بتلك الآية الكريمة، وقد انقسموا إلى فريقين... ما ساهمت الموسوعات العربية في وضع تعريف لهؤلاء القوم الصالحين من أسرة النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقد أخذت هذه الموسوعات في تعريفهم بأكثر الروايات رواجاً في مجال التفسير.

و مما ذكرته تلك الموسوعات القول بأن المقصود بأهل البيت: أسرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؛ تمييزاً عن المهاجرين والأنصار. أما مفسرو أهل السنة- والكلام لا يزال لمؤلف الموسوعة العربية- فيجعلون تسمية أهل البيت تتسع من وجوه شتى، لتشمل فروع بنى هاشم و ما لهم من موال، و على رأسهم أزواج النبي و أبناؤه... و يقول العلويون في تفسير معنى «أهل البيت»... فهم عندهم: على و فاطمة و نسلهما، و هم طاهرون مطهرون (١).

و قد أكدت بعض الأحاديث الشريفة: أن أهل البيت الذين قصدهم رب العالمين في هذه الآية إنما هم زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و أولاده و بناته، خاصة فاطمة رضي الله عنها، و الإمام على و ولده الحسن و الحسين... مصداقاً لما ذكره بعض المفسرين من أنه حين نزلت الآية الكريمة: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ٣٣]. جمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ابنته فاطمة و ولديها الحسن و الحسين، و توجه إلى الله و قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً» (٢).

(١). الموسوعة العربية: حرف الألف.

(٢). حديث الكساء و جمعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أهل بيته: فاطمة و بعلها و بنيتها تحته من الأحاديث المتواترة على ألسنة الحفاظ و أعلام الحديث و فحول الرواية و الفقهاء و المؤرخين، و غير قابل للإنكار و إن اختلفت بعض الألفاظ، و هذا الحديث بهذا اللفظ أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٠: ٢٧٨ برقم ٥٣٩٦ ترجمه عبد الرحمن بن علي المروزي، باسناده إلى أبي سعيد الخدري، و العقيلي المكي في الضعفاء الكبير ٣:

٣٠٤ برقم ١٣١٣ ترجمه عمران بن مسلم الفزارى الأزدي، و علة ضعف سند الحديث بعمران هذا الذي يذكره سبب ضعفه على لسان مجاهد: «رافضي»، ثم قال: و هذا الحديث يروى بإسناد أصلح من هذا. يريد-

أهل البيت في مصر، ص: ١٠٧

أمّا القول بالأغلب و الأعم- و الذي يتمسك به معظم المفسرين، و كتاب السيرة النبوية- فإن المقصود بأهل البيت هم أسرة النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و بناته و أحفاده (١).

و قد حدّثنا كتب السيرة النبوية عن هذه الأسرة الكريمة، سواء فيما يخص زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أو فيما يخص أولاده و بناته و أحفاده من الذين عاصروا أيامه العظيمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أو من الذين لم يعاصروا هذه الأيام الطيبة، كما حدّثنا هذه الكتب نفسها عن أماكن معيشة هؤلاء و أماكن تواجدهم من مولدهم حتى وفاتهم.

و قد اتضح لنا أن غالبية أسرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد عاشت ما بين مكة و المدينة، ثم استقرّ بها المقام نهائياً في مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ التي اختارها بعد هجرته الشريفة... و قد ظلوا يعيشون بالمدينة المنورة حتى توفاهم الله تعالى، و دفنوا جميعاً بأرض البقيع.

و هناك من أحفاد الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من ترك المدينة المنورة متّجهاً إلى العراق، و منهم من اتّجه إلى مصر، و كان توقيت ذلك قد بدا واضحاً بعد مقتل عثمان بن عفان، ثم حدث ما حدث من خلاف بين المسلمين الذين انقسموا بين مؤيدين لعلی

بن أبي طالب، ومؤيدين لمعاوية بن أبي سفيان.

هذا الخلاف كان بداية تفرق أحفاد رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله و تركهم المدينة: إنا إلى العراق حيث الحرب ضد الفتن، و إنا إلى مصر، طلبا للأمان، و فرارا من البطش و العدوان.

ما رواه الترمذى فى السنن ٥: ٣٥١ ب ٣٤ من أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة الأحزاب ح ٣٢٠٥.

و يذكر أن الشاهد الذى يدل على المؤلف يخالف ما ادّعه بأن بعض الأحاديث الشريفه يؤكد أن أهل البيت الذين قصدهم رب العالمين فى الآية إنما هم زوجات النبى و أولاده و بناته، خاصة فاطمة و...!! إذ أن الرواية صريحة بخروج الجميع عدا فاطمة و بعلمها و بنيتها الذين خصّهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالدعاء بالتطهير، و يقويه ما فى ذيل الرواية التى ذكرها من أن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله قالت: أ لست منهم؟ فقال: «إنك لعلى خير أو إلى خير».

(١). لم يزد المؤلف فى هذا القول عمّا ذكره فى قوله السابق، بل قول الأغلب و الأعم من المفسرين و أصحاب السيرة فيتجلى فيما رواه أبو سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله من أن الآية نزلت فى خمسة (لا سبعة و لا أكثر):

«فى و فى على و الحسن و الحسين و فاطمة». راجع كتاب السيدة نفيسة للأستاذ توفيق أبو علم: ٦٩-٧٠ ط. المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ففیه بحث رائع فى هذا النطاق.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٠٨

و ممّا هو ثابت تاريخيا أن أهل البيت من أحفاد النبى صلى الله عليه وآله قد بدءوا يتوافدون على مصر بعد معركة كربلاء.

و كان أشهر من وفد إلى مصر من أحفاد النبى صلى الله عليه وآله، سواء الأحفاد المباشرين أو غير المباشرين: الإمام الحسين رضى الله عنه، و ابنه الإمام زين العابدين، و حفيده الإمام زيد، و الإمام الجعفرى.

و كذلك السيّدات العابدات المؤمنات بالله و بالقدر حلوه و مرّه: السيدة زينب، و السيدة رقية، و السيدة عائشة، و السيدة نفيسة، و السيدة سكينه، و السيدة فاطمة النبوية، و السيدة أم كلثوم رضى الله عنهم أجمعين.

الإمام الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام من هو؟

إنّه الإمام الحسين بن على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى، سيد شباب أهل الجنّة، أبو عبد الله، ربحانة النبى صلى الله عليه وآله و شبيهه.

ولد الإمام الحسين رضى الله عنه فى اليوم الثالث أو الخامس من شهر شعبان «١» عام أربعة من الهجرة، الموافق ٥٦٤ م، و قد أسماه النبى الكريم صلى الله عليه وآله حسينا، فهو و أخوه سيّدا شباب الجنّة، و أمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين بعد السيدة مريم عليها السلام «٢».

(١). يذكر أن ولادته عليه السلام فى الثالث من شعبان بالمدينة المنورة، لكن المشهور أن ولادته كان لخمسة خلون منه. راجع مقاتل الطالبين: ٥١، كشف الغمة للإربلى ٢: ٢١٥، الفصول المهمة: ١٧٠، نور الأبصار: ٢٥٣، أبو الشهداء الحسين بن على للعقاد: ١٤-١٥ ط المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

(٢). و فى السياق أخرج الحاكم النيسابورى فى المستدرک ٣: ١٥٦ بسنده عن عائشة قالت: أن النبى صلى الله عليه وآله قال و هو فى مرضه الذى توفى فيه: «يا فاطمة، ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين، و سيدة نساء هذه الأمة، و سيّدة نساء المؤمنين؟» ثم قال الحاكم: هذا إسناد صحيح.

أهل البيت في مصر، ص: ١٠٩

وَمَّا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي هَذَا السِّيَاقِ أَنَّهُ قَالَ: «هَمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا» (١).
وَعَنْ أَبِي يَعْلَى بْنِ مَرْثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «الْحَسِينُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ...
مِنْ أَحَبِّ الْحَسِينِ أَحَبَّهُ اللَّهُ ... حَسِينٌ سَبَطَ مِنَ الْأَسْبَاطِ» (٢).

وَجَاءَ فِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ عَنْ سَبَبِ تَسْمِيَةِ الْحَسِينِ بْنِ عَلِيٍّ بِهَذَا الْأَسْمِ، قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عَنْ ذَلِكَ: «لَمَّا وُلِدَ
الْحَسَنُ سَمَّيْتَهُ حَرْبًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: «أُرُونِي ابْنِي، مَاذَا سَمَّيْتُمُوهُ؟» قُلْتُ: حَرْبًا! قَالَ: «بَلْ هُوَ حَسَنٌ». فَلَمَّا وُلِدَ
الْحَسِينُ، سَمَّيْتَهُ حَرْبًا! فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: «أُرُونِي ابْنِي، مَاذَا سَمَّيْتُمُوهُ؟» قُلْتُ:
حَرْبًا! فَقَالَ: «بَلْ هُوَ حَسِينٌ» (٣).

كَمَا يَرَوَى فِي هَذَا السِّيَاقِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدِ عَقَّ يَوْمَ سَبْعَةِ بَكْبِشٍ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ وَتَصَدَّقَ بِزَنْتِهِ فَضَةً، وَأَذَّنَ فِي
أُذُنِهِ، وَدَعَا لَهُ (٤).

وَالْإِمَامُ الْحَسِينُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْمُهُ وَذَكَرَهُ مَلَأَ الدُّنْيَا فِي عَصْرِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، فَهُوَ
لِذَلِكَ غَنِيٌّ عَنِ التَّعْرِيفِ بِنَسَبِهِ الشَّرِيفِ، وَمَكَانٌ مِنْ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(١). أخرجه البخاري ٣: ١٣٧١ ب ٢٢ مناقب الحسن والحسين من أبواب فضائل الصحابة ح ٣٥٤٣، وفي ٥:

٢٢٣٤ ب ١٨ رحمة الولد و تقبيله من أبواب كتاب الأدب (٨١) ح ٥٦٤٨ عن عبد الله بن عمر، و أحمد في المسند ٢: ٨٥، ٩٣ عن ابن
عمر، و الطبراني في المعجم الكبير ٣: ١٢٧ برقم ٢٨٨٤ عن ابن عمر.

(٢). أخرجه الإمام أحمد ٤: ١٧٢، و ابن ماجه ١: ٥١ ب ١١ في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله من أبواب المقدمة ح
١٤٤، و الترمذي في السنن ٥: ٦٥٨ ب ٣١ من أبواب المناقب ح ٣٧٧٥، و الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٨١، و الطبراني في الكبير ٣:
٣٢ برقم ٢٥٨٦ و رقم ٢٥٨٩ و فيها: «أحب الله من أحبه...».

كما و رواه ابن الأثير في أسد الغابة ٢: ١٩ ترجمة الحسين بن علي عليهما السلام برقم ١١٧٣، و الحاكم في المستدرک ٣: ١٧٧، و
الأدب المفرد للبخاري: باب معانقة الصبي، و فضائل الخمسة للفيروزآبادي ٣: ٣١٦.

(٣). مسند أحمد ١: ٩٨، ١١٨ بإسناده عن هانئ بن هانئ عن علي عليه السلام. و رواه البيهقي في السنن ٦: ١٦٦ و ٧: ٦٣، و الحاكم
في المستدرک ٣: ١٦٥، ١٨٠ عن هانئ بن هانئ، و رواه الطبرسي في إعلام الوری:

٢٢٥ ف ٣ ذكر بعض خصائصه و مناقبه عليه السلام عن مسند الرضا عليه السلام.

(٤). البداية و النهاية ٨: ١٥٢، مولد العلماء و وفياتهم ١: ١٦٨، إعلام الوری: ٢٢٥، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٥.

أهل البيت في مصر، ص: ١١٠

و لَقَدْ أَصْبَحَ ذَلِكَ الْإِمَامَ الشَّهِيدَ بَعْدَ مَأْسَاءِ كَرْبَلَاءَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ، وَرَمَزَ الْإِيمَانَ وَالْفِدَاءَ، وَمَوْضِعَ الْحَبِّ وَالتَّقْدِيرِ، كَمَا كَانَتْ لِهَذَا
الْإِمَامِ التَّقَى مَنَاقِبَ كَثِيرَةً، كَانَتْ حَدِيثَ الْعَامِ وَالْخَاصِّ فِي حَيَاتِهِ، وَقَدْ خَلَّدَهَا التَّارِيخُ فَوْقَ صَفْحَاتِهِ؛ إِذْ كَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصُّوْمِ وَ
الصَّدَقَةِ وَالحَجِّ وَأَفْعَالَ الْخَيْرِ جَمِيعًا.

أَمَّا بِخُصُوصِ حَادِثِ مَقْتَلِهِ فِي كَرْبَلَاءَ فَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْهَا التَّارِيخُ طَوِيلًا، وَذَكَرَهَا الْعَشْرَاتُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ «١» ... وَتَلَخَّصَ وَقَائِعَهَا فِيمَا
سَوْفَ نَرَوِيهِ مُخْتَصَرًا، وَقَدْ نَقَلْنَاهُ مِنْ مَصَادِرٍ عَدِيدَةٍ، إِذْ لَيْسَ مِنْ هَدَفِنَا فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ سَرْدُ تِلْكَ الْوَقَائِعِ بِالتَّفْصِيلِ التَّارِيخِيِّ، إِلَّا
بِالْقَدْرِ الَّذِي يَخْدُمُ مَوْضِعَنَا الْأَسَاسِيَّ، وَهُوَ الْحَدِيثُ عَنِ الضَّرِيحِ الَّذِي أَقِيمَ لَهُ بِالْقَاهِرَةِ مِنْ بَعْدِ وَصُولِ رَأْسِهِ الشَّرِيفِ بَعْدَ مَقْتَلِهِ فِي
كَرْبَلَاءَ، وَقَدْ دَفِنَ جَسَدُهُ وَفَقَّ الْإِجْمَاعُ فِي مَدِينَةِ كَرْبَلَاءَ، مِنْ بَعْدِ الشَّهَادَةِ مَبَاشَرَةً.

و لقد صور العديد من المؤرخين المسلمين الأوائل هذه المأساة تصويرا بليغا، كما عتبروا من خلال كلماتهم عمّا كان يمرّ به العالم الإسلامي آنذاك من مشاكل، أودت بحياة العديد من آل بيت النبوة.

و ممّا ذكره العلامة محمد بن علي طباطبا المعروف باسم «الطقطقي» عن هذه المأساة قوله: «هذه قضية لا- أحبّ بسط القول فيها؛ استعظاما لها و استفظاعا، فإنّها قضية لم يجر في الإسلام أعظم منها ... و لعمرى إنّ قتل أمير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى، و لكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع و السبى و التمثيل ما تشعّر له الجلود، و اكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها، فإنّها شرّ الطامات. فلعن الله كلّ من باشرها و أمر بها و رضى بشيء منها، و لا تقبل الله منه صرفا و لا عدلا، و جعله

(١). انظر: اليعقوبى ٢: ٢٤١-٢٤٧، و المسعودى ٣: ٦٤-٧٤، و الدولابى: ١١٩-١٢١، و أبو الفرج الاصفهاني: ٥١-٨١، و الخطيب ١: ١٤١-١٤٤، و المقدسى ٦: ١٠-١٣، و ابن عساكر ١٤: ١١١-١١٠، و الذهبي: ٩٣-١٠٨ حوادث سنة ٦١هـ، و ابن كثير ٨: ١٤٩-٢١١، و العاصمى فى سمط النجوم ٣: ١٦١-١٩٨ و غيرهم.

أهل البيت فى مصر، ص: ١١١

من الخاسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا». فى طبقاته، الجزء الأول. و تعود قصة كربلاء و مأساتها التى انتهت بمقتل الإمام الحسين إلى عام ٦٠هـ، و ذلك بعد تولّى يزيد بن معاوية الحكم بعد وفاة والده معاوية فى العام نفسه، و قد أراد يزيد أن يأخذ البيعة بتوليته خلافة المسلمين- بدلا من والده- من الإمام الحسين رضى الله عنه، فأرسل بذلك إلى أميره على المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان.

و فى لقاء الوليد مع الإمام الحسين لأخذ تلك البيعة رفض الإمام ذلك، و أصرّ على أن تكون البيعة عامة، و ليست قاصرة عليه وحده! و من ثم ترك الإمام الحسين المدينة و أقام فى مكة قرابة شهرين بعيدا عن هذه الأجواء، و قد أخذ معه أهله و إخوته و بنى أخيه. فى هذا الوقت، علم أهل الكوفة بوفاء معاوية و بتولّى يزيد ابنه الخلافة مكانه، فرفضوا هذا الأمر، و كتبوا إلى الحسين بن على رضى الله عنه؛ لكى يكون هو إمامهم بدلا من يزيد، و أخذوا يرسلون له الرسائل بهذا المعنى، فما كان من الإمام الحسين إلّا أن أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبى طالب برسائل إلى هؤلاء الشيعة؛ ليعرف منهم موقفهم هناك، فسافر مسلم بن عقيل إلى الكوفة، و اجتمع بهؤلاء المتشيعين للإمام الحسين، و أثناء وجوده هناك علم بذلك يزيد بن معاوية فأمر والى البصرة- و هو من أتباعه- أن يتعقب رسول الإمام الحسين و يضرب عنقه و عنق من كانوا معه.

و بالفعل حدث ذلك، و قد أرسل والى البصرة رءوس هؤلاء إلى يزيد فى دمشق، و ذكر ابن كثير: أن عدد الذين بايعوا الحسين بالكوفة بلغ حوالى ثمانية عشر ألفا «١»، أما ابن قتيبة فذكر أنّهم ثلاثون ألفا، كما ذكر أن الذين كانوا مع رسول الإمام الحسين ثمانين رجلا! «٢».

(١). البداية و النهاية ٨: ١٥٤.

(٢). تاريخ الخلفاء ٢: ٨.

أهل البيت فى مصر، ص: ١١٢

و فى اليوم الثامن من ذى الحجة من العام نفسه قرّر الإمام الحسين الزحف ناحية الكوفة، و قد شدّ من أزره آنذاك أهل مسلم بن عقيل للأخذ بثأره ممّن قتله، و قد قيل كلام كثير عن تلك التحذيرات التى لم يأخذ بها الإمام الحسين، حيث مضى إلى الكوفة لملاقاة جيش يزيد بن معاوية هناك.

و فى كربلاء دارت معركة حامية، شارك فيها أكثر من ألف فارس من أتباع عبيد الله بن زياد والى البصرة و مبعوث يزيد بن معاوية،

ثم انضم إليه بعد ذلك أربعة آلاف مقاتل آخرون.

و خلال ساعات استشهاد كل أتباع و أصحاب الإمام الحسين، و ظلّ هو يحارب وحده حتّى مات شهيدا فى كربلاء عام ٦١ هـ الموافق ٦٨٠ م، و قد عرفت باسم موقعة «الطف» الواقعة بجوار مدينة كربلاء.

و تقول الدكتورة سعاد ماهر أستاذ الآثار: «إنّه يكاد يكون هناك إجماع بين المؤرخين و كتاب السير على أنّ جسد الإمام الحسين - بالفعل - مدفون هناك بكربلاء و قد جاء فى كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد «١» بشأن ذلك أنّه بعد أن احتزت الرأس و أخذت إلى ابن زياد بالكوفة، خرج قوم من بنى أسد كانوا نزولا بالغازية إلى الحسين و أصحابه فصلّوا عليهم، و دفنوا الحسين حيث قبره الآن بكربلاء، كما دفنوا ابنه عليا عند رجليه، و حفروا للشهداء من أهل بيته و أصحابه حوله، كما دفنوا العباس بن علي فى الموضع الذى قتل فيه على طريق الغازية حيث قبره الآن...» «٢».

(١). الشيخ المفيد هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، المعروف بابن المعلم، أحد مشاهير فقهاء الإمامية، و من أجله متكلمها، انتهت إليه رئاسة الإمامية فى وقته، كان مقدّما فى العلم و صناعة الكلام، له ما يقارب من مائتى مصنف، ولد سنة ٣٣٨ هـ و قيل: ٣٣٦، و توفى سنة ٤١٣ هـ و دفن بداره سنين، ثم نقل إلى مقابر قريش. (فهرست الشيخ الطوسى: ١٨٦، ١٨٧، رجال النجاشى: ٣٩٩ رقم ١٠٦٧).

(٢). مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ١: ١٦٤.

اهل البيت فى مصر، ص: ١١٣

أمّا عن رأس الحسين - و التى ارتبطت بضريحه الموجود الآن بالقاهرة - فقد كثرت فيه الأقوال و تضاربت الآراء «١»، و اختلفت الروايات و كتب السيرة فى تحديد مكان تواجد... و لسوف نسوق بعض هذه الأماكن التى ذكرت فى هذا السياق، ثم نتوقف كثيرا أمام قبره و ضريحه الموجود الآن بالقاهرة بحى الحسين، و المجاور للأزهر الشريف. و ممّا قيل عن ذلك: إنّ رأس الحسين رضى الله عنه قد دفنت فى عدة أماكن قبل مقدمها إلى القاهرة. و قد ذكر ذلك كل من الأثرى حسن عبد الوهاب، و الدكتورة سعاد ماهر، و آخريين.

و من الأماكن التى ذكرت بخصوص رأس الحسين: أنّها دفنت مع جسده فى كربلاء، إذ أنّه أعيد إلى جسده الطاهر بعد أربعين يوما من موته، ثم قيل: إنّ دفن فى المدينة المنورة. و قد ذكر ذلك ابن سعد فى طبقاته و البخارى فى تاريخه، حيث ذكرا: أنّ رأس الحسين حمل إلى المدينة و دفن بها فى البقيع عند قبر أمه رضى الله عنها.

أمّا طائفة الشيعة الإسماعيلية فقد ذكروا: أنّ رأس الإمام الحسين تمّ دفنها فى مدينة دمشق و جاء فى المقرئى «٢»: «مكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام، ثم أنزل فى خزائن السلاح حتّى ولى سليمان بن عبد الملك، فبعث فجاء به و قد صار عظما أبيض، فجعله فى سفت، و طيّبه و جعل عليه ثوبا و دفنه فى مقابر المسلمين».

كما أنّ هناك أقوالا - أخرى ضعيفة تقول بوجود الرأس فى «حلب»، و أنّ الرأس مدفون فى حلب فى وسط جبل جوشن، و قد بنى عليه الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين، و لكنّه لم يذكر متى و كيف جىء بالرأس الشريف إلى هناك!؟

(١). ذكر الشبلنجى الشافعى هذه الآراء ضمن فصل أسماه «فصل: اختلفوا فى رأس الحسين» من كتابه نور الأبصار: ٢٦٩.

(٢). المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار ٢: ٣٢٨.

اهل البيت فى مصر، ص: ١١٤

ثم قالوا: إنّ رأس الإمام الحسين قد دفن أيضا فى مدينة «مرو» بأرض خراسان، و كذلك فى مدينة «عسقلان» بأرض الشام... و منها

نقل إلى مصر حيث دفن في مقامه الموجود حالياً.

وقد أيد رواية الرأس الشريف بعسقلان ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرخين والرواة، منهم: ابن ميسر، والقلقشندي، و ابن إياس، و سبط ابن الجوزي.

المرقد الحسيني

إشارة

الدكتورة سعاد ماهر في العصر الأيوبي أنشأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكري المعروف بالزرزور! منارة على باب المشهد سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م). وهي منارة مليئة بالزخارف الجصية والنقوش البديعة، وهي تعلو الباب الأخضر، وقد تهدم معظمها، ولم يبق منها إلا القاعدة المربعة، وعليها لوحتان تأسيسيتان، ونصّ الأولى: «الشيخ الصالح المرحوم أبو القاسم بن يحيى المعروف بالزرزور ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه، و كان تمامها على يدي ولده محمد سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة عفا الله عنه». ونصّ الثانية: «بسم الله الرحمن الرحيم الذي أوصى بإنشاء هذه المئذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقرباً إلى الله، و رفعاً لمنار الإسلام، الحاج إلى بيت الله أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكري المعروف بالزرزور، تقبل الله منه، و كان المباشرة بعمارته ولده لصلبه الأصغر، الذي أنفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجاً عما أوصى به والده المذكور، و كان فراغها في شهر شوال سنة أربع و ثلاثين و ستمائة». وقد احترق هذا المشهد في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب «١» سنة ٦٤٠ هـ.

(١). هو أبو الفتوح نجم الدين أيوب بن محمد بن أبي بكر، من كبار الملوك الأيوبيين بمصر، ولد سنة -

أهل البيت في مصر، ص: ١٢٢

و كان سبب الحريق كما يرويه المقريزي و أبو المحاسن: «أن أحد خزّان الشمع دخل ليأخذ شيئاً فسقطت منه شعله، فوقف الأمير جمال الدين نائب الملك الصالح بنفسه حتى طفي».

و قد قام بترميمه بعد هذا الحريق القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني و وسعه، و ألحق به ساقية و ميضأة، و وقف عليه أراضي خارج الحسينية قريب الخندق «١».

و في العصر المملوكي سنة اثنتين و ستين و ستمائة، رفع إلى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس قضية موضوعها: أن مسجداً على باب مشهد الحسين رضي الله عنه و إلى جانب مكان من حقوق القصر، بيع و حمل ثمنه للديوان و هو ستة آلاف درهم، فأمر السلطان بردّ الدراهم و أبقى الجميع للمسجد، فأتسع نطاقه و زاد رونقا و بهاء بما صرفه عليه من تلك الأموال.

و في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون أمر بتوسيع المسجد، و ذلك ببناء إيوان و بيوت للفقهاء العلوية، و كان ذلك عام أربعة و ثمانين و ستمائة.

و في العصر العثماني أمر السلطان سليمان خان بتوسيع المسجد، و ذلك لما رآه من الإقبال العظيم من المصلين و الزائرين، كذلك عنى الوالي العثماني السيد محمد باشا الشريف الذي ولي مصر في سنة ١٠٠٤ هـ إلى سنة ١٠٠٦ هـ، بترميم المشهد و إصلاح زخارفه، أمّا الأمير حسن كتخدا الجلفي فإنه وسّع المشهد، و زاد في مساحته، و صنع له تابوتا من أبنوس مطّعم بالصدف و العاج، و جعل عليه ستراً من الحرير المزركش، نقله إليه في احتفال كبير.

و يصف الجبرتي ذلك الاحتفال فيقول: «لما تمّموا صناعته، وضعوه على قفص

٦٠٣ هـ، بالقاهرة، ونشأ بها، ولى بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٣٧ هـ، و ضبط الدولة بحزم، عمر مصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب، مات سنة ٦٤٧ هـ بناحية المنصورة بمرض السل، فنقل إلى القاهرة و دفن فيها. (الأعلام ٢: ٣٨، مرآة الزمان ٨: ٧٧٥).

(١). الحسينية: اسم حتى من الأحياء الشعبية التي تقع خارج القاهرة.

أهل البيت في مصر، ص: ١٢٣

من جريد و حمله أربعة رجال، و على جوانبه الأربعة أربعة عساكر من الفضة المطلية بالذهب، و مشت أمامه طائفة الرفاعية بطولهم و أعلامهم و بين أيديهم المباخر...، حتى وصلوا المشهد الشريف و وضعوا ذلك الستر على المقام» (١).

و أما الأمير عبد الرحمن كتحدا فقد قام بإصلاحات كثيرة، ففي سنة ١١٧٥ هـ أعاد بناء المسجد، و عمل به صهريجا و حنيفة بفسحة، و أضاف إليه إيوانين، كما رتب لسدنته و القائمين عليه مرتبات كثيرة ظل معمولا بها حتى سنة ١٢٠٦ هـ، حيث أصبحت أوقاف المسجد تحت نظارة السيد محمد أبي الأنوار الوفائي، فألحق بالمسجد ضررا كبيرا.

و يقول الجبرتي في ترجمة المذكور: «إن أبا الأنوار كان له دار بجوار المسجد، و لوجودها قبالة الميضاة و المراحيض كان يتضرر من سكانها، فعزم على إبطال دورة المياه من تلك الجهة، فاشترى دارا قبلي المسجد و أدخل فيها جانبا فيه بمقدار باكية، و رفعها درجة؛ ليميز الحديث من العتيق، و جعل به محرابا، و أنشأ فيما بقي من الدار الميضاة و المراحيض، و فتح لها بابا من داخل المسجد، و أبطل الدورة القديمة لانحراف مزاجه منها، و تأذيه من رائحتها» (٢).

و تحوّل عبور الناس إلى الميضاة الحديثة من المسجد، و لم تمض أيام قلائل حتى أضرت الروائح الكريهة بمن في المسجد من المصلين و الزائرين، و ظهرت بالمسجد أقدار البلبل من أرجل الأوباش لقربها منه، فغلظ الناس و شنوا القالة، و لم يحضر من أوقات الصلاة من أتراك خان الخليلي و التجار أحد. ثم قاموا قومه واحدة و أغلقوا الباب، و أبطلوا تلك الميضاة و المراحيض الحديثة بالقوة، و منعوا الناس من الدخول، و ساعدهم المنصفون من أجناسهم، فاضطر أبو الأنوار - كما

(١). تاريخ عجائب الآثار ١: ١٧٠ حوادث سنة ١١٤٠ هـ.

(٢). المصدر السابق ٢: ١٣٩ حوادث سنة ١٢٠٦ هـ.

أهل البيت في مصر، ص: ١٢٤

يقول الجبرتي - إلى إعادة الميضاة القديمة كما كانت، و جعل الحديثه مربطا للحمير! يستغل أجرته بعد أن أزال أثرها.

و لما قدم السلطان عبد العزيز ١٢٧٩ هـ و زار المقام الحسيني الشريف، أمر الخديوي إسماعيل بعمارة و تشييده على أتم شكل و أحسن نظام، و قد استغرقت هذه العملية عشر سنوات؛ إذ تمت سنة ١٢٩٠ هـ. و قد أسهب على مبارك في خطه في وصف الإنشاءات التي قام بها الخديوي إسماعيل، و لم يذكر أنها تنفيذ لأمر السلطان عبد العزيز، فقد قال: «و فرش بالفرش النفيسة، و تنويره بالشموع و الزيوت الطيبة و الأنفاس الغازية في قناديل البلور، و رتبوا له فوق الكفاية من الأئمة و المؤذنين و المبلغين و البوابين و الفرّاشين و الكتّاسين و الوقّادين و السقّائين و نحو ذلك، و وقفوا عليه أوقافا جمّة يبلغ إيرادها نحو الألف جنيه».

و في بيان مدى الاهتمام بالمسجد الشريف، يقول: «لما رأى أهميّة و ازدحام الناس عليه و ضيقه؛ لأنّ أرباب مظاهر الدين يسعون من كلّ فجّ على العربات و الخيل و البغال و الحمير، حتى تزدحم أبوابه و طرقة، فيضّر ذلك بالمازّة، خصوصا في المواسم، ففتح بجواره سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) شارع السكة الجديدة حتى وصل إلى تلّول البرقية».

و كان على مبارك هو الذي قام بعملية الرسم، إذ يقول: «و ندبني لعمل و رسم للجامع يكون به وافيا بمقصده الحسن، فبدلت الهمة في ذلك، و عملت له الرسم اللائق بعظم شأنه، بحيث لو وضع عليه لكان مبرّا من العيوب، مع الاتساع العظيم داخلا و خارجا، إذ

جعلته منفصلا من كل جهة عن المساكن بشوارع و ميادين رحبية، و جعلت شكله قائم الزوايا، و جعلت حدّه الأيمن بحذاء جدار القبّة الأيسر بالنسبة للمصلّى فيها، بحيث يكون الجداران واحدا، و حدّه الأيسر نهاية الحدّ الأيسر للصحن الذى به الحنفية الآن، و يصير هذا الصحن من ضمن الجامع، و حدّه
أهل البيت فى مصر، ص: ١٢٥

الذى به المحراب و المنبر يكون بحذاء جدار القبّة الذى به محرابها، بحيث يكون الجداران واحدا، و الحدّ الرابع الذى يلي خان الخليلى هو الذى له الآن، و جعلت الصحن و الحنفية عن يمين الجدار الأيمن، أعنى فى محلّ الإيوان القديم بجوار عمارة العنانى، و تكون عن يمين ذلك المطهرة و الساقية بحيث يؤخذ لها بعض من عمارة العنانى، فيكون الجامع آمنا من انعكاس الروائح إليه. و فى الرسم صار الضريح الشريف خارجا من الجامع فى الزاوية التى عن يمين المحراب، داخلا فى الصحن من جهته اليسرى، و جعلت للضريح بابا إلى الجامع، و بابا إلى الصحن، و بابا إلى شارع الباب الأخضر لزيارة النساء، و جعلت سعة الشارع فى غربته و شرقته نحو ثلاثين مترا، و فى بحرته نحو أربعين».

أما الذى قام بتنفيذ المشروع فكان راتب باشا، إذ كان ناظر الأوقاف يومئذ، فقد تسارع فى بناء المسجد جميعه ما عدا القبّة و الضريح الشريف، و تمّ البناء سنة ١٢٩٠ هـ، أما المنارة فقد تمّت سنة ١٢٩٥ هـ.

غير أن راتب باشا لم يلتزم برسم على مبارك، و لذلك فإنه انتقده نقدا لاذعا- و هو محقّ فى ذلك- يقول: «إن راتب باشا بنى الجامع غير قائم الزوايا، فإنّ ضلعه الأيمن قصير عن ضلعه الأيسر، و كذا الضلعان الآخران غير متساويين، بحيث أوجب ذلك وضع الأساطين منحرفة، بحيث لو وافقتها صفوف المصلّين كما هو العادة لانحرفوا عن القبلة، و لو سامتوا القبلة كما هو المطلوب لقطعوا صفوف الأساطين، و صار الجامع مع سعته و ارتفاعه غير مستوف لحقه من النور و الهواء؛ لسوء رسم الأبواب و الشبايك، و عدم أخذها حقّها من الارتفاع و الاتساع مع قلّتها و قلّة الملاقف».

و قد تكلفت هذه العمارة- على حدّ قول على مبارك- تسعا و سبعين ألف جنيه صرفت من خزينة الأوقاف، هذا عدا ما تبرّع به الأمراء و عليّة القوم، فقد أحضرت له
أهل البيت فى مصر، ص: ١٢٦

العمد الرخام من القسطنطينية، و ثلاثة أبواب مبنية من الرخام الأبيض جهة خان الخليلى، و مثلها الباب الأخضر الذى بجوار القبّة، و بالجامع منبر خشبى بديع مطلّى بطلاء مذهب، و هو فى الأصل منبر جامع «أزبك» الذى كان عند العتبة الخضراء، فلما تخرب المسجد نقل إلى مشهد الحسين، و فى مؤخره المسجد دكّه تبليغ كبيرة، أما صحن الجامع فيحتوى على أربعة و أربعين عمودا عليها بوائك حاملة للسقف، و هو من الخشب المطلّى بزخارف نباتية و هندسية متعدّدة الألوان، و مذهبه غاية فى الدقّة و الإبداع، و فى وسط السقف ثلاثة مناور مرتفعة مسقوفة كذلك، و بجدران المسجد الأربعة يوجد ثلاثون شباكاً كبيراً من النحاس المطلّى بالذهب، و يعلوها شبايك أخرى صغيرة دوائرها من الرخام.

و للمسجد مثذنتان: إحداها قصيرة و قديمة، و هى التى بناها أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) فوق القبّة- كما سبق أن أشرنا- و قد طوّقتها لجنة حفظ الآثار بحزامين من الحديد محافظة على بقائها. أما المثذنة الثانية فتقع فى مؤخر المسجد، و هى مرتفعة و رشيقة على الطراز العثمانى الذى يشبه المسلّة أو القلم الرصاص، و عليها لوحان بخطّ السلطان عبد المجيد خان، كتبهما سنة ١٢٦٦ هـ، بأحدهما سورة الأنعام الآية (٩٠): «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَشْكُرُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ».

و الآخر: «أحبّ أهل بيتى إلىّ: الحسن و الحسين» «١».

كذلك فرشت أرضية مصلّى الباب الأخضر بالسجاد و البسط التركيه، و بشرقى المسجد باب موصل إلى قاعة الآثار النبوية، التى

أنشأها عباس حلمى الثانى سنة ١٣١١ هـ بعد أن بقيت هذه الآثار ست سنوات محفوظة فى الدولاب الجميل الذى

(١). أخرجه الذهبى فى ميزان الاعتدال ٤: ٤٦١ برقم ٩٨٥٥ عن أنس، و المتقى الهندى فى كنز العمال ١٢: ١١٦ برقم ٣٤٢٦٥ و عزاه إلى الترمذى عن أنس.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٢٧

صنع سنة ١٣٠٥ هـ فى الطرف الجنوبى للجدار الشرقى للمسجد، و هى قاعة متسعة الأرجاء، مفروشة بالسجاد الدقيق الصنع، المستورد من إيران و تركيا، تضاء بالمصاييح و الثريات البلورية النادرة، و قد كسيت جدرانها بالرخام (المجزع) و بها محراب صغير، و سقفها من الخشب المنقوش، و نوافذها من الجص المخزم و المعشق بالزجاج الملون.

أمّا دولاب الآثار الشريفة فقد وضع فى الجهة القبلىة من القاعة، و هو عبارة عن فجوة كبيرة فى الجدار، قوى ظهرها بقضبان من الحديد، و قد كسيت جدرانها و أرضيتها و سقفها بالجوخ «١» الأخضر، و فى سطحها لوح من الزجاج لتوضع فوقه باقى الأمانات، و قد عمل لهذه الفجوة باب من خشب الجوز المطعم بالعاج و الصدف و الآبنوس، و كتب بأعلاه بأحرف من العاج: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا [النساء: ٥٨].

و للقاعة الشريفة بابان: أحدهما إلى المسجد، و الآخر يؤدى إلى القبّة. و قد كتب على جدران الغرفة من الداخل على الرخام البسمله و سورة ألم نَشْرُخُ و بعد ذلك النصّ الآتى: «ذكر ما هو محفوظ بهذه الخزانة المباركة من آثار المصطفى صلى الله عليه و آله و آثار خلفائه رضى الله عنهم أجمعين. تشتمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف، و مكحلة و مروود، و قطعة من القضيبي، و شعرتين من اللحية الشريفة. و بها أيضا مصحفان كريمان بالخط الكوفى، أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه، و الآخر بخط سيدنا الإمام على كرم الله وجهه. ذكر ما تركه رسول الله صلى الله عليه و آله يوم وفاته ثوبا حبرة و إزار عمانى، و ثوبان صحاريان، و قميص صحارى، و قميص سحولى، و سراويل، و جبّة يمينية، و خميصه، و كساء أبيض، و قلانس، و فدك، و ثلث أرض وادى القرى، و سهم و خمس أرض خبير، و حصته من أرض بنى النضير».

(١). الجوخ: نسيج من الصوف، فارسيه، و القطعة منه جوخة.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٢٨

أمّا فى عهد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م، فقد عنيت عناية خاصة بتجديد مسجد الحسين و زيادة مساحته، و فرشته و إضاءته، حتى يتسع لزاريه و المصلين به.

فقد كان المسجد القديم يضيق بهم، و خاصة فى المواسم و الأعياد، فزيدت مساحته حتى بلغت ٣٣٤٠ متر مربع، بعد أن كانت مساحته ١٥٠٠ متر مربع، أى بإضافه ١٨٤٠ متر مربع إليه، و قد أخذت أبعاد الأروقة و قطاعات العقود، و كذا النوافذ و الأبواب التى استجدت من الطبيعة حتى جاءت التوسعة كامتداد طبيعى للمسجد القديم.

و قد روعى كذلك أن تكون المباني مشابهة للقديم، و من نفس الخامات بقدر الإمكان، فقد بنيت الجدران التى يبلغ سمكها ٨٠ سم من الحجر المتخلف (من المباني القديمة) من الخارج و الآخر من الداخل، كما كسيت الحوائط من الداخل بمئونة الحجر الصناعى حتى تكون مضاهية للحوائط القديمة.

و قد أضيف للمسجد مبنى مكوّن من دورين، خاصا بإدارة المسجد، يقع فى الجهة الشرقية منه بجوار غرفة المخلفات، كما أنشئت مكتبة خاصة بالمسجد تبلغ مساحتها ١٤٤ متر مربع فى الجهة الشرقية أيضا، على امتداد القبّة و المصلّى الخاص بالنساء.

و لما كانت الواجهة الرئيسية للمسجد القديم - و هى الواجهة القبلىة - ليست على استقامة واحدة، فقد أضيف إليها مثلث فى الطرف

الجنوبي الشرقي مساحته ٣٥ مترا مربعا، فجاءت الواجهة الرئيسية على استقامة واحدة، وبدأت هذه التجديدات سنة ١٩٥٩ م، و تمت سنة ١٩٦٣ م، و بلغت جملة تكاليفها ٨٣ ألف جنيه، هذا بالإضافة إلى السجاد اليدوي الذي صنع خصيصا بمدينة المحلة الكبرى، و الذي بلغت تكاليفه ما يقرب من ٤٠ ألف جنيه.

هذا و قد اعتمدت وزارة الأوقاف مبلغ ٤٠ ألف جنيه لإقامة واجهة جديدة تتقدم الواجهة القديمة، تليق و صاحب المقام، خاصة بعد أن أزيلت كل المباني التي كانت تحجبه عن الميدان الذي خطط خصيصا من أجله، و سيكون طول هذه الواجهة ٤٥ مترا و عرضها ٨ أمتار، و روعي في الواجهة الجديدة أن تكون أقصر

أهل البيت في مصر، ص: ١٢٩

من القديمة، حتى تظهر شرفات الواجهة القديمة.

و قد صممت هذه الواجهة بحيث جاءت آية في الدقة و الإبداع، و تتكوّن الواجهة من حائط تزخره سبعة عقود مدببة، يرتكز كل منها على عمودين من الرخام، و يحيط بهذه العقود شريط من الزخارف الجصية البديعة، و يستعمل ثلاثة من هذه العقود كأبواب، أما الأربعة الباقية فهي نوافذ مملوءة بالرنز المخزّم، و كذا النصف العلوي من الأبواب، و تتدلّى من الحوائط المحصورة بين العقود مشكاوات بديعة التصميم، و يعلو كل منها دائرة من الزخارف الجصية في توازن و تماثل محكم.

و ستقام مئذنة في الطرف الجنوبي الشرقي، مماثلة للمئذنة الموجودة في الطرف الجنوبي الغربي و من نفس الطراز. كما صنع منبر جديد للمسجد من الخشب العزيرى و الجوز التركي و الزان، و يتكوّن من حشوات مجمعة و مطعمة بالصدف و العاج و الآبنوس، و قد بلغت تكاليفه ١٥٠٠ جنيه. و رصدت الوزارة كذلك مبلغ ٥٠ ألف جنيه لإقامة دورة مياه جديدة تقع في الجهة البحرية من المسجد. و قد أهدت «طائفة البهرة» مقصورة من الفضة كتب عليها «بسم الله الرحمن الرحيم» و رصّعت بفصوص من الماس، و ذلك سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

القبة:

يقول الأستاذ «كرزويل» الذي قام بالكشف على المشهد من الناحية المعمارية:

إنّ القبة كلّها ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر فيما عدا الضريح الشريف، و هذا يؤيد ما ذهب إليه «الجبرتي» و «على باشا مبارك»، فقد ذكر: أنّ عبد الرحمن كتحدا أعاد بناء الضريح الشريف سنة ١١٧٥ هـ كما هو ثابت على العتب الرخامي و نصّه:

مسجد للحسين أصل المعالي لا يضاهيه في البقاع علا

فيه فضل الرحمن للبعد نادى زر و أرّخ لك الهنا و الرضا

أهل البيت في مصر، ص: ١٣٠

و القبة ليست مربعة تماما، و لكنّها تميل إلى الاستطالة قليلا، و لذلك فقد كانت هناك صعوبة في إقامتها، أمكن التغلب عليها بفتح نافذة ذات ثلاث فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة في أركان الضلع القصير، و نافذة ذات ستّ فتحات بين المثلثات الكروية الموجودة في أركان الضلع الطويل. و قد غطيت فتحات النوافذ بجصّ مخزّم و معشّق بزجاج ملون، و تتكوّن زخارف النوافذ الجصية من كتابات نسخية كلّها آيات قرآنية و أحاديث نبوية. أما القبة فإنّها ترتكز على عقود نصف دائرية و مقرنصات في الأركان شبه دائرية، و كل هذه الأجزاء مزخرفة بنقوش زيتية غاية في الدقة، تشبه إلى حدّ كبير تلك النقوش التي عملها «على بك الكبير» في قبة الإمام الشافعي، فهي بذلك عثمانية الطراز، و فوق المحراب نقش قصيدة بماء الذهب كتبها الخطاط البلخي سنة ١١٨٧ هـ، و مطلع القصيدة:

ألا إن تقوى الله خير البضائع و من لازم التقوى فليس بضائع كما نجد نفس التاريخ منقوشا على الشريط الذى يحيط بقاعدة القبّة، و معنى ذلك: أنّ هذه الزخارف عملت بعد اثنتى عشرة سنة من العمارة التى قام بها عبد الرحمن كتحدا. على أنّ أقدم أجزاء الضريح هو الباب الذى يعرف بالباب الأخضر، و يقع بالقرب من الركن الجنوبي للضريح، و بالركن الجنوبي الغربى بالنسبة لجدار القبّة، و هو عبارة عن حائط طوله ٩٢/٤ متر و ارتفاعه ٨٥/٥ متر، تخترقه بوابه مستطيلة الشكل عرضها ٨٩/١ و ارتفاعها ٣٣/٢ متر. و يعلو البوابة عقد عاتق به حنية، بداخلها دائرة مفرغة بزخارف دقيقة، و تعلوها بقايا شرافات جميلة، و تشبه هذه البوابة و زخارفها باب جامع الأقمر «١».

و لذا فإنّ «كرزويل» يرجع هذا الجزء إلى آخر العصر الفاطمى، و معنى ذلك: أنّ

(١). مسجد من المساجد الفاطمية، جدّته طائفة البهرة.

اهل البيت في مصر، ص: ١٣١

هذا الجزء يرجع تاريخه إلى تاريخ مجيء الرأس الشريف إلى مصر تقريبا، و قد عرف هذا الباب باسم «المحسنين» كما ورد فى خريطة الحملة الفرنسية، أمّا الآن فإنّه يعرف بالباب الأخضر. و فوق هذا الباب توجد مئذنة قصيرة ترجع إلى العصر الأيوبي، فقد ثبت عليها لوحة تذكارية مؤرخة ٦٣٤ هـ، و سبقت الإشارة إليها، و المئذنة مبنية بالأجر، و تتكوّن من مربع طول ضلعه ٥٠/٢ متر، و ارتفاعه ٧٦/١٢ مترا ينتهى بقاعدة مئذنة الشكل، تقوم عليها الدورة الثانية للمئذنة، و هى مئذنة الشكل، و ارتفاعها ٥٠/٢ متر، و فى كلّ وجه من أوجه المئذنة توجد فتحة طويلة، و يعلو هذه الدورة رقبة مئذنة تعلوها قبة مصلّعة يبلغ ارتفاعها مع الرقبة ٣٠/٢ متر، و على ذلك يكون ارتفاع المئذنة كلّها ١٧/٥ متر.

أمّا مربع القبّة من الداخل فقد كسيت واجهته المطلّة على المسجد بالرخام الدقيق المطعم بنسيفساء من الصدف، و كذا غطّى محيطها من الداخل بالرخام و الصدف فى رسوم هندسية غاية فى الدقّة و الإبداع، و ترجع هذه الآثار الرخامية و الصدفية إلى القرن الثامن الهجرى.

أمّا الأجزاء العليا من مربع القبّة فقد زخرف بنقوش زيتية مذهبة تشبه تلك التى نقشت على القبّة نفسها، و كلّها ترجع إلى القرن الثانى عشر الهجرى، ثم جدّدت هذه النقوش سنة ستّ عشرة بعد الثلاثمائة و الألف، و قد سجّل على الباكية الشريفه ما يأتى:

ركن هذا المقام جنّة عدن فمامن أتاها يفوز بالمأمول

ركن هذا المقام ركن سيدنال فيه الداعون حسن القبول

ركن هذا المقام كعبة مصرزاد مجدا بالسيد ابن البتول

ركن هذا المقام حاز فخارا بالإمام الحسين سبط الرسول و تحتوى القبّة على أربعة أبواب، باين فى الجهة الغربية يؤدّيان إلى المسجد،

اهل البيت في مصر، ص: ١٣٢

و باب بجوار المحراب سد الآن بأعلاه، كتب بالخطّ الثلث البارز الجميل المذهب على الرخام: «الإجابة تحت قبته، و الشفاء فى تربته، و الأئمة فى ذريته و عترته».

و باب يؤدى إلى غرفة الآثار كتب بأعلاه: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ.

كذلك كتب الشيخ عبد الله الشيراوى عام ١١٥٦ هـ أبياتا من الشعر على الباب الخارجى نصّها:

يا كرام الأنام يا آل طه على من يهيم فيكم غلام

ركن هذا بابكم كعبة الهدى و حماكم منهل فيه للأنام ازدحام

باب فضل لما سما أرخوه من دنا نحو بابكم لا يضام

رضى الله عنكم آل طه و صلاة منى لكم و سلام و فى العمارة التى قام بها السيد على أبو الأنوار، و التى سبقت الإشارة إليها، أجرى فتح باب الجهة البحرية للقبّة، و له مصراعان من النحاس المخزّم بنقوش جميلة، بتواشيح الباب أربع دوائر كتب فيها على التوالى: لا إله إلا الله محمد رسول الله، الإمام على، الإمام الحسين، الإمام الحسن.

و يعلو الباب عتبان كتب على أحدهما:

أنشأ على أبو الأنوار سيدنا بابا لسبط رسول الله ذى الرشد

و حسن أشرف نور الله أرّخه باب حماة عظيم الجاه و المدد و قد غطيت كلّ الأبواب و النوافذ بستار من الحرير الأخضر الجميل، و فى وسط القبّة توجد المقصورة، على بابها أربع حلقات من الفضة النقية الخالصة:

لن يخيب اليوم من رجائك من حرّك من دون بابك الحلقة و حول المقصورة توجد مشكاوات من الزجاج المموّه بالميناء المنقوشة بزخارف جميلة، و مكتوب عليها اسم الملك الظاهر أبى سعيد، كما تحتوى على كتابات قرآنية الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، و يبلغ عدد هذه المشكاوات ثلاثا

أهل البيت فى مصر، ص: ١٣٣

و عشرين. كانت قيمتها فى ذلك الوقت أكثر من ألفى دينار.

و بالقبّة قبله قديمة محلّاهم بقطع من الفسيفساء الرخامية، و يكتنفها عمودان من حجر السماق، و بجانبها قاعدتان من الرخام كانتا معدّتين فيما مضى لوضع الشموع، و مكتوب فوق القبّة قصيدة مطلعها:

الأ- إنّ تقوى الله خير البضائع و من لازم التقوى فليس بضائع و سبق أن ذكرنا: أنّ جميع جدران القبّة مكسوّه بالرخام الملون الجميل إلى ارتفاع نحو قامتين، و فوق ذلك ألواح من الخشب المطلى بنقوش زيتية متعدّدة الألوان، و مذهّبه، و بأعلى النقوش كتب عليها قصيدة الإمام ابن جابر الأندلسى المشهورة، و التى مطلعها:

فى كلّ فاتحة للقول معتبره حقّ الثناء على المبعوث بالبقرة و هى مكتوبة بالخطّ الثلث المذهب، و تحيط بالقبّة و تعلوها قصيدة أخرى، يقال:

أنّها تنسب إلى الحسين رضى الله عنه، و يقول الشيخ الببلاوى: إنّها لسان حاله، و مطلعها:

خيرة الله من الخلق أبى بعد جدّى و أنا ابن الخيرتين

عبد الله غلاما ناشئا و قريش يعبدون الوثنيين

والدى شمس و أمى قمر و أنا الكوكب بين التيرين و فوق القصيدتين شريط من الخشب يحيط بالقبّة كتب عليه سورة «الفتح» من القرآن الكريم.

أمّا حجرة التابوت فهى تقع فى الطبقة الثالثة من أرض القبّة، و قد وضعت الرأس فيها على كرسى من الآبنوس، و هى ملفوفة فى برنس أخضر، و حولها نحو نصف إردب من الطيب الذى لا يفقد رائحته بتوالى السنين، و فوق الحجرة طبقة أخرى يسلك إليها من فجوتين على كلّ فجوة باب متين.

و الحجرة مسقوفة بقضبان من الحديد الصلب، و تحتوى على مكان فسيح، بحده

أهل البيت فى مصر، ص: ١٣٤

الشرقى باب يوصل إلى الحجرة المباركة التى تحتوى على القبر الشريف، و بها تابوت من خشب الساج الهندى، و يحتوى التابوت على ثلاثة جوانب فقط؛ لأنّ التركيبة التى تحيط به كانت ملتصقة بالجدار الشرقى، و لما تصدّع بعض جدران الروضة الشريفة قامت وزارة الأوقاف سنة ١٣٢١ هـ بترميمها و إعادتها إلى حالتها الأولى، كما أخرج التابوت الخشبى و رمّم و أعيد إلى حالته الأولى، و هو محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة.

وقد عنى حسن عبد الوهاب بدراسة و قراءة ما نقش عليه من النصوص القرآنية و الأحاديث النبوية دراسة مستفيضة. و يبلغ طول التابوت ١/٨٥ متر و عرضه ١/٣٢ متر و ارتفاعه ١/٣٥ متر، و هو مكوّن من جنب و رأسين، و مقسّم إلى مستطيلات رأسية و أفقية، يحيط بها أشرطة تحتوي على كتابات، بعضها بالخط الكوفي، و البعض الآخر بالخط النسخي الذي انتشر في مصر في العصر الأيوبي. أمّا زخارف هذه الحشوات فهي عبارة عن نقوش نباتية غاية في الروعة و الإتقان، و يحيط بالحشوات السداسية شريط من الخط الكوفي به كلمات منها «الملك لله»، «و ما توفيقى إلّا بالله»، «ثقتى بالله»، «نصر من الله و فتح قريب»، «العزة لله»، «و ما بكم من نعمه فمن الله» ... الخ.

و يقول حسن عبد الوهاب: «إنّ هذا التابوت يشبه إلى حدّ كبير تابوت الإمام الشافعي، ممّا يدلّ على أنّه معاصر له، و لذلك فإنّه يرجّح أنّهما صنعا في عصر واحد، و بيد صانع واحد» و بما أنّ تابوت الإمام الشافعي مؤرّخ سنة ٥٧٤هـ، أى أنّه صنع صلاح الدين الأيوبي، لذلك يرجّح حسن عبد الوهاب أنّ تابوت الإمام الحسين صنع بأمر صلاح الدين؛ ذلك لأنّه عنى عناية خاصة بمشهد سيدنا الحسين، و أنشأ مدرسة بجواره.

أهل البيت في مصر، ص: ١٣٥

الإمام الحسين عليه السلام «١»

مأمون غريب

في ذكرى مولانا الإمام الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه و آله، و سيّد شباب أهل الجنّة، نتذكّر قصّته الخالدة عند ما خرج و في ذهنه أن يقوض حكم بني أمية، و يعيد للخلافة صفاءها و رواها، لكنّه استشهد في كربلاء، و لاقى من أعدائه ما لم يمكن تصوّره من الخسّة و الندالة، و عدم مراعاة لحرمة البيت النبوي.

و لا شك أنّ الإمام الحسين له مكانة كبيرة في قلوب الناس و عقولهم، فهو حفيد الرسول صلى الله عليه و آله، و ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، و أبوه على بن أبي طالب صاحب المواقف المشهودة مع رسول الله صلى الله عليه و آله، و الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه و آله: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبي بعدى» رواه البخاري و مسلم «٢».

و هناك أحاديث كثيرة تشيد بالحسين «٣»، و مدى حبّ الرسول صلى الله عليه و آله له، فقد عاش

(١). مقتبس من كتاب «الإمام الحسين حياته و استشهاده» ط. القاهرة.

(٢). صحيح البخاري ٣: ١٣٥٩ رقم ٣٥٠٣ كتاب فضائل أصحاب النبي باب (٩) فضائل على، و ٤: ١٦٢ رقم ٤١٥٤ كتاب المغازي،

غزوة تبوك، صحيح مسلم ٤: ١٨٧١ رقم ٢٤٠٤ و ما بعده، كتاب فضائل الصحابة باب (٤) فضائل على بن أبي طالب.

(٣). فقد تضافرت النصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه و آله بشأن الحسين عليه السلام و هي تبرز المكانة الرفيعة التي -

أهل البيت في مصر، ص: ١٣٦

الحسين خمس سنوات في ظلّ النبوة ... كثيرا ما كان يحمله الرسول صلى الله عليه و آله على ظهره، و كثيرا ما كان و أخوه الأكبر الحسن يقفزان على ظهر الرسول الكريم صلى الله عليه و آله أثناء سجوده، فيطيل السجود حتّى ينزلا من على ظهره.

و قد ولد الحسين في شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة على أرجح الأقوال، و سعد به الرسول صلى الله عليه و آله.

و يقول الرواة: إنّ السيدة أم الفضل بنت الحارث رأت في منامها أنّ في بيتها طرفا من رسول الله صلى الله عليه و آله، فذهبت إلى

رسول الله صلى الله عليه و آله ليفسّر لها هذه الرؤيا، فقال لها: «...»

هو ذاك» ... فولدت فاطمة حسينا فأرضعته أم الفضل حتّى فطم «١».

وقد أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِحَلْقِ رَأْسِ الْحُسَيْنِ، وَتَصَدَّقَ بِزَنْتِهِ فَضَةً، وَكَثِيرًا مَا كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَضَعُ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ فِي فَمِهِ لِيَمْتَصِّيَهَا ... وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَغْدِيهِ، وَكَانَ يَخْشَى عَلَيْهِ هُوَ وَأَخِيهِ الْحَسَنَ مِنَ الْحَسَدِ، فَكَانَ يَعُوذُهُمَا قَائِلًا: أَهْلَ الْبَيْتِ فِي مِصْرَ ١٣٦ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ص: ١٣٥

أَعِيدَ كَمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ» (٢).

وَ قَدْ تَرَبَّى الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي ظِلِّ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَ تَعَلَّمَ كَيْفَ يَكُونُ عَلَيْهِ دِينُهُ، وَ كَيْفَ يَعَامَلُ الْآخَرِينَ عَلَى ضَوْءِ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، فَشَرِبَ الْعِلْمَ مِنْ جَدِّهِ وَ مِنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، وَ مِنْ وَالِدِهِ.

يُمَثِّلُهَا فِي دُنْيَا الرِّسَالَةِ وَالْأُمَّةِ. رَاجِعْ كِتَابَ الصَّحَاحِ وَالسَّنَنِ، فِي فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ، الْبَابَ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمَنَاقِبِ وَفِضَائِلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامِ وَأَخِيهِ الْأَكْبَرِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ. وَ مِنْ الْكُتُبِ الشَّيْعِيَّةِ الْمَهْمِيَّةِ الَّتِي رَوَتْ هَذِهِ النُّصُوصَ، انظُرْ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَلِ: إِعْلَامُ الْوَرَى بِأَعْلَامِ الْهَدْيِ: الرِّكْنُ الثَّلَاثُ، الْفِصْلُ الْمُخْتَصِّ بِذِكْرِ الْإِمَامَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامِ، وَ كِتَابُ عِيُونِ أَخْبَارِ الرِّضَا لِلصَّدُوقِ ابْنِ بَابُوَيْهِ الْقُمِيِّ، وَ الْإِرْشَادُ لِلْمَفِيدِ، وَ بَحَارُ الْأَنْوَارِ: الْمَجْلَدَانِ (٤٤) وَ (٤٥) الْمُخْتَصَّانِ بِذِكْرِ تَارِيخِ هَذَيْنِ الْإِمَامَيْنِ ... وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ.

(١). رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ: تَرْجُمَةُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَ ذَكَرَ رَوَايَةَ أُمِّ الْفَضْلِ الطُّبْرَانِيِّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ ٢٥: ٢٢ بِرَقْمِ (٣٨) مَسْنَدًا عَنْ قَابُوسِ بْنِ الْمُخَارِقِ، وَ الطُّبْرَسِيِّ فِي إِعْلَامِ الْوَرَى: ٢٢٥ الْفِصْلُ الثَّلَاثُ نَقْلًا عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ.

(٢). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي السَّنَنِ ٤: ٢٣٥ بِرَقْمِ ٤٧٣٧ كِتَابِ السُّنَنِ، وَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ٣: ١٦٧، وَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ ١: ٢٧٠ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

أَهْلُ الْبَيْتِ فِي مِصْرَ، ص: ١٣٧

وَ قَدْ نَصَحَهُ وَالِدُهُ الْإِمَامُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ فِي خُطْبَةٍ طَوِيلَةٍ يَحْتَهُ فِيهَا عَلِيُّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كَشْخَشٌ يَرِاقِبُ اللَّهَ فِي سِرِّهِ وَعِلَانِيَّتِهِ، وَ يَرِاقِبُ النَّاسَ فِي خَلْقِهِ، وَ يَبْصُرُهُ بِالتَّجَارِبِ الَّتِي اسْتَفَادَ مِنْهَا فِي حَيَاتِهِ. وَ مِنْ هَذِهِ النَّصَائِحِ الْغَالِيَةِ الَّتِي اسْتَوْعَبَهَا الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ بِلَا شَكِّ: قَوْلُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ:

«يَا بَنِي، أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَ كَلِمَةِ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَ الْغَضَبِ، وَ الْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَ الْفَقْرِ، وَ الْعَدْلِ فِي الصَّدِيقِ وَ الْعَدُوِّ، وَ الْعَمَلِ فِي النَّشَاطِ وَ الْكَسَلِ، وَ الرِّضَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الشَّدَّةِ وَ الرِّخَاءِ ...

يَا بَنِي، مَا شَرَّ بَعْدَهُ الْجَنَّةَ بَشَرًا، وَ لَا خَيْرَ بَعْدَهُ النَّارَ بِخَيْرٍ، وَ كُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مُحَقَّقٌ، وَ كُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّاسِ عَافِيَةٌ ...

وَ اعْلَمْ يَا بَنِي، إِنَّ مِنْ أَبْصَرِ عَيْبِ نَفْسِهِ شُغْلَ عَنْ غَيْرِهِ، وَ مِنْ تَعَرَّى مِنْ لِبَاسِ التَّقْوَى لَمْ يَسْتِرْ بِشَيْءٍ مِنَ اللَّبَاسِ أَبَدًا، وَ مِنْ رَضِيَ بِقِسْمِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَ مِنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قَتَلَ بِهِ، وَ مِنْ حَفَرَ بَثْرًا لِأَخِيهِ وَقَعَ فِيهَا، وَ مِنْ هَتَكَ حِجَابَ غَيْرِهِ انْكَشَفَتْ عَوْرَاتُ بَيْتِهِ، وَ مِنْ نَسَى خَطِيئَتَهُ اسْتَعْظَمَ خَطِيئَتَهُ غَيْرَهُ، وَ مِنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطْبًا، وَ مِنْ اقْتَحَمَ الْغَمْرَاتَ غَرَقَ، وَ مِنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ ضَلَّ، وَ مِنْ اسْتَعْنَى بِعَقْلِهِ ذَلَّ، وَ مِنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ ذَلَّ، وَ مِنْ سَفَّهَ عَلَيْهِمْ شَتَمَ، وَ مِنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتَّهَمَ، وَ مِنْ خَالَطَ الْأَنْدَالَ حَقَّرَ، وَ مِنْ جَالَسَ الْعُلَمَاءَ وَقَّرَ، وَ مِنْ فَرَحَ اسْتَخَفَّ بِهِ، وَ مِنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عَرَفَ بِهِ، وَ مِنْ كَثَرَ كَلَامَهُ كَثَرَ خَطَاؤُهُ، وَ مِنْ كَثَرَ خَطَاؤَهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَ مِنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَ مِنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَ مِنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ».

إِلَى آخِرِ هَذِهِ النَّصِيحَةِ الْغَالِيَةِ الَّتِي رَكَّزَ فِيهَا الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَى الْفِضَائِلِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَ نَهَى فِيهَا عَنِ الرِّذَائِلِ الَّتِي تَفْقِدُ الْإِنْسَانَ وَزَنَّهُ فِي دُنْيَا النَّاسِ، وَ الَّتِي اخْتَمَمَهَا بِقَوْلِهِ:

«وَ اعْلَمْ يَا بَنِي ... مِنْ لَأَنْتَ كَلِمَتُهُ وَجِبَتْ مَحَبَّتُهُ، وَ مِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيَاءٌ وَ لَا سَخَاءٌ فَالْمَوْتُ أَوْلَى بِهِ مِنَ الْحَيَاةِ ... لَا تَتَمَّ مَرُوءَةُ الرَّجُلِ حَتَّى لَا يَبَالِيَ أَيَّ ثَوْبِيهِ لَبَسَ، وَ لَا أَيَّ طَعَامِيهِ أَكَلَ. وَفَقَّكَ اللَّهُ لِرِشْدِهِ، وَ جَعَلَكَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ بِقُدْرَتِهِ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ».

أهل البيت فى مصر، ص: ١٣٨

كلّ هذه القيم والشمال التي تربى عليها الإمام الحسين، جعلت منه إنسانا متكاملًا فى أخلاقه، صاحب شخصية قوية أسرة، محبوبا من الناس.

كان الإمام الحسين تقيا ... بليغا ... و تقيا ... صاحب مروءة ... و محبا للخير ...

عزوفًا عن الشرّ، فقيها فى أمور دينه، جوادا كجدّه العظيم، بجانب و سامته الفائقة، فقد كان شبيها بجدّه صلّى الله عليه و آله. و ما أكثر ما قاله الرواة عن شخصية الحسين المحبوبة من الناس! و ما أكثر ما ساقوه عن تواضعه و هيئته و قوة منطقته! و ما أكثر الروايات التي ساقها الرواة عن مدى احترام الصحابة و أبناء الصحابة لشخصية الحسين.

الرواة يروون مثلا عن فصاحته و بلاغته فيسوقون مثلا عن حديثه لأبى ذرّ رضى الله عنه الذى هاجم الترف الذى يعيش فيه معاوية و بنو أمية، فنفاه معاوية عند ما كان واليا على الشام، و نفاه الخليفة عثمان بن عفان من المدينة، فقال الحسين للصحابة الجليل المغلوب على أمره: «يا عماء! إنّ الله قادر أن يغيّر ما قد ترى، و الله كلّ يوم فى شأن ... و قد منعك القوم دنياهم و منعهم دينك، و ما أغناك عما منعوك، و أوجههم إلى ما منعهم، فاسأل الله الصبر و النصر، و استعذ به من الجشع و الجزع، فإنّ الصبر من الدين و الكرم، و إنّ الجشع لا يقدر رزقا، و الجزع لا يؤخر أجلا» (١).

هذه الكلمات اللغوية الرائعة التي تنبئ عن عقلية متفتحة و واعية، قالها الإمام الحسين و كان عمره ثلاثين عاما! و يروى الرواة عن جوده و كرمه الكثير، و من ذلك أنّ أسامة بن زيد أقعده المرض، و ذهب الإمام الحسين لزيارته فوجده شديد الحزن، لا لخوفه من الموت، و لكن لأنّ عليه دينا يخشى أن يموت دون أن يقدر على سداده، و كان الدين ثقيلًا على أسامة، فسدده الإمام الحسين حتّى يلقى أسامة وجه ربّه و هو قرير العين و الفؤاد (٢).

(١). شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٨: ٣٧٣-٣٧٤، الغدير للعلامة الأمينى ٨: ٣٥١، أبو الشهداء للعقاد: ١٣٦.

(٢). سيرة الأئمة الاثنى عشر ٢: ٣٠-٣١.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٣٩

و قد ساق الرواة حادثة طريفة تبين علمه و جوده و حبه للمعرفة، و التبسط مع الناس، و معاملته كلّ على قدر عقله. جاء أعرابي فى حاجة، فما سأله عنها؛ و كتب الأعرابي حاجته على الأرض، هنا داعبه الإمام الحسين، و قال له: سمعت أبى يقول: «المعروف بقدر المعرفة» فأسألك عن ثلاث مسائل إن أجبت على واحدة فلك ثلث ما عندى، و إن أجبت على اثنين فلك ثلثا ما عندى، و إن أجبت الثلاث فلك كلّ ما عندى! و قد حملت إلّى (صرة) من العراق. فقال الأعرابي: سل! و لا حول و لا قوة إلّا بالله.

فقال الإمام الحسين: أى الأعمال أفضل؟

فأجابه الأعرابي: الإيمان بالله.

فقال الإمام الحسين: ما نجاه العبد من الهلكة؟

فأجابه الأعرابي: الثقة بالله.

فقال الإمام الحسين: ما يزيّن المرء؟

فأجابه الأعرابي: علم معه حلم.

فقال الإمام الحسين: فإن أخطأه ذلك؟

فأجابه الأعرابي: مال معه كرم.

فقال الإمام الحسين: فإن أخطأه ذلك؟

فأجابه الأعرابي: فقر معه صبر.

فقال الإمام الحسين: فإن أخطأه ذلك؟

فأجابه الأعرابي: صاعقة تنزل من السماء فتحرقه.

فضحك الإمام الحسين و أعطاه الصرة! «١»

و إذا كان الحق ما شهد به الأعداء، فقد كان معاوية يعرف للحسين قدره، حتى

(١). عقد اللآل في مناقب الآل: ٨٧، سيرة الائمة الاثني عشر ٢: ٢٨.

اهل البيت في مصر، ص: ١٤٠

قال: إنه لا يجد فيه ما يعيبه، حتى أن رجلا سأل معاوية أين يجد الحسين؟ فقال معاوية: إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رءوسهم الطير، فتلك حلقة أبي عبد الله الحسين «١».

و يروى الرواة عن سخائه و كرمه و جوده، و حسن معاملته للناس، كما يتحدثون عن كثرة صيامه و صلاته، و أنه حج خمسا و عشرين مرة ماشيا على قدميه، و كان دعاؤه في الحج و هو يمسك الركن الأسود:

«إلهي، أنعمتني فلم تجدني شاكرا، و ابتليتني فلم تجدني صابرا، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، و لا أدمت الشدة بترك الصبر... إلهي، ما يكون من الكريم إلّا الكرم...».

و قد كان الإمام الحسين شديد التضرع إلى الله، كثير الدعاء؛ لأنّ الدعاء يقرب بين الإنسان و ربه، لا يجعل بين الله و عباده حجابا، إنّ الإنسان يشعر و هو يرفع يديه إلى السماء و يناجي خالقه أنّ الله برحمته و جلاله و رأفته معه، فتستكين النفس، و تطمئن الروح، و يتوافق الإنسان فيما بينه و بين نفسه، فيعود إلى النفس صفاؤها، و طمأنينتها، لا يهتمها ما تواجه من صعوبات الحياة.

و كان من أدعيته التي رواها عنه الرواة دعاؤه عند ما يكون في عرفه، كان كثير الدعاء يدعو بقلب خاشع، و ممّا كان يدعو به:

«اللهم اجعل غنائي في نفسي، و اليقين في قلبي، و الإخلاص في عملي، و النور في بصري، و البصيرة في ديني، و متعني بجوارحي، و اجعل سمعي و بصري الوارثين مني، و انصرني على من ظلمني، و أرني فيه ثأري و مأربي، و أقر بذلك عيني.

اللهم اكشف كربتي، و استر عورتى، و اغفر لي خطيئتي، و اخسأ شيطاني، و فكّ رهاني، و اجعل لي الدرجة العليا في الآخرة و الأولى.

(١). تاريخ دمشق ١٤: ١٧٩ ترجمه الحسين بن علي عليهما السلام مسندا عن أبي سعيد الكلبي.

اهل البيت في مصر، ص: ١٤١

اللهم لك الحمد كما خلقتني فجعلتني سميعا بصيرا، و لك الحمد كما خلقتني سويا، رحمة بي، و قد كنت عن خلقي غنيا». و كان من دعائه أيضا:

«اللهم أوسع عليّ من رزقك الحلال، و عافني في بدني و ديني، و آمن خوفي، و اعتق رقبتى من النار...».

و ما أكثر الأدعية التي وردت عنه، و تدلّ على نفس بالغة الصفاء، بالغة الشفافية، تريد ما عند الله لا ما عند الناس.

و من أجلّ هذه الصفات و السمائل التي كان يتمتع بها الإمام الحسين: أنّه كان قريبا إلى قلوب الناس، و كان يذكّرهم بنبيهم العظيم، كلّما استمع إلى عظة من عظاته، أو خطبة من خطبه، أو مجلس علم يجلس فيه في مسجد جدّه العظيم يلقي درسه، فإذا الناس تستمع إليه و كأنّ على رؤوسهم الطير، فهم متبهون إلى كلّ كلمة يقولها، أ ليس هو سليل بيت النبوة الطاهرة، و غصن الدوحة المباركة؟!

مرّ يوما على جماعة في مسجد جدّه صلى الله عليه و آله و كان فيهم عبد الله بن عمرو بن العاص، و عند ما اشترأبت الأعناق نحو

الإمام الحسين، قال عبد الله بن عمرو بن العاص لهم: ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى.

قال: هذا الماشى ... وأشار إلى الإمام الحسين! «١».

شخصية لها كل هذا الجلال والعلم، الذي ورث بعضه عن جدّه العظيم نبي الإسلام محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله «٢»، وورث بعضه عن أمه فاطمة الزهراء، فقد رويت على لسانه بعض الأحاديث التي سمعها من رسول الله صلّى الله عليه وآله والتي سمعها من أمه و من أبيه.

(١). تاريخ دمشق ١٤: ١٧٩ مسندا عن العيزار بن حريث.

(٢). و يكفيه قول النبي صلّى الله عليه وآله له: «حسين منّي و أنا من حسين ...» أخرجه البخارى في الأدب المفرد: ١١٦، و الترمذى في السنن ٥: ٦٥٨-٦٥٩ ح ٣٧٧٥ كتاب المناقب.

أهل البيت في مصر، ص: ١٤٢.

و من هذا مثلا: أنه روى عن أبيه وصفه للنبي صلّى الله عليه وآله في جلساته، فقال:

«كان رسول الله صلّى الله عليه وآله دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحّاب ولا فحاش، ولا عتاب ولا مشاح، يتفاد عمّا لا يشتهى ولا يؤيس منه، ولا يخيب فيه، فقد ترك نفسه من ثلاث: المرء والإكبار و ما لا يعنيه، و ترك الناس من ثلاث: كان لا يذمّ أحدا ولا يعيبه، و لا يتطلّب عورته، و لا يتكلم إلّا فيما رجا ثوابه.

و إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، و لا يتنازعون عنده الحديث، و من تكلم عنده أنصتوا إليه حتّى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك ممّا يضحكون منه، و يتعجب ممّا يتعجبون، و يصبر للغريب على الجفوة في منطقته و مسألته، حتّى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، و يقول: إذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فاردوه، و لا يقبل الثناء إلّا من مكافئ، و لا يقطع على أحد حديثه حتّى يجوز فيقطع بنهى أو قيام...».

و هناك أحاديث كثيرة مسنده إليه، قد رواها عن أبيه أو عن أمه ممّا سمعاه من خاتم النبيين صلّى الله عليه وآله «١».

رجل في مثل الحسين، و في جمال خلقته، و جمال خلقه، و جمال تكوينه، و شخصيته التي تأثرت بالبيئة النبوية، كان جديرا بأن يكون محبوبا عند الناس لأنهم يعرفون قدره، و محبوبا عند صحابه رسول الله صلّى الله عليه وآله لأنهم يعرفون كم كان النبي صلّى الله عليه وآله حفيّا به، و محبا له.

و كان الإمام عالما جليلا ... متفقا في أمور دينه، و أصقلته تجارب الأيام.

(١). من ذلك ما أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة الحديث ٩١٩ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: «ما من مسلم تصيبه مصيبة و إن قدم عهدا، فيحدث لها استرجاعا، إلّا أعطاه الله ثواب ذلك».

و ما أخرجه الترمذى في كتاب الزهد، باب: في من تكلم بكلمة يضحك منها الناس الحديث ٢٢٤٠ عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

و أخرج أبو يعلى الموصلى في مسنده، المجلد الثاني عشر من الصفحة ١٤٢ إلى ١٥٦ خمسة عشر حديثا عنه عليه السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله، و أسماء مسند الحسين بن علي.

أهل البيت في مصر، ص: ١٤٣.

سمع رجلا يقول في حضرته: إنّ المعروف إذا أسدى إلى غير أهله ضاع! فقال الإمام الحسين: ليس كذلك، و لكن تكون الصنعة

مثل وابل المطر، تصيب البرّ والفاجر! و من أقواله المأثورة:

* «إياك و ما يعتذر منه، فإنّ المؤمن لا يسيء و لا يعتذر، و المناق كل يوم يسيء و يعتذر».

* «اعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عزّ و جلّ عليكم فلا تملّوا النعم فتعود النقم».

* «لا تتكلّف ما لا تطيق، و لا تتعزّض لما لا تدرك، و لا تعد بما لا تقدر عليه، و لا تنفق إلّا بقدر ما تستفيد، و لا تطلب من الجزاء إلّا بقدر ما صنعت، و لا تفرح بما نلت من طاعة الله، و لا تتناول إلّا ما رأيت نفسك أهلا له».

* و عند ما سأله رجل كيف أصبح، قال: «أصبحت ولى ربّ فوقى، و النار أمامى، و الموت يطلببنى، و الحساب محدد بى، و أنا مرتهن بعملى، لا أجد ما أحبّ، و لا أدفع ما أكره، و الأمور بيد غيرى، فإن شاء عدّبنى، و إن شاء عفا عني، فأى فقير أفقر منى؟!» (١).

بهذا الأسلوب الجميل، و بهذه المعانى الراقية الفضفاضة، و بهذه التجليات التى تفوح بالإيمان و الحكمة و فهم الحياة بما مرّ عليه من تجارب، و ما تغلغل فى أعماق نفسه من أنوار النبوة، كان الإمام الحسين صورة تجسيد كل ما فى الإسلام من قيم الحقّ و الخير و الجمال، و العدل و الإيثار.

و كان يعيش بالمادى و للمبادئ، فلم يؤثر عنه المداهنه أو النفاق أو السعى وراء مغنم رخيصة، و لكنّه عاش و فى قلبه منهج القرآن، و سنّه جدّه صلّى الله عليه و آله، فعاش حياته

(١). راجع هذه الحكم و غيرها كتاب تحف العقول عن آل الرسول لأبى محمد الحسن بن على بن الحسين بن شعبة الحرّانى: ١٧٤-١٧٧.

و لعلّ من أجمل هذه الدرر قوله عليه السّلام: «إنّ قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة النّجار، و إنّ قوما عبدوا الله رهبة فتلك عباد العبيد، و إنّ قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار، و هى أفضل العبادة».

أهل البيت فى مصر، ص: ١٤٤

كلّها ينشد الحقّ و يسعى إليه، و يكره الباطل و يحاربه.

و هذا ما يفسّر موقفه بعد ذلك عند ما قرّر أن يتصدّى لظلم بنى أمية، و الوقوف فى وجه يزيد، و استشهد فى سبيل المبدأ. و لو أراد أن يعيش فى ترف من العيش، و فى رغد من المال، لاستطاع، و لأعطاه الحكم الأموى ما يريد على ألّا يقف فى طريقهم، و يفتد أكاذيب حكمهم الذى ابتعد عن الحكم الذى انتهجه الراشدون من الخلفاء.

لو أراد ذلك ما كلّفه ذلك إلّا الصمت عن الخوض فى سياسة الدولة الأموية المتمثلة فى يزيد بن معاوية، و لكنّه رفض أن يرى الظلم و يسكت ... و رفض أن يرى الباطل يرتفع له لواء و يصمت ... و رفض أن يرى الحكم بالكتاب و السنّة قد خفت ثم يلوذ بالصمت ... و رفض أن يشاهد المظالم على أشدها، و أموال المسلمين تغدق بلا حساب على الأعوان و طلباب السلطة، و المتحلّقين لها يبعون السلطان و يضع يده فى أذنيه.

لقد قرّر أن يقوم بثورة ... أن يغيّر من الصورة القاتمة التى عسّشت على العالم الإسلامى فى فترة حكم يزيد بن معاوية.

هل كان يعرف أنّه يستطيع أن يتغلّب على الدولة الأموية فى أوج قوّتها و عنفوان سلطانها؟ و هل حسب أنّ بقدرته أن يقضى على دولة لها جيوشها القوية، و يدها المتمكّنة من أعناق الناس، و لها سطوة الحكم، و جبروت السلطة؟

هل كان اندفاع من الإمام الحسين أن يذهب ليحارب قوى عاتية تملك السلاح و الرجال، و يخزّ تحت أقدامها طلباب النفوذ و الجاه و المال؟ و هل كان يتصوّر أن ينتصر و سيوف الناس معهم حتّى و لو كانت قلوبهم معه؟ أم أنّ الأقدار قد كتبت عليه أن يكون دمه الشريف نقطة تحوّل فى التاريخ الإسلامى كلّها؟

فإنّ دم الإمام الحسين لم يضع عبثا، فقد انهارت الدولة الأموية بعد أقلّ من قرن واحد، و لتظلّ بعد ذلك العبرة بأنّ الحقّ دائما يعلو فى

النهاية مهما كانت أشواك الطريق.

إنّ النظر إلى موقف الإمام الحسين من خلال النظرة إلى الحوادث التي تمرّ بدنيا

أهل البيت في مصر، ص: ١٤٥

الناس ربّما لا يكون نظرا سليما، فإنّ لموقف الإمام الحسين بعدا إيمانيا غيبيا، فقد كان عليه أن يطلق صيحته بأن يكون الحكم شورى بين المسلمين كما أقرّه الإسلام، وأنّ الديكتاتورية وحكم الفرد ممّا ياباه الإسلام، وأنّ تقوم الأوضاع لا بدّ له من الضحايا، لا بدّ من الدماء والدموع، حتّى لا يترك الباطل يرفع رايته في أرض الله، وحتّى لا تترك سلوكيات الناس حسب الأهواء، بل حسب ما جاء في كتاب الله وسنة الرسول صلّى الله عليه وآله.

لقد كان الإمام الحسين يوقن بقوله تعالى:

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا [آل عمران: ١٤٥].

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده «١»، هذا الحديث الشريف:

عن أم سلمة قالت: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو يمسخ رأس الحسين وبيكى، فقلت:

ما بكأوك؟ قال: «إنّ جبريل أخبرني أنّ ابني هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء».

قالت: ثم ناولني كفا من تراب أحمر، وقال: «إنّ هذا من تربة الأرض التي يقتل بها، فمتى صار دما فاعلمي أنّه قد قتل».

قالت أم سلمة: فوضعت التراب في قارورة عندي، و كنت أقول: إنّ يوما يتحوّل فيه دما ليوم عظيم.

وفي رواية أخرى عن أم سلمة قالت: كان جبريل عند النبي صلّى الله عليه وآله والحسين معي، فبكي فتركته، فذهب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال له جبريل: أتجنّه يا محمد؟ قال: «نعم».

قال: إنّ أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، فبسط جناحه إلى الأرض، فأراه أرضا يقال لها: كربلاء! «٢»

ورويت أحاديث كثيرة بصيغ مختلفة تجمع في مضمونها على أنّ النبي صلّى الله عليه وآله قد

(١). مسند أحمد ٣: ٢٤٢، ٢٦٥، وانظر ٦: ٢٩٤. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٨٧ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني بأسانيد.

(٢). أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٨٨ - ١٨٩ وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها ثقات.

أهل البيت في مصر، ص: ١٤٦

تتبأ بقتل حفيده الحسين في كربلاء «١»، والحديث بلا شكّ قد عرفه أهل البيت، حتّى أنّ ابن عباس قال: ما كنّا نشكّ - وأهل البيت متوافرون - أنّ الحسين بن عليّ يقتل بالطف «٢».

والإمام الحسين كان يعرف بلا شكّ أمر حديث جدّه صلّى الله عليه وآله، ومن هنا فقد خرج غير هيّاب ولا وجل.

أ ترى قد قدر على الإمام الحسين ما قدر على والده الإمام عليّ كرم الله وجهه؟

قد تتبأ الرسول صلّى الله عليه وآله للإمام عليّ بأنّه سيقتل «٣».

ويروى الرواة: أنّ أم المؤمنين أم سلمة هي أول من علمت مقتل الحسين، و اختلفت الروايات في ذلك، فمن قائل: إنّها شاهدت النبي صلّى الله عليه وآله في رؤيا لها، وكان عليّ لحيته التراب، وعند ما سألته عمّا حدث قال لها: «كنت أدفن ابني الحسين» فعرفت أنّ الحسين قد قتل.

(١). وقد روى في مسند الرضا عليه السلام بأسانيد متعددة عن أم سلمة حديث النبي صلّى الله عليه وآله لها في شأن مقتل ولده

الحسين عليه السلام، و التربة الحمراء. نقلها العلامة الطبرسي في إعلام الوري: ٢٢٥-٢٢٦.

و يذكر ابن عساكر حديثا عن أنس بن الحارث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن ابني هذا- يعنى الحسين- يقتل بأرض يقال لها كربلاء، فمن شهد ذلك منكم فلينصره» قال الأشعث بن سحيم عن أبيه: فخرج أنس بن الحارث إلى كربلاء، فقتل مع الحسين.

(٢). و هو ما دعا ابن عباس إلى القول: أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله: أتى قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا، و أنا قاتل بابين ابنتك سبعين ألفا و سبعين ألفا. أخرجه ابن عساكر ١٤: ٢٢٥.

(٣). ما أخرجه الحاكم في مستدرکه ٣: ١٤٢ بسنده عن حيان الأسدي قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الأمة ستغدرك بك بعدى، و أنت تعيش على ملتي، و تقتل على سنتي، من أحببك أحبني، و من أبغضك أبغضني، و إن هذه ستخضب من هذا» يعنى لحيته من رأسه. ثم قال الحاكم: صحيح و روى بمثله فى الاستيعاب ٢: ٦٨١ باب الكنى، حرف الفاء ترجمه أبى فضالة الأنصارى. و أخرجه أحمد أيضا فى مسنده ١: ١٠٢ (مسند على بن أبى طالب)، و المحب الطبرى فى الرياض النضرة ٢: ٢٢٣ ب ٤ مناقب على بن أبى طالب / كراماته، ثم قال: أخرجه ابن الضحاك. و كذا أخرجه أبو داود الطيالسى ١: ٢٣ ح ١٥٧.

و يذكر الهيثمى فى مجمعه ٩: ١٣٧ كتاب المناقب / مناقب على باب فى وفاته: عن عائشة قالت:

رأيت النبى صلى الله عليه وآله التزم عليا و قبله و يقول: «أبى الوحيد الشهيد» و قال: رواه أبو يعلى. كما رواه ابن حجر فى الصواعق: ٧٤ ب ٩ ما أثر على و فضله ف ٢.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٤٧

و هناك رواية أخرى تقول: إن النبى فى حياته كان قد أعطاها قارورة بها تراب، و قال لها: «إذا استحال هذا التراب دما فاعلمى أن الحسين قد قتل».

و مهما يكن من شىء، فقد قتل الحسين مظلوما، و لم يراعوا فيه حرمة، و لكن استشهاده كان صيحة مدوية فى مختلف أرجاء العالم العربى.

هناك من طالب بدم الإمام الشهيد ... و هناك من ثار على بنى أمية إلى أن انتهت دولتهم نهاية مأساوية رهيبه.

و هناك من تشفع لآل البيت إلى أن ظهرت الدولة الفاطمية فى المغرب العربى و فى مصر، و ظهرت الانقسامات حول من يكون له حق الحكم ... إلى أن خلفت الدولة الأموية الدولة العباسية، و أخذ التاريخ مسارات جديدة.

و لكن السؤال الذى يفرض نفسه: أين ذهبت رأس الحسين؟ و كيف جاءت إلى القاهرة؟! على أساس أنه لا خلاف بين المؤرخين و الرواة أن الجسد الشريف قد دفن فى مكانه فى كربلاء، فى مشهده المعروف هناك!

و لكن الخلاف حول مكان الرأس.

يقول بعض الرواة: إن الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة و واليها، و وصل فى القصر يوم الثلاثاء، العاشر من جمادى الاخرى.

و قالوا: إن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف، و له ريح كريح المسك، و عند ما جىء به إلى مصر دفن فى قصر الزمرد، و هو المكان المعروف الآن بالمشهد الحسينى «١».

(١). تقدّم الحديث حول هذا الموضوع سابقا.

٢- السيدة زينب (أم الشهداء) عليها السلام

إشارة

بقلم على أحمد شلبى صافيناز كاظم حنفى المحلاوى

أهل البيت فى مصر، ص: ١٥١

السيدة زينب عليها السلام «١»

إشارة

على أحمد شلبى

بعد أن قتلوا الحسين فى كربلاء و احتزوا رأسه الشريف، اقتحم السفلة من جند ابن زياد- و ما أكثرهم- فسطاط نساء أهل البيت و صاحباتهن، و أعملن فيه سلبا و نهبا و حرقا، غير مبالين بأمر عمر بن سعد الذى أمرهم به من قبل، و غير مكترثين بحرمة الموت الذى يحيط بالنساء و الأطفال من كل جانب، فأظهروا من القسوة و الغلظة فى معاملتهن ما لم يعرف من قبل فى مثل هذه المواقف المؤلمة. و بعد أن قضوا أربهم، و اتموا سلبهم و نهبهم، و أحرقوا الخيام بما بقى فيها من متاع لم يستطيعوا حمله معهم، ساقوا أسراهم و سباياهم من الأطفال و النساء، و كان فيهم ولدان للإمام الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم جميعا، استصغر الأعداء شأنهما و ستتهما، فتركوهما دون أن يقتلوهما، كما كان فيهم كذلك زين العابدين على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما، و كان مريضا فى حجر عمته العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها، و قد أراد الأعداء قتله، لو لا أن انقذته عمته بعد أن عرضت نفسها للقتل دونه «٢».

(١). مقتبس من كتابه «السيدة زينب» ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

(٢). نور الأبصار: ٣٧٨ نقلا عن تاريخ القرمانى.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٥٢

و كان من نعمه الله تعالى على الأمة المحمدية أن بقى زين العابدين على بن الحسين حيا، إذ حفظ الله تعالى به ذرية الإمام الحسين، و هم من ذرية جدّه النبى الأمين محمد رسول الله صلى الله عليه و آله.

كما سيق فى هذا الركب من نساء البيت النبوى الكريم: العقيلة الطاهرة السيدة زينب، و أختها أم كلثوم، و ابنتا الإمام الحسين فاطمة و سكينه، و بقيه من نساء بنى هاشم رضى الله تعالى عنهم جميعا.

حملت السيدة العقيلة زينب و من معها على أقتاب «١» الجمال بغير غطاء، فمرت على مصارع الشهداء، و وقعت أبصار النساء و الأطفال على أشبع منظر، فكان لذلك أثره العميق فى النفوس؛ إذ كانت الأرض مغطاة بجثث الأبرار، محزوزة الرءوس، و قد ارتوت رمال الصحراء من دمائهم، و تسفى عليها الرياح، و تطير فى الفضاء القريب منهم الطيور الجارحة، كأنها تريد أن تنقض على لقمة سائغة و وليمة حافلة، فضلا عن الوحوش الكاسرة التى كانت تنتظر هبوط الليل لتخرج من جحورها لتشارك بنصيب فى هذه الوليمة الأموية! كان لهذا أثره البالغ على العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها، فنقد صبرها، و لم تتمالك نفسها أمام ما ترى من هول و بشاعة، فنادت بصوت حزين و قلب يتفتت حسرة و ألما.

يا محمداه! صلى عليك عليك السماء، هذا حسين بالعراء، مقطّع الأعضاء، و بناتك سبايا، إلى الله المشتكى، و إلى محمد المصطفى، و إلى على المرتضى، و إلى فاطمة الزهراء، و إلى حمزة سيد الشهداء.

يا محمداه! هذا حسين بالعراء تسفى عليه الصبا، قتيل أولاد البغايا.
وا حزنه، وا كرباه عليك يا أبا عبد الله، اليوم مات جدى رسول الله.

(١). الأقتاب: واحدة قتب، و هو الرحل الصغير يحمل على قدر سنام الجمل.

أهل البيت في مصر، ص: ١٥٣

يا أصحاب محمداه، هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة و الرداء.
بأبى من أضحى معسكره يوم الاثنين نهبا، بأبى من فسطاطه مقطّع العرى، بأبى من لا غريب فيرجى، و لا جريح فيداوى، بأبى من نفسى
له الفداء، بأبى المهموم حتى قضى، بأبى من جدّه محمد المصطفى، بأبى خديجة الكبرى، بأبى على المرتضى، بأبى فاطمة الزهراء،
بأبى من ردت عليه الشمس حتى صلى.

و لقد صوّرت العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها بكلامها الفصيح و بلاغتها الفائقة الموقف الذى مرّ عليه الركب أبلغ تصوير،
و لذلك أبكت أفاظها التى صدرت من قلب جريح مسكور كلّ عدوّ و صديق، و كان لكلامها هذا أعظم الأثر فى الإحساس بفداحة
ما أقدم عليه القوم من فعله شنعاء، و الشعور بعظم الخسارة التى لا تعوّض.

و لما أقبل الركب على الكوفة، تتقدمه السبايا و الرؤوس المقطّعة، فى نحو أربعين جملا، كان زين العابدين على بن الحسين رضى الله
تعالى عنهما على بعير بغير غطاء، و فى حالة يرثى لها من الضعف و المرض، و من الحزن على ما أصاب أهل البيت النبوى الكريم و
على رأسهم والده الحبيب، فكان يقول فى أسى و ألم بالغين:

يا أمه السوء لا سقيا لربكم يا أمه لم تراع أحمدا فينا

لو أنّنا و رسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا

تسيرون بنا على الاقتاب عارية كأننا لم نشيد فيكم دينا

بنى أمية ما هذا الوقوف على هذى المصائب لم تصغوا لداعينا

تصفقون علينا ككفكم فرحاو أنتم فى فجاج الأرض تسبونا

أليس جدى رسول الله الكريم هادى البرية من سبل المضلينا

يا وقعة الطف قد أورثتنى حزنناو الله يهتك أستار المسيئينا و ما أن وقعت أنظار الكوفة على هذا الركب، حتى أقبلوا يناولون الأطفال و
هم

أهل البيت في مصر، ص: ١٥٤

على محاملهم بعض التمر و الخبز و الطعام، فصاحت فيهم السيدة زينب و قالت: يا أهل الكوفة! إنّ الصدقة علينا حرام.
و صارت تأخذ من أيدي الأطفال و أفواههم ما أخذوه من القوم و تلقى به إلى الأرض، و الناس حولهم يبكون على مصيبتهم التى
حافت بهم. فطلت عليهم السيدة أم كلثوم برأسها من محلها و قالت لهم: صه يا أهل الكوفة يقتلنا رجالكم، و تبكيننا نساؤكم! فالحكم
بيننا و بينكم الله يوم فصل القضاء.

و بينما هى تخاطبهم، إذ بضجة قد ارتفعت، و إذا هم قد أتوا برأس الإمام الحسين، و الرمح تلعب بها يمينا و يسارا، فالتفتت موجعة، و
أومأت إليه بحرقة، و جعلت تقول:

يا هلالا لما استتمّ كمالاغاله خسفه فأبدى غروبا

ما توهمت يا شقيق فوادى كان هذا مقدّرا مكتوبا ثم أشارت رضى الله تعالى عنها إلى الناس، فسكتت أصواتهم، و طارت نفوسهم؛
خشية من جلال الموقف و رهبته، و أخذت تخاطبهم قائلة:

الحمد لله، و الصلاة والسلام على أبى محمد وآله الطيبين الأخيار.

أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل «١» و الغدر، أ تبكون، فلا رقأت الدمعة، و لا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا «٢» بينكم.
ألا و هل فيكم إلّا الصلف «٣» و النطف «٤»، و الكذب و الشنف «٥»، و ملك الإمام و غمز الأعداء، أو كرعى على دمنه «٦»، أو كغضه ملحودة، ألا بنس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، و فى العذاب أنتم خالدون.

(١). الختل: الخديعة.

(٢). دخلا: أى خيانه و مكرا.

(٣). الصلف: التكبر و الإصرار عليه.

(٤). النطف: التلطح بالعيب.

(٥). الشنف: البغض و الإنكار.

(٦). الدمنه: ما تدمنه الأنعام من الأبوال و الأبعاد.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٥٥

أ تبكون و تنتحبون؟ إى و الله فابكوا كثيرا و اضحكوا قليلا، فقد ذهبتم بعارها و شنارها، و لن ترحضوها بغسل أبدا، و أنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة، و معدن الرسالة، مدره «١» حججتكم و منار محججتكم، و ملاذ خيرتكم، و مفزع نازلتكم، و سيد شباب أهل الجنة، ألا ساء ما تررون.

فتعسا و نكسا، و بعدا لكم و سحقا، فلقد خاب السعى، و تبت الأيدي، و خسرت الصفقة، و ضربت عليكم الذلة و المسكنه.

ويلكم يا أهل الكوفة! أ تدرون أى كبد لرسول الله فريتتم، و أى كريمه له أبرزتم، و أى دم له سفكتتم، و أى حرمه له انتهكتتم؟ لقد جنتم شيئا إدا، تكاد السماوات يتفطرن منه، و تنشق الأرض، و تحز الجبال هدا. و لقد أتيتم بها خرقاء شوهاء كطلاع «٢» الأرض و ملء السماء، أ فعجبتم أن مطرت السماء دماء، و لعذاب لا يحفزه «٣» البدار، و لا يخاف فوت الثار، و إن ربك لبالمرصاد.

أدهش خطابها البليغ الذى تدقق من لسانها كجلمود صخر حطه السيل من عل، هؤلاء القوم و أثر فيهم، و أيقظ أفئدتهم، و أظهر لهم شنيع جرمهم، فأخذوا و قد أدركوا فجيعة فاجعتهم و عظيم جنايتهم فى حق الإسلام و المسلمين، فلا يدرون ما يصنعون، حتى أن شيخا كبيرا كان يستمع، فأبكاها كلامها حتى اخضلت لحيته بالدموع، و أخذ يقول:

- بأبى أنتم و أمى، كهولكم خير الكهول، و شبابكم خير الشباب، و نساؤكم خير النساء، و نسلكم خير النسل، لا يخزى و لا ييزو «٤».
ثم تكلمت فاطمة الصغرى فقالت:

(١). المدره: الناطق عن القوم و المدافع عنهم و حاميمهم.

(٢). طلاع الأرض و الشىء: ملؤه.

(٣). يحفزه: يحثه و يعجل به.

(٤). أى لا يغلب و لا يقهر.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٥٦

الحمد لله عدد الرمل و الحصى، و زنة العرش إلى الثرى، أحمده و أومن به و أتوكل عليه، و أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا عبده و رسوله.

اللهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب، أو أن أقول خلاف ما أنزلت عليه من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب، المقتول كما قتل ولده بالأمس، في بيت من بيوت الله، فيه معشر مسلمة بألسنتهم، تعسا لمروءتهم، ما رفعت عنه ضيما في حياته و بعد وفاته، حتى قبض إليك محمود النقيبة، طيب العريكة «١»، معروف المناقب، مشهور المذاهب، لم تأخذه فيك لومة لائم، زاهدا في الدنيا، مجاهدا في سبيلك، فهديته إلى صراطك المستقيم.

أما بعد، يا أهل الكوفة! يا أهل المكر والغدر والخيلاء! فإننا أهل بيت ابتلانا الله بكم و ابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسنا، و جعل علمه عندنا و فهمه لدينا، فنحن عبيد علمه «٢»، أكرمنا بكرامته، و فضّلنا بمحمد نبيه صلى الله عليه و آله على كثير ممن خلق تفضيلا، فكذبتمونا و رأيتم قتالنا حلالا، و أموالنا نهبا، كأننا أولاد ترك أو كابل، فلا تدعوكم أنفسكم إلى الجدل بما أصبتم من دمائنا، و نالت أيديكم من أموالنا، فكأن العذاب قد حلّ بكم و أتت نقمات، ألا لعنة الله على الظالمين.

تيا لكم يا أهل الكوفة! أي تراث لرسول الله صلى الله عليه و آله قبلكم، و دخول له لديكم، بما عنتم بأخيه علي بن أبي طالب، افتخرتم بقتل قوم زكاهم الله في كتابه، و طهرهم و أذهب عنهم الرجس، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

ثم تكلمت أم كلثوم بنت الإمام علي كرم الله وجهه و شقيقة العقيلة «٣» الطاهرة السيدة زينب رضي الله تعالى عنهما، و قد غلب عليها البكاء، فقالت: يا أهل الكوفة

(١). العريكة: الخلق.

(٢). أي: خزان علمه.

(٣). العقيلة من النساء: المرأة الكريمة على قومها، العزيزة في بيتها.

أهل البيت في مصر، ص: ١٥٧

سوءة، ما لكم خذلتم حسينا و قتلتموه، و سيتم نساءه و نكبتموه! ويلكم، أ تدرّون أيّ دواء دهتكم، و أيّ وزر على ظهوركم حملتم، و أيّ كريمة أصبتموها، و أيّ أموال انتهبتموها؟ قتلتم خير رجالات بعد النبي صلى الله عليه و آله، ألا- إن حزب الله هم الفائزون، و حزب الشيطان هم الخاسرون.

ثم قالت:

قتلتم أخي و الله صبرا للؤمكم ستجزون نارا حرّها يتوقّد

سفكتكم دماء حرّم الله سفكها و حرّمها القرآن ثم محمد

ألا فأبشروا بالنار أنكم غدالفي سقر حقا يقينا تخلدوا

و إني لأبكي في حياتي على أخي علي خير من بعد النبي سيولد

بدمع غزير مستهلّ مكفّف على الخدّ منّي داتبا ليس يجمد فضجّ الناس بالبكاء و العويل.

ثم قام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما، و أوما للناس أن اسكتوا، و قال بعد حمد الله و الثناء عليه:

أيها الناس، من عرفني فكفي، و من لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشط الفرات بغير ذحل «١»

و لا- تراث، أنا ابن من انتهك حريمه، و انتهب ماله، و سبي عياله، و قتل صبّرا، و كفي بذلك فخرا، فأنشدكم الله هل تعلمون أنكم

كتبتم إلى أبي، و أعطيتموه العهد و الميثاق فخذلتموه، فتبا لما قدّمتم، و سوءة لرأيكم، بأيّة عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه

و آله، إذ يقول: قتلتم عترتي، و انتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي!

فارتفعت الأصوات من كلّ ناحية، و قال بعض الناس لبعضهم: هلكنم و ما تعلمون، فقال رضي الله تعالى عنه:

(١). الذحل: الثأر.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٥٨

رحم الله امرأ قبل نصيحتى و وصيتى فى الله و فى رسوله و أهل بيته، فإنّ لنا فى رسول الله أسوة حسنة. فقالوا جميعا: سامعون مطيعون، حافظون لدمامك، غير زاهدين فيك و لا- راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك و سلم لسلمك، لنأخذن يزيد و نبرأ ممّن ظلمك و ظلمنا، فقال رضى الله تعالى عنه: هيهات هيهات! أيها الغدرة المكرّة، حيل بينكم و بين شهوات أنفسكم، أ تريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى أبى بالأمس و أهل بيته معه، و لم ينس ثكل رسول الله صلّى الله عليه و آله و ثكل أبى و بنى أبى، و وجدته «١» بين لهاتى «٢»، و مرارته بين حناجرى، و غصصه فى فراش صدرى؟ و مسألتي أن لا تكونوا لنا و لا علينا، ثم قال:

غمز و إن قتل الحسين فشيخه قد كان خيرا من حسين و أكرما

فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذى أصاب حسينا كان ذلك أعظما

قتيل بنهر الشط روحى فداؤه جزاء الذى أرداه نار جهنّم ثم قال: رضينا منكم رأسا برأس، فلا يوم لنا و لا علينا.

*** و لَمَّا أدخل أهل البيت النبوى الكريم و من معهم إلى حيث اللعين عبيد الله بن زياد والى الكوفة من قبل يزيد بن معاوية، و الذى كان حربا على أهل البيت، و كرهه الشديد للإمام الحسين رضى الله عنه، لَمَّا أدخلوا إلى هذا المكان تذكّرت السيدة العقيلة زينب رضى الله عنها تلك القاعة التى يجلس فيها قاتل أخيها و أهلها و أنصارهم، بعد أن كان يجلس فيها- من قبل- أبوها أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

دخلتها السيدة العقيلة زينب هذه المرّة و قلبها متصدّع من الحزن و الأسى من أثر

(١). الوجد: الحزن.

(٢). اللهاة: قطعة اللحم المدلاة فى أقصى الفم. و يريد بهذا المبالغة، أى أنّه بلغ به الحزن فى صدره و قلبه حتّى وصل إلى أطراف فمه و حلقة.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٥٩

ما مرّ بها من أحداث جسام شهدتها بعينى رأسها، و لمستها بيديها عن كذب، و لكنّها لاذت بكلّ كبريائها و عزّة نفسها و كرامته محتدها، و اعتزّت بعلوّ حسيها و نسبها الشريفين، و التفتّ بجلال البنوة، و جلست بعد أن كانت قد لبست أبلى ثيابها و أرذلها متنكرة فيها، منتحية ناحية من القاعة، تحفّ بها إماؤها.

ثم أمر اللعين ابن زياد، فجيء له بروع الضحايا و الشهداء، و من بينها الرأس الشريف لمولانا أبى عبد الله الحسين رضى الله تعالى عنه، فجعل اللعين ابن زياد ينكت بقضيب كان فى يده بين ثنيتى الرأس الشريف، غير عابئ بشعور الحاضرين، و لا مراعى لإحساس أهل البيت النبوى، و هم يرون ما يصنع هذا المجرم الآثم.

و لذلك انبرى له زيد بن الأرقم «١» و صاح فيه قائلا: أعل هذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذى لا إله غيره، لقد رأيت شفتى رسول الله صلّى الله عليه و آله على هاتين الثنيتين يقبلهما، ثم بكى.

فقال له اللعين ابن زياد: أبكى الله عينيك، فوالله لو لا أنّك شيخ قد خرفت و ذهب عقلك، لضربت عنقك.

فخرج ابن الأرقم و هو يقول:

أنتم يا معشر العرب! العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، و أمرتم ابن مرجان، فهو يقتل خياركم و يستعبد شراركم، فرضيتم بالذلّ «٢».

نظر اللعين ابن زياد إلى الحاضرين أمامه، و تفحص كلاً منهم بنظرة، ثم تساءل عن هذه المنحازة وحدها و معها نساؤها و هي شامخة الرأس عالية، فلم تجبه

(١). أبو عمرو زيد بن ارقم بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري، من مشاهير الصحابة. كان نزيلاً في الكوفة فشهد هذه الواقعة المؤلمة. و كان زيد ممن شهدوا غزوة مؤتة و غيرها، و صفيين إلى جانب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. توفي بالكوفة عام ٦٦ هـ و قيل: ٦٨ هـ. (طبقات ابن سعد ٦: ١٨، تهذيب الكمال ١٠: ٩-١٢).

(٢). الأخبار الطوال: ٢٥٩-٢٦٠، الإرشاد للمفيد ٢: ١١٤-١١٥، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٦. و في البداية و النهاية ٨: ١٩٧ أن الذي أجاب ابن زياد إنما هو أبو برزة الأسلمي.

أهل البيت في مصر، ص: ١٦٠

العقيلة السيدة زينب رضی الله تعالی عنها، فأعاد تساؤله ثلاثاً دون أن تردّ عليه.

فقال بعض إمامها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، و بنت الإمام علي كرم الله وجهه «١».

فقال متشفياً فيها: الحمد لله الذي فضحككم و قتلكم، و أكذب أحدو ثتكم!

فقال: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه، و طهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاجر، و يكذب الفاسق، و هو غيرنا.

فلم يصبر اللعين ابن زياد على قولها، بل ردّ عليها قائلاً: كيف رأيت صنع الله في أهل بيتك و أخيك؟!

و هنا تتجلى كل معاني الإيمان و الصبر و الشجاعة، فتردّ عليه بقولها: ما رأيت إلّا خيراً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، و سيجمع الله بينك و بينهم فتحاجّ و تخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة. فأثار هذا الرد الحازم الحاسم حفيظة اللعين ابن زياد، و استشاط غيظاً و غضباً، فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير، إنما هي امرأة، و هل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقتها، إنها لا تؤاخذ بقول، و لا تلام على خطئ.

و لكنّ اللعين ابن زياد ظلّ غاضباً محتقاً، فردّ على السيدة الطاهرة بقوله: لقد شفى الله قلبي.

فقال: قتلت كهلي، و قطعت فرعي، و اجتثت أصلي.

فردّ عليها اللعين ابن زياد قائلاً: هذه سجاجعة، و لعمرى لقد كان أبوها سجاجعا شاعرا! فقالت: يا بن زياد، ما للمرأة و السجاجعة، و إن لي عن السجاجعة لشغلا، و إنّي لأعجب ممن يشتفى بقتل أئمتّه، و يعلم أنّهم منتقمون منه في آخرته «٢».

(١). في المصادر التاريخية هكذا: «هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله» و سنأتى على ذكر هذه المصادر.

(٢). الإرشاد ٢: ١١٥-١١٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٦-٢٩٧، اعلام الوری ١: ٤٧١-٤٧٢، البداية-

أهل البيت في مصر، ص: ١٦١

و في هذا الموقف الشجاع الجدير بالتسجيل، يقول الشيخ الجليل ابن نما الحلّي:

يا أيها المتشفّي في قتل أئمتّه قلبي من الوجد على مثل الحجر

لا بلغتك الليالي ما تؤمّله منها و بل سداك المالح المقر

قوم هم الدين و الدنيا فمن قلاهم فمأواهم إذن سقر

لهم نبي الهدى جدّ، و جدّهم يوم المعاد بنصر الله ينتصر «١» أثار هذا النقاش الصريح بين العقيلة الطاهرة السيدة زينب رضی الله تعالی عنها و بين اللعين ابن زياد، غيرة زين العابدين علي بن الحسين رضی الله تعالی عنهما و على عمّته العقيلة، فانبرى صائحا بابن زياد:

إلى كم تهتك عمّتي بين من يعرفها و من لا يعرفها؟

فالتفت إليه ابن زياد وقال: من أنت؟
 فردّ عليه فى حزم و ثبات: أنا على بن الحسين.
 قال ابن زياد، أليس الله قتل على بن الحسين؟
 قال على: كان لى أخ يسمّى عليا قتله الناس بأسيافهم.
 فردّ اللعين عليه: بل قتله الله.
 و هنا تتجلى مرّة أخرى قوة إيمان أهل البيت و شجاعتهم، عند ما ردّ زين

و النهاية ٨: ١٩٣.

و فى هذه الواقعة كتب الاستاذ بولس سلامة معتبرا:
 و رأى زينبا عليها من الأسمال و البوس ما يسرّ الأعدى
 فأراد امتهانها بشمات بعض إيلامه سنان الصعاد
 فأجابت بحكمه و إباءهاج فيه شرارة الإيقاد
 يفضح الجوهر القديم هجينا محدث الجاه زائف الأجداد
 ذاك أنّ العريق يبقى عريقا لا يضير الهزال أصل الجواد
 لا يكون الطود العتيّ خصيبا إنما الخصب فى وديع الوهاد (عيد الغدير: ٣٢٤-٣٢٥)
 (١). ديوان ابن نما الحلّى: ٣٧.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٦٢

العابدين بقوله: الله يتوفّى الأنفس حين موتها و التى لم تمّت فى منامها ... «١».
 فیسأله ابن زياد عليه اللعنة فى دهشة و غضب: أو بك جرأة على جوابى، و فيك بقيّة للردّ؟
 و صاح بغلمانه أن ينظروا هل أدرك «٢»، إنى لأحسبه رجلا.
 فكشف عنه مرى بن معاذ الأحمرى، و قال: نعم، قد أدرك.
 قال: اقتله.

فقال على: من توكل بهذه النسوة؟

فتعلقت العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها بزین العابدين على و قالت:
 يا ابن زياد! حسبك من دماننا ما ارتويت و سفكت، و هل أبقيت أحدا غير هذا؟ و الله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلنى معه.
 و عندئذ قال على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما: اسكتى يا عمّة حتى أكلمه.
 و التفت إلى اللعين ابن زياد و قال: أ بالقتل تهددنى؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة، و كرامتنا من الله الشهادة؟
 فنظر ابن زياد إليه و إلى العقيلة الطاهرة عمته ساعة، ثم قال: عجباً للرحم، و الله إنى لأظنها ودّت لو أتى قتلته أتى قتلتها معه، دعوه مع
 نسائه فإنى أراه لما به مشغولا «٣».

ثم نادى اللعين ابن زياد بالصلاة الجامعة، و نصر أمير المؤمنين! و أيد حزبه، و قتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على و شيعة!! «٤»

(١). الزمر: ٤٢.

(٢). أى: بلغ سنّ الحلم. و كأنه يريد أن يتثبت من إحدى أحكام الله و هو يريد أن يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه و آله!!

(٣). طبقات ابن سعد ٥: ٢١٢، اعلام الوری ١: ٤٧٢-٤٧٣، الكامل في التاريخ ٤: ٨٢.

(٤). يقول ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ»: هذا النصر في نظري و نظر كل عاقل صحيح العقل شرّ من الخذلان، إذ ما فخر الآلاف الكثيرة تجتمع على اثنين و سبعين رجلا قد نزلوا على غير ماء، إنّما يعتبر النصر شرفا و فخرا إذا كانت العدة متكافئة و العدد قريبا.

أهل البيت في مصر، ص: ١٦٣

و قبل أن يستأنف كلامه، وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، و كان ضريرا قد ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل مع الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه، و ذهبت الأخرى بصفتين معه أيضا، و كان لا يفارق المسجد يصلّي فيه الليل ثم ينصرف. فلما سمع مقالة اللعين ابن زياد، قال: يا ابن مرجانة! إنّ الكذاب ابن الكذاب أنت و أبوك و الذي ولّاك و أبوه، يا ابن مرجانة! أ تقتلون أبناء النبيين و تتكلمون بكلام الصديقين؟!

فقال ابن زياد: علىّ به. فأخذوه، فنأدى بشعار الأزد: «يا مبرور!» فوثب إليه فتية من الأزد فانترعوه من أيدي الجلاوزة، و أتوا به أهله و منزله.

فقال ابن زياد: إلىّ أعمى الأزد، أعمى الله قلبه، فأتوني به.

فلما بلغ الأزد ذلك، اجتمعوا و قبائل اليمن معهم، فبلغ ذلك ابن زياد، فجمع قبائل مصر و ضمّهم إلى ابن الأشعث و أمر بالقتال، فاقتتلوا حتّى وصل أصحاب ابن زياد عليه اللعنة إلى دار عبد الله بن عفيف الأزدي، فكسروا الباب و اقتحموا عليه، فصاحت ابنته: أ تاتك القوم من حيث تحذر، فقال: لا عليك، ناوليني سيفي، فناولته، فجعل يذبّ عن نفسه و يقول:

أنا ابن ذى الفضل عفيف الطاهر عفيف شيعي و ابن أم عامر

كم دارع من جمعكم و حاسر

فقال ابنته: يا ليتني كنت رجلا أخاصم بين يديك هؤلاء الفجرة، فأتلى العترة البررة.

و القوم محذقون به، كلّموا جاءوه من جهة أشعرته ابنته، و هو يذبّ عن نفسه و يقول:

أقسم لو فرج لي عن بصرى ضاق عليكم موردى و مصدرى فتكاثروا عليه فأخذوه، فقلت ابنته: وا ذلّاه! يحاط بأبي و ليس له ناصر.

فحقّ ابن زياد و من كان على شاكلته أن يندبوا على أنفسهم بالخبيّة و الخسران، و أن يطأطأوا رءوسهم ذلّا و عارا حينما وقف هؤلاء النسوة الأشراف و على رأسهم السيدة زينب بنت فاطمة بنت رسول الله و هى بهذه الحالة. لعن الله الفسق و الفسّاق، لقد سوءوا صحائف التاريخ، و سجّلوا على أنفسهم الجرائم الكبرى التي لا تغتفر و لا تنسى مدى الدهر، فإنّا لله و أنا إليه راجعون، و لا حول و لا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

أهل البيت في مصر، ص: ١٦٤

و أدخلوه على اللعين ابن زياد، فقال: الحمد لله الذى أخزأك.

فقال: يا عدوّ الله، فما ذا أخزاني؟ و الله لو فرج لي عن بصرى، ضاق عليكم موردى و مصدرى.

فقال: يا عدوّ الله، ما تقول في عثمان؟

فقال: يا عبد بنى علاج، يا ابن مرجانة، ما أنت و عثمان، أساء أم أحسن، فقد لقي ربّه و هو وليّ خلقه يقضى بينهم بالعدل، و لكن سلني عن أبيك و عن يزيد و أبيه.

فقال: و الله لا أسألتك عن شيء حتّى تذوق الموت عطشا.

فقال: الشهادة، و سألته أن يجعلها على يدي ألعن خلقه و أبغضهم إليه، فلما كفّ بصرى يئست من الشهادة، و الآن، فالحمد لله الذى

رزقنيها بعد اليأس منها.

فأمر ابن زياد، فضرب عنقه و صلب في السبخة «١».

ثم عاد بجندب بن عبد الله الأزدي و كان شيخا، فقال: يا عدو الله! أ لست بصاحب أبي تراب «٢»؟
فقال: بلى، لا أعتذر منه.

قال: ما أراني إلّا متقربا الى الله بدمك.

قال: إذن، لا يقربك الله منه، بل يباعدك.

قال: شيخ قد ذهب عقله. و خلّى سبيله.

*** ثم أمر ابن زياد عليه اللعنة برأس الحسين فطافوا به في الكوفة، و كان هذا الرأس الشريف أول رأس حمل في الإسلام على خشبة «٣».

و يقول ابن الأثير في ذلك: «و إنى لأعد من سيئات بنى أمية- و منهم معاوية- أن

(١). انظر الإرشاد ٢: ١١٧، الكامل في التاريخ ٤: ٨٣.

(٢). يقصد على بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٣). انظر الكامل في التاريخ ٤: ٨٣.

أهل البيت في مصر، ص: ١٦٥

يرخصوا لولاتهم في المعاقبة بالقتل، و كان سبيلهم أن يكون العقاب على يد الخليفة لا الوالى، فإنّ الترخيص بذلك جرّأ أمثال زياد و سمرة بن جندب و عبيد الله على الإكثار من القتل، لموجب و لغير موجب».

رحلة إلى الشام

أمر اللعين عبيد الله بن زياد، فأرسل رأس مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه و رءوس أصحابه، مع زحر بن قيس «١» و معه جماعة إلى الشام حيث يزيد بن معاوية في مقرّ حكمه، كما أرسل النساء و الصبيان من أهل البيت النبوى الكريم محمولين على أقتاب الجمال، و فيهم زين العابدين على بن الحسين، مغلول اليدين و الرقبة.

فلما قربوا من دمشق دنت السيدة أم كلثوم رضى الله عنها من شمر بن ذى الجوشن و كان ضمن جماعة ابن زياد، و قالت له: لى حاجة!

قال: ما هى؟

قالت: إذا دخلت البلد «دمشق»، فاحملنا فى درب قليل النظارة، و تقدّم أن يخرجوا هذه الرءوس من بين المحامل و ينحونا عنها، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا و نحن فى هذه الحال.

و لكنّ اللعين شمر، أمر بعكس ما سألته السيدة أم كلثوم، بغيا و عدوا و عتوا على أهل البيت النبوى الكريم، و سلك بهم على تلك الصورة الدروب الواسعة، حتّى وصلوا باب دمشق حيث يكون السبى!

و يقول ابن الأثير فى كتاب الكامل فى التاريخ: و لما بلغوا دمشق دخل زحر بن قيس على يزيد بن معاوية، فسأله قائلا: ما وراءك؟

(١). و قيل: مع شمر، و معه ابن مرّة العائدى، من عائذة قريش. انظر فى ذلك تاريخ ابن الأثير ٤: ٨٣.

و قيل: غير ذلك، مثل محفز بن ثعلبة، زفر بن قيس، أبو بردة و طارق و جماعة. راجع تاريخ أبى مخنف ١: ٤٩٧، الأخبار الطوال:

٢٦٠، البدايةً و النهايةً ٨: ١٩١، المنتظم ٥: ٣٤١.

أهل البيت في مصر، ص: ١٦٦

فردّ عليه قائلاً: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله و نصره! ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته، و ستين من شيعته «١»، فسرنا إليهم فسألناهم أن ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله أو القتال، فاختاروا القتال، فعدونا عليهم من شروق الشمس، فأحطنا بهم من كلّ ناحية، حتّى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون «٢» الى غير وزر! فو الله ما كان إلّا جزر جزور، أو نومة قائل، حتّى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجرّدة، و ثيابهم مرّلة، و خدودهم معفّرة، تصهرهم الشمس، و تسفى عليهم الريح، زوّاره العقبان و الرخم بقى سبب «٣».

فدمعت عينا يزيد! و قال: كنت أرضى من طاغيتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية! أما و الله لو أنّي صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين! «٤».

و يروى أنّه لما ورد وفد أهل الكوفة بالرأس الشريف إلى الشام و دخلوا مسجد دمشق، أتاهم مروان بن الحكم فقال: حجبتكم عن محمد صلّى الله عليه و آله يوم القيامة، لن أجامعكم على أمر أبدا. ثم انصرف عنهم «٥».

(١). صحّة العدد كلّ: اثنان و سبعون رجلا من أهل البيت و شيعتهم.

(٢). هذا هو الفخر المزيّف و الكذب الصريح، فإنّ كلّ المؤرّخين يذكرون لمن كان مع الحسين و آله ثباتا لا يضارعه ثبات، و إباء و شهما ندر أن يريا لمكسور قلّ ناصر و مؤيدوه، و كثر خاذلوه و واتروه (منه).

(٣). القى: قفر الأرض، الخلاء. و فى نسخة: و معى سيهم. و السبب: المفازة، الأرض البعيدة المستوية، لا ماء فيها و لا أنيس (لسان العرب: مادة سبب).

(٤). الكامل فى التاريخ ٤: ٨٣-٨٤. و يروى ابن الأثير فيه: ٨٧ أنّه قيل: لّمّا وصل رأس الحسين إلى يزيد حسنت حال ابن زياد عنده، و زاده، و وصله و سرّه ما فعله، ثم لم يلبث إلّا قليلا حتّى بلغه بغض الناس له و لعنهم و سبهم، فندم على قتل الحسين، فكان يقول: ... لعن الله ابن مرجانة فإنّه اضطرّه ... فبغضنى بقتله إلى المسلمين، و زرع فى قلوبهم العداوة، فأبغضنى البرّ و الفاجر بما استعظموه من قتلى الحسين، ما لى و لابن مرجانة، لعنه الله و غضب عليه!!

(٥). و إن كان من المستبعد على مروان أن يقول هذا، لأنّه رأس كلّ المصائب، إلّا أنّها ربّما تكون صحوة ضمير بعد فوات الأوان (منه). و يذكر ابن الأثير: انّ الذى قال ذلك هو أخوه يحيى بن الحكم، و ليس مروان.

أهل البيت في مصر، ص: ١٦٧

فلّمّا دخلوا على يزيد، قال يحيى بن الحكم «١»:

لهام بجنب الطفّ أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذى الحسب الوغل

سميّة أمسى نسلها عدد الحصى و ليس الآل المصطفى اليوم من نسل «٢» و قيل: إنّهُ لّمّا سمعت هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز - كانت تحت يزيد - ما دار من حديث زحر بن قيس و جماعته، و رأت بعينها الرأس الشريف بين يديه، تقنّعت بثوبها و خرجت، و قالت: يا أمير المؤمنين، أ رأس الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله؟

قال: نعم، فأعولى عليه، وحدى على بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله و صريحة قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله!

ثم أذن للناس فدخلوا عليه و الرأس بين يديه، و معه قضيب و هو ينكت به ثغره! ثم قال: إنّ هذا و إيانا، كما قال الحصين بن الحمام:

أبى قومنا أن ينصفونا نصف قواضب «٣» فى أيماننا تقطر الدما

يفلقن هاما «٤» من رجال أعزّة «٥» علينا و هم كانوا أعقّ و أظلما فقال له أبو برزة الأسلمى: ويحك، أ تنكت بقضيبك فى ثغر الحسين

ابن فاطمة؟!

(١). في الكامل: ٨٩، «يجيى بن أكنم». أما في الإرشاد ٢: ١١٩، وإعلام الورى ١: ٤٧٤، وكفاية الطالب:

٤٣٢ فكما هو مثبت في المتن.

(٢). وفي رواية: و بنت رسول الله ليست بذى نسل.

(٣). أى السيوف.

(٤). إلهام: الرءوس.

(٥). فى رواية: «أحبة» بدل «أعزة».

أهل البيت فى مصر، ص: ١٦٨

أشهد لقد رأيت النبى صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه و ثنايا أخيه و يقول: «أتما سيّدا شباب أهل الجنة، فقتل الله قاتلكما، و لعنه الله، و أعد له جهنم و ساءت مصيرا». أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة و ابن زياد شفيحك، و يجيء هذا و محمد شفيعه، ثم قام أبو برزة فولّى.

فقال يزيد: و الله يا حسين، لو كنت أنا صاحبك ما قتلتك! ثم قال: أتدرون من أين أتى هذا؟ لقد قال: أبى على خير من أبيه، و فاطمة أمى خير من أمه، و جدّى رسول الله خير من جدّه، و أنا خير منه و أحقّ بهذا الأمر منه، فأما قوله: «أمى خير من أمه» فلعمرى فاطمة بنت رسول الله خير من أمى، و أما قوله: «جدّى رسول الله خير من جدّه» فلعمرى ما أحد يؤمن بالله و اليوم الآخر يرى لرسول الله فىنا عدلا و لاندأ، و لكنّه أتى من قبل فقهاء، و لم يقرأ: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ!! «١».

ثم أدخل نساء الحسين عليه و الرأس الشريف بين يديه، فجعلت فاطمة و سكينه ابنتا الشهيد الإمام الحسين تتناولان لتنظرا إلى الرأس، و جعل يزيد يتناول بدوره ليستره عنهما، فلما رأتا الرأس صاحتا، فصاحت نساء يزيد و ولولت بنات معاوية، فقالت فاطمة بنت الحسين: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟ فقال: يا ابنه أختى، أنا لهذا كنت أكره! فقالت: ما ترك لنا حرص «٢».

فقال: ما أتى إليك أعظم مما أخذ منك «٣».

و قد تجزأ من أهل الشام من كان حاضرا فى هذا الحبس، فقام و قال: هب لى هذه الجارية «٤» يا أمير المؤمنين تكون خادمه عندى!

(١). انظر تاريخ الطبرى ٤: ٦٥٧-٦٥٨، المنتظم ٥: ٣٤٣، الكامل فى التاريخ ٤: ٨٥. و الآية: ٢٦ من آل عمران.

(٢). أى: اعتبار فى رأى.

(٣). الكامل فى التاريخ ٤: ٨٥-٨٦.

(٤). يعنى بها فاطمة بنت الحسين.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٦٩

فارتعدت فرائص فاطمة «١»، و أخذت بثياب عمّتها العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها، و قالت: يا عمّته، أو تمّت و أستخدم!! فقالت العقيلة السيدة زينب للشامى: كذبت و لؤمت، ما جعل الله ذلك لك و لا لأميرك.

فغضب يزيد و قال: كذبت و الله، إن ذلك لى، و لو شئت أن أفعل لفعلت.

فقلت: كلاً والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا و تدين بغير ديننا.
فاستطار يزيد غضبا و قال: إياى تستقبلين بهذا الكلام!! إنما خرج من الدين أبوك و أخوك.
فقلت السيدة العقيلة: بدين أبى و أخى اهتديت أنت و أبوك و جدك إن كنت مسلما.
قال: كذبت يا عدوة الله!

قالت: يا يزيد، أنت أمير! تشتم ظالما و تقهر بسطانك.

فاستحى يزيد و سكت، فأعاد الشامى سؤاله قائلا: هب لى هذه الجارية.

فقال له يزيد: اسكت، وهب الله لك حتفا قاضيا «٢».

و لم يرتدع يزيد بن معاوية عن غيئه فى مجلسه هذا، بل ظل ينكت بقضييه الذى فى يده ثنايا الإمام أبى عبد الله الحسين، و يقول:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل «٣»

فأهلوا و استهلوا فرحائم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القوم من سادتهم و عدلنا ببدر فاعتدل

(١). فاطمة بنت الحسين بن على الهاشمية؛ أم عبد الله. و أمها: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمية. لُقبت بفاطمة الصغرى تميزا لها عن فاطمة الكبرى بنت على بن أبى طالب عليه السلام. تزوجها الحسن المثنى بن الإمام الحسن عليه السلام، و ولدت له عبد الله المحض و إبراهيم و الحسن المثلث و زينب، و هى صاحبة الخطبة الشهيرة التى ألقتها على مسامع أهل الكوفة بعد مقتل أبيها عليه السلام توفيت على الأشهر: سنة ١١٧ هـ، و قيل:

١١٠ هـ عن أكثر من سبعين عاما (مرآة الجنان ١: ١٨٤، اعلام النساء: ٣٦٠ و ما بعده).

(٢). تاريخ أبى مخنف ١: ٥٠٠، الإرشاد ٢: ١٢١، تاريخ ابن الأثير ٤: ٨٦، البداية و النهاية ٨: ١٩٤.

(٣). الأسل: السيف.

اهل البيت فى مصر، ص: ١٧٠

و ما أن سمعت العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها ذلك القول حتى انتصبت قائمة ترد على يزيد قائلة فى خطبة تعد من أبلغ الخطب و أفصحها، عليها أنوار الحق، خطبة علوية فاطمية، فتقول رضى الله تعالى عنها:

خطبة علوية زينية

«الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على رسوله و آله أجمعين، صدق الله سبحانه حيث يقول: ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ [الروم: ١٠]، أظننت يا يزيد حين أخذ علينا بأقطار الأرض و آفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا هوانا على الله، و بك عليه كرامة و أن ذلك لعظيم خطر ك عنده، فشمخت بأنفك، و نظرت فى عطفك، تضرب أصدرىك «١» فرحا، و تنفض مذورىك «٢» مرحا، جزلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوثقة و الأمور متسقة، و حين صفا لك ملكنا و سلطاننا؟! فمهلا! أنسيت قول الله تعالى: وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُملى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُملى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ؟

أ من العدل يا ابن الطلقاء «٣»، تخدير ك حرائك و إماءك، و سوقك بنات رسول الله صلى الله عليه و آله سبايا قد هتكت ستورهنّ، و أبديت وجوههنّ، تحدوا بهنّ الأباغر من بلد إلى بلد، و يستشرفهنّ أهل المناهل و المناقل، و يتصفح وجوههنّ القريب و البعيد، و الدنى و الشريف، ليس معهنّ من رجالهنّ ولى، و لا من حماتهنّ حمى؟

و كيف يرتجى مراقبه من لفظ فوه أكباد الأذكياء، و نبت لحمه من دماء الشهداء؟!

(١). أصدرىك: منكيبك.

(٢). المذوران: جانبا الألبتين، و لا واحد لها. و هى كناية عن البغى المفرط، و الفرح الشديد بذلك.

(٣). الطلقاء: هم أبو سفيان و معاوية و بقيه الأمويين الذين أطلقهم رسول الله صلى الله عليه و آله يوم الفتح، و قال لهم:

«أذهبوا فأنتم الطلقاء» و بهذا صاروا موالى له هم و ذريتهم الى يوم القيامة.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٧١

و كيف يستبطأ فى بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشفن و الشنان، و الإحن و الأضغان، ثم تقول غير متأثم و لا مستعظم:

فأهلوا و استهلوا فرحائم قالوا يا يزيد لا تشل منحيا على ثنيا أبي عبد الله، سيد أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك؟!

و كيف لا تقول ذلك و قد نكأت القرحة، و استأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه و آله، و نجوم الأرض من آل

عبد المطلب، و تهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم؟

فلتردنّ و شيكا موردهم، و لتودنّ أنك شلت و بكمت، و لم تكن قلت ما قلت، و فعلت ما فعلت.

اللهم خذ لنا بحقنا، و انتقم ممن ظلمنا، و أحلل غضبك بمن سفك دماءنا و قتل حماتنا.

فو الله يا يزيد، ما فريت إلّا جلدك، و لا حزرت إلّا لحمك، و لتردنّ على رسول الله صلى الله عليه و آله بما تحملت من دماء ذريته،

و انتهكت من حرمة فى عترته و لحمته، حيث يجمع الله شملهم، و يلتم شعثهم، و يأخذ بحقهم و لا تحسببنّ الذين قتلوا فى سبيل الله

أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون [آل عمران: ١٦٩].

و حسبك بالله حاكما، و بمحمد صلى الله عليه و آله خصيما، و بجبريل ظهيرا، و سيعلم من سؤل لك و أمكنك من رقاب

المسلمين - بئس للظالمين بدلا - أينا شرّ مكانا و أضعف جندا.

و لئن جرت على الدواهى مخاطبتك، إنى لأستصغر قدرك، و أستعظم تقريعك، و أستنكر توبيخك، لكن العيون عبرى، و الصدور

حرى، و ما يجزى ذلك أو يغنى، و قد قتل أخى الحسين، ألا إنّ حزب الشيطان يقرب إلى حزب السفهاء، ليعطوهم أموال الله عوناً

على انتهاك محارم الله.

ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء! فهذه الأيدى تنطف من دماثنا، و الأفواه تتحلّب من لحومنا، و

تلك الجثث الطواهر الذواكى

أهل البيت فى مصر، ص: ١٧٢

تنتابها العواسل «١» و تعفرها أمهات الفراعل «٢».

و لئن اتخذتنا مغنما، لتجدنّ وشيكا مغرما، حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، و ما ربك بظلام للعبيد، و إلى الله المشتكى و عليه

المعول.

فكد كيدك، و اسع سعيك، و ناصب جهدك، فو الله لا- تمحو ذكرنا، و لا تميت و حيناً، و لا تدرك أمدنا، و لا ترخص عنك

عارها، و هل رأيت إلّا فندا «٣»، و أيامك إلّا عددا، و جمعك إلّا بددا، يوم ينادى المنادى: ألا لعنة الله على الظالمين.

فالحمد لله رب العالمين الذى ختم لأؤلنا بالسعادة و المغفرة، و لآخرنا بالشهادة و الرحمة، نسال الله أن يكمل لهم الثواب، و يوجب

لهم المزيد، و يحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، و حسبنا الله و نعم الوكيل».

لم يستطع يزيد بن معاوية، مع ما هو عليه من سلطان و ملك و هيبه يخشاها أكثر الناس أن يقاطع العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى

عنها، أو أن يمنعها من الاستمرار فى الكلام- رغم أنه من لاذع القول و شديد التفرغ- مع علم السيدة زينب أنها فى ذلّة الأسر، و أنها

كانت دامية القلب، باكية الطرف، ممّا مرّ بها من أحداث جسام.

إنّه لموقف عظيم لا يحتاج إلى برهان للتدليل على شجاعته رضى الله تعالى عنها، و على قوّة حجّتها، إذ مثّلت في موقفها هذا الحقّ تمثيلاً صحيحاً، و أضاءت إلى طلب المعرفة و الحقيقة سبيلاً واضحاً.
إلّا أنّ يزيد بن معاوية أراد أن يخرج من هذا المأزق الذى وقع فيه، و الحرج الشديد الذى أصابه من افتضاح حقيقة أمره، فلم يستطع أن ينطق بغير هذه الكلمة:

يا صبيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النواح ثم أمر، فأخرج النساء و أدخلن دور يزيد، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلّا أتتهنّ،

(١). العواسل: الذئاب.

(٢). الفراعيل: الضباع.

(٣). أى: كذبا.

أهل البيت في مصر، ص: ١٧٣

و أقمن ماتما على الضحايا الشهداء.

و قد سألن يزيد عمّا أخذ منهنّ، فأضعفه لهنّ حتى قالت السيدة سكينه ابنة الإمام الحسين رضى الله تعالى عنهما: ما رأيت كافرا بالله خيرا من يزيد بن معاوية! (١).

أمّا زين العابدين على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما، فكان قد أدخل على يزيد و هو مغلول الأيدي، فقال ليزيد: «لو رأنا رسول الله صلّى الله عليه و آله مغلولين لفكك عنّا».

قال: صدقت، و أمر بفكّ غلّه.

فقال على: و لو رأنا رسول الله صلّى الله عليه و آله بعداء لأحبّ أن يقربنا.

فأمر يزيد فقرب منه، و قال: إيه على بن الحسين، أبوك الذى قطع رحمتى، و جهل حقّى، و نازعنى سلطانى، فصنع الله به ما رأيت. فقال على: ما أصاب من مصيبة فى الأرض و لا فى أنفسكم إلّا فى كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسيرٌ * لكنيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم و الله لا يحبّ كلّ مُختالٍ فخورٍ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فقال يزيد: و ما أصابكم من مصيبه فيما كسبت أيديكم [الشورى: ٣٠].

فقال على: «هذا فى حقّ من ظلم، لا من ظلم» (٢).

ثم سكت عنه، و أمر بإنزاله و أهل بيته- بعد أن خرجن من عند نساء يزيد- فى دار خاصّة، و كان يدعوه للطعام معه سواء فى الغداء أو العشاء. فدعاه مرّة و معه ابن الحسن [عمرو] و هو صبي، فقال له يزيد بن معاوية و هو يشير إلى ابنه خالد: أ تقاتل هذا؟ فقال عمرو: أعطنى سكيناً و أعطه سكيناً حتى أقاتله!

(١). الكامل فى التاريخ ٤: ٨٦. ربّما يبدو من هذه الرواية عطف يزيد و رفته على أهل البيت عليهم السلام لدرجه أن قالت سكينه بنت

الإمام الحسين عليه السلام- لو صحّ الخبر- هذا الكلام. غير أن ابن قتيبة يروى الرواية هكذا:

«ان يزيد غضب- من جواب الإمام على بن الحسين عليهما السلام- و جعل يعبث بلحيته، و قال، و ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم يا أهل الشام: ما ترون فى هؤلاء؟ ... فقال النعمان بن بشير: يا أمير ...

اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول صلّى الله عليه و آله لو رأهم بهذه الحال ...». الإمام و السياسة ٢: ١٢-١٣.

(٢). الكامل فى التاريخ ٤: ٨٦-٨٧، الإمامة و السياسة ٢: ١٢-١٣.

أهل البيت في مصر، ص: ١٧٤

فقتله يزيد وضمه إليه وقال: شنشنة أعرفها من أخزم، و هل تلد الحية إلا حية؟! «١» و «٢»

و يروى أبو الديلم: أنه لما جاء بعلي بن الحسين إلى دمشق فيمن جاء معهم، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم و استأصلكم، و قطع قرني الفتنة.

فقال علي: «أقرأت القرآن؟».

قال: نعم.

قال: «أقرأت آل حم؟».

قال: قرأت القرآن، و لم أقرأ آل حم.

قال: «أما قرأت قل لا أستلکم علیہ أجزاً إلا الموددة في القربى [الشورى: ٢٣]؟»

قال: و إنكم لأنتم هم؟

قال: «نعم» «٣».

*** و لقد اطمأن يزيد بن معاوية على ملكه بعد ما حدث للإمام الحسين رضى الله عنه، و استتب له الأمر، فرضى عن اللعين عبيد الله بن زياد، و زاده و وصله، و سره منه ما فعل. إلا أن هذا لم يدم طويلاً، إذ كبر على الناس ما جرى للشهيد العظيم الإمام الحسين و أهل بيته و أنصاره، فكرهوا يزيد و حكمه، و أبغضوه و لعنه و سبوه.

و لما بلغه ما وصل إليه حال الناس ندم على قتل الإمام الحسين و صحبه رضى الله تعالى عنهم جميعاً، فصار يقول:

(١). الكامل في التاريخ ٤: ٨٧، الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤١ و فيه: «أعطني سيفاً، و اعطه سيفاً حتى أقاتله، فتنظر أينما أصبر». و الشنشنة: الطبيعة و السجية. و أخزم: اسم ولد كان عاقاً لأبيه، فمات و ترك بنين عقوا جدّهم أيضاً و زادوا عليه أن ضربوه و آدموه، فقال: إنما هو شنشنة أعرفها من أخزم، فصار مثلاً.

(٢). و لو أنصفه اللعين يزيد لقال: إن ذلك الشبل من ذاك الأسد.

(٣). كتاب الفتوح لابن أعمش ٥: ٢٤٢-٢٤٣، مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٦١، اللهوف على قتلى الطفوف:

١٠٠، مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ٤٤٩ نقلاً عن تفسير ابن كثير و الألوسى.

أهل البيت في مصر، ص: ١٧٥

- و ما عليّ لو احتملت الأذى، و أنزلت الحسين معي في دارى، و حكمته فيما يريد و إن كان في ذلك و هن في سلطاني؛ حفظاً لرسول الله صلى الله عليه و آله، و رعاية لحقه و قرابته، لعن الله ابن مرجان فإنه اضطره، و قد سأله أن يضع يده في يده أو يلحق بشعر حتى يتوفاه الله، فلم يجبه إلى ذلك فقتله، فبغضنى بقتله إلى المسلمين، و زرع في قلوبهم العداوة، فأبغضنى البرّ و الفاجر بما استعظموه من قتل الحسين، ما لى و لابن مرجان، لعنه الله و غضب عليه.

بيان الحقيقة واجب

كأنتى بالقارئ الكريم و هو يطالع فصول هذه المأساة الأليمة التي روّعت الأمة الإسلامية، و صدعت قلوب أبنائها في القرن الأول الهجرى، كأنتى بالقارئ الكريم و قد ارتسم على وجهه من علامات الاستفهام ما ينم عن حزن عميق، و حيرة شديدة و دهشة بالغه، تثير في خاطره سيلاً من الأسئلة عن هذا الذى حدث لبيت النبوة، كيف حدث أن أهل البيت قد أشاد الله تعالى بذكرهم، و أثنى في القرآن الكريم عليهم، فكيف تعرّضوا للقتل و الإبادة بتلك الصورة البشعة التي تقشعرّ الأبدان من هولها؟ و أين ما تكفل الله به

لأوليائه من رعايتهم و حمايتهم و نصرتهم؟ و من أولى من الحسين و أهل بيته رضى الله تعالى عنهم جميعا بتلك الرعاية، و تلك الحماية، و تلك النصرة؟!

الأ- هون عليك أيها القارئ الكريم، فإن الله تعالى لم يرد بالإمام الحسين و أهله الطيبين الطاهرين إلّا خيرا، إنّه تعالى أراد أن يجعلهم فى مستوى مع أنبياء بنى إسرائيل و رسلهم، و هؤلاء قد طغى الظلمة و الجبارين من اليهود عليهم، فأمنوا فيهم قتلا و تمزيقا، و تحريقا و إبادة. فقتلوا زكريا و يحيى و شيعاء و أرمياء و عددا كبيرا من كرام الأنبياء.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٧٦

و قد روى «١»: أن زكريا عليه السلام لاذ من قاتليه بشجرة، فانفتحت له و دخل فى جوفها، و لكن الطغاة البغاة أعملوا فيها بمنشيرهم حتى نشروه و هو فى داخلها، و شطروا جسمه شطرين، فلم ينقص ذلك من درجة الشهادة إلى جانب مرتبة النبوة، فكان نبيا و كان شهيدا، و حاق بالظلمة ما بين الله تعالى فى قوله: وَ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدُّلَّةَ وَ الْمَشِيكَةَ وَ بَأَوْ بَعْضِ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ [البقرة: ٦١].

و قد وصف النبى صلى الله عليه و آله بعض ما تعرّض له المؤمنون من قبل، و ذلك حين جاء خباب بن الأرت يشكو إليه ما كان يعانيه هو و رفاقه من تنكيل كفّار قريش بهم، فقال صلى الله عليه و آله: «اصبروا، فقد كان يؤتى بالرجل ممن قبلكم، فينشر بمنشار من حديد من قمة رأسه إلى أخمص قدمه، ما يصرفه ذلك عن دين الله» «٢».

و فى القرآن الكريم إشارة إلى طوائف من المؤمنين بغى عليهم الكفار، فحفروا لهم أخاديد فى الأرض ملئوها نارا، ثم أخذوا يعرضون عليهم الارتداد عن الإسلام فيأبون، فيقذفون بهم فى تلك الأخاديد، و يجلسون للتفرّج عليهم و هم يحترقون، و من هؤلاء: ابن ماشطة فرعون، فإنه لما أراد فرعون أن يقذف به فى النار، و خشيت عليه أمه، أنطق الله تعالى لسانه و هو طفل رضيع، و قال لها: تقدّمي يا أمى و لا تتقاعسى، فإنك على الحق، فتقدّمت و احترقت، و لم تستغرق عملية احتراقها إلّا لحظات قصيرة، من بعدها تفتّحت لها و لرضيعها أبواب الجنّة، ينعمان بقصورها و أنهارها، و أشجارها و ثمارها، و كلّ ما فيها.

فإذا كان الإمام الحسين رضى الله عنه و من معه من بنى هاشم قد لاقوا ما لاقوا من بغى الباغين، و ظلم الظالمين، فإن ذلك لم يكن لهوان لهم على الله تعالى، إن الله تعالى

(١). رواه ابن الأثير فى تاريخه ١: ٣٠٦.

(٢). أخرجه البخارى ٣: ١٣٢٢ من كتاب المناقب ب ٢٢ علامات النبوة فى الاسلام. حديث ٣٤١٦، و: ١٣٩٨ من كتاب فضائل الصحابة ب ٥٨ ما لقى النبى صلى الله عليه و آله و أصحابه من المشركين بمكة حديث ٣٦٣٩.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٧٧

رفعهم إلى أعلى عليين، و جعل أعداءهم فى أسفل سافلين. و فى اعتقادي أنّ الله تعالى لم يرد للإمام الحسين رضى الله عنه أن يكون واليا لأمر الدنيا؛ لأنه لو تولّاها لكان واحدا من الخلفاء الراشدين، و لحكمة لا يعلمها إلّا الله، اقتضت المشيئة الإلهية ألّا يتجاوز عهد الخلفاء الراشدين أكثر من ثلاثين عاما «١» بعد الرسول صلى الله عليه و آله. فلو أصبح الإمام الحسين خليفة لجاء فى عهد غير عهده، و أوان غير أوانه، و كما قال الفرزدق الشاعر الكبير: القدر ينزل من السماء و الله يفعل ما يشاء على أنّ ما صنعه الإمام الحسين كان له نور فى الأرض و زخر فى السماء، فما زال يذكر رضى الله عنه بكلّ إجلال و إكرام، بينما خصومه لا يذكرون إلّا بالرجم و الشتم و اللعن. و قد أصاب من قال:

لذكرك فينا يا حسين خلود بقيت به حيا و مات يزيد

نعم مات حتى ضلّ فى الأرض قبره و ليس له بين القبور وجود

و من رجعت ذكراه من بعد موته هو الميِّت لكَرَّ الحسين شهيد و قد يسأل القارئ عن الأمة الإسلامية بعد مقتل الحسين، لما ذا لم تغضب غضبتها و لم تثر ثورتها؟

و أقول: إنَّ الأمة قد حزنت أشدَّ الحزن لَمَّا أصاب الإمام الحسين و رفاقه، و لكنَّها إذ ذاك كانت ذاخرة بالعقلاء من الرجال ما بين صحابه و تابعين، و هؤلاء رأوا أنَّ الثورة آنذاك لأعداء الإسلام من اليهود و النصارى، فيسرعون بالتدخل، و يعملون بكلِّ ما أوتوا من قوة على وقف تقدّم الدعوة و انطلاقتها لهداية المشرق و المغرب،

(١). و هى مدة حكم الخلفاء الراشدين الأربعة، و كذلك الإمام الحسن. فقد بقى أبو بكر الصديق فى الحكم سنتين و ثلاثة شهور و عشرة أيام، و بقى عمر عشر سنوات و ستَّة شهور و أربعة أيام، و بقى عثمان إحدى عشرة سنة و أحد عشر شهرا و ثمانية عشر يوما، و بقى على أربع سنوات و تسعة شهور. أما الحسن بن على فبقى ستَّة شهور فقط، و هى المدة المكتملة للثلاثين عاما. أهل البيت فى مصر، ص: ١٧٨

ففضّلوا أن تسكن الفتنة، لیتاح لدعوة الحقّ أن تشقّ طريقها فى كلِّ اتجاه، فذلك أجدى بكثير من ثورة عارمة لا يعلم إلّا الله تعالى مداها.

و ممّا يجدر ذكره أن قتلة الحسين رضى الله عنه و أهل بيته ظنّوا أنّهم يستطيعون القضاء على الذرية المحمدية، و لكنّ الله تعالى أحبط كيدهم.

فقد عاش زين العابدين على بن الحسين و كثر نسله، و انتشرت فى الأرض ذريته رضى الله تعالى عنهم جميعا، و لا يزالون حتّى الآن يعيشون فى أقطار شتى من الدنيا، فهم أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، و لكنّ الله تعالى أتمّ نوره على الرغم منهم. و أمّا سيّدات بنى هاشم اللاتى شهدن المأساة، فإنّ الأحداث المروعة لم تستطع أن تطغى على إيمانهنّ و صبرهنّ، فقد بقين فى الحياة و بعد الممات يملأن حياة المسلمين نورا و هدى، و خيرا و بركة، و فى طليعتهنّ سيّدتنا الطاهرة العقيلة السيدة زينب رضى الله تعالى عنها و أرضاها.

و قد اختارت السيدة العقيلة زينب رضى الله تعالى عنها مصر دارا لإقامتها، لما سمعته عن أهلها من محبّتهم لأهل البيت النبوى الكريم، و عظيم عطفهم و مودّتهم و ولائهم لذوى القربى، و لما تعرفه من أنّ مصر كنانة الله فى أرضه، من أرادها بسوء من جبار قصمه الله، و لما سمعته بما حدّثت به أمّ سلمة، من أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله أوصى قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بأهل مصر، فقال:

«إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإنّ لهم ذمّة و رحما» (١).

و فى رواية: أنّه صلّى الله عليه و آله قال: «إنكم ستفتحون مصر، و هى أرض يسمّى فيها القيراط،

(١). أخرجه مسلم ٤: ١٩٧٠ من كتاب فضائل الصحابة ب ٥٦ وصية النبى صلّى الله عليه و آله بأهل مصر ح ٢٥٤٣، و البيهقى فى السنن الكبرى ٩: ٢٠٦ عن أبى ذرّ.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٧٩

فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإنّ لهم ذمّة و رحما»، أو قال: «ذمّة و صهرا» (١).

و قد صحب السيّد الكريمة فى مجيئها إلى مصر بعض أهل البيت الكرام. و كان فيمن صحبها من أهل البيت النبوى الكريم - كما يروى البعض -: السيدة فاطمة ابنة مولانا الحسين، و مسجدنا معروف بالقاهرة باسم مسجد السيدة فاطمة النبوية، و كذلك السيدة سكينه ابنة مولانا الإمام الحسين، و مسجدنا معروف بالقاهرة كذلك باسمها، و بهذا قال محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن الحسن بن الحسن رضى الله عنهم جميعا.

و بالإسناد المرفوع الى علي بن محمد بن عبد الله، قال:

لما دخلت مصر في سنة ١٤٥ هجرية، سمعت عسامة المعافري يقول: حدثني عبد الملك بن سعيد الأنصاري، قال: حدثني وهب بن سعيد الأوسى، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري، قال: رأيت زينب بنت علي بعد قدومها بأيام، فوالله ما رأيت مثلها وجهها، كأنه شقفة قمر.

و بالسند المرفوع إلى رقية بنت عامر الفهري، قالت:

كنت في من استقبال زينب بنت علي لما قدمت مصر بعد المصيبة، فتقدم إليها مسلمة بن مخلد الأنصاري و عبد الله بن الحارث و أبو عميرة المزني، فعزاها مسلمة فبكي، فبكت و بكى الحاضرون، و قالت: هذا ما وعد الرّحمن و صدق المرسلون. و كان مسلمة بن مخلد والي مصر، قد توجه و معه جماعة من أصحابه، و رهط كبير من أعيان مصر و علمائها و وجهائها و تجارها؛ ليكونوا في شرف استقبال السيدة زينب رضي الله تعالى عنها عند ما تطأ قدماها الشريفتان أرض الكنانة، فاستقبلوها جميعا استقبالا حافلا يليق بمقامها الكريم، عند قرية علي طريق مصر

(١). أخرجه مسلم ٤: ١٩٧٠ من كتاب فضائل الصحابة ب ٥٦ وصية النبي صلى الله عليه و آله بأهل مصر ح ٢٢٧/٢٥٤٣، و أحمد في المسند ٥: ١٧٤ كلاهما عن أبي ذر. و قوله: «و رحما» لكون «هاجر» أم إسماعيل منهم، و قوله: «و صهرا» لكون «مارية» أم إبراهيم، زوج النبي الأكرم صلى الله عليه و آله منهم. أهل البيت في مصر، ص: ١٨٠

و الشام، شرقي مدينة «بليس» بمحافظة الشرقية. و قد عرفت هذه القرية فيما بعد باسم «القرية العباسية» نسبة للعباسة ابنة أحمد بن طولون.

و قد وافق دخول السيدة الطاهرة مصر بزوغ هلال شعبان سنة إحدى و ستين هجرية، الموافق ٢٦ أبريل سنة ٦٨١ ميلادية، و كان قد مضى على استشهاد شقيقها الإمام أبي عبد الله الحسين رضي الله عنه ستة أشهر و أيام.

و لقد قال أحد الشعراء في اختيارها مصر دارا لإقامتها:

لما رجعت من الشام ليثرب من بعد فاجعة الإمام الحسين

طلبوا إليك الظعن للبلد الذي تستوطنينه خارج الحرمين

فاخترت مصر فرحبت بك و انثت تهتر من شرف علي الكونين و قد أنزلها الولي هي و من معها في داره بالحمراء القصى ترويحاً لها، إذ كانت تشكو ضعفاً من أثر ما مرّ بها، فنزلت بتلك الدار معززة مكرّمة، و بقيت فيها موضع إجلالهم و تقديرهم، حيث كانوا يفتدون إلى منزلها الكريم متلمسين بركتها و دعواتها، مستمعين إلى ما تروييه من الأحاديث النبوية الشريفة، و الأدب الديني الرفيع. و بقيت العقيلة السيدة زينب بتلك الدار أقل من عام بقليل، فلم تر خلال مدة إقامتها إلا عابدة متبتلة متهجدة، صوامة قوامة تالية لآي الذكر الحكيم.

و قد انتقلت رضوان الله عليها عشية يوم الأحد لأربع عشرة مضي من رجب سنة اثنتين و ستين من الهجرة، الموافق ٢٧ مارس سنة ٦٨٢ ميلادية، فمهدت لها الأرض الطاهرة مرقدًا لينا في مخدعها من دار مسلمة، حيث أقامت، و حيث اختارت أن تلقى فيها ربّها الكريم؛ ليكون مضجعها الأخير «١».

(١). اختلف المؤرخون في قبرها عليها السلام على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها دفنت في مدينة جدّها رسول الله صلى الله عليه و آله. و مال إلى ذلك المرحوم السيد محسن الأمين في كتابه أعيان

الشيعة، مستدلًا بأنه قد ثبت دخولها إلى المدينة، و لم يثبت خروجها.

الثاني: أنها عليها السلام قد دفنت في قرية بضواحي الشام. ذهب إليه ثلثة من العلماء و المؤرخين، منهم:-

أهل البيت في مصر، ص: ١٨١

و صار مقامها حيث و وريت الثرى مزارا مباركا يفد إليه المسلمون من كلّ حذب و صوب، يتبركون به و يسألون ربهم فيه صالح الدعوات.

و فى هذا المقام الطاهر المعروف بالحرم الزينبي أو المسجد الزينبي أو مسجد السيدة زينب، حيث أطلق على الحى كله، يقول الشاعر:

هذا ضريح شقيقة القمرين بنت الإمام شريفة الأبوين

و سليلة الزهراء بضعة أحمدنور الوجود و سيد الثقلين

نسب كريم للفصيحة زينب شمس الضحى و كريمة الدارين هذا قبس من تاريخ حياة العقيلة الطاهرة، سليلة المجد و زهرة أهل البيت السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما، و منه نقف على ما غمض من حياة جرى النبل فى ركاب صاحبها، و تسابقت الفضائل بين يديها، و تكاملت الصفات فى ثناياها، و انطبعت محامد الخصال على الألاء صفحتها، و تفجرت جلائل الأعمال من ينبوع هممتها.

سيّدة كانت و لا تزال فخر النساء، حملت علم الجهاد، و شاركت الرجال فى الضراء، و ألزمت أعداءها الحجّة ببلغ منطقها، و فصيح خطابها، فباتوا يخشون على سطواتهم و جبروتهم بأسها، و يعملون ألف حساب لحماستها، و لكن لم يغنهم حسابهم، و لم يفدهم تدبيرهم نفعاً.

المقريزى، و صاحب كتاب لواقح الأنوار، و ابن بطوطة، و ياقوت الحموى، و ابن جبير فى رحلته.

و الثالث: أنها دفنت فى مصر. و نقل هذا عن جماعة، منهم: العيلى، و ابن عساكر، و ابن طولون ...

و الحقيقة هى أنّ المشهد الذى بمصر هو مشهد أم كلثوم بنت على عليه السلام، و المشهد الذى بالشام هو مشهد السيدة زينب الكبرى عليها السلام، و قد تسلّمته الشيعة يدا عن يد، و جيلا عن جيل. و للسيد الحجّة عبد الحسين شرف الدين مقالة مسهبة فى هذا السياق، كتبها بمناسبة وصول الضريح الأثرى الذى تبرّع به المرحوم محمد حبيب الباكستانى، و نصب على قبر السيدة زينب فى قرية «الست» من ضواحي الشام، تحت عنوان «مشهد العقيلة». انظر عقيلة بنى هاشم لعلى بن الحسين الهاشمى الخطيب: ٦٩.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٨٣

أم الشهداء زينب بنت الإمام على عليها و على أبيها السلام «ا»

صافيناز كاظم

إن كنت قد قتلت بكاء عند أمك فاطمة، فكيف يكون حالى عندك يا زينب بنت على؟

إلا أنّ الدموع لم تكن قطّ لترضيك، فكرهتها لما أتيتك، و بلعتها نارا.

و أمسكت شهقاتى، مكظومة، لأقف وراءك، أتعلّم كيف يكون الفعل حين لا يكون الوقت لائقا للبكاء، و كيف يغرق الصدق فى انهمار الدمعة الكذوب من عين الذى قتل، و الذى سلب، و الذى انحاز للصمت، فجرت الدماء من تحت أنفه و لم يحرك ساكنا، ثم أتى و الرءوس على الحراب، و الخيام محروقة، و الحرائر الكريمات سبايا، ثم أتى: يبكى!

*** حين سال النفاق دمعا و اختلط البكاء، سقطت معانى الشفقة، و أدركتها من فورك أنّ هذا البكاء مريب، فرفضت يا زينب

المواساة، و رأيت العداة فى النحيب، كما رأيت فى النبال الساقطة على «عتره» جدك المفدى، و السيوف الذابحة أهل بيته،

(١). مقتبس من كتاب «رساليات فى البيت النبوى»، ط. دار الزهراء للإعلام العربى - القاهرة ١٩٨٧ م.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٨٤

و صوته الشريف ما زال يطوف بالضمائر: «أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى» (١).
يجلجل صوتك يا ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله، صوتك الذى عرفته الليالى متبتلا خاشعا ذاكرا، يجلجل صوتك حاسما صارما:

«صه يا أهل الكوفة! يقتلنا رجالكم و تبكىنا نساؤكم يا أهل الكوفة؟! يا أهل الختل و الغدر، أ تبكون؟ فلا رقأت الدمعة، و لا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ... ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، و فى العذاب أنتم خالدون. أ تبكون و تنتحبون؟

أى و الله ... فابكوا كثيرا و اضحكوا قليلا، لقد ذهبتم بعارها و شنارها، و لن ترخصوها بغسل أبدا، و أنى ترخصون قتل سليل خاتم النبوة، و معدن الرسالة! مدرة - المدافع عن - محبتكم، و منار محبتكم، و ملاذ خيرتكم، و مفرع نازلتكم، و سيّد شباب أهل الجنة، ألا ساء ما تزرون!

فتعسا و نكسا، و بعدا لكم و سحقا، فلقد خاب السعى و تبت الأيدى، و خسرت الصفقة، و ضربت عليكم الذلة و المسكنة!
ويلكم يا أهل الكوفة! أ تدرون أى كبد لرسول الله صلى الله عليه وآله فريتم، و أى كريمة له أبرزتم، و أى دم له سفكتم، و أى حرمة له انتهكتم؟

لقد جئتم شيئا إدا، تكاد السماوات يتفطرن منه، و تنشق الأرض، و تخزّ الجبال هدا ... فلا يستخفّنكم المهمل، فإنه لا يحفزه البدار، و لا يخاف فوت الثار، و إن ربكم لبالمرصاد! (٢).

(١). رواه مسلم ٤: ١٨٧٣ من كتاب فضائل الصحابة ب ٤ فضائل على بن أبى طالب ح ٣٦، و البيهقى فى السنن ٢: ١٤٨ و ٧: ٣١ و ١٠: ١١٤ عن زيد بن أرقم.

(٢). من خطبتها الغراء لأهل الكوفة حينما سيقت السبايا إلى عبيد الله بن زياد بن أبيه والى يزيد على الكوفة.
نقلتها أغلب كتب التاريخ و السيرة.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٨٥

و وراءك يا زينب كربلاء، كرب و بلاء، لتؤك تركتها: مصاصه دم شريف، و آكله أجساد عطرة: «... ثلاثة و سبعون شهيدا ثبتوا أمام أربعة آلاف حتى قتلوا عن آخرهم!»

عون ابن زوجها عبد الله بن جعفر و أخوه محمد، و إخوتها من أبيها، أولاد على:

العباس، و جعفر، و عبد الله، و ابنا أخيها الحسن: أبو بكر و القاسم، و بنو عمّها عقيل:

جعفر، و عبد الرحمن، و عبد الله، و غيرهم، و على رأسهم جميعا سبط الرسول: الحسين، استشهد الجميع بين ذراعيها و هى تقول:
«اللهم تقبل منّا هذا القليل من القربان!»

هطل الجور و العسف، و غرور الدنيا على أرض كربلاء مطرا نجسا، ترتوى منه بذور حقد جاهليّة، كان الإسلام قد دفنها طي سماحتها حين كانت: «اذهبوا فأنتم الطلقاء!» حمامة يطلقها الرسول صلى الله عليه وآله و آله لتترف بالرحمة فوق الثار، و فوق عدل القصاص!

و كان حتما أن يروى مطر الجور بذرة الحقد القديم، فتينع كربلاء!

و كربلاء بذرة كانت فى صلب الاستهزاء الفظّ بالنبي الكريم، و تكذيبه، و إيذائه بكرش البعير!

كربلاء كانت سطرًا في حلف قريش الذي فرض حصار الجوع والعطش على العصبه المؤمنه في شعب أبي طالب. و كربلاء كانت رينا في صرخه أبي جهل: «تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، و حملوا فحملنا، و أعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب و كنا كفرسى رهان، قالوا: منا نبى يأتيه الوحي من السماء، فمتى تدرک هذه؟! و الله لا تؤمن به أبدا و لا نصدق!»!

و كربلاء كانت في نفر القبائل الذي اجتمع ليقتل محمد بن عبد الله، الذي ظنوه نائما، فإذا النائم على بن أبي طالب، المفتدى بروحه حياة نبیه و رسوله و مربيه، ابن عمه و أخيه: محمد الأمين صلى الله عليه و آله.

و كربلاء كانت رمحا في قتله الغدر بحمزه يوم أحد!

اهل البيت في مصر، ص: ١٨٦

و كربلاء كانت دقات على دفوف النساء المشركات، يرقصن على جثث شهداء المسلمين! يقطعن الآذان و الأنوف يعلقنها أقراطا و قلائد، و يقرن البطون يمضغن الأكباد، و قائدهم أبو سفيان يقول للنبي و أصحابه: «اعل هبل، الحرب سجال، يوم بيوم بدر!». و يكاد يكررها حفيده يزيد بعده بنصف قرن، حين تسقط بين يديه رءوس الشهداء من أحفاد النبي و أحفاد أصحابه، فيتغنى بأبيات من شعر الشماتة:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا، و استهلوا فرحائم قالوا: يا يزيد لا تشل! لكن الله أعلى و أجل! فيشاء سبحانه و تعالى أن يظل قول نبيه المبعوث للعالمين أمام عناد المشركين من قريش: «و الله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، و القمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته أو أهلك دونه».

يظل هذا القول راية نبوية، يحملها على و يستشهد تحتها، و يحملها أبناؤه: الحسن ثم الحسين، و كوكبه من نجوم أهل البيت الذي أذهب الله عنه الرجس و طهره تطهيرا، و معهم صحابة أبرار من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه و ما بدلوا تبديلا، و وراءهم على طول الزمن الإسلامي، و من مشارق الأرض و مغاربها تأتي قوافل من أبناء الإسلام، لا تنتهي و لا تنفد، بل تنمو و تربو كلما اشتد الحصار و سقط الشهداء.

فلا يمكن للشهيد أن يحدّد نسله، و قد جعله الله أكثر الرجال خصوبة، و ما زال الإسلام الولود يكثر أبناؤه على طريق دين الله، و الراية النبوية مرفوعة أبدا لتبادلها الأيدي: «و الله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، و القمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته أو أهلك دونه!».

*** وردة طفلة تولد في بيت النبوة في شعبان في السنة الخامسة للهجرة، و يسميها الرسول المفدى: زينب.

اهل البيت في مصر، ص: ١٨٧

و مع الفرحة تكون النبوة: هذه الطفلة النبوية تنتظرها من أيام الجهاد أشقها و أثقلها على القلب وطأة «... فهم يذكرون أن سلمان الفارسي أقبل على علي بن أبي طالب يهئته بوليدته، فألفاه واجما حزينا، يتحدث عما سوف تلقى ابنته في كربلاء...!» «١». و تحت ظلال هذه النبوة تنمو زينب في كنف الرسول مع أمها فاطمة سنوات خمس، أو تقارب الست، و تدرج طفلة رصينة ناضجة، لا تفارق أمها مجاهدة متبئلة، تسابقها في إسباغ الوضوء، و تلاحقها في إقامة الصلاة، و ترشف و تتعلم، و تحاكي كل حركة و سكونه تفعلها الأم البتول التي هي أشبه خلق الله بالرسول صلى الله عليه و آله.

و فاطمة تحتضن زينب بين ابتسامه و رقرقه دمعته، تدعو لها: «جعل الله فيك الخير يا زينب، و في أبناك البررة الأتقياء، و كآتي يا ابنتي أنظر إليك و أنت تدافعين عن الحق المهضوم، بمنطق فصيح و لسان عربي مبين».

ثم تأتي اللحظة التي تلحق فيها الأم القدوة بأبيها العظيم في رحاب الله، حزينه، غاضبه، و قد أوجعها أن ترى الحق يخرج من مكمنه، و

بشفافية التقى و التبتّل تراه، و قد استدرجته الأهواء؛ ليكون كره تتقاذفها العاصفة الفاتنة، التي سوف يستشهد فيها زوجها و أبنائها و أهل بيتها، صرعى مجندين «٢»، لا يؤنسهم إلّا الحقّ في وحشة الطريق.
و غريب: لا تشعر زينب بثقل هذا اليتيم الرهيب المبكر، حين يفقد الإنسان أما ليست ككلّ الأمهات، فكأنّها استثقلت على أمّها مواصلة الحياة بعيدا عن النبي المفدى، فأثرت لها سعادة اللقاء به على مرارة الفراق عنها، فداء لها، و برهان حبّ سخي.
و توصيها فاطمة في ثقة و احترام أن تكون «أما لأخويها: الحسن و الحسين»!
و تنفّذ زينب الوصية بدقّة و التزام، فتكون أما حقيقيّة، و هي لم تتجاوز السادسة، لا تفارق أخويها، حتّى بعد زواجها و زواجها، لتبقى دائما أما لهما، ثم لتصير من بعد ذلك أما للشهداء في كلّ زمان و مكان!

(١). عن كتاب «السيدة زينب بطلة كربلاء» للدكتورة بنت الشاطي: ٣٠ ط. دار الهلال، القاهرة (المؤلفة).

(٢). مجنّد: ممدّد.

اهل البيت في مصر، ص: ١٨٨

و أغمض عيني و أطرّد من ذهني كلّ أوصافها التي خاض فيها المؤرّخون و الرواة و الكتاب - سامحهم الله - فلا أرى تفصيل هيئة أو وجه، لكنني أراها:

خديجة تعود ... خديجة السكن الرءوم!

و يدخل بيت علي ثمانى نساء زوجات له بعد فاطمة الزهراء، معظمهنّ أرامل شهداء، و إخوة في الجهاد، أو يتيمات كريمات، سوف يجدن في بيت إمام العلم حماية و رعاية و تربية، و إعدادا طيبا ليكنّ رساليات حاملات للعلم و الفقه.

و يحتفظ بيت علي لزينب بموقعها: أما لأخويها، و تلميذة لباب مدينة العلم النبوي، فتجلس بين يدي أبيها على يعلمها تفسير بعض الآيات، و يأخذ الحديث إلى ما ينتظرها من دور خطير، فتومئ زينب برأسها، «أعرف ذلك يا أباي ... أخبرني أمي!».

و تسمع عن أنس بن مالك يقول: «كنت عند النبي صلّى الله عليه و آله، فرأى عليا مقبلا، فقال:

يا أنس، قلت: لبيك، قال: هذا المقبل حجّتي على أمّتي يوم القيامة» لم أجد له أصلا فتأخذها المسئولية منذ البداية، لكي لا يفوتها من أبيها ما لم تستطع أن تأخذه مباشرة من جدّها رسول الله، و خاتم أنبيائه، و قد عرفت قول الرسول المفدى: «علي منّي بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبي بعدي» (١).

فتعلّمت بعلم أبيها الذي وصفه ابن عباس: «و الله لقد أعطى على تسعة أعشار العلم، و أيم الله لقد شارككم في العشر العاشر»!

و حفظت بلاغته، و حكمته، و مآثوراته في القضاء:

أتى عمر بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور، فأمر بوجعها، فردّه على و قال: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها؟ و لعلك انتهرتها أو أخفتها، قال: قد كان ذلك، قال: أو ما سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: لا حدّ على معترف بعد بلاء، إنّه

(١). أخرجه الكثير من الحفاظ، و أصحاب الصحاح، و ذكره أصحاب التواريخ عند الكلام عن غزوة تبوك عن عدّة من الصحابة.

اهل البيت في مصر، ص: ١٨٩

من قيد أو حبس أو تهدّد فلا إقرار له. فخلّى عمر سبيلها (١).

و يزوّجها أبوها الإمام علي من ابن عمها عبد الله بن جعفر، الذي قال عنه فقراء المدينة: ما عرفنا ما السؤال إلّا بعد وفاة عبد الله بن جعفر! و كان والده هو جعفر بن أبي طالب، الذي اشتهر باسم «جعفر الطيّار» إذ بَشّر الرسول صلوات الله عليه أرملة بعد استشهاده بأنّ

الله قد أعطاه جناحين في الجنة؛ ثوبا لقتاله، حاملا الراية في غزوة مؤتة في جهاد أمر به الرسول المفدى ضد الروم، وظل جعفر يقاتل حاملا الراية حتى قطعت يده واستشهد، و به ما يزيد عن التسعين طعنة!

و أنجبت السيدة زينب من عبد الله بن جعفر: محمدا المسمى بجعفر الأكبر وإخوته عون الأكبر، و علي الأكبر، و أم كلثوم، و أم عبد الله، و قد توفوا جميعا دون عقب، إلا علي الأكبر و أم كلثوم، فكان منهما ذرية عريقة بنى هاشم «٢».

إلا أننا، مع أخبار هذا الزوج والأبناء، لا نراها إلا في إطار الابنة للإمام علي، و الأم الملازمة لأخويها: الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنة، و قرّة عين نبينا المفدى، حافظة لوصية أمها الزهراء، منذ كانت في السادسة من عمرها.

و عند ما نراها في هذا الإطار، نجدها: العالمّة، المتفكّهة، الدارسة، القارئة، الحافظة لكتاب الله العزيز، المتأمله في آيات الله، الزاهدة المتحرّجة من حلال الدنيا، المتصدّرة لمجالس العلم النسائية، تروى الحديث عن أمها وأبيها وأخويها، و عن أم سلمة و أم هانئ، و المروى عنها من ابن عباس، و عبد الله بن جعفر، و علي زين العابدين، و فاطمة بنت الحسين، و الساهرة ليلا تتهجّد: مسبحه، داعية، ناطقة بالخير و المأثورات، تقول أياتها الشهيرة:

سهرت أعين و نامت عيون لأمر تكون أو لا تكون

(١). نقلا عن كتاب «زينب» للأستاذ علي أحمد شلبي: ٧٠ ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة ١٩٧٧ م (المؤلفة).

(٢). انظر الذرية الطاهرة للدولابي: ١٦٤.

أهل البيت في مصر، ص: ١٩٠ إن ربّا كفاك ما كان بالأمس سيكفيك في غد ما يكون

فادراً لهم ما استطعت عن النفس فحملانك الهموم جنون! و تقول: «خف الله لقدرته عليك، و استح منه لقربه منك!».

و تنقل عن أبيها: «نعم الحارس الأجل!» حين ينصحه ناصح بأخذ حارس يحميه من الخوارج.

و تردّد عنه: «ثلمة الدين موت العلماء!».

و «شرّ الولاة من خافه البريء».

و «خابت صفقة من باع الدنيا بالدين!».

و «يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم!».

و تتحاور مع أبيها الإمام فتسأله: أ تحبنا يا أبتاه؟

فيرد قائلاً: و كيف لا أحبكم و أنتم ثمرة فؤادي؟!

فتقول و كأنها قد أمسكت عليه خطأ: يا أبتاه، إنّ الحب لله تعالى، و الشفقة لنا!

محفوظة مبدلة بأبيها و أخويها إذا أرادت الخروج، و غالباً لزيارة قبر جدّها رسول الله صلى الله عليه و آله، خرجت ليلاً متدثرة

بالحجاب الساتر الكامل، من الرأس حتى القدم، و الحسن عن يمينها و الحسين عن شمالها، و الإمام علي أمامها، فإذا اقتربت من القبر

الشريف، سبقها أبوها فأحمد ضوء القناديل؛ خشية أن ينظر أحد إلى عقيلة بنى هاشم: زينب «١».

هذه الصورة الممعنة في الحرص الشديد على التستر و التحجب في عزوة الأب و الأخوين، أحبّ الناس إلى رسولنا المفدى، تواجهها

بقسوة صورتها بعد مذبحه كربلاء، و هي مقصوفة الأب و الإخوة، و كلّ رجال و محارم بيتها، منزوعة الستر، محترقة الخباء، منهوبة

المتاع، منتهكة الحرمه، يسوقها رجال عبد الله بن زياد، مكشوفة الوجه،

(١). أعلام النساء: ٢٧٣ برواية يحيى المازني، و انظر زينب الكبرى للنقدي: ٢٢.

أهل البيت في مصر، ص: ١٩١

حاسرة الرأس، تسير في موكب السبايا الكريمات من بنات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ كِرْبَلَاءِ إِلَى الْكُوفَةِ، إِلَى دِمَشْقٍ، إِلَى الْمَدِينَةِ، يَتَطَّلَعُ إِلَيْهَا وَإِلَيْهِنَّ كُلٌّ مِنْ غَلْبَةِ حَبِّ الْإِسْطِطْلَاعِ عَلَى حَبِّ اتِّقَاءِ اللَّهِ بِغَضِّ الْبَصْرِ رَحْمَةً وَ مَوَدَّةً فِي قَرْبَى النَّبِيِّ الْمَفْدَى، وَ مِنْهُنَّ نَائِحَاتٌ:

«وا محمداه! هذا الحسين بالعراء، مرّمل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمداه! هذه بناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفى عليها الصبا!».
وى لنيران الغضب من جرأة السفهاء، الذين - مع هذا النحيب - لم يكتفوا بالنظر، بل بادروا بالوصف والتغزل في محاسن وجه بنات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ!

*** تمرّ أحداث التاريخ المعروف، وزينب في خضمها يوما بيوم، بل لحظة لحظة، والقضية أمامها: إسلام أو لا إسلام، حق أو باطل. تأتي فتنة التآمر لقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان فيأمر على بن أبي طالب ولديه:

«اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان، فلا تدعا أحدا يصل إليه بمكروه...» (١).

لكنّ الأهواء ما تلبث أن تجعل الذين أثاروا النفوس على عثمان هم المطالبون بتأر عثمان، ويقفون مناوئين لخلافه إمام المتقين، و باب مدينة العلم، معلّم الفقهاء:

على بن أبي طالب. و يعلنها بنو أمية حربا سافرة على بنى هاشم، إحياء لثارات الجاهلية، و طمعا في ملك الدنيا، و يخرج الصحابي الجليل عمّار بن ياسر، و عمره تسعون سنة، يقول مهتاجا: «أيها الناس، سيروا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يزعمون أنّهم يثأرون لعثمان، و الله ما قصدهم الأخذ بتأره، و لكنّهم ذاقوا الدنيا و استمروها، و علموا أنّ الحقّ يحول بينهم و بين ما يتمرغون فيه من شهواتهم و دنياهم، و ما كان لهؤلاء سابقة في الإسلام يستحقّون بها طاعة الإسلام، أو الولاية عليهم... ألا إنّهم ليخادعون الناس بزعمهم أنّهم يثأرون لدم عثمان، و ما يريدون إلّا أن يكونوا جبارة و ملوكا. و الذي أهل البيت في مصر ١٩١ أم الشهداء زينب بنت الإمام على عليها و على أبيها السلام ص: ١٨٣

(١). انظر تاريخ ابن الأثير ٣: ١٧٢ و ١٧٤ ذكر مقتل عثمان، و على بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين لمحمد رضا: ٣٠ و ما بعده.

أهل البيت في مصر، ص: ١٩٢

نفسى بيده، لقد قاتلت بهذه الرأية مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و ها أنا ذا أقاتل بها اليوم!» (١).

و تتحقّق نبوءة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ عَلِيًّا سَيَقَاتِلُ قَرِيْشًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ: «... يا معشر قريش لتنتهّن أو ليعتّن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان».

قالوا: من هو يا رسول الله؟

قال: «هو خاصف النعل» و كان قد أعطى عليا نعله يخصفها.

أخرجه الترمذى عن ربهى بن حراش، و أخرج مثله أحمد (٢).

و يقف على مبدئيا حاسما، لا يخشى فى الله لومة لائم، و يعلنها: «و الله لا أداهن فى دينى، و لا أعطى الرياء فى أمرى».

«أ تأمروننى أن أطلب النصر بالجور؟ لا و الله، لن يرانى الله متخذ المصلين عضدا...».

«ما لى و لقريش، أما و الله لقد قتلتم كافرين و لأقتلهم مفتونين، و الله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته، فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها!».

و تقضى زينب سنوات خلافة أبيها أمير المؤمنين على بن أبي طالب فى الكوفة من ٣٥ هـ إلى ٤٠ هـ، و هو فى بحر متلاطم من الصراعات و المؤامرات و الفتن، و الكوفة معه، كما ستكون مع بنيه، مسرفة فى الوعود، متخاذلة فى الأفعال، ناكثة عهدوها!

حتى تأتي ضربة عبد الرحمن بن ملجم فى ١٩ رمضان عام ٤٠ هـ لتقضى على الإمام الشهيد بعد يومين، فينتقل إلى الرفيق الأعلى، لاحقا

بحبيبه وأخيه ونبيّه ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ٢١ رَمَضَانَ عَامِ ٤٠ هِجْرِي، وَوَصِيَّتِهِ: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَلِّبِ، لَا تَخُوضُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا لَا تَقْتُلَنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي. انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه، فاضربوه ضربةً و لا تمثّلوا به، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْمِثْلَةَ وَ لَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ».

(١). تاريخ ابن الأثير ٣: ٣٠٨-٣٠٩.

(٢). سنن الترمذى ٥: ٦٣٤ كتاب المناقب ب ٢٠ مناقب علي بن أبي طالب ح ٣٧١٥. مسند أحمد ٣: ٣٣ و ٦: ١٠٦.

أهل البيت في مصر، ص: ١٩٣

ووقف الحسن يقول في رثائه: «... والله ما ترك ذهبا و لا فضة...» (١).

*** على أثر استشهاد الإمام علي بايع أهل العراق الحسن، لكنّ خلافته لم تدم أكثر من ستّة أشهر، آثر الإمام الحسن بعدها، حقنا لدماء المسلمين، أن يتركها لمعاوية؛ حتّى تكفّ الفتنة، و تهدأ الأطماع، لكن هل تشعب لبني أمية بطن؟! يستشهد الحسن مسموما على يد زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس، بعد أن يرسل إليها معاوية يقول: إنّي مزوجك يزيد ابني، على أن تسمي زوجك الحسن بن علي! لكنّه لا- يزوجه يزيد خوفا على حياته من مسممة الأزواج، و يعطيها بدلا عن ذلك مائة ألف درهم!!

و كان هدفه من وراء قتل الإمام الحسن تمهيد الطريق لأخذ البيعة ليزيد في حياته، كاسرا لنظام الشورى الإسلامي إلى وراثته قيصريّة؛ لتكون ملكا عضوا لبني أمية دون المسلمين أجمعين، و من فيهم من أفذاذ بيت النبوة، و ليبدأ أول انحراف أساسي في تاريخ الحكم الإسلامي؛ ليفرخ فيما بعد المزيد و المحزن من الانحرافات.

*** و يتصدّى الحسين: لا مبايعه ليزيد!

و تتسارع الأحداث نحو النبوة التي أخبر بها رسولنا المفدى، و أبكته البكاء المرّ، قبل حدوثها بما يزيد على نصف قرن. عن أنس بن مالك: أنّ ملكا... استأذن ربّه أن يأتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فأذن له، فقال لأم سلمة: أملكى علينا الباب لا يدخل علينا أحد، قال: و جاء الحسين ليدخل، فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي و على منكبه و على عاتقه، قال: فقال الملك للنبي: أ تحبّه؟ قال: نعم، قال: أما إنّ أمتك ستقتله، و إن شئت أريتك المكان

(١). تناقلت كتب التاريخ و السيرة و المناقب خبر مقتله ٧ و الحوادث التي وقعت إبان أيام جرحه من سنة ٤٠ هـ.

أهل البيت في مصر، ص: ١٩٤

الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينه حمراء، فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها.

قال: قال ثابت: بلغنا أنّها كربلاء.

أخرجه الإمام أحمد (١)، و في رواية البيهقي عن أبي الطفيل (٢)، و قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني، و إسناده حسن (٣).

و في رواية أخرى: «أنّ جبريل عليه السّلام أخبر الرسول المفدى بأنّ الحسين يقتل بشطّ الفرات» (٤).

يموت معاوية دون أن ينجح في حمل الحسين على المبايعه أو سمّه هو الآخر، و يأتي يزيد و يأمر الوليد بن عتبة (٥) واليه على المدينة بأخذ البيعة من الحسين، فيقول الحسين بحسم: «يا أمير، إنّنا أهل بيت النبوة، و معدن الرسالة، بنا فتح الله و بنا ختم، و يزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، و قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق و الفجور، و مثلى لا يبايع مثله!».

و يوصي مروان بن الحكم الوليد بقتل الحسين، فيفرغ الوليد: ويحك! أنت أشرت على بذهاب ديني بدنياي، و الله ما أحبّ أن أملك الدنيا بأسرها و أنّي قتلت حسينا، سبحان الله! أقتل حسينا لما أنّه قال: لا أبايع؟! و الله ما أظنّ أحدا يلقي الله بدم الحسين، إلّا و هو

خفيف الميزان، لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكّيه و له عذاب أليم «(٦).

(١). مسند أحمد ٣: ٢٤٢.

(٢). السنن الكبرى ٧: ٣١٥.

(٣). مجمع الزوائد ٩: ١٨٧، وانظر المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٦ ح ٢٨١٣. وفي الباب عن الطبراني بطرق عدّة عنه صلى الله عليه و آله، لكن بالفاظ قريبة. راجع ح ٢٨١٤-٢٨٢٢.

(٤). انظر المعجم الكبير ٣: ١٠٥ ح ٢٨١١.

(٥). الوليد بن عتبة بن أبي سفيان الأموي، ولي لعمه معاوية المدينة، كما ولي الموسم عدّة مرات، عرف بالاعتدال في مواقفه تجاه خصوم بني أمية، وخاصة أهل البيت عليهم السلام، ولما مات معاوية بن يزيد أراه أهل الشام على الخلافة، فطعن فمات سنة ٦٤ هـ. و قيل: أصابه الطاعون و هو في الصلاة، فمات!! انظر تاريخ الإسلام للذهبي: حوادث ٦١-٨٠ هـ، ص ١٩٤-١٩٧، سير أعلام النبلاء ٣: ٥٣٤.

(٦). ذكرت تفاصيل هذه الحادثة في كتب التاريخ و السيرة، انظر على سبيل المثال: تاريخ خليفة: ١٤٤،-

اهل البيت في مصر، ص: ١٩٥

و تتوالى التفصيلات، و يخرج الحسين من المدينة مع أهله إلى مكة، و هناك تأتيه كتب الكوفة تستحثه على القدوم لمبايعته، و التصدّي معه لعدوان يزيد: «... إنّ الناس ينتظرونك لا رأى لهم غيرك ... العجل العجل ... فأقدم إذا شئت فإنما تقدم على جند مجتد لك!» (١).

فيرسل إليهم ابن عمه الوضئ مسلم بن عقيل، فإذا بهم يتخاذلون حين تأتيهم فتنة عبيد الله بن زياد! و يقتل عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل رسول الحسين، و معه من آواه: هاني بن عروة المرادي، و هو يقسم: قتلني الله إن لم أقتلك قتله لم يقتلها أحد في الإسلام! (٢) ثم يسير بالظلم يجمع الولاء ليزيد: يقتل عشوائيا في جاهلية و ضراوة، لتخاذل الناس خوفا و هلعا، و يعمّ العراق جوّ قاتل رهيب من الفزع و الذعر!

بينما الحسين في مكة يستعدّ للتحرّك إلى خلفائه الذين أهابوا به أن يعجل بالمجيء إلى العراق!

و يتوسّل إليه أحباؤه بمكة، ألا يذهب إلى أهل الغدر، الذين خذلوا أباه و أخاه من قبل، و يقول قائل: «... فو الله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، و لئن قتلوك لا يهابون أحدا أبدا!».

و الحسين يستخير الله، و قدر الله سابق، فقد شاء الله أن يهلك يزيد و جنده بقتلهم الحسين، و ينجو الحسين و أهله بالاستشهاد على طريق دين الله! و يقول الحسين:

- «ألا ترون الحقّ لا يعمل به، و الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله

الأخبار الطوال: ٢٢٧-٢٢٨ تاريخ الطبري ٤: ٥٤٨-٥٥٠، إعلام الوري ١: ٤٣٤-٤٣٥، البداية و النهاية ٨: ١٤٦-١٤٧.

(١). راجع تاريخ أبي مخنف ١: ٤٠٤، الأخبار الطوال: ٢٢٩، مروج الذهب ٣: ٦٤، إعلام الوري ١: ٤٣٦، تاريخ أبي الفداء ١: ٢٦٣.

(٢). راجع الأخبار الطوال: ٢٤١-٢٤٢، الإرشاد ٢: ٦١ و ٦٥، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٥، تذكرة الخواص: ٢٤٣.

اهل البيت في مصر، ص: ١٩٦

عزّ و جلّ، و إنّي لا أرى الحياة مع الظالمين إلّا جرما».

و يتحرّك الشهيد ابن الشهيد نحو الكوفة، و جنّات مكة لم تنس بعد جدّه النبي و صوته الشريف: «و الله يا عمّ، لو وضعوا الشمس

في يميني، و القمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته أو أهلك دونه!» (١).
و يأتيه من يخبره بمقتل مسلم و رسوله الآخر، و تخاذل الكوفة: «أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، و ملئت غرائرهم، فهم قلب واحد عليك، و أما سائر الناس بعدهم، فإنّ قلوبهم تهوى إليك، و سيفهم غدا مشهورة عليك!» (٢).
و ما يلبث أن يبعث ابن زياد بألف فارس مع الحرّ بن يزيد التيمي؛ ليحاصره في الطريق، و يقطع عليه خط الرجعة حتّى يأخذه معتقلا إلى ابن زياد، أو يخضع بالبيعة الجبرية ليزيد!
و يواجههم الحسين خطيبا بالمعروف يستحثّ ضمائرهم: «أيها الناس، إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله صلّى الله عليه و آله، يعمل في العباد بالإثم و العدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل و لا قول، كان حقّا على الشيطان أن يدخله مدخله! ألا و إنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، و تركوا طاعة الرحمن، و أظهروا الفساد، و عطلوا الحدود، و استأثروا بالفيء، و أحلّوا حرام الله، و حرّموا حلاله ... و قد أتتني كتبكم و رسلكم ببيعتكم، و أنكم لا تسلّموني و لا تخذلوني، فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، و أنا الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله ... نفسي من نفسكم، و أهلي من أهلكم ... فإن لم تفعلوا و نقضتم عهدي، و خلعتم بيعتي، فلعمري ... لقد فعلتموها بأبي و أخي و ابن عمي مسلم بن عقيل، و المغرور من اغترّ بكم!».

(١). تاريخ الطبري ٢: ٣٢٦.

(٢). قائله مجمع بن عبيد العامري. راجع تاريخ أبي مخنف ١: ٤٤٣، أنساب الأشراف ٣: ١٧٢ و فيه: مجمع بن عبد الله العائدي، البداية و النهاية ٨: ١٧٣ و فيه: مجمع بن عبد الله العامري.

اهل البيت في مصر، ص: ١٩٧

فقال الحرّ: «... فأني أشهد لئن قاتلت لتقتلن».

فقال الحسين: أ بالموت تخوفني؟ ...

سأمضي و ما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى خيرا و جاهد مسلما

و واسي رجالا صالحين بنفسه و خالف مثبورا و فارق مجرما

فإن عشت لم أندم و إن متّ لم ألم كفى بك أن تعيش و ترغما! «١» يتصاعد المكر، و تشحذ قوى البشر، و تأتي أوامر ابن زياد، تحمل تعليمات يزيد:

«لا رحمة! امنعهم عن الماء!».

و معسكر الحسين ينسج مجد الاستشهاد، ثلاثة و سبعون إنسانا في مواجهة أربعة آلاف وحش غاشم من جند ابن زياد من الكوفيين! و الأقمار من بيت النبوة من كلّ عمر، من لم يتجاوز العاشرة، و من ملك فتوة الثامنة عشرة و العشرين، و من بلغ مبلغ الرجال و الكهول، يتألثون بالإقدام و الشجاعة، لا يقهرهم إلّا العطش: «يا أباه، العطش!».

و الحسين يجيب: «اصبر بنّي، فإنك لا تمسي حتّى يسقيك رسول الله!».

و زينب بين الخيام و المعركة تتلقى الأقمار: شهيدا شهيدا، و أناتها رغما عنها تتوالى: «يا حبيباه! يا ابن أخاه! يا ولدي! وا شكلاه! اليوم مات جدى رسول الله! اليوم ماتت أمي فاطمة! اليوم مات أبي علي! و اليوم مات الحسن! و حسيناه».

و تشخن الجراح حسيناه، و يتقدّم التعس الذي باء بقتله، و بعده يحزّ رأسه؛ لترفعها الرماح إلى يزيد!

(١). تاريخ أبي مخنف ١: ٤٤٢-٤٤٣، الإرشاد ٢: ٨٠-٨١، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٠-٢٨١، البداية و النهاية ٨: ١٧٢-١٧٣، سمط

النجوم العوالى ٣: ١٧٤.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٩٨.

و ترفرف كلمات الحسين حمائم، تسكن أعشاشها فى قلب زينب و بين جوانحها، تطوف بها، ترويهها فى كل الأمصار، و لكل الآذان، حاضرة بأكملها كما أطلقها يوم الطف، يوم كربلاء و هو يتفرس فى وجوه الكوفيين، الذين دعوه ثم جاءوه قاتلين وراء عمر بن سعد: - «أ لست ابن بنت نبيكم؟».

- «... يا فلان ... يا فلان ... أ لم تكتبوا إلى ... أن تقدم على جند لك مجند؟!».

- «أ تطلبوننى بقتل منكم قتلتة؟ أو بمال استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟».

- «أعلى قتلى تجتمعون؟ أما و الله لا تقتلون بعدى عبدا من عباد الله، الله أسخط عليكم لقتله منى، و أيم الله إننى لأرجو أن يكرمنى الله بهوانكم، ثم ينتقم لى منكم من حيث لا تشعرون. أما و الله لو قتلتمونى لألقى الله بأسكم بينكم، و سفك دماءكم، ثم لا يرضى بذلك منكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم».

و ينتهى الدور الحسينى بالاستشهاد البطولى و الفداء، و يبدأ الدور الزينبى:

الراوية، الشاهدة، الفاضحة للجور و البغى و الطغيان.

فإذا الذى ظن نفسه منتصرا ييؤ بانتصاره الفادح! و إذا الذى ظنوا أنهم قد سحقوه و أحاطوا به و قتلوه: متوج بالمجد لم ينهزم، و زينب تحمل راية الحسين المنتصرة، بعد أن ألقت الجيارين و هى أسيرتهم أحجارا بلعوها فى خزى، بين أهليهم و حراسهم و بروجهم المحصنة، و إذا الحسين حى فى زينب، أشد قوة و تمكينا ممّا كان عليه، و أنى لأعدائه بعد أن يقتلوه، و قد خرج من أسر الموت يتوالد عبر اللحظات و الأيام، كبيرا، كثيرا، خالدا.

و يضج عمرو بن سعيد الأشدق، و الى يزيد على المدينة، يشكو زينب:

- إن وجودها بين أهالى المدينة مهيج للخواطر!

و تصدر أوامر يزيد المرتعب: لتختفى زينب من المدينة.

أهل البيت فى مصر، ص: ١٩٩.

و تأتى العزيزة، ابنة الأعزاء لتسعد بها كنانة الله، و تخرج مصر إلى «بلييس» لتأخذها إلى قلبها، مضغرة رسول الله صلى الله عليه و آله، حانية على الجراح!

و فى شهر مولدها: شعبان عام ٦١ للهجرة، و قد بلغت السادسة و الخمسين، تريح العقيلة الهاشمية رأسها الشريف إلى صدر مصر، و تركن إلى التبتل و التضرع و الاستغفار أحد عشر شهرا، حتى يأتى رجب لعام ٦٢ هجرية، فتلق بركب النور النبوى فى الرفيق الأعلى أما للشهداء، و شهيدة معركة: «الدنيا» أو «محمد»!

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٠١.

السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب عليها و على أبيها السلام «١»

إشارة

حنفى المحلاوى

من هي

كنت و إلى فترة غير قصيرة من الزمن أعتقد- و معى بعض الناس- أن الضريح الموجود حاليا بحى السيدة زينب بوسط القاهرة القديمة، هو مقام أو مشهد أو ضريح أو قبر السيدة زينب، كبرى بنات النبى الكريم صلى الله عليه و آله، لكننى حين عقدت العزم على الكتابة عن أشهر المقابر والأضرحة فى مصر، اكتشفت من بعد الرجوع إلى المصادر التاريخية الرئيسية فى هذا السياق: أن هذا الضريح إنما يخص ابنة الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، السيدة زينب، و أخت الإمام الحسن و الإمام الحسين، و ابنة السيدة فاطمة الزهراء، و أن جدّها العظيم النبى الكريم محمدا صلى الله عليه و آله هو الذى اختار لها اسم السيدة زينب، مثل أخويها: الحسن و الحسين.

و من أجل بيان هذا الفارق، و إجلاء لهذا اللبس الذى فرض نفسه علينا بعض الوقت، رأينا من الضرورة- و نحن نكتب عن السيدة زينب صاحبة هذا الضريح- أن

(١). مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت» ط. القاهرة، ٢٠٠٠ م.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٠٢

نشير إلى السيدة زينب، كبرى بنات رسولنا الكريم صلى الله عليه و آله.

و من أهم ما ذكرته كتب التاريخ و السيرة عن هذه السيدة العظيمة: أنها ولدت بمكة المكرمة قبل الهجرة بثلاث و عشرين سنة، أى: قبل بعثة الرسول صلى الله عليه و آله بعشر سنوات، و كان عمر والدها صلى الله عليه و آله آنذاك ثلاثين عاما.

و السيدة زينب هى الابنة الكبرى للرسول الكريم صلى الله عليه و آله من زوجته السيدة خديجة بنت خويلد، و قد زوجها النبى صلى الله عليه و آله لابن خالتها هالة بنت خويلد: العاص بن الربيع، قبل ظهور الإسلام «١». و لمّا بعث النبى صلى الله عليه و آله طلبت السيدة زينب من زوجها العاص بن الربيع أن يسلم، فرفض، و لذلك طلقت منه، و ظلّ على دين آبائه حتى العام السابع من الهجرة، حين أسلم و آمن بالإسلام، عندئذ ردّت إليه زوجته السيدة زينب، و كان قد رزق منها بطفلتين «٢»، إلّا أنّه و بعد عام واحد من عودتها إلى زوجها من بعد إسلامه فرّق بينهما الموت، و دفنت بالبيع.

و هناك بعض الروايات التاريخية التى أشارت إلى أن السيدة زينب ابنة رسولنا الكريم صلى الله عليه و آله قد ماتت فى حادث عرض، و قد نقلت بعض هذه الروايات الدكتور سعاد ماهر، و ممّا أشارت إليه فى هذا السياق قولها فى مطلع حديثها عن السيدة ابنة الإمام على رضى الله عنه: ولدت السيدة زينب ابنة الإمام على فى السنة السادسة للهجرة فى بيت النبوة بالمدينة المنورة، فباركها جدّها النبى صلى الله عليه و آله و اختار لها اسم زينب إحياء لذكرى ابنته التى توفيت فى السنة الثانية للهجرة متأثرة بجراحها، فقد لقيت أحد المشركين بعد غزوة بدر و هى فى طريقها إلى المدينة، فنخسها فى بطنها و كانت حاملا، فأسقط حملها و ماتت.

و ظلّ الرسول صلى الله عليه و آله حزينا حتى ولدت أختها الزهراء «فاطمة الزهراء» زوجة

(١). الطبقات الكبرى ٨: ٣٠، نساء حول الرسول لمحمود طعمة: ١٥٤.

(٢). ذكر ابن سعد أنها ولدت عليا و أمامة، فتوفى على و هو صغير و بقيت أمامة، فتزوجها على بن أبى طالب عليه السلام بعد وفاة الزهراء عليها السلام. الطبقات الكبرى ٨: ٣٠.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٠٣

الإمام على بن أبى طالب ابنتها الأولى فسماها زينب، و قد نشأت هذه الطفلة- السيدة زينب- تحوطها رعاية جدّها العظيم حتى لقي ربه.

و لمّا شارفت السيدة زينب ابنة الإمام على على الزواج، اختار لها أبوها ابن عمها عبد الله بن جعفر، و أنجبت من زوجها عبد الله بن

جعفر ثلاثة بنين، هم: جعفر، وعون، وعلی ... وكذلك أنجبت بنتين، هما: أم كلثوم، و أم عبد الله.

كما ذكرت هذه المصادر أن زوجها ربما تزوج من غيرها في حياتها، حيث تفرغت هي لرعاية إختوتها من بعد مقتل أبيها «١».

وقد عاصرت السيدة زينب عدّة أحداثٍ سياسية عصفت بأهل بيتها، بدءاً بوالدها الإمام علی، و مروراً بأخويها الحسن و الحسين، كما شهدت كذلك معركة كربلاء التي قتل بها أخوها الحسين، و قد سيقت بعد هذه المعركة مع الأسرى و السبايا حيث مقرّ البصرة عبيد الله بن زياد التابع ليزيد بن معاوية، ثم سيقت السيدة زينب بعد ذلك مع هؤلاء الأسرى إلى دمشق، و في مقدّمة الركب رأس الإمام الحسين رضی الله عنه، ثم أمرها يزيد بن معاوية باختيار مكان إقامتها، ففضّلت العودة إلى المدينة المنورة، و كان وجودها هناك دافعا لاشتعال الثورة ضدّ بنی أمية، ممّا جعل والی المدينة المنورة يجبرها على الرحيل خوفا من زيادة هذه الثورة، فاختارت مصر، للإقامة بها حتّى يوم رحيلها.

علمها و صفاتها

لم تكن هذه السيدة الشريفة ... ببعيدة عن بيت العلم و المعرفة و الأخلاق، إلى جانب تحليها بصفات الشجاعة و الإقدام، و حسن الاختيار، ذلك لأنها قد تربّت في بيت كان كلّه علما، و والدها الإمام الكبير علی بن أبي طالب كم هو معروف بالعلم

(١). أعلام النساء لابن عساكر: ١٩٠، الطبقات الكبرى ٨: ٣٦٥ و سمّوها: لیلی بنت مسعود.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٠٤

و التقوى، كذلك أخوها الكبيران: الإمام الحسن و الإمام الحسين رضی الله عنهما.

و من أخصّ صفات هذه السيدة الطاهرة: الوفاء، حيث حفظت عهد والدتها السيدة فاطمة ابنة النبي الكريم محمد صلّى الله عليه و آله. و ممّا يروى في هذا السياق أنّ والدتها رضوان الله عليها و رغم صغر سنّ ابنتها السيدة زينب، إلّا أنّها قد أوصتها خيرا بكلّ من أخويها: الحسن و الحسين، و أن تكون بعدها أمّا لهما، فقامت بتنفيذ هذه الوصية خير قيام طوال حياتها، حتى أصبح هناك نوع من التلازم بين قصّة حياة هذين الإمامين الجليلين، و بين قصّة حياة هذه السيدة الفاضلة، من حيث التفاصيل و الأحداث، خاصّة الأحداث التي حضرها أخوها الإمام الحسين رضی الله عنه، و التي انتهت بمقتله و رحيلها و أسرتها إلى المدينة المنورة، ثم اختيارها مصر كمنفى آمن لها و لأسرتها، بعد ما واجهت القسوة في المعاملات و هي تعيش في المدينة من بعد حادث كربلاء.

وقد علّمتها المصائب: الشجاعة و حسن التصرف، و لها العديد من المواقف التي أظهرت فيها شجاعته بقوة. و ممّا يروى في هذا السياق ... أنّه لما استشهد أخوها الإمام الحسين على مرأى و مشهد منها، لم تجزع، و لم تولول كبقية النساء في مثل هذه المواقف، بل تذرّعت بالصبر و الشجاعة و الرضا بقضاء الله و قدره، و قالت: «إنا لله و إنا إليه راجعون، اللهم تقبل منّا هذا القليل من القربان».

و ممّا يروى كذلك عن شجاعته و قوّة نفوذها على أهل الباطل ... أنّه لما وصلت هي و سيدات أهل البيت مع رأس الإمام الحسين إلى الكوفة، و مثلت أمام عبيد الله بن زياد، لاحظت أنّه كان ينظر إليها نظرة التشقى و التهكم، فلم يسعها إلّا أن أنذرته بسوء ما سيلقاه هو و رجاله يوم القيامة، جزاء خيانتهم و غدريهم بأخيها الإمام الحسين و صحبه، كما أسمعته من العبارات الحادّة و الكلام الشديد ما لم يعتدّ أن يسمعه من أعظم الرجال شجاعة و أقواهم بأسا، فخاف أن يسترسل في إساءتها، و حوّل مجرى الحديث إلى شاب كان بجانبها و سأله: من أنت؟

أهل البيت في مصر، ص: ٢٠٥

فقال الشاب: أنا علی بن الحسين.

فقال ابن زياد: أو لم يقتل الله علی بن الحسين؟

قال الشاب: كان لي أخ أكبر مني يسمى عليا، قتله الناس.

فقال ابن زياد: إن الله قتله!

فقال الشاب: إن الله يتوفى الأنفس حين موتها.

فاغتاظ ابن زياد: و أمر بضرب عنقه، فتقدمت إليه عمته السيدة زينب فاحتضنته، وقالت: و الله لا أفارقه، إن قتلته فاقتلني، فبهت ابن زياد و عمل على أن يتخلص من هذه الورطة... ثم تراجع عن تنفيذ حكمه السابق بقتل ابن الامام الحسين.

و كان لها إلى جانب ذلك العديد من المواقف الشجاعة الأخرى حتى مع الخليفة!! يزيد بن معاوية نفسه، عند ما قدمت إليه في دمشق مع رأس أخيها الإمام الحسين، ليس هذا فقط، بل و كان لشجاعتها بعد عودتها إلى المدينة دور كبير في إثارة مشاعر المسلمين ضد يزيد بن معاوية، بما كان ينذر بثورة عارمة ضده و ضد رجاله، و يرى بعض المؤرخين أن هذه الثورة ظلت مشتعلة سواء في الحجاز أو في العراق، و التي وضعت بذرتها الأولى هي السيدة زينب في عام واحد و ستين من الهجرة، و قد أخذ نطاق هذه الثورة يتسع حتى أفلت الزمام من يد بني أمية في عام ١٣٢ هـ، فتولت الخلافة من بعدهم بنو العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه و آله.

أما عن علمها و ورعها، فيقول عنه الجاحظ في كتابه البيان و التبيين: إنها كانت تشبه أمها لطفاً و رقة، و تشبه أباها علماً و تقوى. فقد كان لها مجلس علم حافل تقصده جماعة النساء اللواتي يردن التفقه في الدين؛ لذلك كانت - بحق - عقيلة بنى هاشم، كما كانت تلقب «١».

و حتى عند ما اختارت مصر للإقامة بها، بعد أن خيروها في منفي اختياري بدلا

(١). البيان و التبيين ٢: ١٥٧.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٠٦

من المدينة - خوفاً من اندلاع المزيد من الثورة ضد بني أمية - أخذت تجمع حولها العلماء من أهل مصر من الذين أرادوا الاستزادة من علمها و ورعها و تقواها حتى بات لها مريدون كثيرون.

وصف الضريح

أجمعت المصادر التاريخية على أن ضريح السيدة زينب كان في بدايته زاوية صغيرة يقع في الضاحية البحرية من مدينة «الفسطاط»، حيث الحدائق الغناء المطلّة على الخليج المصري، الذي كان يمرّ من هذه المنطقة آنذاك.

و قد دفنت السيدة زينب ابنة الإمام علي بن أبي طالب في الدار التي أقامت بها لمدة عام من بعد قدومها مصر، و هي بيت الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري، كما أقيم الضريح حيث دفنت هذه السيدة الطاهرة، و هو لا يزال موجوداً حتى الآن، و كان الوالي الأموي يقيم آنذاك في منطقته بالفسطاط تعرف باسم «الحمراء القصوى»، و هي منطقته كانت غنية بالبساتين و الحدائق، و أما المنطقة التي يوجد بها الضريح الآن فكانت تعرف باسم «قنطرة السباع» نسبة إلى السباع التي كانت موجودة على القنطرة التي أقامها على الخليج «الظاهر بيبرس» «١»، هذا الخليج كان يخرج منه الماء إلى فم الخليج و ينتهي عند السويس، و كانت هذه السباع هي إشارة «الظاهر بيبرس» الذي شيد القنطرة.

و في عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٨ م تمّ ردم جزء من هذا الخليج، و بردمه اختفت هذه القنطرة، و مع الردم تمّ توسيع الميدان.

و تقول بعض مصادر التاريخ: إن هذا الخليج كان يستمدّ ماءه من نهر النيل عند

(١). بيبرس العلائي البندقداري الصالحى، الملك الظاهر، صاحب الفتوحات و العمران، و كانت له أبناء و سيرة بها، ولد عام ٦٢٥ هـ

بأرض القيقاق، و توفى بدمشق سنة ٦٧٦ هـ و مرقد معروف فيها، حيث أقيمت حوله المكتبة الظاهرية. انظر النجوم الزاهرة ٧: ٩٤. أهل البيت فى مصر، ص: ٢٠٧

مصر القديمة، ثم يتجه شمالاً حتى حى غمرة، و لما ردم فى عام ١٨٩٨ م سار فيه الترام بدءاً من عام ١٩٠١ م. و عند بدء عمليات توسيع ذلك الميدان، اكتشف رجال الآثار واجهة زاوية و ضريح السيدة زينب الذى كان قد أقامه من قبل الوالى العثمانى على باشا الوزير فى عام ٩٥١ هـ / ١٥٤٧ م، ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتنخدا عام ١١٧٤ هـ / ١٧٦١ م، ثم ظهرت به بعد ذلك عيوب، فشرع فى هدمه و بنائه عثمان بك المعروف بالطنبورجى المرادى عام ١٢١٢ هـ / ١٧٩٨ م، و توقّف البناء بمجىء الحملة الفرنسية حتى أكمله محمد خسرو باشا عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م.

ثم جدّد بعد ذلك على يد السيد أحمد المحرقى، ثم شرع عباس باشا فى تجديده و توسيعه و وضع أساسه فى عام ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م، و لكنّه توفى قبل إتمامه، فأجرى هذا التجديد سعيد باشا ناظر الأوقاف فى ذلك الوقت، و أدخل فيه الردهة البحرية التى بها ضريح الشيخ محمد العترىسى أخى سيدى إبراهيم الدسوقى، و الشيخ عبد الرحمن الحسينى العلوى العيدروسى التريمى المتوفى فى عام ١١٩٢ هـ / ١٧٥٨ م، كما بنى حول الجامع سورا من الحديد، و بعد ذلك أمر الخديوى توفيق بهدم المسجد دون الضريح، و بناه من جديد، و أدخل فيه الرحاب التى حوله، و انتهى البناء فى عام ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٨ م «١».

و قد أراد الخديوى اسماعيل إنشاء عدّة شوارع يكون مركزها جامع السيدة زينب و ضريحها، و ذلك للمحافظة على الصحة العامة. و كان أحدها من ميدان السيدة إلى بركة الفيل إلى شارع محمد على. كما ذكر المورخ على باشا مبارك فى كتابه «الخطط التوفيقية» عن ذلك المسجد و الضريح، فقال: و فى سنة ستّ و ثمانين و مائتين و ألف، عند ما كنت ناظراً على ديوان الأوقاف، و كان يلصق بمسجد السيدة

(١). انظر مدينة القاهرة من ولاية محمد على إلى اسماعيل، للدكتور محمد حسان الدين اسماعيل.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٠٨

زينب من الجهة الشرقية مقبرة، و بعدها أراض فضاء و مزارع، فاشترت ما كان مملوكاً من ذلك و أضفته إلى أرض المقبرة، ثم أعطى بالحكر لمن يرغب فى ذلك، فأخذ منه الكثير من الناس و بنوا فيه، و بعد قليل من الزمن صار خطأ عظيماً، به جملة شوارع و حارات و بيوت لكثير من الأمراء و غيرهم.

و لهذا السبب ردم معظم البركة (بركة ابن طولون)، و كانت هذه البركة تقع فيما بين قلعة الكيش و مقابر زين العابدين «١».

و بعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢ م اهتمت الثورة بهذا المسجد، فأخذت فى توسعته و الاهتمام بالضريح. و فى عام ١٩٦٤ م أصبحت مساحة المسجد ٧٨٠٠ متر مربع، بعد أن كانت مساحته قبل ذلك ٤٥٠٠ متر مربع فقط.

و بعد هذه التوسعة الجديدة نقلت إلينا الدكتورة سعاد ماهر صورة لمسجد السيدة زينب و ضريحها، فقالت: يتكوّن المسجد من سبعة أروقة موازية للقبلة، يتوسّطها صحن مربع بقبة، و يقابل هذه القبّة ضريح السيدة زينب ... كما يتقدّم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان، يوجد بهما مدخلان رئيسان يفصل بينهما مستطيل تعلوه «شخشيخة» ... و فى الطرف الشمالى الغربى يوجد ضريح سيدى العترىسى ...

و فى عام ١٩٦٩ م أضافت وزارة الأوقاف مساحة ثانية مماثلة تماماً للمسجد الأسمى و بنفس مساحته، بحيث أصبحت الإضافة الاولى تفصل بين المسجد الأسمى و التوسعة الأخيرة؛ لذلك فقد عمل فى منتصف التجديد الأول محراب يتوسّط المسجد الجديد، مع الإبقاء على المحراب القديم. و يقابل ضريح السيدة زينب فى التجديد الثانى رحبة مماثلة للصحن مغطاة أيضاً ... «٢».

(١). الخطط التوفيقية ٣: ١٧٨.

(٢). كتاب مساجد مصر و أولياؤها الصالحون. وقد أضيفت إلى المسجد مساحة جديدة في العصر الحاضر إذا تم هدم ما حوله من محال تجارية و مساكن و ضمها إلى المسجد.
أهل البيت في مصر، ص: ٢٠٩.

مرقد السيدة زينب عليها السلام «١»

د. سعاد ماهر

يقع جامع السيدة زينب في الميدان الذي يعرف باسمها، و كان يعرف قبل ذلك باسم «قنطرة السباع» نسبة إلى نقش السباع الموجودة على القنطرة التي كانت مقامة على الخليج الذي كان يخرج من النيل عند فم الخليج و ينتهي عند السويس، و كانت السباع (رنك) شارة إلى «الظاهر بيبرس»، الذي أقام القنطرة.
و في عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٨ م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج، و بردمه اختفت القناطر، و مع الردم تم توسيع الميدان، و عند عملية التوسيع اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب الذي كان الوالي العثماني على باشا قد جدده سنة ٩٥١ هـ / ١٥٤٧ م، ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمن كتحدا سنة ١١٧٠ هـ / ١٧٦٨ م.
و منذ اكتشاف واجهة الجامع في القرن التاسع عشر، أصبح يطلق على الميدان، بل و الحى كله، اسم: عقيلة بنى هاشم.
و قد أقامت وزارة الأوقاف سنة ١٩٤٠ م المسجد الموجود حاليا، و يتكوّن من سبعة أروقة موازية للقبلة، يتوسطها صحن مربع مغطى بقبّة، و يقابل القبلة قبّة

(١). مقتبس من كتاب «مساجد مصر و أولياؤها الصالحون».

أهل البيت في مصر، ص: ٢١٠.

ضريح السيدة زينب، و يتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان، يوجد مدخلان رئيسان يفصل بينهما مستطيل تعلوه (شخشيخة).
و في الطرف الشمالي الغربي يوجد ضريح سيدى العتريس.
و قامت وزارة الأوقاف بعد ذلك بإضافة مساحة تبلغ ١٧ * ٣٢ إلى المسجد الأصلي.
و في سنة ١٩٦٩ أضافت وزارة الأوقاف مساحة ثانية مماثلة تماما للمسجد الأصلي و بنفس مساحته، بحيث أصبحت بالإضافة الأولى تفصل بين المسجد الجديد و التوسعة الأخيرة ... مع الإبقاء على المحراب القديم. و يقابل ضريح السيدة زينب في التجديد الثانى رحبة مماثلة للصحن مغطاة أيضا، و في الواجهة الغربية يوجد مدخلان أحدهما يتوسط التجديد الأول، و الثانى فى التجديد الأخير.
أهل البيت في مصر، ص: ٢١١.

٣- السيدة نفيسة عليها السلام

إشارة

بقلم توفيق أبو علم حنفى المحلاوى

أهل البيت في مصر، ص: ٢١٣.

السيدة نفيسة عليها السلام «١» توفيق أبو علم

نفسه الدارين ...

نفسه العلم ...

نفسه الطاهرة ...

نفسه العابدة ...

نفسه المصرين ...

وسيدة أهل الفتوى والتصريف، والسيدة الشريفة العلوية، وصاحبة الكرامات الطاهرة الوفيرة، والمناقب الفاخرة، وأم العواجز، والسيدة المرضية، ومشعبة المحروم.

وهي السيدة النقية، العفيفة الزاهدة، الساجدة الراكعة، المحدثة المتبحرة المتصلة، الكثيرة النفحات، الغزيرة البركات، والبضعة المنيفة الناضرة، والزهرة الزاهرة، سليلة

(١). مقتبس من كتاب «السيدة نفيسة» ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. و للمؤلف سلسلة مطبوعة عن آل البيت، ط. دار المعارف- القاهرة. وقد ترجم الجزء الخاص بالسيدة فاطمة الزهراء إلى الفارسية، وطبع في إيران عدة مرات. أقول: وقد طبعه مؤخرًا المركز العلمي التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية طبعه محققًا وموثقًا، ومزدانة بتعليقات رأيتها ضرورية ومكتملة للمقام، كما قام المركز بترجمة الكتاب بأكمله إلى اللغة الفارسية، حينما وجده جديرًا بالأطلاع للناطقين بهذه اللغة العريقة.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢١٤

النبوة، و فرع الرسالة، و جناح الرحمة، كريمة العنصر و المنبت من آل بيت من اصطفاه الله، و رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله، أولئك الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا. هذه ألقاب السيدة نفيسة رضى الله عنها:

١- فهي نفيسة الدارين: لعوارفها و صنائعها و شفاعتها يوم القيامة لقاصديها، و بجناح الرحمة لتواضعها و خضوعها لبارئها، و شفقتها و رحمتها و برّها و صلتها لذويها و قاصديها، و يستظل زائرها بجناح رحمتها.

٢- و هي نفيسة العلم: لما استنبطته من ذخائر العلم، و استجلته من غوامضه، و ما نثرته على طالبى الاستفادة منها، فكان يرجع إليها فى المشكلات، و يستصبح بضوئها فى المعضلات، و تشدّ إليها الرحال من أطراف البلاد فى طلب ما حذقته و أحكمته من علوم بيت النبوة.

و يكفى أن نذكر هنا أنّها تعلّمت القراءة و الكتابة قبل أن تبلغ السابعة من عمرها، و هي بلا شكّ علامة كبيرة مميّزة تنبئ عمّا ينتظرها فى مستقبلها، و قد ساعدها ذلك على أن تحفظ القرآن الكريم و تجيده فى سنّ مبكرة.

٣- و هي نفيسة الطاهرة: لطهارتها و تعبدها، و هي السيدة العظيمة العابدة، النقية الطاهرة.

٤- و هي نفيسة العابدة: لعبادتها و تقواها، فإنّها كانت من السائحات العابدات، الصالحات القانتات، تصوم نهارها و تقوم ليلها، و قد حجّت ثلاثين حجّة، أكثرها و هي ماشية، و كانت تتعلّق بأستار الكعبة و تقول: إلهى و سيدى، و مولاي، متّعنى و فرحنى برضاك عنى، فلا تسبّب لى سببا يحجبك عنى (١).

٥- و هي نفيسة المصرين: لحبّ أهل مصر لها، و يكفى أن أقول فى أول هذا البحث: إنّها لما عازمت على الرحيل من مصر إلى بلاد الحجاز، شقّ ذلك على أهل مصر و سألوها الإقامة لحبّهم لها (٢).

(١). انظر خطط المقریزی ٤: ٣٢٥.

(٢). راجع تفصيله في المصدر السابق: ٣٢٥ - ٣٢٦.

أهل البيت في مصر، ص: ٢١٥

كما أجمع أهل السير والتاريخ على وفاة السيدة نفيسة بالقاهرة، كما أجمعوا على أنها لما توفيت وصل زوجها في ذلك اليوم وأراد حملها إلى المدينة لدفنها بالقيع، فاجتمع أهل مصر إلى أمير البلد، واستجاروا به إلى زوجها ليردّوه عمّا أراد، وقد دفنت فعلا بالقاهرة كما سيأتي تفصيله، ولذلك كان المصريون يسمونها بنفيسة المصرية.

مولدها و سبب تسميتها ب «نفيسة»

ولدت السيدة الطاهرة بمكة المكرمة في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين ومائة من الهجرة النبوية، وقد فرحت أمها بمولدها، واستبشر بها أبوها، وعمّت الفرحة أكناف بيتها، وقد زاد في سرور أبيها وبهجته أن تكشف في سيمائها شبيها عظيما بأخته، عمّتها السيدة نفيسة بنت زيد رضى الله عنها، وهي التي تزوج بها الوليد بن عبد الملك، فاختار لها أبوها اسم عمّتها لنفاستها، وما تبينه لبنته من وسام وقسام اختصت بهما أخته، وتفاؤلا بأن يكتب الله لها حظّ عمّتها، وما واثاها من سعادة ونعماء، وما لها من آثار وحظوة.

إذ كانت محبّبة، ولها اليد البيضاء في خلافة زوجها؛ إذ أنّها دفعته إلى ما قام به في عهده، فقد فتحت في عهده فتوح عظيمة، و كان يتكفل بالأيام، ويرتب لهم معاشهم، ومن يراعهم، ومن يقوم بخدمتهم، وللعميان من يقودهم، وعمّر المسجد النبوي وسوّعه، و رزق الفقهاء والضعفاء والفقراء، وأسبغ عليهم، وحزّم الاستجداء وفرض لذوى الحاجات ما يكفيهم، وقد ضبط أمور الخلافة أتم ضبط «١».

ومن المصادفات أنّ عمّة السيدة نفيسة رضى الله عنها، رحلت إلى مصر وتوفيت بها، ومقامها بالقرب من السيدة نفيسة؛ إذ أنّها دفنت بالدار التي وهبت لها من والى مصر أخى زوجها عبد الله بن عبد الملك، وكانت من الصالحات، وقد توفيت قبل وفاة بنت أخيها.

(١). انظر تاريخ الطبرى ٨: ٩٧، بلغة الظرفاء: ٢٣، تاريخ يعقوبى ٣: ٢٧، مروج الذهب ٢: ١١٩ - ١٢٧.

أهل البيت في مصر، ص: ٢١٦

والدها: هو أبو محمد الحسن الأنور ابن زيد الأبلج ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين، فهي من دوحه النبوة التي طابت فرعاً، وزكت أصلاً، ومن شعبه الرسالة التي سمت رفعة ونبلا، قد اكتنفها العزّ والشرف، ولازمها السؤدد والكرامة:

يا حبذا روضة في الخلد نابتة ما مثلها أبدا في الخلد من شجر

المصطفى أصلها و الفرع فاطمة ثم اللقاح على سيد البشر

و الهاشميان سبطاه لها ثمر و الشيعة الورق الملتف بالثمر

هذا مقال رسول الله جاء به أهل الرواية في العالى من الخبر

إنّى بحبهم، أرجو النجاة غداو الفوز في زمرة من أفضل الزمر «١» و كان والدها إماما عظيما، عالما جليلا من كبار أهل البيت، معدودا من التابعين، مجاب الدعوة، فاضلا شريفا.

و في سنة خمسسين ومائة عزل الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور عامله جعفر بن سليمان عن إمرة المدينة، ولأها الحسن بن زيد، و

قد بقي واليا على المدينة إلى أن عزله المنصور لوشاية فيه سنة ست و خمسين و مائة «٢». فإن الحسن كان قد اصطفى ابن أبي ذئب محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة، و آواه و أكرمه، لكنه لم يأمن فلتات لسانه، فإن ابن أبي ذئب ذهب إلى المنصور و أخبره بأن الحسن يطمح للخلافة، و يعمل على عودتها للعلويين، فثارت ثائرة المنصور، و أمر بعزل الحسن و حبسه.

و قد تسرع ابن أبي ذئب في وشايته، إذ أنه غلب على ظنه طمع آل البيت في الخلافة و ما يعرفه أنه حق لهم، و هم أولى بها من غيرهم، مع أن الحسن كان معروفا

(١). الأبيات في كتاب بشارة المصطفى: ٧٦ و هي منسوبة إلى يعقوب البصراني، و في الغدير ٣: ٨: أبو يعقوب النصراني.

(٢). انظر تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩ و ما بعده، و المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ٨: ٢٩٤.

أهل البيت في مصر، ص: ٢١٧

بمظاهرة بني العباس، و مناصرته لدولتهم، و كان أول من لبس السواد، شعار العباسيين من العلويين «١».

و قد لبث الحسن في حبسه إلى أن ولي المهدي الخلافة، و كان يعرف منه علمه و اعتداله، و زهادته و عبادته، فأمر بإخراجه من حبسه، و قرّبه منه و اصطفاه «٢».

و كان الحسن ذا حزم في ولايته، و عزم في إمرته، و شدة في أخذ الناس بالحدود و حرمان الله، لا تأخذه رافة في دين الله، و لا تقفه رحمة عن إقامة حدوده.

و لما عاد إلى المدينة لم يعاتب ابن أبي ذئب «٣».

و لما توفي أبوه زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب و هو غلام، و ترك عليه دينا أربعة آلاف دينار، فحلف السيد حسن أن لا يظّل رأسه سقف إلا سقف مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله أو بيت رجل يكلمه في حاجته حتى يقضى دين أبيه، فوفى بنذره، و وفي دين أبيه «٤».

و من كرمه أنه أتى بشاب شارب متأذب و هو عامل على المدينة، فقال: يا بن رسول الله، لا أعود، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم» «٥» و أنا ابن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، و قد كان أبي مع أبيك كما علمت.

فقال: صدقت، هل أنت عائد؟

قال: لا و الله!

فأقاله و أمر له بخمسين دينارا و قال له: تزوج بها وعد إليّ، فتاب الشاب، فكان الحسن يحسن إليه «٦».

(١). راجع عمدة الطالب: ٧٠.

(٢). إن أردت تفصيل ذلك، راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩، تهذيب التهذيب ٢: ٢٧٩، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ٨: ٢٩٤، أعيان الشيعة ٥: ٧٥.

(٣). خطط المقرئى ٤: ٣٢٦.

(٤). ذكر القصة المقرئى في الخطط ٤: ٣٢٦، و الخطيب البغدادي في تاريخه ٧: ٣٠٩.

(٥). أخرجه أحمد في المسند ٦: ١٨١، و الهيثمى في المجمع ٦: ٢٨٢.

(٦). انظر خطط المقرئى ٤: ٣٢٥.

أهل البيت في مصر، ص: ٢١٨

و كان الحسن والد السيدة نفيسةً مجاب الدعوة، يقال: مَرَّت به امرأةٌ و هو في الأبطح و معها ولدها! فاخطفه عقاب، فسألت الحسن أن يدعو الله لها برده، فرفع يديه إلى السماء و دعا ربه، فإذا بالعقاب قد ألقى الصغير، من غير أن يضره بشيء، فأخذته أمه «١».

و دخل عليه بعض الشعراء فأنشده:

الله فرد و ابن زيد فرد

فقال: بفيك الأثلب، ألا قلت:

الله فرد و ابن زيد عبد

و نزل عن سرير الإمارة، و ألصق بالأرض، يسبح الله العلى الكبير «٢».

و كان رضى الله عنه جليلاً جميلاً، سرياً، سخياً.

و فيه يقول الشاعر:

إذا أمسى ابن زيد لى صديقافحسبى من مودته نصيبى «٣» و قال آخر:

إلى حسن بن زيد بات نضوى يجوب السهل و هنا و الأكاما

إلى رجل أبوه أبو المعالى و أول مؤمن صلّى و صاما

أ شتم أن أحبك يا بن زيدو أن أهدى التحية و السلاما

و قد سلفت على له أيا دتعيش الروح منها و العظاما

و كان هو المقدم من قريش و رأس العزّ منها و السناما

و خيرهم لجار أو لصهر بتسكين الكلاله و الذماما

و كان أشدهم عقلا و حلما و أبرحهم إذا ازدحم الزحاما «٤»

(١). المصدر السابق.

(٢). حكاة الشبلنجى فى كتابه نور الأبصار: ١٣٧.

(٣). أنشده فى غاية الاختصار ١: ٢٧٦ عن بعضهم استعطاه فأكرمه.

(٤). روى الأبيات الحاكم فى المستدرک ٤: ٨٦.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢١٩

و كان الحسن كثير الثراء، و له مال بالغابة، و قصره الحمراء كان من أعظم قصور المدينة، و قد أتاه مصعب بن ثابت الزبيرى و ابنه عبد الله و هو يريد الركوب إلى ماله بالغابة، فأنشده مصعب:

يا ابن بنت النبى و ابن على أنت أنت المجير من ذا الزمان

من زمان ألح ليس بناج منه من لم يجيره الخافقان

من ديون تنوونا فادحات من يد الشيخ من بنى ثوبان

فى صكاك مكتبات علينا بمئين إذا عدد ثمان

بأبى أنت إن أخذن و أمى ضاق عيش النسوان و الصبيان فأرسل الحسن إلى ابن ثوبان فسأله، فقال: على الشيخ سبعمائه، و على ابنه مائة، ففضى عنهما، و أعطاهما مائتى دينار! «١».

و قد خلّف الحسن من الذكور تسعة، و من البنات اثنتين: السيدة أم كلثوم و قد تزوج بها أبو العباس السفّاح الخليفة العباسى، و السيدة نفيسة و لم يبلغ واحد من أولاده من الشهرة و ذيوع الذكر ما بلغت ابنته السيدة نفيسة، فهى درّته اليتيمة، و غرّته الوضّاءة.

و أولاده الذكور «٢» هم: القاسم، و محمد، و على، و إبراهيم، و زيد، و عبد الله، و يحيى، و إسماعيل، و إسحاق. أمّا أمّهم فأمّ سلمة، و اسمها ابنة الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب.
و تزوج أم كلثوم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم، و قد توفى سنة ١٦٨ هـ، و هو فى طريقه إلى الحجّ فى صحبة أمير المؤمنين المهدي، و دفن فى

(١). راجع القصة بكاملها فى تاريخ بغداد ٧: ٣١٠-٣١١.

(٢). ذكر صاحب عمدة الطالب فى أنساب أبى طالب: ٧١ أنه أعقب سبعة ذكور: القاسم و هو أكبرهم، و كان مظاهرا لبنى العباس على بنى عمّه، و على يكنى أبى الحسن، مات فى حبس المنصور، و كان يتظاهر بالنصب، و زيد و يكنى أبى زيد، و إبراهيم و يكنى أبى إسحاق، و عبد الله و يكنى أبى زيد، و إسحاق و يكنى أبى الحسن، و كان أعور و يلقب بالكوكى، قيل: كان عينا للرشيد، فيسعى بآل أبى طالب إليه، حتّى غضب عليه الرشيد يوما و حبسه، فمات فى حبسه، و اسماعيل و يكنى أبى محمد، و هو اصغر أولاده.
أهل البيت فى مصر، ص: ٢٢٠

الحجاز، و قيل بالحاجر «١». و يذكر الشعرانى: أنه مدفون بترتبه المشهورة قريبا من جامع القراء بين مجراة القلعة (العيون) و جامع عمرو بن العاص «٢». و يغلب على الظنّ أنه دفن بالحاجر فى الطريق إلى مكة.

و روى أنّ الإمام زيد الأبلج، والد السيد حسن الأنور، كان يأخذ بيد ولده الحسن و يدخل إلى قبر النبى صلّى الله عليه و آله و يقول: «يا سيدى يا رسول الله، هذا ولدى الحسن و أنا عنه راض»، ثم يرجع و ينصرف، فلما كان فى بعض الليالى نام فرأى المصطفى صلّى الله عليه و آله، و هو يقول له: «يا زيد، إنى راض عن ولدك برضاك عنه، و الحقّ سبحانه و تعالى راض عنه برضاى عليه». و جاء الحسن بالسيدة نفيسة إلى المدينة، و كان دائما يأخذ بيدها و يدخل بها إلى القبر الشريف و يقول: «يا رسول الله، إنى راض عن بنتى نفيسة» و يرجع، فما زال يفعل حتّى رأى رسول الله صلّى الله عليه و آله فى المنام و هو يقول: «يا حسن، إنى راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها، و الحقّ سبحانه و تعالى راض عنها برضاى عنها» «٣». و زيد الأبلج هو ابن الحسن السبط ابن سيدنا الإمام.

(١). قاله الخطيب و أغلب النسابة. راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩ و ٣١٣، و عمدة الطالب: ٧٠. و حاجر: موضع على خمسة أميال من المدينة من جهة مكة.

(٢). لوائح الأنوار فى طبقات الأخيار ٢: ٢٧١.

(٣). وجد أخيرا ما يدلّ على دفن السيد زيد الأبلج بالقاهرة، قريبا من جامع القراء، بين مجراة القلعة و جامع عمرو فى التربة المشهورة قريبا من جامع القراء، فقد وجد حجر عتيق شرقى مقام ولده السيد حسن الأنور بقرب جامع عمرو بعد مجراة القلعة بقليل، مرقوم عليه نسب زيد.

أمّا الإمام محمد الأنور عمّ السيدة نفيسة فى المشهد القريب من عطفة جامع طولون، ممّا يلى دار الخليفة فى الزاوية التى ينزل إليها بدرج، و هو على يمين الطالب للسيدة سكينه، و مكتوب على بابه فى لوح رخام هذا البيت.
مسجد حلّ فيه نجل لزيد ذلك الأنور الأجلّ محمد و هذه تدلّ على أنّ الأضرحة و المساجد الموجودة فى القاهرة، لآل البيت أو الأولياء، ليست «مشاهد الرؤيا» كما يدّعيها بعض الكتاب.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٢١

من هذا الغصن، غصن القرن الأول للهجرة، جاءت إحدى أغصان رياحين القرن الثانى.

أميا أمها فأم ولد، و أمّا إختوتها فأمهم أم سلمة زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، و ليس ذلك بضائرها، و لا ما ينقص من قدرها، فقديما تسرى الخليل إبراهيم عليه الصلاة و السلام هاجر، فولدت له إسماعيل عليه السلام، فكان من نسله صفوة خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله. و قد تسرى رسول الله صلى الله عليه و آله مارية القبطية فولدت له إبراهيم، و قد كان أبوها الحسن من أم ولد.

و كذا زيد بن علي رضي الله عنهما من أم ولد، و قد دخل على هشام بن عبد الملك، فقال له: بلغني أنّك تحدّث نفسك بالخلافة؟ و لا تصلح لها لأنك ابن أمه!

فقال له: أمّا قولك: إنّني أهدت نفسي بالخلافة، فلا يعلم الغيب إلّا الله تعالى، و أمّا قولك: إنّني ابن أمه، فإسماعيل ابن أمه، أخرج الله من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه و آله، و إسحاق ابن حرّة أخرج من صلبه القرده و الخنازير! فقال له: قم!

فقال: إذن، لا تراني إلّا حيث تكره. فلمّا خرج من الدار قال: ما أحبّ أحد الحياة إلّا ذلّ.

فقال سالم مولى هشام: بالله لا يسمعون هذا الكلام منك أحد «١».

و قد كان زيد رضي الله عنه من أحسن بني هاشم عبادة، و أجلهم سيادة. و كانت ملوك بني أمية تكتب إلى صاحب العراق أن يمنع أهل الكوفة من حضور مجلس زيد بن علي، فإنّ له لسانا أقطع من ظبة السيف، و أحد من شبا الأسنّة، و أبلغ من السحر و الكهانة، و من النفث في العقد «٢».

(١). راجع تفصيله في تاريخ دمشق ٢١: ٣٣٣-٣٣٤، و مروج الذهب ٣: ٢٠٦، و الصواعق المحرقة:

٢٤٦-٢٤٧.

(٢). انظر زهر الآداب و ثمر الألباب للحصري القيرواني ١: ٧٢.

اهل البيت في مصر، ص: ٢٢٢

و قال الشعبي: و الله ما ولدت النساء أفضل من زيد بن علي، و لا أفقه و لا أشجع و لا أزهّد «١».

و قال أبو حنيفة: شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله، فما رأيت في زمانه أفقه منه و لا أعلم، و لا أسرع جوابا، و لا أبين قولاً. لقد كان منقطع النظر، و كان يدعى بحليف القرآن، قرأ مرة قول الله تعالى: وَ إِن تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ فقال: إنّ هذا لوعيد و تهديد من الله تعالى، ثم قال: اللهم لا ملجأ ممّن تولّى عنك فاستبدلت به بديلا ... «٢».

و نشأت السيدة نفيسة رضي الله عنها نشأة نبوية، فإنها بعد أن درجت بمكّة تحوطها العزّة و الكرامة، استصحبها أبوها و قد أوفت الخامسة من عمرها إلى المدينة المنورة، و عاشت معه بداءة، و أخذ يلقنها ما تحتاج إليه من أمور دينها و دنياها، و كانت تذهب إلى المسجد النبوي تسمع من شيوخه، و تتلقّى الحديث و الفقه من علمائه، و عاشت في مدرسة أبيها المحمدية، تسمع منه تاريخ دينها و تاريخ أسرتها.

و من بين الذين التقت بهم السيدة نفيسة في المدينة الإمام مالك الذي كان حديث الفقهاء و المسلمين جميعا بكتابه «الموطأ» و فقهه الذي انتشر في كلّ الأمصار، و وجدت السيدة كريمة الدارين في هذه الأجواء الرائعة مبتغاها، و قرأت «الموطأ»، و ناقشت كلّ القضايا الدينية، و بدأت تزاد معرفته كاملة، و الناس من حولها بما فيهم الإمام معجبون بهذه السيدة الطاهرة، يسمعون آراءها في كلّ ما يتدارسون من فقه و سيرة و حديث.

و بلغت كريمة الدارين سنّ الزواج، فرغب فيها شباب آل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله من بني الحسن و بني الحسين رضي الله عنهم، كما تهافت على خطبتها الكثير من شباب أشرف قريش، لما عرفوه من خيرها و برّها، و دينها و إيمانها، و صلاحها و تقواها، و

ما نشأت عليها من عبادة ربها، وإقبالها على طلب العلم حتى ضربت فيه بسهم

(١). المصدر السابق.

(٢). تاريخ دمشق ٢٣: ٢٩٩، خطط المقرئ ٣: ٣٣٥، الروض النضير للسياغى ١: ٩٨.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٢٣

وافر، بالإضافة إلى ما حباها به الله عز وجل من حسن بارع وجمال رائع، و ما امتازت به من سرى الأخلاق و كريم المناقب و حميد الشمائل، فكان أبوها يأبى عليهم إجابة طلبهم، و يردّهم ردًا جميلاً، إلى أن أتاه إسحاق المؤمن ابن جعفر الصادق رضى الله عنهما، و كانت دار الحسن قبالة دار جعفر الصادق، فخطبها من أبيها، فلم يردّ عليه جواباً، فقام إسحاق من عند الحسن، و فى نفسه ما فيها، و ذهب تَوّاً إلى المسجد النبوى و دخل الحجره الشريفه، و وقف تجاه القبر فى خشوع و إجلال. فقال: «يا رسول الله، إنى خطبت نفيسه بنت الحسن من أبيها فلم يردّ علىّ جواباً، و إنى لم أخطبها إلّا لخيرها و دينها و عبادتها». ثم انصرف، و قد انشرح صدره و اطمأنت نفسه.

ففى تلك الليله رأى أبوها الحسن جدّه المصطفى صلّى الله عليه و آله فى النوم، و هو يقول له:

«يا حسن، زوج نفيسه من إسحاق المؤمن». فما أن أفاق من نومه حتى بعث إلى إسحاق يستدعيه إليه، فسارع إليه، و ما أن جلس بين يدى الحسن حتى أخبره برؤياه، و ما لبث أن عقد له على ابنته فى حفل جمع جمهوره من آل بيت رسول الله صلّى الله عليه و آله، و جماعه من أشرف قريش، و كان فى سنه إحدى و ستين و مائه «١».

و بعد أن جهّزها أبوها و جليت لزوجها، بنى عليها فى دار أبيه جعفر الصادق بالمدينه، و هى الدار التى كان يسقى فيها الماء الذى تصدّق به جعفر رضى الله عنه، و كانت تلك الدار قبلاً لحارثه بن النعمان الأنصارى الخزرجى. ثم من بنى النجار، و كان من فضلاء صحابه رسول الله عليه و آله، و قد قال صلّى الله عليه و آله: «دخلت الجنه فسمعت قراءة، فقلت من هذا؟ فقيل: حارثه بن النعمان، فقال صلّى الله عليه و آله: كذلكم البرّ» «٢»، و كان بَرّاً بأمه، و كان قد ذهب بصره، فاتخذ خيطاً فى مصلاه إلى باب حجرته، فكان إذا جاءه مسكين أخذ من مكنله شيئاً ثم أخذ بطرف الخيط حتّى يناوله، فكان أهله يقولون له: نحن نكفيك،

(١). راجع خطط المقرئ ٤: ٣٢٧.

(٢). مسند أحمد ٦: ٣٦.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٢٤

فيقول: إنى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: «مناولة المسكين تقى ميتة السوء» «١».

و كان قبالة تلك الدار فى الغرب دار الحسن بن زيد، و هو أطم، كان الحسن قد ابتاعه فخاصمه فيه أبو عوف النجارى، فهدمه الحسن فجعله داراً مشيدة البنيان، عالية الأركان، تحوطها الكرامه، و يرفرف عليها الشرف و الجلاله.

و بزواج السيد إسحاق من السيدة نفيسه، اجتمع فى بيتها نوران، نور الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنه، فالسيدة نفيسه جدّها الإمام الحسن، و السيد إسحاق جدّه الإمام الحسين، لأنّ إسحاق المؤمن هو ابن الإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن على زين العابدين ابن أبى الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، و أمه «حميدة البربريه» و هى أم اخوته موسى الإمام و محمد و فاطمه الكبرى رضى الله عنهم جميعاً.

و كان إسحاق من أهل الفضل و الاجتهاد، و الورع و الصلاح. روى عنه الكثير من الناس الحديث و الآثار، و كان كاسب: يعقوب بن حميد بن كاسب المدنى - و ينسب إلى جدّه إذا ما حدّث عن إسحاق - يقول: حدثنى الثقة الرضا، إسحاق بن جعفر.

و ناهيك بابن كاسب، فقد كان محدثا ثقة، مأمونا صادقا (٢).

و في عمدة الطالب: و أما إسحاق بن جعفر الصادق، و يكتفى أبا محمد، و يلقب بالمؤمن، فقد ولد بالعريض، و هو واد بالمدينة، و كان من أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه و آله، و كان محدثا جليلا، و كان سفيان بن عيينة شيخ الإمام الشافعي رضى الله عنهما إذا ما روى عنه يقول: حدّثني الثقة الرضا إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رضى الله عنهم. و هو أقلّ المعقّين من ولد جعفر الصادق عددا، إذ أعقب ثلاثة رجال:

محمدًا و الحسن و الحسين، و تعرف ذريته بالاسحاقيين (٣).

(١). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٢٢٨، و الهيثمي في مجمع الزوائد ٣: ١١٢ و ٤: ٩، و أبو نعيم في الحلية ١: ٣٥٦.

(٢). انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١١: ٣٣٦-٣٣٧ رقم ٦٤٦.

(٣). عمدة الطالب: ٤٢.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٢٥

و يقول المقرئ في خطه: و تزوج بنفيسه رضى الله عنها إسحاق بن جعفر الصادق رضى الله عنهما، و كان يقال له: إسحاق المؤمن، و كان من أهل الصلاح و الخير، و الفضل و الدين. روى عنه الحديث، و كان ابن كاسب إذا حدّث عنه يقول: حدّثني الثقة و الرضا إسحاق بن جعفر، و كان له عقب بمصر بنو الرقي، و بحلب بنو زهرة (١).

و ولدت نفيسة من إسحاق ولدين، هما: القاسم و أم كلثوم.

و في تهذيب التهذيب: إسحاق بن جعفر، روى عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، و عبد الله بن جعفر المخزومي، و صالح بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، و غيرهم. و روى عنه: إبراهيم بن المنذر، و يعقوب بن حميد بن كاسب، و يعقوب بن محمد الزهري، و غيرهم ممن قدم مصر. و هو زوج السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور رضى الله عنهم (٢).

و قد ذكر في لسان الميزان: أنه كان يقال له الحزين؛ لأنه لم ير ضاحكا (٣).

و في مشركات الطوبجى: إنه الممدوح بروايته عن أبيه، و قد مكث بعد وفاة السيدة نفيسة رضى الله عنها زمنا ليس بالكثير، ثم توفى و دفن بمصر، و قيل: إنه رحل و ولداه القاسم و أم كلثوم إلى المدينة و توفى بها، و هو الأصح.

نفيسة العلم

في بيت كريم، و بين أسرة طهرها الله سبحانه و تعالى تطهيرا و أذهب عنها الرجس، فتحت السيدة كريمة الدارين عينيها، و وعت أذناها كتاب الله العظيم، و لا شك أن الجوّ الذي كان يحيطها شجعها على ذلك، فأب صالح و أم عابدة، يعبدان الله سبحانه و تعالى ليل نهار، فكان طبيعيا أن تقلدهما، و لعلها سمعت من أبيها تاريخ جديها الإمامين: الحسن و الحسين و أمهما الزهراء، و أبيهما أمير المؤمنين، و ما اقتبسوا

(١). خطط المقرئ ٤: ٣٢٥.

(٢). تهذيب التهذيب ١: ٢٠٠ رقم ٤٢٤.

(٣). لسان الميزان ١: ٣٥٩ رقم ١١٠١.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٢٦

جميعا من رسول الله صلى الله عليه و آله من أنوار، و ما أخذوا عنه من شتى الفضائل و المكرمات.

و لعلّ والدها تتبرأ لها بأنّها سيكون لها شأن عظيم بين الصالحين و الصالحات، فقد بدأت في سنّ مبكرة في تلاوة القرآن الكريم بمفردها، ثم عملت على حفظه حتى تمّ لها ذلك في خلال سنة واحدة فقط. أمّا العبادات المفروضة فقد أثر عنها رضى الله عنها أنّها كانت تؤدّي الصلوات الخمس بانتظام مع والديها في المسجد الحرام و هي في السادسة من عمرها «١».

و نشأت كذلك آية من آيات الله تعالى في قوة الذاكرة و الحافظة، صفاء نفس و نقاء حدس، فكان طبيعياً أن تتّجه بكلّ قواها إلى كتاب الله الكريم، فألّمت بتفسيره و تأويله، فاستجلت غوامضه، و خاضت عبا به.

و أخذت و هي تنمو جسماً و عقلاً و روحاً، تقوم الليل و تصوم النهار، و تمعن في العبادة و الدراسة، فاتّجهت بكلّ روحها إلى دراسة حديث جدّها، فروت منه عن أبيها و آل بيتها و علماء عصرها، و أخذت بحظّ وافر من الفقه و العلم، و من هنا جاء اللقب الذي اشتهرت به: «نفيسة العلم».

شغفت بحديث جدّها المصطفى صلّى الله عليه و آله، و روت من الحديث و الآثار الكثيرة من أبيها و آل بيتها و علماء عصرها، و بخاصّة الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه بالمدينة، و كان من عاداته أن يتصدّر مجالس العلم و في يمينه موطّؤه، و حوله العلماء و طلاب العلم وفدوا عليه من سائر الأقطار الإسلامية، و هو ينشر العلم في أرجاء المدينة، و من أرجائها ينساب إلى آفاق العالم المتعطّش له، و كانت أحاديث الإمام مالك عنده، و كانت أصدائها لتصل إلى السيدة نفيسة، فتأخذ ما تضيفه إلى ما جاءت به من مكة من سائر علوم القرآن و الحديث، و قد سمع عنها الحديث كثير من علماء مصر و الراحلين إليها.

(١). انظر مجموعة آل بيت النبي في مصر: ٧٩.

اهل البيت في مصر، ص: ٢٢٧

و قد كان ابن خلكان يروى: أنّ الإمام الشافعي رضى الله عنه لما دخل مصر حضر إليها و سمع عليها الحديث «١».

و قالت زينب بنت يحيى المتوّج، و هو أخو السيدة نفيسة رضى الله عنهم: «كانت عمّتي نفيسة تحفظ القرآن و تفسيره، و كانت تقرأ القرآن و تبكي، و تقول: إلهي و سيدي يسّر لي زيارة خليلك إبراهيم عليه السّلام» «٢»، لأنّها كانت تعلم أنّه أبو الأنبياء، أي أنّه أبو أبيها محمد رسول الله صلّى الله عليه و آله. و خاتم الأنبياء، و أنّه بشر به كما ورد في الأثر، و إذن فهو أبوها و جدّها، و كانت تعرف أنّ الرسول صلّى الله عليه و آله قال: «أنا دعوة إبراهيم عليه السّلام، حيث يقول: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يَزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «٣».

و حين بلغت المزار، و وقفت بين يدي جدّها خليل الله، قالت: «ما أن بلغت المقام الكريم و الضريح العظيم حتى أجهشت بالبكاء، بكاء السرور لتحقيق أمنيّتي في زيارة الخليل، ثم جلست في خشوع أقرأ من آيات الله ما ورد في خليل الله.

و قرأت: وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ* رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَ مَا نُعْلِنُ وَ مَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ* إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ* رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَ تَقَبَّلْ دُعَاءِ* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ* وَ لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا

(١). وفيات الأعيان ٥: ٤٢٤ رقم ٧٦٧. و ذكره أيضا المقرئ في خطه ٤: ٣٢٥.

(٢). تحفة الأجباب و بغيه الطلاب: ١٠٥.

(٣). رواه في كنز العمال ١١: ٣٨٤ رقم ٣١٨٣٣ عن الضحاك مرسلًا. و الآية: ١٢٩ من سورة البقرة.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٢٨

يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤْسِهِمْ * لَا يَزْتَدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَيَكُنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ * كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سِرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ [إبراهيم: ٣٥-٥٢].

و حجت كريمة الدارين هي وزوجها إسحاق المؤمن، وزارت قبر خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام، كما قلت: حجت فى حياتها المباركة ثلاثين مرّة، أكثرها ماشية على قدميها «١»، و كان القدوة لها فى ذلك جدّها الإمام الحسن الذى كان يقول: «إني لأستحي من ربّي أن ألقاه و لم أمش إلى بيته» «٢».

وقالت زينب بنت يحيى «٣» المتوج: خدمت عمى السيدة نفيسة أربعين سنه، فما

(١). انظر خطط المقريزى ٤: ٣٢٥.

(٢). حلية الأولياء ٢: ٣٧، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٨٠، العوالم (الإمام الحسن): ١٣٢.

(٣). يحيى أخوها بمصر، و ليس لأخيها يحيى سوى زينب التى صحبت عمّتها طوال حياتها، و قد عافت الدنيا و زهدتها، فلم تتزوج، و كان يرى على قبر يحيى نور. قال أبو الذّاكر: دخلت إلى قبر يحيى، فلم أحسن الأدب، فسمعت من قبره من يقول: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا.

و ليس بمصر من أخواتها سواه، و مشهده معروف بإجابة الدعاء، و قد دفنت زينب بنت يحيى المتوج رضى الله عنهما بجوار قبر عمرو بن العاص، و كان أهل مصر يأتون لزيارة قبرها من كلّ فجّ، و كان الظاهر الخليفة الفاطمى يأتى إلى زيارتها ماشيا، و كان أهل مصر يجيئون إلى قبرها يستسقون، و كان النيل قد توقّف، فاستسقى أهل مصر بها، و جأروا إلى ربّهم، فجرى النيل بإذن الله تعالى.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٢٩

رأيتها نامت بليل و لا أفطرت بنهار، إلّا العيدين و أيام التشريق. فقلت لها: أ ما ترفقين بنفسك؟ فقالت: كيف أرفق بنفسى و أمامى عقبات لا يقطعهنّ إلّا الفائزون؟ «١»

و كانت تقول: كانت عمى تحفظ القرآن و تفسيره، و كانت تقرأ القرآن و تبكى «٢».

و قد سمع منها الحديث و تفسيره و الفقه كثير ممّن قابلوها، فقد سمع منها بمصر غير الإمام الشافعى جمهور كبير من العلماء؛ كذى النون المصرى، و عبد الله بن الحكم، و ولديه محمد و عبد الرحمن، و عبد الرحمن البويطى، و الربيعين المرادى و الجيزى، و حرمله من أصحاب الإمام الشافعى رضى الله عنهم، و كثيرين غيرهم «٣» استفادوا ممّا أفاضه الله عليها من فيوضات ممّا سيأتى بيانه بعد قليل، و ما روته من أحاديث و آثار، و فقه و علم و معارف نبويّه، فإنّها رضى الله عنها من أهل بيت اتقوا الله فعلمهم الله، و أنار قلوبهم بنور عرفانه، فكانوا من حلّمه العلم و حضنته، و من ذوى الفقه و الدين، و المعرفة و اليقين.

و كانت السيدة الورعة زاهدة فى دنياها، تؤمن بمنهج الزهد و تمارسه، و كان رائدها فى طريق الزهد جدّها الأعظم رسول الله صلّى الله عليه و آله الذى أحاطت بسيرته، و كان مرشدها هو ما قال الرسول صلّى الله عليه و آله و ما فعل، و قد مالت بطبعها من صغرها إلى حياة بعيدة عن زخرف الحياة و زينتها بالرغم من أنّ أباهما كان أميراً للمدينة، و كان بلا شكّ يعيش عيشة رغبة، و لكنّها ما كانت

تستشرف إلى لذائد الدنيا وشهواتها.

و في بيت أبيها نشأت - برغم ما يحيط بها من مظاهر الترف - نشأة الزهادة و التقشف، فمثلا كنت قليلة الأكل، و يروى: أنها كانت تأكل كل ثلاثة أيام مرة «٤».

و تقول زينب بنت يحيى: «كنت أجد عندها ما لا يخطر بخاطري، و لا أعلم من

(١). خطط المقریزی ٤: ٣٢٥.

(٢). المصدر السابق.

(٣). كالإمام أحمد و سفيان الثوري و رابعة العدوية. انظر تحفة الأجيال للسخاوي: ١٠٧.

(٤). راجع خطط المقریزی ٤: ٣٢٥.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٣٠

يأتي به، فعجبت من ذلك، فقالت: يا زينب من استقام مع الله تعالى كان الكون بيده و في استطاعته «١».

و كانت تفضى أكثرها وقتها في معبدها أو حرم جدّها المصطفى صلى الله عليه و آله، على أنه يقال: إنها رضی الله عنها لم تكن سلبية في زهدها، تقاطع الحياة مقاطعة تامّة كما يفعل بعض الزهاد، إنّما كان هجرها للدنيا واقعا على كلّ ما يعوقها عن الله و طاعته و مرضاته، و يعوقها عن العمل لآخرتها و التزوّد لها.

كانت الآخرة و كان الموت نصب عينها، و الدليل على ذلك حفرها قبرها بيدها، و قضاؤها شطرا من وقتها كلّ يوم تستلهم منه العظات، و تستوحى الصالحات.

و هي بعد ذلك زوجة مخلصه، و لم يشغلها أيّ أمر عن مسؤوليتها كزوجته، حتى فاخر بها المؤمن الدنيا، و يذكر للناس من حوله أنه قد وجد فيها نعمة الله عليه، فلم تقصّر في حقّ له أبدا، و لم يشغلها أيّ أمر عن حقوقه و واجباته.

و هي أم ترعى الله في زوجها و ولدها، تغدق بالحنان ولديها: أبا القاسم و أم كلثوم، ترعاهما و تؤدّبهما حتى يصيرا نموذجا صالحا بشرف الانتساب إلى بيت النبوة.

و هي ربة بيت تشرف عليه، و هي محبة للعلم حبا جعلها بحقّ نفيسة العلم.

و تجتمع بذوى الحاجات من الناس، و تستمع إليهم، و لهذا شاهد مسكنها في المدينة وفود الزوّار من كلّ بلد اسلامي، خصوصا من القادمين في مواسم الحج و الراغبين في العلم، و قد كان أكثر هؤلاء الوفود، و أشدهم حرصا على لقائها كانوا من مصر.

و ضاقت دارها بالزائرين، كما حدث تماما في مصر عند ما طلبت الرحيل إلى الحجاز عند أهلها؛ بسبب ازدحام منزلها بالقاصدين إليها، كما سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

فزهده السيدة نفيسة إيجابي نافع، كما كان زهد الرسول إيجابيا، مثاليا في إيجابيته.

(١). راجع المصدر السابق.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٣١

و يقول الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه: ترك الحرام و هو زهد العوام، و ترك الفضول من الحلال و هو زهد الخواص، و ترك ما يشغل العبد عن الله، و هو زهد العارفين «١».

و هو زهد السيدة كريمة أهل الدارين، شعارها: الله أولا، و المجتمع ثانيا. لله صلاتها و نسكها، و لله محياها، و لله مماتها.

كانت رضى الله عنها و أرضاها، كريمه الخليفه، شريفه الطبع، غزاه المكرمات، زهراء المآثرات. فقد صاغها الله من معدن كريم، و أنبتها نباتا حسنا، فجمعت خلال الفتوة و المروءة، فكانت معطاءة فياحه، فياضه، نفاحه، جمه المبرات، كثيره الصلوات، و هى مع هذا زاهده متقشفه.

أما ما برأها عليه من عزة نفس و حمى أنف، تربأ بنفسها عن مواطن الذلّ و الابتذال، و تتصاون عن الامتهان و الهوان، و هى مع هذا، لا يذهب بنفسها زهو و كبرياء، و لا يخالطها تيه و عجب، بل كانت متواضعة النفس، متطامنة الجانب. سلاسه طبع و سجاحه خلق، و بالإجمال: فأخلاقها مقتبسه من أخلاق جدّها المصطفى صلى الله عليه و آله، و إنّه لعلّى خلق عظيم. و كانت المثل الأعلى فى الوفاء لزوجها على وجه الخصوص، و عرفان حقوقه، و القيام بواجباته، و قد ساهمته الاخلاص و الودّ، و عرف فيها هذا الخلق النبيل، فكان مثال الطاعة لها فيما تسلكه و تنحيه، فما خالف لها أمرا، و لا وقف لها فى سبيل رغبة، بل كان يهين لها ما تبتغيه، و يسهل لها ما تريده، و لم يخل عليها بشيء من ماله. و كانت عطوفة على أسرتها، فها هى تلك بنت أخيها زينب، و قد لمست فى عمّتها

(١). كتاب الزهد: ٤.

اهل البيت فى مصر، ص: ٢٣٢

العطف، فتمادت فى خدمتها، و نسيت نفسها فى سبيل عمّتها، فلازمتها و أصبحت كظلّها، و عافت الزواج لتنفرد بخدمتها، و تسهر على راحتها، و تقضى لها حاجتها، و ما رحلت عمّتها نفيسه بنت زيد إلى مصر، إلّا شوقا لبنت أخيها، و كان بزها لخدمتها «جوهرة»، و معاملتها لها أحسن معاملته، فأشرب فى قلبها حبّها، و الإخلاص إليها إلى ما عرف عنها من إثارة ذوبها و بزهم، ممّا جعلها تملك قلوبهم.

و كان كثيرة الخير و البرّ، تواسى البائسين، و تسعف الملهوفين، و تفرّج كرب المكروبين، و كان لها مال كثير إلى مال زوجها، تحسن من كلّ أولئك إلى المرضى و المحتاجين و الناس عامه، فما كانت تردّ سائلا، و لا تمنع مستجديا، و كانت تعرّف من به حاجه، فتقضى حاجته، سخية لكلّ من يتصل بها، نديّة لكلّ من يلوذ بها، و يحوم حول رحابها.

وهب لها أحد الأمراء مائة ألف درهم، و قال: خذى هذا المال شكرا لله تعالى لتوبتى، فأخذته و صرّته صررا بين يديها، و فرقت الصرر عن آخرها، و كان عندها بعض النساء فقالت لها: يا سيدتى، لو تركت لنا شيئا من هذا الدراهم لنشترى به شيئا فننظر عليه؟! فقالت لها: خذى غزلا- غزلته بيدى فبيعه بما تشتري به طعاما ننظر عليه، فذهبت المرأة و باعت الغزل و جاءت بما أفطرت به هى و إيّاها، و لم تأخذ من المال شيئا «١».

فهى الجواده بنت الجواد، و هى من قوم يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة.

و كانت رضى الله عنها عيوفة عزوفة، فما عرف عنها أنّها مدّت يدها لمخلوق، و ما كانت تأخذ شيئا ممّا كان يأتى إليها من منح الأمراء و العظماء، بل أنّها كانت تبعث به إلى ذوى الحاجات، سخاء نفس و عزة فطرة، و ما كانت تنفق على نفسها و أفراد بيتها إلّا ما كان من مالها أو مال زوجها أو ما يأتيتها ممّا تغزله بيدها، و كانت لا تأكل طعاما لغير زوجها.

(١). تحفة الأجباب: ١٠٦.

اهل البيت فى مصر، ص: ٢٣٣

و هذا أمير مصر السرى بن الحكم، فقد ألح عليها إلحاحا شديدا فى أن تنزل فى دار له نزل عنها لها، فبعد لأى و جهد قبلت أن تنزل

في تلك الدار التي وهبها إليها، و قد سرّه قبولها، و حمد الله تعالى على ذلك «١»، فهي من آل بيت لا يرضى ذووه أن يكون لأحد غير الله تعالى له عليهم نعمة و لا منة؛ شهما و إباء نفس.

و هذا هو الأمير الذي بعث إليها بمائة ألف درهم، فلم تشأ أن تبيتها أو تدخرها، بل وزعتها دون أن تبقى لها منها درهما. و كانت السيدة نفيسة رضي الله عنها كثيرة البرّ و المواساة، عطوفة رحيمه، تحنو على القوم و تتحد بهم، فتؤويهم إلى ظل رحمتها، و تمهد لهم مهاد رأفتها.

و لم يكن عطفها على ذوى قرباها بأقل أثرا من ذلك، فكثيرا ما نالهم برّها و شملهم خيرها. فهذه بنت أخيها السيدة زينب قد لاقت من عمّتها من الحنان و الرأفة و الإحسان، ما جعلها تخلص الودّ إليها، و تتفانى في خدمتها، و تقوم لها بما تحتاجه من أمورها، فإنّ عمّتها ملكت قلبها ببرّها و عطفها، حتّى وفّت لها أربعين سنة، تنشط لخدمتها، و تسهر على حاجتها، دون سأم أو ملل «٢».

و كذلك أخلصت لها خادماتها «جوهرة» لما لمستته من عطف و حنان، فعاشت في كنفها مسرورة، تفديها بنفسها، و تسارع تلبية نداءها، و قضاء حاجتها.

و هؤلاء جيرانها و قد عرفوا برّها و عطفها، فكانوا يودّونها و يثقون بها، حتى أولئك الذين كانوا يخالفونها في دينها. فهذه جارتها اليهودية لم تأمن على وحيدتها غير الشريفة السيدة نفيسة، بالرغم من وجود جمهرة من اليهود أبناء شيعتها يجاورونها، غير أنّها لم تر فيهم أحدا موضع ثقته فتودع عنده فلذة كبدها إلى أن تعود من حمامها، فلم تجد غير تلك الأمانة العطوفة، فتركتها عندها، فنالت من بركتها ممّا سيأتى في حينه.

(١). خطط المقرئى ٤: ٣٢٧-٣٢٨.

(٢). المصدر السابق: ٣٢٥.

اهل البيت في مصر، ص: ٢٣٤

فالبرّ و العطف آيتان محببتان بهما، تملك القلوب، و تؤسر الأفتدة، إلى ما رأيناه من إقبال الناس عليها فوق ما لمسوه من بركاتهما، و ما عرفوه من نفحاتها.

من بلد الرسول محمد صلّى الله عليه و آله إلى القاهرة

ولدت السيدة نفيسة بمكة، ثم انتقلت إلى المدينة بصحبة أبيها، و لبثت بالمدينة إلى أن روّعت بحبس المنصور لأبيها من سنة ١٥٦ هـ إلى سنة ١٥٩ هـ حين أخرجته المهدي من حبسه و ردّ عليه ماله «١»، و استمرت في المدينة المنورة، و عاشت في ظلّ أبيها قريبة مسرورة إلى أن تزوجها إسحاق المؤمن و بنى عليها في بيت أبيه بالمدينة، فعاشت ردحا من الزمن، فكانت تشوق لزيارة قبر أبيها إبراهيم صلّى الله عليه و آله، ثم زارت بغوطة دمشق، مقام السيدة زينب بنت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب رضي الله عنهم «٢»، إذ أنّها مدفونة بمغارة، و عند قبرها رخامة مكتوب عليها:

أسكنت من كان في الأحشاء مسكنه بالرغم منى بين التراب و الحجر

أفديك فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر و زارت قبر «فضّة» جارية جدّتها فاطمة الزهراء رضي الله عنها، و غير أولئك.

و في دمشق استقبلها جمهور كبير من العلماء هرعوا للتسليم عليها، و التماس دعائها و بركتها، و في مقدّماتهم الشيخ الكبير العارف بالله أبو سلمان الداراني، و كان رجلا صالحا زاهدا، و له كلام رفيع في التصفّ و الوعظ، و محدّث الشام أبو العباس الوليد بن مسلم

الدمشقي «٣»، و كان إماما حافظا، و الإمام أبو بكر الدمشقي مروان بن محمد الطاطرى «٤»،

- (١). انظر تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ٨: ٢٩٤، شذرات الذهب ٢: ٢١.
- (٢). انظر تحفة الأجاب: ١٠٥.
- (٣). الوليد بن مسلم الأموي بالولاء، الدمشقي، عالم الشام في عصره، من حفاظ الحديث، ولد عام ١١٩ هـ، و توفي عام ١٩٥ هـ بذي المروة عند قفوله من الحج. انظر تذكرة الحفاظ ١: ٢٧٨.
- (٤). أبو بكر مروان بن محمد بن حسان الطاطري الأسدي، ولد عام ١٤٧ هـ عام الكواكب، و توفي عام ٢١٠ هـ بدمشق، أثنى عليه الإمام أحمد و يحيى لکنه قال: كان مرجئا. انظر تاريخ دمشق ٢٤-٢١٣.
- أهل البيت في مصر، ص: ٢٣٥
- و كان صالحا خاشعا عابدا، و غير أولئك من علماء الشام و محدثيه و صلحائه، يرجون منها دعاءها، و يلتمسون بركتها، و يسمعون منها ما تحدت به من حديث جدّها المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله «١».
- و في يوم السبت الموافق ٢٦ رمضان ١٩٣ هـ وصلت السيدة كريمة الدارين إلى مصر، قبل أن يقدم إليها الإمام الشافعي رضي الله عنه بخمس سنين، و كان ذلك في ولاية الحسن بن البجاح «٢» والى مصر من قبل الرشيد «٣».
- و في العريش استقبل أهل مصر السيدة نفيسة رضي الله عنها أحسن استقبال «٤»، فقد أحبها الشعب المصري قبل قدومها إليه، سمع عن أنبائها بالمدينة بلد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و تلقّتها النساء و الرجال بالهوادج و الخيول مرحين، يهللون و يكبرون، و لم يزلوا معها إلى أن دخلت مصر، فأنزلهما عنده كبير التجار بمصر جمال الدين عبد الله الجصاص، و كان من أهل الصلاح، و من أصحاب المعروف و البرّ و الصدقة، و المحبة في الصالحين و العلماء و السادة الأشراف، فنزلت عنده في داره معززة مكرمة مبدلة، فأقامت بها عدّة شهور، و الناس يفدون إليها زرافات و وحدانا، من سائر مدن القطر، و من جميع الآفاق، يتلمسون بركتها، و يرجون دعاءها، و يرون في إشراقها إشراقه بيت النبوة و عتره المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.
- و كانت سيده من المصريين تسمى بأم هانئ، لها دار رحيبة بجهة المراغة، فرجت من السيدة نفيسة النزول في دارها، و كانت امرأة ورعة تقيّة سالحة، فقبلت السيدة

- (١). راجع كتاب الدرّة النفيسة: ٥٧-٥٨.
- (٢). أحد ولادة بنى العباس على مصر، ولّاه الرشيد عليها سنة ١٩٣ هـ و في أيامه توفي الرشيد، و ولي الخلافة ابنه الأمين، و بعد أن ثار جند مصر قاتلهم الحسن بن البجاح و نكل بهم و أخضعهم للأمين، ثم عزله الأمين، و كانت مدّة ولايته كلّها سنة و شهرين! توفي بعد عام ١٩٤ هـ. انظر النجوم الزاهرة ٢: ٦٤١.
- (٣). الدرّة النفيسة: ٦٤.
- (٤). في قصة استقبالها رضي الله عنها من قبل المصريين، راجع كتاب الدرّة النفيسة في ترجمة السيدة نفيسة: ١٧-٢١.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٣٦

نفيسة و انتقلت إلى تلك الدار، فلم ينقطع عنها الزوّار، و انهال عليها الناس من كلّ حدب و صوب، من طلب الحاجات، و راغبي الدعوات، و ملتسمي النفحات و البركات، و يعودون جميعا و قد استجاب الله دعاءها، و قضى لهم حاجتهم، و كشف كربهم.

و قد كان يجاور بيت أم هانئ رجل من اليهود، يقال له: أبو السرايا أيوب بن صابر، و له بنت مقعدة. و في يوم من الأيام توجهت بها أمها إلى السيدة نفيسة و استأذنت في بقائها في حماها إلى أن تعود من حمامها، فتركتها في ردهة الدار و مضت إلى الحمام، حتى إذا

جاء وقت صلاة الظهر نهضت السيدة نفيسة لوضوئها و البنت القعيدة ترقبها، و تستشرف إلى ما تصنعه السيدة، و كان ماء الوضوء يجري في مجرى بالردهة إلى بئر تحت عتبة الدار، فألهم الله عزّ و جلّ البنت إلى أن ترحف من مكان قعدتها و تصل إلى ذلك المجرى زاحفة، و أخذت في تقليد السيدة فيما تفعله من غسل وجهها و يديها و رجليها، و ما أن غسلت رجليها من ذلك الماء الذي يسيل في المجرى من فضل وضوء السيدة نفيسة، حتى كأنما نشطت من عقالها، و زال عنها كساحها، و شفاها الله سبحانه و تعالى ممّا بها، فنهضت قائمة مسرعة في الخروج إلى الدرب، خارج الدار تلعب مع لداّتها، و السيدة في شغل عنها بعبادتها و صلاتها. فلما حضرت أم البنت إذ بها تجدها و قد زال عنها ما أفعدها و هي قائمة على قدميها، كأنه لم يكن بها شيء، فاحتضنتها و هي نشوانة، مأخوذة ممّا رأت شفاء بنتها و عافيتها، فسألته عن أمرها، فأخبرتها بجليّة الأمر، و ما كان من غسلها رجليها من فضل ماء الوضوء، فبكت الأم بكاء شديداً، و قالت: لا ريب في أنّ دين تلك السيدة الشريفه هو الدين الصحيح، و دخلت على السيدة في خشوع و خضوع، و إجلال و احترام، و وقفت بين يديها تحيّيها، ثم نطقت بالشهادتين، و أخلصت لله ربّ العالمين، و شكرت للسيدة صنيعها و جميلها، و حمدت الله عزّ و جلّ على أن أخرجها من الظلمات إلى النور، و أنقذها من الضلال إلى الهدى.

و لما حضر والد البنت- و كان من كبار قومه، و سراة عشيرته- و رأى وحيدته

أهل البيت في مصر، ص: ٢٣٧

و قد تعافت، فصح جسمها، و استقام عودها، و ذهبت شكاتها، فأخذته الأريحية و استطاره الفرح، فأخذ يصفق و يرقص، و لم يلبث أن تباّته أمها بخبرها، و ما حاطها من بركة السيدة الشريفه جارتهم، فما أن أنهت زوجته من إخباره حتى رفع بصره و مدّ يديه إلى السماء، و قال: سبحانك ربنا تهدي من تشاء و تضلّ من تشاء، اللهم إني أشهدك أنّ هذا الدين هو الدين الحقّ، و أنّ الدين عند الله الإسلام، و أنّه لا دين غير الإسلام. ثم توجه من فوره إلى دار السيدة نفيسة، و استأذنها في الدخول، فأذنت له، فكلّمها و هي من وراء حجاب، و بعد أن حيّاها و شكر لها صنيعها، قال: سيدتي ارحمني و تشفّعي لي، و اشفّعي في من هو في ضلال الكفر قد تاه، و من الدين أبعده الكفر و أقصاه. فرفعت السيدة نفيسة بطرفها إلى السماء، و دعت الله عزّ و جلّ له بالهداية، فما أن انتهت من دعائها حتى نطق أبو السرايا بالشهادتين، و سرى الخبر في تلك الجهة فأسلم أهلها، و كانوا أكثر من سبعين بيتا من اليهود «١».

ثم استأذن أبو السرايا من السيدة نفيسة أن تنتقل إلى دار له بدرب الكرويين المعروف الآن بالحسينية، و هذه الدار باقية للآن، و كذلك الحجره التي كانت تتعبّد فيها باقية، و هي محلّ إجلال و إكبار، و لا يدخلها إلّا من عهد إليه بنظافتها.

على أنّه ما كاد تذاع تلك الكرامة حتى هرع إليها القوم من جميع الجهات، يلتمسون بركاتهما و دعواتها، فتكاثرت الجموع على بابها، و ضاقت بهم الدار بما رحبت، ففكرت مليا في مغادرة مصر حيث تعود ثانيا إلى مدينة الرسول صلّى الله عليه و آله، لتقضى بقية عمرها في هدوئها و عبادتها و مناجاة بارئها، و تلتزم حرم جدّها المصطفى صلّى الله عليه و آله، فاشتد ذلك على أهل مصر، و شقّ عليهم أن تفارقهم، و قد لمسوا نفحاتها، و عرفوا هداها و تقواها، و ما أفاضه الله تعالى عليها من فيوضات، و ما يحيطه بها من تجليات و مشاهدات، فالتمسوا منها العدول عن عزمها، و رجوها

(١). خطط المقرئى ٤: ٣٢٦، تحفة الأجاب: ١٠٥-١٠٦.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٣٨

البقاء بين ظهرانيهم، فأبت عليهم طلبهم، و صارتهم بأنّها تريد انفرادها لعبادة ربّها، و لا يشغلها منهم شاغل.

و لما رأوا منها إصرارا على مغادرة الديار، ولّوا و جوههم نحو والى مصر السرى ابن الحكم بن يوسف «١».

و كان آل السرى يكبرون السيدة نفيسة و يعظّمونها و يكثرّون من زيارتها و تعهدها، و يعرضون عليها خدمتهم إيّاها، و ما أن ذهبت جمهرة من محبيها إلى السرى يخبرونه بعزمها، و يسألونه أن يتوسّل إليها في العدول عن عزمها، حتّى انتقل السرى إليها يستعطفها و

يرجو بقاءها بمصر.

فقلت له: إننى كنت قد اعترمت المقام عندكم، غير أنى امرأة ضعيفة، وقد تكاثر الناس حولى، و أكثروا من زيارتى، فشغلونى عن أوردى، و جمع زادى لمعادى، غير أن منزلى هذا يضيق بهذا الجمع الكثيف و العدد الكثير، و قد زاد حنينى إلى روضة جدى المصطفى صلى الله عليه و آله.

فقال لها السرى: يا ابنه رسول الله، إننى كفيل بإزالة ما تشكين منه، و سأهد لك السبيل، و أهتئ لك ما فيه راحتك و رضاك، أما ضيق المنزل فإن لى دارا واسعة بدرب السباع، و إننى أشهد الله تعالى أنى قد وهبتها لك، و أسألك أن تقبلها منى، و لا تخجلينى بردها على.

فقلت بعد سكوت طويل: إننى قد قبلتها منك، ثم قالت: يا سرى، كيف أصنع بهذه الجموع الكثيرة، و الوفود الغفيرة؟

(١). السرى بن الحكم بن يوسف، مولى بنى ضبء، و أصله من بلخ، و قد ولى إمرة مصر بإجماع الجند و أهل مصر على الصلاة و الخراج معا، و ذلك فى مستهل شهر رمضان سنة مائتين بعد عزل المطلب بن عبد الله الخزاعى عنها، و قد سكن العسكر على عادة أمراء مصر، و كان السرى أميرا جليلا، معظما فى الدول و فى الأعمال، و تنقل فى البلاد، و قد توفى سنة خمس و مائتين، فولى ابنه محمد إمرة مصر بعد وفاة أبيه، فكان على غرار أبيه إلى أن توفى سنة ست و مائتين، فولىها أخوه عبد الله بن السرى، و قد بقى فى ولايته إلى أن عزله المأمون فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة و مائتين.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٣٩

فقال: تتفقين معهم على أن يكون للزوار فى كل جمعة يومان، و باقى الأسبوع تتفرغين لعبادتك و خدمة مولاك، فاجعلى يومى السبت و الأربعاء للناس.

فقبلت منه ذلك، و انتقلت إلى داره، و خصصت للزيارة يومى السبت و الأربعاء من كل أسبوع «١».

(١). خطط المقرئى ٤: ٣٢٧-٣٢٨، و الدرّة النفيسة: ١١٧.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٤١

السيدة نفيسة حفيده الرسول صلى الله عليه و آله «١»

إشارة

حنفى المحلاوى

من هى

اتفق المؤرخون و كتاب السيرة على أن السيدة الطاهرة كريمة الدارين، و رئيسة أهل التصوف: نفيسة ... هى ابنة السيد حسن الأنور ابن السيد زيد الأبلج ابن السيد أبى محمد الحسن السبط ابن الإمام على، و ابن السيدة فاطمة الزهراء ابنة رسولنا الكريم صلى الله عليه و آله.

و قد أورد لنا على باشد مبارك فى خطفه كلاما آخر عن نسب هذه العابدة الطاهرة، فقال على لسان المؤرخ تقى الدين المقرئى: إنفا نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب، و أمها أم ولد ... تزوجها إسحاق بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر

ابن علي زين العابدين، فولدت له ولدين هما: القاسم، و أم كلثوم.

ولدت السيدة نفيسة بمكة المكرمة، في شهر ربيع الأول من عام ١٤٥ هـ، و كانت خيرا على والدها السيد حسن الأنور؛ إذ اختاره أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء

(١). مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من أهل البيت» ط. دار العلم و التراث.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٤٢

العباسيين أميرا و واليا على المدينة المنورة عام ١٥٠ هـ، فصحبها والدها إلى المدينة المنورة، و كان عمرها آنذاك خمس سنوات، فحفظت القرآن الكريم، و أجادت تفسيره، و تفقّحت في دين الله، فأحبها أهل المدينة حبا مقرونا بالإجلال و التعظيم؛ لما اشتهرت به من الزهد و التقوى و الصلاح، كما كانت كثيرا ما تلازم قبر جدّها رسولنا الكريم صلّى الله عليه و آله.

عرفت السيدة نفيسة رضي الله عنها بالعديد من الألقاب، فهي «نفسه الدارين» لعوارفها، و صنائعها، و شفاعتها يوم القيامة.

و هي «نفسه العلم» لما استنبطته من العلم، و استجلته من غوامضه، و ما نثرته على طالب الاستفادة منه.

و هي «نفسه الطاهرة» لطهارتها و تعبدها.

و هي «نفسه العابدة» لعبادتها و تقواها.

و هي «نفسه المصرين» لحب أهل مصر لها (١).

ولما بلغت السيدة نفيسة سن الزواج، رغب بها شباب آل البيت من بنى الحسن و الحسين رضي الله عنهما، كما تهافت على خطبتها الكثير من شباب أشرف قريش؛ و ذلك لما عرفوه من خيرها و برّها، و دينها و صلاحها و تقواها ... و كان أبوها يأبى عليهم جميعا، و يردهم ردا جميلا، إلى أن أتاها إسحاق المؤمن ابن جعفر الصادق رضي الله عنه، فخطبها من أبيها.

و بزواج إسحاق من السيدة نفيسة اجتمع في بيتها- على حدّ قول المؤرخين- نوران: نور الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

و ممّا ذكره المقرئى بهذا الشأن قوله: «... و تزوّج بنفيسة رضي الله عنها إسحاق بن جعفر الصادق رضي الله عنه، و كان يقال له: إسحاق المؤمن، و كان من أهل الصلاح و الخير، و الفضل و الدين ...» (٢).

(١). السيدة نفيسة لتوفيق أبو علم، سلسلة أهل البيت، ط. دار المعارف.

(٢). خطط المقرئى ٤: ٣٢٥.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٤٣

و قد أنجبت السيدة نفيسة من زوجها ولدين، هما: القاسم، و أم كلثوم.

و جاءت السيدة نفيسة إلى مصر بصحبة زوجها إسحاق المؤمن، و قد عاش من بعد رحيل زوجته لسنوات طويلة، و دفن بعدها في مصر أيضا.

وصلت السيدة نفيسة إلى مصر يوم السبت ٢٦ رمضان سنة ١٩٣ هـ و كان ذلك قبل مقدم الإمام الشافعى إلى مصر بخمس سنوات، و عاشت السيدة نفيسة على أرضها خلال ولاية الحسن بن البجاح والى مصر من قبل الرشيد.

و فى العريش استقبلها الناس استقبالا حافلا حين علموا بقدمها من بلد الرسول صلّى الله عليه و آله، و ظلّت على هذه الحفاوة حتى وصلت مدينة مصر، و أقامت فى بيت كبير التجار آنذاك: جمال الدين عبد الله الجصاص، و كان كذلك من أهل التقوى و الصلاح، و ظلّت السيدة نفيسة تقيم بهذه الدار المشهورة التى كانت تقع فى مدينة الفسطاط فترة من الزمن، و كان يتوافد عليها فيها الناس ترحيبا و تبرّكا.

ثم انتقلت بعد ذلك هذه السيدة الطاهرة لتقيم في بيت أم هانئ، و كانت إحدى السيدات العابدات في مصر آنذاك، و أخيرا انتقلت للإقامة في الدار التي وهبها لها والى مصر السرى بن الحكم في خلافة المأمون العباسى ... و كان ذلك في عام ٢٠١ هـ في ولايته الثانية.

و لما كثرت كرامات السيدة نفيسة، و تكاثر عليها الناس تبركا ... أرادت الرحيل مرة أخرى إلى بلاد الحجاز - على ما رواه السخاوى في كتابه المزارات - فشق هذا الأمر على أهل مصر، و سألوها الإقامة، فأبت ذلك، فركب إليها والى مصر السرى بن الحكم و سألها الإقامة، فقالت: أنا امرأة ضعيفة، و قد شغلونى عن جمع زادى لميعادى، و مكاني ضاق بهذا الجمع الكثيف ... فقال لها: أما ضيق المكان فإن لى دارا واسعة بدار السباع، فأشهد الله أنى قد وهبتها لك، و أسألك أن تقبلها منى، و أما الجموع الوافدة فقررى معهم أن يكون ذلك يومين فى الجمعة، و باقى أيامك فى أهل البيت فى مصر، ص: ٢٤٤

خدمة مولاك. فوافقت، و جعلت لهم يوم السبت و يوم الأربعاء، إلى أن توفيت و دفنت بهذه الدار. و أضاف السخاوى: إن السيدة نفيسة أقامت فى مصر قرابة سبع سنوات ... و فى شهر رجب عام ٢٠٨ هـ ... مرضت السيدة نفيسة، و لما أحست بدنو أجلها بعثت إلى زوجها إسحاق المؤمن كتابا، و حفرت قبرها بيدها فى بيتها، و كانت تنزل و تصلى به كثيرا «١».

و أراد زوجها بعد موتها أن يحملها إلى المدينة المنورة لكى يدفنها بالقيع، فاجتمع أهل مصر إلى الوالى، و استجاروا به عن زوجها ليرده عميا أراد، فأبى، فجمعوا له مالا - و فيرا حتى وسق بعيره، و سألوه أن يدفنها عندهم، فأبى ... فباتوا فى ألم عظيم، فلما أصبحوا اجتمعوا إليه فوجدوه مستجيبا لرغبتهم، فلما سألوه عن ذلك قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و هو يقول لى: «ردّ عليهم أموالهم، و ادفنها عندهم».

و عن ذلك يقول العلامة الأجهورى: إن السيدة نفيسة رضى الله عنها حفرت قبرها بيدها الشريفة، أى أمرت بنائه حال صحتها؛ لشدة شوقها للقاء خالقها، و عدم رغبتها فى الدنيا الفانية و زينتها، و كانت - عليها سحائب الغفران - تنزل فيه للتعبد و التذكر بالدار الآخرة «٢».

و هناك رواية سجّلها بعض المؤرخين على لسان ابنه أخيها ... و قد وصفت فيها أحوال هذه السيدة الطاهرة بعد أن أصابها المرض و أحست بدنو أجلها ... و ممّا نقله هؤلاء المؤرخون على لسانها: «تألّمت عمّتى فى أول يوم من رجب، و كتبت إلى زوجها إسحاق المؤمن كتابا، و كان غائبا بالمدينة، تطلب إليه المجيء إليها و موافاتها؛ لإحساسها بدنو أجلها، و فراقها الدنيا، و إقبالها على الآخرة».

و ما زالت متوعكة إلى أن كان يوم أول جمعة من شهر رمضان، فزاد عليها الألم و هى صائمه، فدخل عليها الأطباء، فأشاروا عليها بالإفطار لحفظ قوتها، و التغلب

(١). تحفة الأحياء: ١٠٦.

(٢). مشارق الأنوار من نسل النبى المختار: ٨٧.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٤٥

على مرضها، فرفضت ذلك ... و قالت: وا عجباه! إن لى خمسين سنة و أنا أسأل الله عزّ و جلّ أن يتوفانى و أنا صائمه، فأفطر؟! أعوذ بالله ... فانصرف الأطباء و هم معجبون بقوة يقينها، و ثبات عزميتها، و سألوها الدعاء، فقالت لهم خيرا و دعت لهم.

ثم قالت زينب ابنة أخيها: ثم إننا بقيت كذلك و قد افترسها الداء العشر الأوسط من شهر رمضان، فاشتدّ بها المرض، و احتضرت، فاستفتحت بقراءة سورة الأنعام ...

فلا زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى: لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَ وِيَّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأنعام: ١٢٧] فغشى عليها.

ثم قالت زينب: فضممتها إلى صدري، فإذا بها تشهد شهادة الحق، وقبضت، واختارها الله لجواره، ونقلها إلى دار كرامته، و كان ذلك في سنة ثمان و مائتين، و ذلك بعد موت الإمام الشافعي بأربع سنوات «١».

صفاتهما و علمهما

تميزت السيدة نفيسة رضي الله عنها كما تميز غيرها من آل البيت بالتفاني في عبادة الله، و الخوف من عذابه ... فكانت- و هي لا تزال تقيم في المدينة، و تعيش في كنف والدها- دائمة العبادة ... و تلاوة القرآن الكريم ... و مما يروى عنها، و هي لا تزال في سن الخامسة من عمرها: أنها حفظت القرآن الكريم، و أجادت تفسيره، ثم تفقّته في الدين، و لازمت قبر جدها المصطفى صلى الله عليه و آله، فأحبها أهل المدينة حبا مقرونا بالإجلال و التعظيم؛ لما اشتهرت به رضي الله عنها من الزهد و التقوى، و صيام النهار و قيام الليل في عبادة الله.

و كانت و هي بالمدينة تتردد كثيرا على مكة لأداء الحج، و قد أثر عنها حين طوافها حول الكعبة: أنها كانت تتجه إلى الله و تقول: «إلهي و سيدي و مولاي: متعني»

(١). السيدة نفيسة، لتوفيق أبو علم.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٤٦

برضاك عني، فلا سب لي يحجبك عني».

و كانت السيدة نفيسة كثيرة الترحال ... فسافرت إلى بلاد الشام عند ما بلغ عمرها ثمانية و أربعين عاما، و هناك زارت قبر خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، ثم جاءت إلى مصر و استقرت بها.

و كان يزورها أثناء اقامتها بمصر الكثير من العلماء و الصالحين، و كان على رأسهم آنذاك الإمام الشافعي رضي الله عنهم، و قد سمع منها الحديث، و صلى بها التراويح في شهر رمضان، و كان إذا ما مرض، و لم يستطع زيارتها، أرسل لها رسولا يبلغها تحياته، و يسألها الدعاء له بالشفاء.

و نظرا لكثرة عبادتها و قربها من الله ... فقد أصبح المكان الذي تقيم فيه، و الذي دفنت به أيضا ... تجاب فيه الدعوات إلى الله ... و قد عرف المصريون ذلك، فأصبح قبرها و مسجدتها ... محط أنظار ملايين الناس الذين يقصدونه من أجل الدعاء المبارك به، عسى الله أن يستجيب لهم، و يفرج عنهم كربهم.

و عشرات الكتب التي أخرجها العديد من الصالحين فيها قصص و حكايات عن كرامات مقام السيدة نفيسة رضي الله عنها.

و مما يروى عن صفاتها و كثرة إقبالها على الله ... ما قصته عنها زينب ابنة أخيها التي لازمتها أربعين عاما ... حين قالت: خدمت عمّتي نفيسة أربعين سنة، فما رأيتها نامت بالليل، و لا أفطرت بنهار ... فقلت لها: أ ما ترفقين بنفسك؟! فقالت: كيف أرفق بنفسي و أمامي عقبات لا يقطعها إلّا الفاترون؟!

ثم أضافت زينب: كانت عمّتي نفيسة تحفظ القرآن و تفسيره، و كانت تقرأه و هي تبكي، و تقول: إلهي و سيدي، يسّر لي زيارة قبر خليلك إبراهيم. فاستجاب الرحمن لدعاتها، و زارت هذا المقام هي و زوجها إسحاق المؤمن.

و مما يروى كذلك عن صفات و علم السيدة الطاهرة: أنها كانت شغوفة بحديث جدها المصطفى صلى الله عليه و آله، لذلك نجدها قد روت عنه الكثير من الأحاديث، سواء عن

أهل البيت في مصر، ص: ٢٤٧

طريق أبيها و آل بيتها، أو من العلماء المسلمين الذين عاصرتهم، و بخاصة الإمام مالك بن أنس بالمدينة.

لقد كانت أصداء أحاديث الإمام مالك - لما كان لها من صفة العلية - تصل إلى السيدة نفيسة رضي الله عنها، فتأخذ منها ثم تضيف إلى ما جاءت به من مكة من سائر علوم القرآن والحديث؛ لذلك فقد سمع منها الحديث عدد كبير من علماء مصر غير الإمام الشافعي، مثل: ذى النون المصري «١»، و عبد الله بن الحكم «٢» و ولديه: محمد و عبد الرحمن، و عبد الرحمن البويطي «٣»، و الربيعين: المرادي «٤» و الجيزي «٥»، و حرمله «٦»، و كانوا من أصحاب الإمام الشافعي.

(١). أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الأحميمي ذو النون المصري، أحد الزهاد العبّاد المشهورين، نوبى الأصل، مولى، كانت له فصاحة و حكمة و شعر، و هو أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال و مقامات أهل الولاية، و قد أنكر عليه قوم، و اتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، و ضيق عليه بعد أن استحضره إليه، ثم أطلقه فعاد إلى مصر، توفى بالجيزة سنة ٢٤٥ هـ. راجع طبقات الصوفية: ١٨، و الأعلام ١٠٢: ٢.

(٢). أبو محمد عبد الله بن الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، فقيه مصرى، و مفتى الديار المصرية، من جلمة أصحاب مالك، و قد أفضت إليه رئاسة المالكية بعد أشهب، ولد عام ١٥٥ هـ بالاسكندرية، سمع الليث بن سعد و مالك و غيرهما، حدث عنه بنوه الأئمة الأربعة: محمد و سعد و عبد الرحمن و عبد الحكم، و كان صديقا للشافعي، توفى عام ٢١٤ هـ بالقاهرة و دفن إلى جنب الشافعي. انظر سير أعلام النبلاء ١٠: ٢٢٠ رقم ٥٧.

(٣). المشهور في المصادر التاريخية أنّ مَن أوفى لها في حياتها و بعد موتها هو أبا يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، من أكبر أصحاب الشافعي من المصريين، و هو الذى حمل إلى بغداد أيام الواثق العباسي على بغل و مقيدا بالحديد إبان محنة خلق القرآن، و قد سجن حتى مات بسجنه سنة ٣٣١ هـ. انظر طبقات الشافعية للسبكي ٢: ١٦٢، و الأعلام ٨: ٢٥٧.

(٤). أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي بالولاء، المصري، صاحب الشافعي و راوى كتبه، عمل مؤذنا بجامع ابن طولون، و كان أول من أملى الحديث فيه ولد عام ١٧٤ هـ بمصر، و توفى فيها سنة ٢٧٠ هـ. راجع طبقات الشافعية ٢: ١٣٢.

(٥). الربيع بن سليمان بن داود الجيزي المصري، فقيه مصر الشافعي، روى عنه أبرز أئمة الحديث كأبى داود و النسائي و غيرهما، توفى بمصر سنة ٢٥٦ هـ. راجع طبقات الشافعية ٢: ١٣٢.

(٦). أبو عبد الله حرمله بن يحيى بن عبد الله بن حرمله التجيبى، مولاهم، المصري، فقيه من أصحاب الشافعي، روى عنه بعض أئمة الحديث كمسلم و ابن ماجه و غيرهما، توفى سنة ٢٤٣ هـ. انظر طبقات الشافعية ٢: ١٢٧.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٤٨

و كانت السيدة نفيسة - وفقا للإجماع - بالإضافة إلى علمها الغزير، زاهدة في دنياها، تؤمن بمنهج الزهد و تمارسه، و كان رائدها في طريق الزهد جدّها العظيم رسول الله صلى الله عليه و آله الذى أحاطت بسيرته.

و كذلك كانت تميل بطبعها منذ صغرها إلى حياة بعيدة عن زخرف الحياة و مباحجها، على الرغم من أنّ أباه كان أميراً للمدينة، و كان لا شك يعيش حياة رغدة.

فى هذا البيت نشأت السيدة نفيسة نشأة زهد و تقشّف، فمثلا كانت تميل للأكل القليل ... فقد روى: أنّها كانت تأكل كلّ ثلاثة أيام مرة.

كما كانت - فى الوقت نفسه - زوجة مخلصه، لم يشغلها أى أمر عن مسؤوليتها كزوجة، و قد أخذ زوجها المؤمن يفاخر بها، و يذكر للناس من حوله أنّه وجد فيها نعمة الله عليه ... فلم تقصّر فى حقّ له أبدا، و لم يشغلها أى أمر عن حقوقه و واجباتها.

و هناك إلى جانب ذلك صفات أخرى كثيرة عرفت بها السيدة نفيسة رضي الله عنها، فقد كانت كريمة الأخلاق، شريفة الطبع، و كانت عطوفة على أسرتها و أهلها ...

كما كانت كثيرة الخير والبر، تواسى البائسين، و تسعف الملهوفين، و كان مالها الكثير تفرّج به عن المحتاجين من الناس.

وصف المزار

من أشهر الكتب التاريخية التي تحدّثت باستفاضه عن قبر السيدة نفيسة رضي الله عنها هو ما كتبه السخاوي في كتابه عن المزارات ... حيث حدّد لنا بالضبط مكان هذا القبر، و الذي أقيم في الدار التي عاشت بها بدرب السباع، و التي منحها إياها الوالي السري بن الحكم.

و ممّا ذكره السخاوي في هذا الشأن قوله: و مشهد السيدة نفيسة معروف بالقرافة بالمراغة ... و القبر طويل قبلى الشارع المعروف بالزرائب، و شرقى الشارع الموصل للسيدة جوهره، على يسار من يقصد المشهد النفيسى من الجهة البحرى، تجاه أهل البيت في مصر، ص: ٢٤٩

سقاية الماء المنتهية بحوش الشيمى ... و هى مدفونه هنا تحقيقا بمحلّ سكنها الموهوب لها من عبد الله بن عبد الملك بن مروان. و ممّا ذكره ابن الزيّات أيضا في كتابه: «الكواكب السياره في ترتيب الزيارة» عن هذا الضريح قوله: و أردت بذلك أن أصحح المشاهد كما رواه العلماء رضي الله عنهم، و لم أر أحدا من أرباب التاريخ صحّح مشهدا بغير القرافه من مشاهد أولاد على بن أبى طالب رضي الله عنه، إلّا المشهد النفيسى؛ لأنّها أقامت به أيام حياتها، و حفرت قبرها بيدها رضي الله عنها. كما أكّد ذلك أيضا صاحب كتاب «الدرّة النفيسة في ترجمه السيدة نفيسة». أهل البيت في مصر، ص: ٢٥١

مرقد السيدة نفيسة «١»

د. سعاد ماهر

أمّا عن ضريح السيدة نفيسة فقد جاء في خطط المقريزى «٢»: أن أول من بنى على قبرها عبد الله بن السرى بن الحكم والى مصر من قبل الدولة الأمويّه، ثم أعيد بناء الضريح في عهد الدولة الفاطميّه، حيث أقيمت عليه قبّه، و قد دوّن تاريخ هذه العمارة على لوحه من الرخام وضعت على باب الضريح، جاء فيها ما نصّه: نصر من الله و فتح قريب، لعبد الله و وليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه، و على آباءه الطاهرين و أبناءه الأكرمين. أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجلّ، أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الأنام كافل قضاء المسلمين و هادى دعاة المؤمنين، أمتع بطول بقائه المؤمنين، و أدام قدرته و أعلى كلمته و شدّ عضده بولده الأجلّ سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين، زاد الله في علائمه و أمتع المؤمنين بطول بقائه في شهر ربيع الآخر سنه اثنتين و ثمانين و أربعمائة.

و في عهد الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله حدث تصدّع لقبه المشهد النفيسى، فجدّدت، كما كسى المحراب بالرخام، و كان سنه اثنتين و ثلاثين و خمسمائة.

(١). مقتبس من كتاب «مساجد مصر و أولياؤها الصالحون».

(٢). خطط المقريزى ٤: ٣٢٦.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٥٢

و جاء في كتاب «المزارات» «١» للسخاوي، أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمر سنه ٧٥٢هـ أن يتولّى النظارة على المشهد النفيسى الخلفاء العباسيون، و أن أول من تولّى النظر عليه هو الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر المستكفى بالله.

و الخلفاء العباسيون هؤلاء هم سلالة الخلفاء العباسيين الذين هاجروا إلى مصر سنة ٦٥٦ هـ، بعد أن قضى المغول على الدولة العباسية فى العراق.

و يقول الجبرتي (٢): إن الأمير عبد الرحمن كتحدا عمّر المشهد النفيسى و مسجده، و بنى الضريح على هذه الهيئة الموجودة، و جعل لزيارة النساء طريقا بخلاف طريق الرجال، و ذلك سنة ١١٧٣ هـ، كما كتب على باب الضريح بالذهب على الرخام هذان البيتان:
عرش الحقائق مهبط الأسرار قبر النفيسة بنت ذى الأنوار

حسن بن زيد بن الحسن نجل الإمام على ابن عم المصطفى المختار و فى عام ٧٧٠ هـ أقام والى مصر على باشا الحكيم بوابة على ساحة الفضاء أمام المسجد، و ما زالت باقية حتى الآن. ثم تعرّض المسجد لحريق فى عام ١٣١٠ هـ، أتلّف النصف الشرقى للمسجد، فأمر الخديوى عباس حلمى الثانى بإعادة بناء الضريح و المسجد، و افتتحه بنفسه بعد التجديد، فصلّى فيه صلاة الجمعة. و أمّا المقصورة النحاسية- دقيقة الصنع و الموجودة الآن- فترجع إلى عصر عباس باشا أيضا.

و قد ذكر على مبارك فى خطه (٣) الضريح و المسجد الملحوق وصفا مستفيضا، كما ذكر أنّه قد حبس على المشهد أربعمائه و خمسون فدانا، و عددا من الرباع (جمع ربع) و الحوانيت للصرف عليه. هذا بالإضافة إلى ما يتجمّع فى صندوق نذوره، و التى كانت تبلغ فى السنة فى ذلك العهد ما قيمته خمسة و عشرين ألف قرش، كما كانت نظارة الأوقاف تصرف له ثمن الزيت و الحصر و البسط و ملء الميضأة (٤).

(١). تحفة الأحباب: ١٠٦. (منه)

(٢). عجائب الآثار: ٨٩.

(٣). الخطط التوفيقية ٥: ١١٣.

(٤). تمّ توسعة المسجد مؤخرًا، و إضافة مساحات جديدة له.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٥٣

٤- السيدة سكينه بنت الإمام الحسين عليها و عليه السلام

إشارة

بقلم د. حمزة النشرتى عبد الحفيظ فرغلى عبد الحميد مصطفى صافيناز كاظم حنفى المحلاوى
أهل البيت فى مصر، ص: ٢٥٥

السيدة سكينه بنت الحسين «١»

إشارة

د. حمزة النشرتى و عبد الحفيظ فرغلى و عبد الحميد مصطفى

أبوها الحسين بن على سبط النبى صلّى الله عليه و آله و حبيبه الذى قال فيه: «حسين منى و أنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً» (٢).

و أمّا أمّها فهى الرباب بنت امرئ القيس الكلبى.

و يذكر الرواة فى قصّة زواج الحسين بالرباب قصة طريفة... قالوا: قدم امرؤ القيس بن عدى بن أوس - سيد بنى كلب بن وائل - على

رأس وفد من قومه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أثناء خلافته، و أعلن إسلامه هو و قومه، و عقد له عمر لواء على من أسلم من قومه. قال عوف بن خارجة المرّى: و الله ما رأيت رجلا أمر على جماعة من المسلمين قبل أن يصلّى ركعة قطّ إلّا امرئ القيس. و ما كاد امرؤ القيس ينصرف حتّى لحق به على بن أبى طالب فاستوقفه، و قال له:

(١). مقتبس من كتاب «سيرة آل بيت النبي صلّى الله عليه و آله» المجلّد ٢٣، ط. القاهرة.

(٢). أخرجه الترمذى ٥: ٦٥٨ كتاب المناقب ب ٣١ مناقب الحسن و الحسين عليهما السلام حديث ٣٧٧٥، و ابن ماجه ١: ٥١ ب ١١ فضل الحسن و الحسين عليهما السلام حديث ١٤٤، و أحمد ٤: ١٧٢، و انظر المصنّف لابن أبى شيبة ١٢: ١٠٣، و المستدرک للحاكم ٣: ١٧٧، و اتحاف السادة المتّقين ٥: ٣٠٧.

اهل البيت في مصر، ص: ٢٥٦

أنا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلّى الله عليه و آله و صهره، و هذا ابنائى من ابنته فاطمة الزهراء، و أشار إلى الحسن و الحسين، و قد رغبتنا في مصاهرتك.

فلم يتردّد امرؤ القيس أن قال: مرحبا بكم آل بيت النبي ... و نظر إلى الحسن و قال له: قد أنكحتك يا حسن ابنتى سلمى بنت امرئ القيس، و التفت إلى الحسين و قال:

و أنكحتك يا حسين ابنتى الرباب بنت امرئ القيس! «١» و «٢»

و أنجبت الرباب للحسين ابنته سكينه رضى الله عنها بعد أن أنجبت له قبلها عبد الله «٣».

(١). ذكر القصة أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني ١٤: ١٥٧، و فى مقاتل الطالبين: ٢٧١ عند ترجمة عبد الله بن الحسين.

(٢). إن من يمحص فى هذه القصة يجدها لا تمت إلى الواقع شيئا، و ذلك لعدّة أمور، من أهمها:

أولاً: أنّ شخصيّة أمير المؤمنين على عليه السّلام و ولديه معروفه عند جميع المسلمين، بتحلّيها بالأخلاق الكريمة، و التزامها بأدقّ تفاصيل الشريعة و العادات الرفيعة، فهى تأنف أن تنحدر إلى هذا المستوى من الوضاعة، و الجرى وراء الشهوات كما تصوّرها هذه القصة!

و ثانياً: أنّ ارتكاب مثل هذا السلوك لا يتفق مع الآداب الشرعية و الأعراف الجارية فى مجال التزويج؛ حتّى و لو كان من سوقه الناس، فكيف بمن هو مؤهلاً للزعامة و الخلافة، و أحد الراشدين من عظماء أئمة المسلمين؟!

و ثالثاً: يلاحظ إهمال بعض الأمور الشرعية فى مسألة الزوج، كاختيار البنت و رضاها، و تعيين المهر ... الخ، و أمير المؤمنين عليه السّلام - و هو سيد المتّقين - بعيد منه أن يرتكب ما يخالف الشرع بأدقّ تفاصيله.

و رابعاً: لو صحّت القصة، فإنّ الرباب قد تمّ تزويجها من الحسين عليه السّلام أيام خلافة عمر بن الخطاب، و على تقدير آخر أيامه، فإنّه قتل سنة ٢٥ هـ، و ولادة سكينه كان سنة ٤٧ هـ. و هذا يعنى أنّ الرباب كانت حائلاً عند الحسين عليه السّلام لأكثر من ٢٢ عاماً على الأقلّ، أى لم تنجب طول هذه الفترة الطويلة! و هو شيء بعيد!! و لو كان كذلك لتلقفته بنو أمية بالطعن و التشهير كما هو ديدنهم حينما يفتقرون إلى الحجّة، و هو ما لم يحصل أبداً.

و خامساً: أنّ ابن كثير فى كتابه البداية و النهاية ٨: ٢١٧ ذكر الرباب، و أنّ اسم أبيها «أنيف» و لم ينسبه إلى أحد، كما أنّه لم يذكر هذه القصة بتاتا.

و فى ضوء ما تقدم، نقول: لا حيّة واضحة تؤيد هذه الرواية، أو تأخذ بنا إلى الإيمان بها، و ما هى إلّا محض اسطورة، تناقلها بعض الرواة بشكل أعمى، و من غير تمحيص.

(٣). و هو الرضيع الذي استشهد بكربلاء، أثر رمية سهم غاشم رماها نحوه معسكر الأمويين و هو بين يدي أبيه يتلوى عطشا، و قد جاء به إلى القوم طالبا له ماء.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٥٧

و نشأت سكينه في حزن والديها، و كان أبوها يحبها حبا شديدا، حتى لقد أثر عنه أنه قال فيها و في أمها شعرا:

لعمرك إني لأحب داراتحل بها سكينه و الرباب

أحبهما و أبدل كل مالي و ليس بلأمني فيها عتاب

و لست لهم و إن عتبوا مطيعا حياتي أو يغيبني التراب «١» و يبدو أن الحسين قد عوتب في شدة إقباله على زوجته و ابنته، فرد بذلك على من يعتب عليه.

كانت ولادة سكينه حوالي سنة ٤٧ هـ، و قد توفي عمها الحسن سنة ٥٥ هـ، و لها من العمر ثلاث سنوات، و شهدت مع أبيها معركة كربلاء و لها من العمر أربع عشرة سنة «٢».

سكينه في بحر الأحداث

و شهدت سكينه الأحداث الدامية التي أودت بمصرع أبيها رضى الله عنه في المأساة المعروفة بمأساة كربلاء، كانت في صحبته مع عمته زينب، و بقيه أولاد الحسين و إخوته و أولاد عمومته و بعض أنصاره و شيعته.

و رأت مصارع إخوتها: عبد الله و علي الأكبر مع أبيها، فانطبع هذا المشهد في وجدانها، و لم تنسه، فحاولت أن تتصبر عليه بالشعر و الأدب.

... لقد عرفت سكينه بالجمال و الأدب منذ صغرها، و لذلك كانت مطمح أولى الفضل من شباب قريش، كل يريد أن يخطبها، و قد تقدم الحسن بن الحسن بن علي رضى الله عنهم يوما إلى عمه الحسين ليخطب إليه، و كان يطمع في سكينه، و لكنه لم يصرح لعمه بمن يريد.

فقال له عمه رضى الله عنه: اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أشبه النساء بأمي فاطمة

(١). زهر الآداب ١: ١٠٠. (منه)

(٢). سكينه بنت الحسين، لبنت الشاطي: ٢٢.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٥٨

الزهراء، أما سكينه فيغلب عليها الاستغراق مع الله فلا تصلح لرجل «١».

و يدل هذا على أن نشأتها كانت متصلة بالدين اتصالا وثيقا.

و استشهد الحسين في موقعه كربلاء و لم تتزوج سكينه بعد. و انطوت أيام من الحزن، فتقدم مصعب بن الزبير فخطبها. و قد كان ينافس في سبيل الظفر بها أخوه عروة بن الزبير، و عبد الله بن عمر، و عبد الملك بن مروان.

لقد كان هذا الزواج بعد مصرع أبيها، و عودتها من رحلتها التي صاحبت فيها عمته السيدة زينب إلى مصر.

لقد عادت و استقر بها المقام مع أخيها السجاد زين العابدين رضى الله عنه، و قد كانت عزفة عن هذا الزواج، بعد هذا الجرح الغائر في أعماقها بمصرع أبيها، و وفاة أمها بعده بقليل.

و لكن قومها أحاطوا بها، و ألحوا عليها في الزواج؛ إبقاء على سلالة الحسين رضى الله عنه، فقبلت بعد إباء شديد.

و بعض الرواة يقول: إنها تزوجت قبل مصعب بن الزبير، و أن الذي تزوجها هو ابن عمها عبد الله بن الحسن ... و لكنه قتل عنها مع

أبيها، و كان لم يدخل بها، و لكنّها رواية لا تنبعث الدلائل على رجحانها «٢».

(١). إسعاف الراغبين للصّبّان، المطبوع بهامش نور الأبصار: ٢٠٢. و انظر السيدة سكيئة ابنة الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، للمقزم: ٤٣.

(٢). بل علماء النسب و التاريخ يشهدون بأنّ زوجها الأول هو عبد الله الأكبر ابن الإمام الحسن المجتبي عليه السّلام، الذي استشهد و أخوه القاسم يوم الطفّ، و من هؤلاء نذكرهم على سبيل المثال لا الحصر:
* النسابة أبو الحسن العمري، من أعلام القرن السادس في كتابه «المجدي».
* أبو علي الطبرسي، من أعلام القرن السادس في كتابه «اعلام الوري».
* الشيخ محمد الصّبّان في إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار.
* أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني (١٤: ١٦٣).
* المدائني في كتابه «المتراذفات: ٦٤».

و غيرهم كثيرون.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٥٩

و لكن أغلب الروايات تشير إلى أنّ حياة السيدة سكيئة الزوجية بدأت بمصعب بن الزبير «١».

جاء في عيون الأخبار: اجتمع أربعة رجال بفناء الكعبة، و هم: عبد الله بن عمر، و مصعب بن الزبير، و عبد الملك بن مروان، و عروة بن الزبير.

فقال لهم مصعب: تمّنوا.

فقالوا له: ابدأ أنت.

فقال: أتمنى ولاية العراق، و التزوّج من سكيئة بنت الحسين و عائشة بنت طلحة.

و تمنى عروة الفقه و أن يحمل عنه الحديث. و تمنى عبد الملك الخلافة. و تمنى عبد الله بن عمر الجنة!

و من الغريب أنّ كلّ واحد من هؤلاء تحققت له أمنيته «٢».

لقد قدم مصعب مهرا لسكيئة قدره ألف درهم، و أعطى أخاها عليا حين حملها إليه أربعين ألف دينار. أهل البيت في مصر ٢٥٩

سكيئة في بحر الأحداث ص: ٢٥٧

كانت سنّها حين زفّت إلى مصعب عشرين عاما «٣» ... و كان مصعب أمير العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير.

و ظلّت سكيئة في بيت زوجها، تغالب أحزانها القديمة التي كانت تعاودها. إنّ مصرع أبيها و إخوتها و أبناء عمومتها يؤرقها، و يملأ حياتها حزنا، و لكنّ الزوجية لها حقوق و واجبات، و هي ذات دين و صلاح، ربّاهما أبوها و أهل بيتها على وجوب معرفه حقوق الزوجية، فأصبحت تبدو و كأنّها قد نسيت أحزانها، و ما نسيت، و لكنّها

(١). يكاد ينفرد بها ابن قتيبة و صاحب وفيات الأعيان ١: ٢٩٨.

(٢). عيون الأخبار ٢: ٢٥٨ ط. دار الكتب.

(٣). و يذكر أنّ قصة زواج مصعب من سكيئة الذي رواها ابن قتيبة تعدّ من الخيالات، إذ لم يؤيدها فحول التاريخ و أعلام السيرة، و هي و إن أثبتتها مرسلّة. و أمّا ما يسندها أبو منصور البغدادي عن المدائني عن مجالد عن الشعبي في زواجها من عبد الله بن عثمان - كما سيأتي - ففيه «مجالد» الذي شهد له ابن معين و يحيى بن سعيد بالكذب و الضعف و التدليس.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٦٠

تتكلف النسيان، و كم كلفها ذلك الكثير من الجهد و المشقة!

حتى إذا استقامت الحياة لها قليلا، روعت بمصرع زوجها و التى أنست هى إلى ظلّه، و استراحت فى كنفه فترة من الدهر.

لقد تجددت أحزان سكينه بوفاه زوجها فى صراعه مع عبد الملك بن مروان، و غاظها أن وفد عليها الكوفيون يعزونها.

و قد كانت تستشعر حزنا قاسيا، فقالت لهم: «اللّه يعلم أنى أبغضكم، قتلتم جدى عليا، و قتلتم أبى الحسين، و قتلتم زوجى مصعبا، فباى وجه تلقونى؟ تيتمت صغيرة، و ترملت كبيرة على أيديكم».

و قد أعقت من مصعب فتاة جميلة أسمتها الرباب على اسم أمها، زوجها عمها عروة بن الزبير من ابنه عثمان بن عروة، و ماتت و هى صغيرة. و كانت هذه الفتاة الجميلة تفوق الدرّ جمالا و حسنا، و كانت أمها تحليها بالجواهر، لا لتريد من حسننها، بل لتفضح هى الجواهر بحسنها!

و مكثت سكينه حينما من الزمن دون زواج، تعانى الحزن و الألم و مرارة الذكريات، و تستعين على ذلك بالصبر و الصلاة، كما أمر القرآن الكريم.

ثم تقدّم لخطبتها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى، خطبها من أخيها على زين العابدين، و لكنّها خطبه لم تتم.

و قيل: إن الأصعب بن عبد العزيز بن مروان خطبها، و كان حينئذ واليا على مصر، فقبلت بعد تردّد.

و لكن هذا الزواج لم يتم أيضا؛ لأنّ عبد الملك بن مروان أرسل لابن أخيه يخيره بين البقاء فى ولاية مصر أو الزواج من سكينه بنت الحسين، فاختار الولاية على الزواج منها ... و أرسل إلى سكينه ذلك، فحمدت الله على ذلك. و بقيت سكينه فى المدينة، و بقى الأصعب فى مصر محزونا.

و تزوّجت سكينه من عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، و هو رجل

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٦١

فاضل ماجد، و تمّ الزواج الذى باركه أبو دهب الجمحى الشاعر، بقوله:

قضت و طرا من أهل مكّة ناقتى سوى أملى فى الماجد ابن حزام

تمطت به بيضاء فرع نجبية هجان و بعض الوالدات عزام

جميل المحيّا من قريش كأنه هلال بدا من سدفة و ظلام

فأكرم بنسل منك بين محمد و بين على فاسمعنّ كلامى

و بين حكيم و الزبير فلن ترى له شها فى منجد و تها «١» و أعقت سكينه من هذا الزوج عدّة أولاد.

و ما كادت سكينه تنسى فى ظلّ هذا الزواج أحزانها القديمة التى كانت تراودها بين الحين و الحين، حتى روعت مرّة أخرى بوفاه زوجها ... فعادت صفحة الحزن تغزو حياتها من جديد.

و تعرّضت بعد ذلك سكينه لزيجه فاشله من زيد بن عمرو العثمانى .. و الذى عرّض هذا الزواج للفشل هو بخل زيد الشديد الذى كان مثلا يضرب فى المدينة، و عليه كان يتندّر الناس لشدة بخله.

قال أشعب فيما يرويه أبو الفرج فى أغانيه: خرج زيد حاجّا و خرجت معه سكينه، و معها خمسة أجمال محمّلة بأصناف الطعام، فكلّما بلغ الركب منزلا أمرت السيدة سكينه بالطعام و أعدت الأطباق، فجاء بعض القوم يسلمون على زيد، فتعلّل بوجع خاصرته فرفع الطعام.

قال أشعب: و لبثنا حتى انصرفوا و دخلنا، و قد هلكت جوعا، فلم آكل ممّا اشتريته من السوق بمائة دينار أعطتني إياها السيدة سكينه، فلمّا كان الغد أصبحت و بى من الجوع ما الله به عليم، و دعا زيد بالطعام فأمر بإسخانه، و جاءته مشيخة قريش يسلمون عليه، فلمّا

رآهم اعتلّ بخاصرته، و دعا بالترياق و الماء الحارّ، و رفع

(١). سكينه بنت الحسين لبنت الشاطى: ٨٩.

اهل البيت فى مصر، ص: ٢٦٢

الطعام، فلما ذهبوا أمر بإعادته، فجىء به و قد برد، قال لى: يا أشعب، هل إلى إسخان هذا الدجاج سبيل؟ فقلت له: أخبرنى عن دجاجك هذا، أ هو من آل فرعون! فهو يعرض على النار غدواً و عشياً؟ «١».

كان من الطبيعى أن يفشل زواج كهذا، فهو غير متكافئ بين سليله الكرم و الجود و العطاء، التى لا تنظر إلى الدنيا بأسرها إلا على أنها أحقر من جناح بعوضه، و بين ذلك الرجل الذى يأبى أن يشاركه فى طعام و شراب ضيوف هو غير متكلف لهم.

و لقد كانت تعمل حساب ذلك قبل الزواج، فاشترطت عليه أن يطلق يدها فى ماله و إلا كانت منه خلية، فقبل ذلك.

و لكن نفسه لم تسمح بالمال، و ظل فى تضيق حتى تحوّل الحياه معه إلى جحيم، و كان الطلاق ... ففارقته و هى غير آسفة.

سكينه الأديبه

حين نقرأ الأغانى و غيره من كتب الأدب نعثر على صفحات متعدده تتحدث عن شخصيه سكينه الأديبه، فهى شاعره ناقده، و هى قد تستقبل الشعراء لتحكم بينهم و تفاضل بين شعرهم «٢».

(١). الأغانى ١٤: ١٦٥.

(٢). إن ما يرويه أبو الفرج عن المدائنى و عن أبى عبد الله الزبيرى من أخبار الشعر و اجتماع الشعراء فى بيت سكينه للمفاخره و المفاضله ليس المقصود منها سكينه بنت الحسين كما ينقلها أغلب كتابنا، بل هى سكينه بنت خالد بن مصعب بن الزبير، لأنه يروى فى بعض مواضع من كتابه «الأغانى» (١: ٦٧) عن رجاله أن سكينه بنت خالد بن مصعب بن الزبير كانت تجتمع مع عمر بن أبى ربيعه و معهما ابنه زوجته محمد بن مصعب بن الزبير و جاريتان يغنيان عندهم ... و فى موضع آخر (١: ١٥٣) يذكر أنه تزوج سكينه بنت خالد بن مصعب: بكير بن عثمان بن عفان فولدت بنتا يقال لها: أم عثمان تزوجها عبد الله العرجى.

اهل البيت فى مصر، ص: ٢٦٣

و قد كانت سكينه عاقله لبيبه، تعرف مواقع الكلام و الردود عليها.

يروى أبو الفرج فى أغانيه: أن عائشه بنت طلحه حجت و معها ستون بغلا- عليها الهودج و الرحائل، و حجت فى ذلك العام أيضا سكينه بنت الحسين- و كانت ضرة عائشه- و لم يكن معها ذلك القدر من البغال و الرحال. و أخذ حادى عائشه يحدو و يقول:

عائش يا ذات البغال الستين لا زلت ما عشت كذا تحجين

كما و يذكر فى موضع (١٦: ١٢) بسنده: أن إسحاق الموصلى غنى الرشيد بقوله:

قالت سكينه و الدموع ذوارف منها على الخدين و الجلباب فغضب الرشيد حتى سقط القدرح من يده و نهره و لعنه!! و الحال أن هذا البيت مع أبيات رواها الزجاج فى أماليه:

قالت سعيدة و الدموع ذوارف منها على الخدين و الجلباب

ليت المغيرى الذى لم أجزه فيما أطال تصعدى و طلابى إلى آخر الأبيات فى سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف و قال: كانت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف جالسه فى البيت الحرام، فرأت عمر بن أبى ربيعه يطوف البيت، فأرسلت إليه: إذا فرغت من طوافك فاتنا، فأتاها فقالت: لا أراك يا ابن أبى ربيعه صادرا عن حرم الله، أما تخاف الله؟ ويحك إلى متى هذا السفه؟! فقال لها: دعى هذا عنك،

أما سمعت ما قلت فيك؟ قال: لا، فأنشدها الأبيات.

وهذه الأبيات رواها الجاحظ أيضا في كتابه (المحاسن والأضداد: ٢١٢) في ابنه عبد الملك بن مروان حين حجّت البيت لكن بزيادة. هذا ورجح العلامة الشنقيطي في شرح أمالي الزجاج: (١٠٤ ط ٢ مصر) رواية الأغاني في سعدى بنت عبد الرحمن على الرواية في سكينه بنت الحسين، و قال: «هذا هو الصحيح، وإنما غيره المغنون، فجعلوا سكينه مكان سعيدة».

كما أنّ الحصرى في زهر الآداب (١: ١٠١) أنكر الرواية- رواية الشعر- في سكينه بنت الحسين و قال: «كذب من روى هذا الشعر في سكينه». فهذا حال ضبط أبي الفرج و هذا نقله!!

على أننا لا- نعرف هذا البيت الذي فتحته للضيافة و مفاضلة الشعر متى كان؟ أفي العهد الذي كانت فيه ذات بعل فتتفق من مال أزواجها كما يزعمون، أم أنّها كانت تنفق على الأضياف و تجيز للشعراء من مالها الخاص الذي لم يرد به تاريخ أصلا أو أنّ الإمام السجّاد- بعنوان وليها و القائم بأمرها بعد شهادة أبيه الحسين عليه السلام- كان يفيض عليها المال لتنفقه على الأجانب؟!!

ثم إنّ هذه الأخلاق تتنافى و ربيية أهل بيت النبوة و العفة الذي طهرهم الله تطهيرا بنص القرآن، البيت الأجدر باتّباع تعاليم جدّهم المقدّسة؛ فكيف تتنكر سكينه سنن جدّها الأكرم صلّى الله عليه و آله و تعاليمه التي تدعو إلى الحشمة و العفة و التأدّب بالآداب الربانية التي علّمها إياها أبوها سيد الشهداء عليه السلام؟!!

أهل البيت في مصر، ص: ٢٦٤

و شقّ ذلك على سكينه، فأمرت حاديتها أن يردّ قائلا:

عائش هذه ضرّة تشكوك لو لا أبوها ما اهتدى أبوك فأمرت عائشة حاديتها أن يكفّ، فكفّ (١).

قال الإمام السبكي معلقا على هذا الخبر: فلله درّ عائشة حيث كفت في موضع الإكفاف أدبا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله! فقد كان الأمر و المفاخرة في الدنيا هزلا، فقابلته سكينه بذكر رسول الله صلّى الله عليه و آله جدا، فأفحمت خصمها، و أقامت عليها الحجّة، فلله درّها من مناظرة عرفت مواقع الجدل، و درّ عائشة من مدعنه للحقّ منقادة إلى الصدق! (٢).

و شهدت سكينه يوما مأتما- فيه بنت لعثمان بن عفّان رضى الله عنه- فقالت بنت عثمان:

أنا بنت الشهيد- قالت ذلك على سبيل الفخر، و هي توجه كلامها إلى سكينه- على حين أمسكت سكينه صامتة، إلى أن أذن المؤذن من مسجد رسول الله صلّى الله عليه و آله للصلاة، فلمّا بلغ قوله: «أشهد أنّ محمدا رسول الله» التفتت سكينه إلى بنت عثمان و سألتها: أ هذا أبي أم أبوك؟

فأجابت بنت عثمان في تواضع و حياء: لا أفخر عليكم أبدا (٣).

حكّت صاحبة الدر المنثور قالت:

و كانت السيدة سكينه سيده نساء عصرها، و من أجمل النساء و أظرفهنّ و أحسنهنّ أخلاقا، و لها نوادر و حكايات ظريفة مع الشعراء! (٤).

و كانت السيدة سكينه عفيفة أريبه، و لم يكن لقاؤها بالشعراء إلّا بهدف تزجية وقتها، و التسرية عن نفسها ممّا لقيته من آلام و محن، فإنّ حياتها كانت سلسلة من النكبات، فجعت بمصارع أحبّتها في كربلاء، و روّعت بالترمل، و لم تصف حياتها

(١). الأغاني ١١: ١٨٨.

(٢). سكينه بنت الحسين للدكتورّة بنت الشاطي: ١٢٢، نقلا عن طبقات السبكي: ١٦٦.

(٣). الأغاني ١٤: ١٥٩.

(٤). تقدّم الردّ على هذه المقولة التي تتنافى و عفة و طهارة أهل بيت النبوة الطاهر.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٦٥

من منغصات، فحاولت أن تتناسى كل ذلك فى ظل الأدب و الشعر.

لقد اتهمها بعض الرواة بالتبذل، و مجالسة الشعراء و المعنيين!، و ذلك كله مكذوب عليها .. فما كان لمثلها التى تناوبت الأحداث عليها، و اصطلحت النكبات على غزو حياتها أن يكون لديها الفراغ للتبذل الذى حاول هؤلاء الرواة إلصاقه بها.

و قد ناقشت الدكتورة بنت الشاطى ما ورد فى سيرتها، و ذلك فى كتابها «موسوعة أهل البيت» قالت: إن كثيرا من الروايات التى تظهرها فى مظهر التبذل مختلفه مفتعله، فقد كانت عن ذلك فى شغل بمصرع والدها و إخوتها و ذويها فى كربلاء، و كانت قد شهدت هذه الموقعة الرهيبة .. هذا و لا يخفى أنه كان لأبيها خصوم يحاولون التنقيص من قدر أهل البيت، و ذرية على و الحسين خاصة، حتى يغضوا من منزلتهم فى نفوس الناس. فلا يبعد أن يكون ما نسب إليها من ذلك من بعض أنصار هؤلاء الخصوم.

و يدل على ذلك أن ما ورد من شعر فى «الأغانى» مما يتصل بالحوار الدائر بينها و بين الشعراء مضطرب النسب إلى أصحابه، كما يقول صاحب نور الأبصار «١».

و يدل على ذلك أيضا قول الحصرى فى زهر الآداب «٢»: و فى سكينه يقول عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة كاذبا عليها، ثم يورد أبياتا. فقد وصفه الحصرى بالكذب و الادعاء، و لا نرى ابن ربيعة الشاعر المفتون بنفسه و شبابه من الكذب و الافتراء، و قد عرف النقاد عنه رقة دينه، و كثرة عبثه، و غلبه مجونه.

و قد انساق مع رواية هؤلاء المدعين الدكتور زكى مبارك - غفر الله له - فذكر أن عمر بن أبى ربيعة قد تغزل فى سكينه بنت الحسين!! و هو كلام مردود بما قلناه، يضاف إليه أن الفترة التى شهدت شبابه عمر بن أبى ربيعة كانت فيها سكينه لم تزل طفلة، و قد انشغل الحجاز بعده بالأحداث الدامية التى لم تترك فرصة لغزل متغزل، فلما ترملت سكينه من زوجها مصعب، و كانت معه فى العراق بعيدا عن الحجاز، ثم

(١). نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشبلنجى: ٣٦١.

(٢). زهر الآداب ١: ١٠١.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٦٦

عادت بعد ذلك إلى المدينة، كان عمر بن أبى ربيعة قد جاوز الأربعين، و أفلح عن العبث، و أقسم ألا يقول شعرا فى الغزل. و إذن، فما ورد من شعر على لسانه يتحدث فيه عن سكينه، لا أصل له، و ربما حوّل بفعل بعض الرواة من سكينه أخرى إلى سكينه بنت الحسين. و الدليل على ذلك عدم اتفاق الرواة فى هذه الأشعار، و اختلافهم اختلافا شديدا فيما روى منها.

شجاعتها

يحدثنا الرواة على أن السيدة سكينه كانت مثالا للشجاعة و الصبر.

كان ابن مطير - خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المروانى - يذكر جدّها على بن أبى طالب كرم الله وجهه، فكانت تتصدى له و تردّ عليه، فلا يملك أن يردّ عليها.

و ذكر صاحب الأغانى فى شجاعتها و صبرها هذه القصة العجيبة، قال: ظهرت لها سلعة «١» فى أسفل عينها، ما زالت تكبر حتى أخذت جانب وجهها و عينها، و كان «درافيس» العالم بالطب فى خدمتها، فقالت له: أ ما ترى ما وقعت فيه؟

فقال لها: أ تصبرين على ما يمسك من الألم حتى أعالجك؟

قالت: نعم.

فشقَّ جلد وجهها، و سلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروقها، و كان منها شيء تحت الحدقة، فرفع الحدقة عنها، حتى جعلها ناحية ثم سلَّ عروق السلعة من تحتها، فأخرجها أجمع، و ردَّ العين موضعها، و سكينه لا تتحرَّك و لا تثنَّ حتى فرغ ممَّا أراد! و زال ذلك عنها و برئت منه، و بقي أثر الحزازة في مؤخر عينها، فكان أحسن في وجهها من كلِّ حلي و زينة، و لم يؤثر ذلك في نظرها و لا عينها «٢».

(١). السلعة: كلُّ زيادة تحدث في البدن، كالغدة و ما شابهها.

(٢). الأغاني ١٤: ١٧٢.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٦٧

و إنَّ من شجاعتها الأدبية أنَّها كانت تتحلَّى بالصبر على ما انتابها من أحزان و آلام، و أن تتحكَّم في مشاعرها، و تقوى على ضبط نفسها. و استطاعت أن تحتفظ برباطه جأشها على الرغم ممَّا يعتمل في نفسها من أسي و لوعة:

كرمها و ظرفها و أدبها

و كانت كريمة سخية، تنفق ما لديها في سماح، و كم قصدها أصحاب الحاجات، فما ضاقت بأحد منهم ذرعا.

و قد عرفنا أنَّها ضاقت ذرعا ببخل زوجها زيد بن عمر العثماني، حتى أدَّى هذا الضيق إلى الفراق.

كانت السيدة سكينه في نقدها للشعر ذواقه للأدب، و في الوقت نفسه متصوفة عفيفة.

و كانت تجيد قول الشعر، إلَّا أن ما يؤثر عنها قليل، فمن ذلك قولها ترثي أباها رضى الله عنه:

إنَّ الحسين غداة الطفِّ يرشقه ريب المنون فما أن يخطئ الحدقة

أ أمه السوء هاتوا ما احتجاجكموغدا و جلَّكم بالسيف قد صفقه

الويل حلَّ بكم إلَّا بمن لحقه صبرتموه لأرماع العدا درقه

يا عين فاحتفلي طول الحياة دمالا تبك ولدا و لا أهلا و لا رفقه

لكن على ابن رسول الله فانسكبي دما و قيحا و في إثريهما العلقه «١» و هو شعر يتفق مع طبيعة المرأة و أسلوبها.

أمَّا في نقدها للشعر فنذكر من أمثله ما رواه صاحب الأغاني قال: اجتمع جرير و الفرزدق و كثير و جميل و نصيب في ضيافة سكينه

بنت الحسين رضى الله عنهما، فمكثوا أياما، ثم أذنت لهم فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم و لا يرونها، و تسمع كلامهم.

(١). ذكر الزجاج هذه الأبيات في أماليه: ١٠٩.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٦٨

ثم أخرجت و صيفة لها قد روت الأشعار و الأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟

فقال: ها أنا ذا

قالت: أنت القائل:

هما دلياني من ثمانين قامه كما انحط باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا حتى يرجي أم قتيل نحاذره

فقلت: ارفعوا الأمراس لا يشعروا بناو أقبلت في إعجاز ليل أبادره

أبادر بوابين قد وكلا بهاو احمر من ساج تبص مسامره قال: نعم.

قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرّها و سرّك، هلا سترت عليك و عليها؟ خذ هذه الألف و الحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها و خرجت برسالتها، فقالت: أيكم جرير؟

قال: ها أنا ذا

قالت: أنت القائل:

طرقتك صائده القلوب و ليس ذاوقت الزيارة فارجعي بسلام

تجرى السواك على أغرّ كأنه برد تحدرّ من متون غمام

لو كان عهدك كالذي حدّثنا لصدت ذاك و كان غير لمام

إنّي أوصل من أردت وصاله بحبال لا صلف و لا لوام قال: نعم.

قالت: هلّا أخذت بيدها و قلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف و فيك ضعف، خذ هذه الألف و الحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها و خرجت، فقالت: أيكم كثير؟

قال: ها أنا ذا

أهل البيت في مصر، ص: ٢٦٩

قالت: أنت القائل:

و أعجبنى يا عزّ منك خلائق كرام إذا عدّ الخلائق أربع

دنوك حتى دفع الجاهل الصباو دفعك أسباب المنى حين يطمع

فو الله ما يدري كريم مماطل أ ينساک إذا باعدت أو يتصدّع قال: نعم.

قالت: ملحت و شكلت، خذ هذه الثلاثة آلاف و الحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها و خرجت، فقالت: أيكم نصيب؟

قال: ها أنا ذا

قالت: أنت القائل:

و لو لا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار

بنفسى كلّ مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار قال: نعم.

قالت: ريبتنا صغارا و مدحتنا كبارا، خذ هذه الألف و الحق بأهلك.

ثم دخلت على مولاتها و خرجت، فقالت: يا جميل، مولاتي تفرّئك السلام و تقول لك: ما زلت مشتاقه لسماع شعرك منذ سمعت

قولك:

ألا ليت شعري هل أبيتّ ليلة بوادى القرى إنّي إذن لسعيد

لكلّ حديث بينهنّ بشاشه و كلّ قتيل عندهنّ شهيد جعلت حديثنا بشاشه، و قتلانا شهداء، خذ هذه الألف و الحق بأهلك «١».

و قد علّقت الدكتورّة بنت الشاطي على هذه القصه قائلة:

و ليس يفوتنا ما للنصّ من دلالات، منها: أنّ أمراء الشعر في عصرها كانوا يجتمعون في دارها، فتأذن لهم، و تجلس حيث تراهم و لا

يرونها، و قد اتّخذت و صيفه لها تنقل

(١). الأغاني ١٤: ١٦٦. و ذكر الشبلنجي بعضا منه في نور الأبصار: ٣٥٩-٣٦١.

ما اختارته من شعر و تعليقها عليه. و قد أنكرت على الفرزدق إفشاءه سرّه و سرّ صاحبه، و أثنت على جرير لعفّة شعره و إن أنكرت ضعفه و أسلوبه فى مخاطبة زائريه.

و أعجبتها أبيات «كثير» فى وصف صاحبه؛ لما لمحت فيها من دقّة التعبير عن عزّة الأنثى و طبيعته حواء «١».

و لعلّ هذا الإعجاب هو الذى دفعها إلى مضاعفة عطائه .. و نضيف إلى ما قالته الدكتور بنت الشاطى: أنّ هذه القصة تدلّ إلى جانب براعتها فى النقد على أريحيته و سخائها، فهى لم تعط على مدح، و لم تثب على قول قيل فيها، و لكنّها أعطت بزا و معروفًا و سخاء «٢».

وفاتها

توفيت السيدة سكينه بالمدينة المنورة سنة سبع عشرة و مائة .. و يروى أبو الفرج

(١). سكينه بنت الحسين: ١٧٧.

(٢). ذكر القصة بكاملها صاحب الأغاني، و بتفاصيل مثيرة تصلح مادة للسمر و حديث الندماء! على أنّ المبرّد فى كتابه تهذيب الكامل ٢: ١٥٠، و ابن قتيبة فى كتابه عيون الأخبار (٤: ١٤٦) ذكرا اجتماع الشعراء هؤلاء إنّما كان عند عبد الملك بن مروان، و زاد تذاكرهم بيت نصيب:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت أو كل بدعد من يهيم بها بعدى فأزرى كلّهم على نصيب، فقال لهم عبد الملك: ما تقولون؟ فقال أحدهم: أقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فى ليت شعرى من يهيم بها بعدى فقال عبد الملك: أنت أسوأ رأيا من نصيب. فقالوا: فما كنت تقول أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: أقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلّة بعدى فقالوا: أنت أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين.

كما و يحدّث المرزبانى فى الموشح: ١٨٩ هذه الحكاية أيضا عن عبد الملك بن مروان، و ذكر نقده للفرزدق و الآخرين.

و كان ابن كثير قد ذكر هذه الحكاية، و تفاضل هؤلاء الشعراء عند عبد الملك بن مروان و ليس عند سكينه فى كتابه البداية ٩: ٢٦٢. كلّ ذلك يرشدنا إلى القول بالتشكيك فى صحّة نسب القصة إلى السيدة سكينه بنت الحسين عليه السلام على ما ادّعا و حكاه أبو الفرج فى كتابه «الأغاني». و ممّا يؤكّد ذلك أنّه لم يذكر و لا بيتا منسوبًا إليها فى العرفان و النسك و الأدب، أو فى رثاء أبيها سيد الشهداء كما حفل به كتابه عن غيرها.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٧١

فى أغانيه: أنّها ماتت و على المدينة خالد بن عبد الملك، فأرسلوا إليه فأذنوه بالجزاة، و ذلك فى أول النهار فى حرّ شديد - فأرسل إليهم: لا- تحدثوا حدثا حتّى أجيء فأصلّى عليها. فوضع النعش فى موضع المصلّى على الجنائز، و جلسوا ينتظرون حتّى حان الظهر، فأرسلوا إليه، فقال: لا تحدثوا شيئا حتّى أجيء!

فجاءت صلاة العصر، ثم لم يزالوا ينتظرونه، كلّ ذلك يرسلون إليه، فلا يأذن لهم حتّى صلّيت العتمة و لم يجيئ، و مكث الناس جلوسا حتّى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلّون عليها جمعا جمعا و ينصرفون.

فلما صلّيت الصبح أرسل إليهم خالد: صلّوا عليها و ادفنوها! فصلّى عليها شيبه بن النطاح «١».

يقول الشعراني: إنَّ السيدة سكينه بنت الحسين هي التي بمصر، وقبرها بالقاهرة، بالقرب من السيدة نفيسة رضي الله عنها، ولكنه قد قيل: إنَّ السيدة سكينه توفيت بالمدينة المنورة ودفنت بها، وهناك قول آخر، يقول: إنَّها توفيت بمكة يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة ست و عشرين و مائة.

و إذن، فمن هي سكينه التي يوجد مشهدها بالقاهرة؟

لقد أزال الإمام السخاوى في كتابه «تحفة الأحياء» هذا الإبهام، و حلَّ هذا الإشكال، فقال: إنَّ السيدة سكينه التي بمصر هي السيدة سكينه بنت الإمام على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب. و كان سبب قدومها إلى مصر أنَّ الأصبح بن عبد العزيز بن مروان خطبها، و بعث بمهرها إلى المدينة، فحملها أخوها إلى مصر، فقالت له: و الله لا كان لى بعلا. فلما

(١). الأغانى ١٤: ١٧٣.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٧٢

وصلت إلى أبواب مصر مات الأصبح فى الليلة التي وصل ركبتها فيها، و ماتت بكرها فى مصر، و هي أقدم وفاة من السيدة نفيسة رضي الله عنها «١».

و يفهم من ذلك أنَّ الأصبح حين حال عمه عبد الملك بينه و بين الزواج من سكينه الكبرى بنت الحسين، أراد أن يصل نسبه بابنه أخيها سكينه الصغرى، و كلتاها يطلق عليهما بنت الحسين. و هذا هو ما نميل إليه؛ لأنَّه الذى يوافق الصواب، و الله أعلم.

(١). تحفة الأحياء: ٩٤.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٧٣

سكينه المفترى عليها «١»

إشارة

صافيناز كاظم

* مشهد أول

بنات رسول الله صلى الله عليه و آله و أزواج أبنائه و أهل بيته، سافرات الوجوه، حاسرات الشعر، ممزقات الثياب. يهجم الناهبون على خيامهن، بعد المذبحة، و التمثيل بالأشلاء التي كانت أقمار البيت النبوى.

يسرق الناهبون كلَّ شيء حتى ثوب المرأة من فوق جسدها، و الواحدة تصارع الناهب؛ لتبقى على نفسها القليل الذى يسترها. ناهب كربلائي يبكى و يده لا تكف عن الانتزاع و السرقة، و تسأله السيدة زينب: «لما ذا تبكى؟» فيقول فى قبحه و هو مسترسل فى نحيبه و سرقة: إنَّما أبكى لمصابكم أهل البيت!

و من الخارج يأتى صوت سنان بن أنس، الذى اجتزَّ رأس الحسين، يعنى فائزاً:

أوقر ركابى فضة و ذهباً نى قتلت السيد المحجبا

قتلت خير الناس أمًا و أبوا خيرهم إذ ينسبون نسبا!

(١). مقتبس من كتاب «رساليات في البيت النبوي» ط. دار الزهراء، القاهرة ١٩٨٧ م.
أهل البيت في مصر، ص: ٢٧٤

* مشهد ثان

موكب السبايا الكريمات، عرض رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، يسقن إلى الكوفة، إلى بيت الإمارة، الذي كان يسكنه الإمام على و هو أمير للمؤمنين، و عنوان للحكم الإسلامي كما ينبغي. المسكن الذي شهد زينب عزيزة دارسة للحكمة على يد النموذج الإسلامي الفذ، الذي رباه و نشأه الرسول المفدى بخلق القرآن، و مثل الإسلام: من نافسك في دينك فنافسه، و من نافسك في دنياك فألقها في وجهه!

يجلس مكان الإمام على بن أبي طالب- الذي لا يخشى في الله لومة لائم- أنجس أهل الأرض طرًا: عبيد الله بن زياد. مفتون جلف، و غد مغرور، لا يرعى في المسلمين إلًا و لا ذمّة، نسي الله فأنساه نفسه، خلقه الله إنسانا، فجعل نفسه بهيمة لا ترى إلًا شهوتها في يد صاحبها: يزيد بن معاوية، فلا تبلغ إلًا وجهته.

رأس الحسين بين يدي هذا العبيد الله بن زياد، جمار نار لم يستشعر سعيها بعد، بل يرتاح للطمها و العبث بها! و كلمات الرسول صَلَّى الله عليه و آله معلقة بقلوب السبايا: «إياكم و المثلثة و لو بالكلب العقور!».

لكن ها هو ذا الكلب العقور يمثل بابن الرسول صَلَّى الله عليه و آله!

من وجوه السبايا يبرز- في لقطات قريبة متعاقبة- وجه زينب بنت على، أخت الحسين، تخطت الخمسين من عمرها، و صوت الحسين الأخير ما يزال في أذنها:

«يا أختاه! لا تنسيني في نافله الليل ... يا أختية: لا يذهبن بحلمك الشيطان!»

ثم وجه الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين، على مشارف الثلاثين، و صوت الحسين في أذنيها: «إني أقسم عليك فأبرى قسمي: لا تشقى على جيبا، و لا تخمشي على وجهها!»

ثم وجه كألزنبقة المتفتحة، تخضله الدموع و يرهقه الفزع، و يمنعه الإباء عن الانكسار أو الانهيار، هو وجه الصبية الوضيئة: سكينه بنت الحسين، في ربيعها الثالث عشر، مثلها لا يراها رجل إلًا من محارمها أو زوجها، مثلها يظل وجهها سزا،

أهل البيت في مصر، ص: ٢٧٥

يحتال عليه الواصفون فلا يعرفونه، حتى يلقي الله نقتيا مصونا!

بيد أن البدر الآن قد سرق ستره، و ها هو ذا أمام الملام مفضوح مباح، تتجول فيه الأعين الأجنبية براحتها، تدقق في التفاصيل، تستوعبها و تحفظها بالذاكرة لحين تأتي لحظات الاستثمار، حين يطرح الذهب فيباع كل شيء، و حين تفتح الأكاذيب سوقها و يأتي موسمها، فتشترى أقداما لتقف عليها، و تتباع لتلفيقاتها جدارا تسند إليه!

فاليوم هو مهرجان الظلم الذي لا بد له من غد مؤثت بالافتراء!

فلتعب العيون إذا من وجه سكينه و أخواتها، و لتجز من الرأس إلى القدم، تقيس الطول و العرض، و التفاف الخصر، و تتكهن بالاحتمالات التي سوف تنضجها سنوات الشباب الغض، و الأنوثة المكتملة، فهي الفرصة التي لن يتيحها الزمن القاسي ثانيا، فلتخترن من اللحظة بذور الأقايص التي سوف تختلق، و الأشعار التي سوف تروى و تنتهك، فهناك مذبحة قادمة بعد كربلاء سوف يتم فيها اغتيال الشخصية» للطاهرة النبوية، بخنجر الزور و البهتان!

ابن زياد مع الناظرين، ثم يحول عينيه إلى التى جلست من قبل إذنه، مشيحة عنه بوجهها، و يسأل: من هذه؟
- زينب بنت فاطمة!

فيقول: الحمد لله الذى فضحككم، و قتلكم، و أذهب أحدوثنكم!

فتردّ العقيلة المؤمنة زينب: الحمد لله الذى أكرمنا بنبيه صلى الله عليه و آله و آله، و طهرنا من الرجس تطهيرا .. إنّما يفضح الله
الفاسق، و يكذب الفاجر، و هو غيرنا و الحمد لله!

فيقول: كيف رأيت صنع الله فى أهل بيتك؟

فتردّ: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، و سيجمع الله بينك و بينهم فتحاجون إليه، فتختصمون عنده!

فيقول: لقد شفى الله نفسى من طاغيتك! و العصاة المرد من أهل بيتك!

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٧٦

فتردّ: لعمرى لقد قتلت كهلى، و أبرت أهلى، و قطعت فرعى، و اجتثت أصلى، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت! «١»

تنتقل عينا ابن زياد فجأة لتقع على قمر:

- من هذا؟

- على بن الحسين!

- أو لم يقتل؟

- كان لى أخ يقال له أيضا: على، فقتله الناس.

- إن الله قد قتله!

- الله يتوفى الأنفس حين موتها، و ما كان لنفس أن تموت إلّا بإذن الله!

- اقتلوه!

و تهبّ زينب: يا ابن زياد، حسبك منّا! أما رويت من دمائنا؟

و يشاء الله أن يتوقف ابن زياد عن القتل، و يأمر بجعل الأغلال فى يد و عنق على بن الحسين زين العابدين، الذى يقول عنه الخليفة
عمر بن عبد العزيز بعد سنوات:

«سراج الدنيا و جمال الإسلام: زين العابدين!».

تلتصق سكينه بعمتها الجليلة و الإباء يضى بكاءها.

أليس هؤلاء الذين منذ قامت دولتهم، يسبون من فوق منابر المساجد جدها على بن أبى طالب، و هم على وعى كامل بحديث رسول
الله صلى الله عليه و آله: «من سب عليا فقد سبنى!» «٢».

(١). الإرشاد ٢: ١١٥-١١٦، إعلام الورى ١: ٤٧١-٤٧٢، الكامل فى التاريخ ٣: ٢٩٦-٢٩٧، البداية و النهاية ٨: ١٩٣.

(٢). أخرجه أحمد بن حنبل فى المسند ٦: ٣٢٣، و الحاكم فى المستدرک ٣: ١٢١، و الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩: ١٣٠، و الشجرى
فى أماليه ١: ١٣٦، و ابن كثير فى البداية ٧: ٣٥٥، و المتقى الهندى فى كنز العمال ١١:

٦٠٢ رقم ٣٢٩٠٣ كلهم عن أم سلمة.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٧٧

لعلهم من أجل ذلك بالذات يسبون عليا!

و لو قدروا على أكثر من ذلك لفعلوا، و ها هم أولاء اليوم قد قدروا على أكثر ففعلوه، و سوف يقدررون غدا على أكثر و أكثر، و

سوف يفعلونه!

إن كان هؤلاء يمثلون أعينهم من وجه سكينه، و يفحصون فى قحّه مكانم ملاحظتها، فتملاً هى قلبها بالوعى العميق بقدرة الباطل على خداع نفسه، حتّى يتناول كأنه حقّ! و لتفحص بعقلها التفافات النفاق حين يتخذ إيمانه ساترا؛ ليصدّ عن سبيل الله! لترى سكينه إذا فى هذا المشهد و ما يليه برهان ما تعلّمته من القرآن عن الكافرين و المشركين و المنافقين، و لتعزّ بآياته التى تنذكر منها الآن بقوة: و لقد نعلم أنّك يصيِّق صِدْرُكَ بما يقولون * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر: ٩٧-٩٩].

* مشهد ثالث

موكب السبايا الكريّمات، و بينهنّ على بن الحسين الذى سخر الله له المرض؛ لينجيه من المذبحة؛ ليحفظ به العتره الطاهرة من ذريّه الرسول صلّى الله عليه و آله، يسير الموكب من الكوفة إلى دمشق، إلى حيث قصر يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب. إلّا تكن نبوه فخلافه! هكذا صار منطقتهم ليعيدوا «فرسى الرهان» إلى التوازن بين بنى عبد مناف و بنى أمية! قالها أبو سفيان صراحة عند موته: يا بنى أمية تلقفوها تلقف الكره، فو الذى يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، و لتصيرنّ إلى صبيانكم وراثه!

و ها قد تمّ له ما أراد!

و ما كان أفدح الثمن الذى غرّمه المسلمون لتتحقق إرادة أبى سفيان!

يدخل أهل بيت النبوه قصر يزيد، تنقلهم أغلال الأسر و السبي، فلا تتحمّل نساء أهل البيت فى مصر، ص: ٢٧٨

يزيد هول المشهد الفاجع؛ فيعملن نادبات منتحبات!

لا- تسقط أنظار رجال يزيد عن النساء النبويات اللاتى أهتك الأسر سترهنّ، لا تبالى أنظار رجال يزيد جوّ الشؤم و البلاء، و تدور تتفحص الحرمات العقائل.

يزيد مشغول بالتنقيب بين الرؤوس المقدمه إليه، حتّى يجد رأس الحسين، فيعبث بقضيب فى يده بثنايا الإمام الحسين حيث كانت قبلات الرسول المفدى لقره عينه.

أحد الرجال يحدق فى سكينه «١» التى تعجبه، فيتقدّم ليأخذها:

- يا أمير المؤمنين، هب لى هذه!

فى هلع تختبئ الصبيه بحضن عمّتها التى تزعق:

- كذبت و لؤمت! ما ذلك لك و لا له!

تأخذ يزيد العزه بالإثم:

- كذبت .. و والله، إنّ ذلك لى، و لو شئت أن أفعله لفعلت!

وطأه اللؤم تشتدّ لكن زينب مستمره:

- كلا و الله، ما جعل الله ذلك لك، إلّا أن تخرج من ملتنا، و تدين بغير ديننا! فيهب زاعقا:

- إنّما خرج من الدين أبوك و أخوك!

- بدين الله و دين أبى و أخى و جدى اهتديت يا يزيد، أنت و أبوك وجدك!

فيطير صوابه:

- كذبت يا عدوة الله!

- أنت أمير مسلط، تشتم ظالما و تقهر بسطانك ... إن الله إن أمهلك فهو قوله:
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُنَمِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُنَمِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا

(١). قد ذكرت المصادر فاطمة بنت الحسين عليه السلام و ليس سكينه كما في تاريخ أبي مخنف ١: ٥٠٠، الإرشاد للمفيد ٢: ١٢١، المنتظم ٥: ٣٤٣-٣٤٤. و في البداية لابن كثير ٨: ١٩٦-١٩٧ «فاطمة بنت علي».

أهل البيت في مصر، ص: ٢٧٩

وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ [آل عمران: ١٧٨]. أ من العدل يا ابن الطلقاء تخديرك بناتك و إماءك، و سوقك بنات رسول الله صلى الله عليه و آله كالأسارى، قد هتكت ستورهن! .. و تحدو بهن الأعدى من بلد إلى بلد ..، يتشوقهن القريب و البعيد ... تنكث ثنايا أبى عبد الله بمخصرتك غير متأتم و لا مستعظم!؟ ...

أ يزيد، و الله ما فريت إلّا فى جلدك، و لا حزرت إلّا فى لحمك، و سترد على رسول الله صلى الله عليه و آله برغمك ... و ستعلم أنت و من يوأك و مكّنك من رقاب المؤمنين، إذ كان الحكم ربنا و الخصم جدنا، و جوارحك شاهده عليك، أينا شرّ مكانا و أضعف جندا؟ ...

فلئن اتخذتنا فى هذه الحياة مغنما، لتجدننا عليك مغرما، حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، تستصرخ بآبن مرجانة- عبيد الله بن زياد- و يستصرخ بك، تتعاوى و أتباعك عند الميزان، و قد وجدت أفضل زاد تزوّدت به: قتل ذريه محمد صلى الله عليه و آله «١». تهدأ سكينه و تقف معتدلة شامخة جوار العمه التى أنطقها الله «برغم الموت و الضراء و الحزن»، بكلّ ألسنه البلغاء الصادقين الأباء، من بيت النبوة؛ لتظّل كلماتها مآثورات، تستجمع قلوب المستضعفين فى قوة، لمواجهة أعتى الظالمين و المستكبرين.

و يتقدّم الفظ بعد هذا كله ليلى على أخذ سكينه:

- يا أمير المؤمنين، هب لى هذه الجارية!

فيرده يزيد فى حنق:

- اغرب، و هب الله لك حتفا قاضيا!

و تعود سكينه مع الركب الحزين، عائدين إلى مدينتهم، ناصرة الرسول صلى الله عليه و آله المدينة المنورة.

(١). راجع تاريخ أبى مخنف ١: ٥٠٠-٥٠١، الإرشاد للمفيد ٢: ١٢١، المنتظم ٥: ٣٤٤، البداية و النهاية ٨: ١٩٦-١٩٧.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٨٠

* لقطات من الماضى

* امرؤ القيس بن عدى بن أوس: سيد بنى كلب، يدخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلن إسلامه- و كان لا يزال على نصرانيته- حوالى ٢٢ هـ، قبل استشهاد عمر رضى الله عنه عام ٢٣ هـ. على بن أبى طالب يلحق بامرئ القيس فور إسلامه و يطلب منه المصاهرة، فيقسم امرؤ القيس بناته الثلاث: المحياء لعلى، و سلمى للحسن، و الرباب للحسين، و معهن: «مرحبا بكم آل بيت النبى صلى الله عليه و آله!» «١».

* تتأجل الزيجات بسبب أحداث متتالية، تدخل فيها ظروف الخلافة بعد استشهاد عمر، و انشغال الحسن و الحسين فى الجهاد ضمن

جيش الفتح الإسلامى، و خروجهما فى الجيش الزاحف إلى إفريقيا بقيادة عبد الله بن سعد بن أبى سرح عام ٢٧ هـ فى عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، و يعودان من الغزوة بعد ما يزيد على العام، حين يتمكنّ الحسين من الزواج من الرباب بنت امرئ القيس، بعد أن تكون قد بلغت سنّ الزواج.

* تكون الرباب أحبّ زوجات الحسين إلى قلبه، و تكون الرباب أهنأ الزوجات بزوجهها، و تلد له عبد الله، و بعده بسنوات تلد آمنه و تناديها: سكينه عام ٤٧ هـ «٢».

* تترعع سكينه هائنه بين أبوين متحابين رغم خضمّ الأحداث الشرسه المائجه حول بيتها، و بين إخوه أربعه:

١- شقيقها عبد الله، الذى يستشهد مع أبيه فى كربلاء.

٢- على الأكبر، و أمه هى لىلى بنت أبى مرة: بنت أخت معاوية بن أبى سفيان، و قد استشهد مع أبيه فى كربلاء بسيف ابن خاله يزيد!

٣- على الأصغر، و هو على زين العابدين، و أمه سلافه بنت يزدجرد، آخر ملوك

(١). تقدّم الكلام حول هذه المسأله.

(٢). كتاب سكينه بنت الحسين للدكتور بن الشاطى، ط. القاهره.

اهل البيت فى مصر، ص: ٢٨١

فارس، و هو الوحيد الذى بقى من أبناء الحسين، يحمل ذريه رسولنا المفدى، صلوات ربى و سلامه عليه و على آله، ولد عام ٣٨ هـ، عرفه الناس فى طفولته و صباه، و شبابه و كهولته، حتّى وفاته و عمره ٥٧ عاما: عابدا، زاهدا، فقيها، عالما من أشهر البكائين - ورعا - فى الإسلام.

٤- جعفر و أمه من قبيله بلّى.

و أخت واحده هى فاطمه، و أمها أم إسحاق بنت طلحه بن عبيد الله التميمى.

* تعيش سكينه السنوات العشر الأولى من عمرها فى بيت النبوه، تحت حكم معاوية، يكون فيها عمها الحسن قد آثر الانقطاع للعلم و الفقه، و يكون والدها الحسين قد شارك فى فتح إفريقيا و طبرستان، و فى غزو القسطنطينيه عام ٤٩ هـ، و يكون متوصلا مع ذلك فى حلقات العلم التى يعقدها فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه و آله، حتّى ليقول معاوية و هو فى دمشق لرجل من رجاله: «إذا دخلت مسجد رسول الله صلّى الله عليه و آله فأريت حلقة، فيها قوم كأنّ على رءوسهم الطير، فتلك حلقة أبى عبد الله الحسين، مؤتذرا إلى أنصاف ساقيه». و يكون عمها الحسن قد استشهد، مقتولا بسمّ دسه له معاوية ليتحلل من عهده، و يجمع البيعه المنكرة لابنه يزيد عام ٥٠ هـ، و هى لم تتعدّ الثالثه، لكنّها تستشعر طقس غضب البيت النبوى، و إحساسه المكثف بالظلم و الغدر، و التزام الحسين بمبدأ: «لا مبايعه ليزيد» انطلاقا من التزامه بمصلحه الإسلام: دينا، و حكومه، و حقّا للمسلمين فى عنقه.

* فى تلك السنوات العشر، بل الثلاث عشره، منذ مولدها ٤٧ هـ حتّى سفرها إلى مكه مع الحسين فى موسم الحج (١٢/ ٦٠ هـ) قبل السير إلى كربلاء، تكون سكينه، ككلّ نماذج البيت النبوى، و المسلمين الصالحين الملتزمين، قد حفظت القرآن و وعته و درسته، و تشربت مبدئيات و أخلاقيات الرساليات الداعيات من بيت النبوه، و أمامها قدوتها المثلى: عمّتها زينب بنت فاطمه بنت خديجه، ذريه بعضها من بعض، نشأتهنّ تربيته محمد صلّى الله عليه و آله على الزهد و التقى و الجهاد، و التحرّج حتّى فى الحلال،

اهل البيت فى مصر، ص: ٢٨٢

بعيدات عن اللغو و التفاهه، و الهدر و فتنه الدنيا، التى لا تفتأ تغالب كلّ مجتمع، حتّى لو كان مجتمعا يحكمه الرسول صلّى الله عليه و آله، فما بال مجتمع أغرقته ثروات الفتوحات، و غزته الميول و الأهواء لتسحبه تدريجيا من طقس الجدّيه و الالتزام، فى عصر الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالرَّاشِدِينَ، إِلَى رَدَّةِ التَّرَفِّ وَ الشَّعْرِ الْعَائِدِ لِمَجُونَ الْجَاهِلِيَّةِ وَ خَمْرِهَا، وَ مَجَالِسِ الْقِيَّانِ وَ الْخَلَاعَةِ، وَ ثَرْتَهُ الْأَخْبَارِيِّينَ وَ رَوَايَاتِهِمُ الْمُخْتَلَفَةَ أَوْ الْحَقِيقِيَّةَ عَنْ نَوَادِرِ الْبُيُوتِ وَ فِضَائِحِهَا.

*** أَيْنَمَا تَلَفَّتْ سَكِينَةُ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ - الْأَمْنَةُ نَسِيًّا فِي حَيَاتِهَا الْعَاصِفَةَ - لَمْ تَكُنْ لَتْرَى فِي أَبِيهَا وَ عَمَّتِهَا وَ إِخْوَتِهَا وَ أَبْنَاءِ عُمُومَتِهَا وَ أَهْلِهَا إِلَّا سِيَاجًا نَوْرَانِيًّا، يَعْتَصِمُ مِنْ فَتْنَةِ الدُّنْيَا بِمَدَارِسَةِ الْقُرْآنِ وَ الْحَدِيثِ، وَ الْاِعْتِكَافِ وَ التَّهَجُّدِ وَ التَّعَيُّدِ، وَ الْقَنُوتِ بِالْأَدْعِيَةِ الْخَاشِعَةِ، الَّتِي ضَمَّتْهَا حَافِظَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ، مَأْثُورَاتٍ عَنْ جَدِّهِمُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، أَوْ إِبْدَاعًا مِنْ دَعَاءِ قُلُوبِهِمُ الصَّافِيَّةِ، مَتَوَجِّهًا فِي تَسَابِيحِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى.

يَكْمُلُ هَذَا الْجَوْزُ مِنَ الْبَشَرِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُحِبِّهِ وَ السَّكِينَةِ، الَّتِي كَانَ الْحُسَيْنُ يَلْمَسُهَا خَاصَّةً عِنْدَ زَوْجَتِهِ الرَّبَابِ، الَّتِي نَادَتْ طِفْلَتَهَا آمَنَةَ بِاسْمِ «سَكِينَةَ» عِنْدَ لَبِيَّتِهَا مَعَ الْحُسَيْنِ الَّذِي لَمْ يَجِدْ حَرَجًا فِي تَحِيَّةِ أَهْلِهِ بِأَبْيَاتِ تَقُولُ:

لِعَمْرِي إِنِّي لِأَحَبِّ دَارَاتِكُونَ بِهَا سَكِينَةُ وَ الرَّبَابِ

أَحْبَبُهَا وَ أَبْذَلُ كُلِّ مَالِي وَ لَيْسَ لِعَاتِبِ عِنْدِي عِتَابُ! «١» وَ إِذَا كَانَ الْحُسَيْنُ قَدْ مَلَكَهَ كُلَّ هَذَا الْحَبِّ لِسَكِينَةَ وَ أُمَّهَا، أَفَلَا يَعْنِي هَذَا، وَ هُوَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ، أَنَّهُ رَأَاهَا عَلَى خَيْرِ مَا يُودُّ أَنْ يَرَاهُ فِي نَمُودِجِ الزَّوْجَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَ الْاِبْنَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَ هُوَ الَّذِي «مَا رَأَيْتُ إِلَّا عَاكِفًا عَلَى الْعِبَادَةِ وَ الْجِهَادِ ... جِهَادًا مَعَ النَّفْسِ، وَ مَعَ الْبَاطِلِ أَيْنَمَا كَانَ» عَلَى حَدِّ قَوْلِ الدُّكْتُورَةِ بِنْتِ الشَّاطِئِ.

(١). روى ابن كثير الأبيات في البداية ٨: ٢١١ نقلًا عن الزبير بن بكار باختلاف يسير.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٨٣

وَ يُؤَكِّدُ هَذَا قَوْلُ الْحُسَيْنِ لِلْحَسَنِ الْمَثْنَى - ابْنِ أُخِيهِ الْحَسَنِ - الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ خَاطِبًا وَاحِدَةً مِنْ بَنَاتِهِ:

- اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أكثر ابنتي شبيها بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنها لذات دين و جمال ... أما سَكِينَةُ، فَغَالِبٌ عَلَيْهَا الْاِسْتِغْرَاقُ مَعَ اللَّهِ، فَلَا تَصْلُحُ لِرَجُلٍ «١».

* عوداً إلى المشهد

* سَكِينَةُ فِي الْمَدِينَةِ عَامَ ٦١ هـ بَعْدَ الْمَذْبَحَةِ بِقَلِيلٍ فِي إِطَارِ عَمَّتِهَا زَيْنَبَ الْعَائِدَةَ؛ لِتُوَاصِلَ حَمْلَ رَايَةِ الْحُسَيْنِ: رَاوِيَةٌ وَ شَاهِدَةٌ، وَ فَاضِحَةٌ لِحُكْمِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ، حَتَّى يَضْجَ مِنْهَا وَالِي يَزِيدُ، وَ يَصْدُرُ عَلَيْهَا الْحُكْمُ بِالنَّفْيِ مِنَ الْمَدِينَةِ بِتَهْمَةِ «تَهْيِيجِ الْخَوَاطِرِ، وَ إِشَاعَةِ الْغَضَبِ، وَ الْحُضِّ عَلَى الثُّورَةِ!» فَتَرْحَلُ زَيْنَبُ إِلَى مِصْرَ فِي شَعْبَانَ ٦١ هـ، بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ مِنَ الْمَذْبَحَةِ.

* تَبْقَى سَكِينَةُ مَعَ أُمَّهَا الرَّبَابِ الَّتِي لَا تَبْقَى طَوِيلًا بِالْمَدِينَةِ، بَعْدَ رَحِيلِ زَيْنَبٍ؛ إِذْ يَقْتُلُهَا الْحُزْنُ وَ الْقَهْرُ، فَتَلْحَقُ بِالْحُسَيْنِ وَ ابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ، بَعْدَ عَامٍ مِنْ اسْتِشْهَادِهِمَا فِي مُحْرَمِ ٦٢ هـ.

* تَسَافِرُ سَكِينَةُ إِلَى عَمَّتِهَا بِمِصْرَ لِتَعُودَ بَعْدَ شَهُورٍ إِلَى الْمَدِينَةِ مَرَّةً أُخْرَى، تَبْكِي وَفَاةَ الْعَمَّةِ فِي رَجَبِ ٦٢ هـ.

* سَكِينَةُ فِي الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ فِي كَنْفِ أُخِيهَا السَّجَادِ: عَلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ، وَ عَامَ ٦٢ هـ عِلَامَةٌ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ، فَقَدْ اسْتَبَاحَهَا جُنُودُ يَزِيدَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قَتَلُوا وَ نَهَبُوا وَ اغْتَصَبُوا الْحَرَمَاتِ، كَمَا شَاءَ لَهُمْ شَيْطَانُهُمْ، وَ بَعْدَهَا سَارُوا إِلَى مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ، فَأَحْرَقُوا الْكَعْبَةَ الْمَشْرَفَةَ بَعْدَ ضَرْبِهَا بِالْمَجَانِيْقِ! وَ لَا يَعُودُ الْجَنْدُ إِلَى دِمَشْقَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْأَخْبَارُ بِمَوْتِ يَزِيدَ فَجَاءَهُ فِي ٦٣ هـ.

(١). إسعاف الراغبين للصبان: ٢٠٢، و انظر السيدة سَكِينَةُ ابْنَةُ الْإِمَامِ الشَّهِيدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ الرَّزَاقِ الْمَقْرَمِ: ٤٣ وَ

ما بعده.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٨٤

* يموت يزيد، و لم يلبس الملك إلا ما يزيد قليلا على السنوات الثلاث، ذبح فيها ذرية الرسول صلى الله عليه و آله، و هتك مدينته المنورة، و أحرق بيت الله الحرام، «ثم لم تكن عاقبة هذا كله على آل أبى سفيان، إلا خروج الملك منهم، و انتقاله إلى غيرهم، فقد مات يزيد ... قتلتته لذته أشنع قتله، فقد كان- فيما زعم الرواة- يسابق قردا فسقط عن فرسه سقطه كان فيها الموت!» (١).

* تعيش سكينه فى هذا الإطار الدامى فى كنف أخيها العابد، السجّاد، المتفرغ للعلم و الفقه، القائم ليلا، باكيا داعيا متضرعا، و هى «المستغرقة فى الله، فما تصلح لرجل». و مع ذلك ما نلبث أن نرى الروايات و الأخبار و الواصفين لسكينه أخرى غريبة عن هذا كله، متناقضة منطقيا و فكريا و دينيا مع عواصف حياتها، و إطار منشئها، و مبدئية دينها. واصفون لها ما عرفوا لها شكلا و لا ملمحا إلا يوم كشف وجهها مع نساء أهل البيت فى كربلاء و سقط حجابها، فاستبجح جلال جمالها بالتحدّث عنه و التغزّل فيه و الافتراء عليها .. إيذاء فى قالب تمجيد و مباهاة!

* الافتراءات

بينما تأخذنا الصفات لرى: خديجة السكن، و فاطمة الزهراء و البتول، و زينب العقيلة الهاشمية، نجد سكينه و قد ألحقوا بها: الغادة الهاشمية! أو الحسناء القرشية! أو صاحبة الطرة السكينية! بزعم أنها كانت لها أساليها و أفانينها فى التأثق فى الملبس و تصفيف الشعر! فتأخذ الصفات صورة «المستغرقة فى الله فما تصلح لرجل» لتحيلها إلى صورة المفتونة بالدنيا المقبله عليها، المشاركة فى تدعيم فتنتها!! حتى يتمهد الطريق ليصبح- فيما بعد- معقولا، أن نرى سكينه و قد شغلت عن قضية الحسين، لتتغمس حتى أذنيها فى قضايا عمر بن أبى ربيعة الماجنه، أو نراها و قد

(١). طه حسين «إسلاميات، الفتنة الكبرى، على و بنوه» ط. دار الآداب، بيروت: ١٠٣١.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٨٥

انترعت من إطار أخيها سراج الدنيا و جمال الإسلام على زين العابدين، لتصبح طرفا فى نوادر أشعب الطفيلى الجشع، و مقابلات المغنية «عزة الميلاء»، بل و ناهية المغنى ابن سريج عن التوبة و الإياب إلى حظيرة الورع الإسلامى!! من رواية يقولها أبو الفرج الأصفهاني فى كتابه الأغاني:

«كان ابن سريج قد أصابته الريح الخبيثة، و آلى يمينا ألا يغنى، و نسك و لزم المسجد حتى عوفى. ثم خرج و فيه بقية من العلة، فأتى قبر النبى صلى الله عليه و آله و موضع مصلاه. فلما قدم المدينة نزل على بعض إخوانه من أهل النسك و القراءة، فكان أهل الغناء يأتونه مسلمين عليه، فلا يأذن لهم بالجلوس و المحادثة، فأقام بالمدينة حولا، حتى لم يعد يحس من علته بشيء، و أراد الشخصوس إلى مكة، و بلغ ذلك سكينه بنت الحسين رضى الله عنه، فاغتمت اغتماما شديدا، و ضاقت به ذرعها.

و كان أشعب يخدمها، و كانت تأنس بمضاحكته و نوادره. فقالت لأشعب: ويلك! ..

إن ابن سريج شاخص و قد دخل المدينة منذ حول، و لم أسمع من غنائه قليلا و لا كثيرا، و يعز ذلك على، فكيف الحيلة فى الاستماع منه و لو صوتا واحدا؟ فقال لها أشعب: جعلت فداك، و أتى لك بذلك، و الرجل اليوم زاهد و لا حيلة فيه؟ فارفعى طمعك و امسحى بوزك تنفعك حلاوة فمك! فأمرت بعض جواريتها فوطئن بطنه حتى كادت أمعاؤه أن تخرج.

و تستمر الرواية فى هذا النهج من السرد اللفظ البذى تحكى فيه كيف أرغمت بنت الحسين أشعب على الذهاب لابن سريج المغنى التائب ليقنعه بالغناء عندها، و المغنى يقول: كلاً و الله، لا يكون ذلك أبدا بعد أن تركته! حتى يصل الأمر بأن يهدده أشعب بالصراخ و الافتراء عليه بأبشع التهم الأخلاقية، حتى يرضخ المغنى، و يذهب إلى سكينه التى تضحك من فعل أشعب اللاأخلاقى، و تأمر له بدنانير و كسوة!!!

ثم تقسم على المغنّي قائلة: برئت من جدّي إن برحت داري ثلاثا، و برئت من جدّي إن أنت لم تغنّ إن خرجت من داري شهرا، و برئت من جدّي إن أقمت في

أهل البيت في مصر، ص: ٢٨٦

داري شهرا إن لم أضربك في كلّ يوم فيه عشرا، و برئت من جدّي إن حنثت في يميني أو شفعت فيك أحدا! حتّى صاح المغنّي التائب مستسلما: وا ذهاب ديناه! ...

وا فضيحتاه! ثم اندفع يغنّي!

و تستمرّ الرواية في حديث الإفك هذا- الذي يحمل وزره العظيم صاحب الأغاني و من استأجره و من صدّقه- تحكى عن سوار الذهب، الذي أرغمت سكينه الرجل على لبسه، و كيف أرسلت بعد ذلك إلى المغنّي «عزّة الميلاء» لتأتى و تغنّي مع ابن سريج، الذي منع عن التوبة؛ ليكتمل مجلس الغناء «١» في بيت حفيده رسولنا المفدى صلّى الله عليه و آله! «٢».

*** كان المقصود، بمثل هذه الروايات- و هناك ما هو أفحش و أشنع منها- و بمثل إقحام اسم سكينه زورا إلى أبيات الغزل لعمر بن أبي ربيعة، أن ترفع الرهبة، و تسقط

(١). تسالمت كلمات أهل السيرة و التاريخ على أن السيدة سكينه بنت الحسين عليه السّلام قد عاشت بعد مقتل أبيها عليه السّلام و رجوع القافلة الحسينية من عند يزيد إلى المدينة، عاشت في بيت أخيها الإمام زين العابدين عليه السّلام الذي عرف بالزهد و الورع و التقوى و العبادة و البكاء. هل يمكن تصوّر هذا المشهد الذي ينقله أبو الفرج في بيت هذا السيد الزاهد العابد الحزين!!؟

هذا و يضاف إليه تضافر الآثار و كلمات كثير من أئمة المسلمين و فقهاءهم على حرمة الغناء. بل عن التتارخانية: حرمة في جميع الأديان. و قال شيخ الإسلام المرغيناني: لا تقبل شهادة المغنّي في كتابه الهداية (٣: ٩٠). و حكى ابن تيمية عن ابن المنذر أنّه نقل الاتفاق على حرمة الغناء مطلقا، و إبطال إجارة المغنّي (مختصر الفتاوى الكبرى: ٣٨٨). و حكى القاضي عياض الإجماع على كفر مستحلّه (الفروع ٣).

(٩٠٣). و في مفتاح الكرامة، فصل المكاسب المحرّمة عند ذكر حرمة الغناء قال: وردت خمسة و عشرون رواية صحيحة. و في جواهر الكلام: أنّها متواترة عن الإمام السجاد و ابنه الباقر و الصادق عليهم السّلام دالّة على حرمة الغناء مطلقا و إن لم يقترن بمحرم.

فإذا كان الحال هذه، فكيف يسوغ للإمام السجاد زين العابدين عليه السّلام أن يجيز لأخته سكينه ان تقيم حفلتها الغنائية في بيته!!؟ إلّا أن يكون ذلك افتراء عليه و على السيدة النبيلة عليها السّلام.

غير أن الناظر في أحاديث الغناء التي سجّلها أبو الفرج على هذه الحرّة العفيفة الطاهرة مروية عن آل الزبير الذين عرفت عداوتهم لآل علي عليه السّلام، كما هو مشهور.

(٢). نصّ الرواية مذکور بكامله عند الدكتورة بنت الشاطي، سكينه بنت الحسين، دار الهلال: ١٤٣-١٤٦.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٨٧

الحرمة، و تستباح سيرة العقيلة النبوية، مثلما استبيحت المدينة، و أحرقت الكعبة، من قوم لا يتأثّمون و لا يستعظمون من الاجترار على حدود الله، حتّى يتمّ تجريد جمهور المسلمين من عزّة مقدّساته، و حتّى تتحطّم قياداته و تتهاوى قدواته.

فالطعنة بهذا البهتان لم تكن تعنى سكينه بنت الحسين وحدها، بل كانت في صميمها مذبحه أخرى- ككربلاء- معنوية و أدبية، تغتال فيها شخصية أهل البيت، لتنتزع بالافتراء قيادتها الروحية، كما انتزعت من قبل بالغدر و الذبح قيادتها الحكومية، و لا أقول: السياسية؛ إذ أنّ هذه القيادات السياسية و الروحية لأهل البيت لم تسقط عنهم أبدا، في أيّ يوم من الأيام، على مدى الزمن الإسلامي، على الرغم من الجهد الهائل للباطل و أعوانه في كلّ زمان و مكان!

* المشهد الختامي

كانت سكينه منذ حداثتها صاحبة مصحف و ذكر و ثقافته نبوية، تعكسها في ذكاء و إبداع، ورثت عن أبيها و جدّها البلاغة، و عن عمّتها الطلاقة و المبادرة برّد الإساءة في شجاعه و رقي، و عن أمّها قول الشعر الذي تمحور حول رثاء الحسين: إنّ الحسين غداة الطفّ يرشقه ريب المنون فما أن يخطى الحديقة بكف شرّ عباد الله كلّهم نسل البغايا و جيش المرق الفسقة! «١» ظلّت سبع سنوات، بعد كربلاء، رافضة للزواج، و المعروف شعبياً أنّها كانت مخطوبة للقاسم ابن عمها الحسن «٢»، الذي استشهد في السابع من محرّم عام ٤١ هـ،

(١). من أبيات رثت بها أباهما الشهيد عليه السّلام، يحكيها الزجاج في أماليه: ١٠٩ ط ٢- مصر.
(٢). تقدّم الكلام بأنّ حديث تزويج القاسم منها محض قول عار عن الصحة، لعدم الشاهد له، بل العكس - كما ذكرنا- أنّ علماء النسب و التاريخ يؤكّدون بأنّ زوجها الأول هو عبد الله الأكبر، أخو القاسم، ابنا الإمام الحسن المجتبي عليه السّلام، منهم النسابة أبو الحسن العمري، و العلّامة الطبرسي، و الشيخ الصّبّان و أبو الفرج و المدائني .. و غيرهم. و كذلك لأنّ القاسم آنذاك لم يدرك الحلم كما نصّ عليه أهل التاريخ و المقاتل. أهل البيت في مصر، ص: ٢٨٨

و كان من أوائل شهداء كربلاء، و لم يكن قد بلغ السابعة عشرة. ثم زوّجها أخوها الإمام عليّ زين العابدين من مصعب بن الزبير أخى عبد الله بن الزبير، المنافس لبني أمية بعد الحسين. و كان مصعب قد تولّى إمارة البصرة و العراق من قبل أخيه، و عند ما تزوّجته سكينه عام ٤٧ هـ، و هي في العشرين من عمرها، عادت معه إلى العراق مسترجعة سبع سنوات مضت عليّ و ففتها العزلاء في أسر عبيد الله بن زياد. كانت إقامة مصعب بالعراق إقامة قلقه مضطربة، خاض فيها حرباً ضدّ المختار بالكوفة، بعد أن جاوز الحدّ في بغيه على أهلها، مستترا تحت شعار: «الثأر للحسين!» و قتل مصعب المختار، دفاعاً عن أهل الكوفة، و بقيت أمامه المواجهة التي حفّزه إليها تربص عبد الملك بن مروان به.

و حين جاءت لحظة خروجه للحرب ثقل على سكينه و داعه، و ألمّ بها دوار فأمسك بها مصعب يشجّعها:

- ما ترك أبوك يا سكينه لابن حرّ عذرا.

فقلت: و ا حزناه عليك يا مصعب!

و كانت المرة الأولى التي تصرّح فيها بحبّها لزوجها.

فالتفت إليها: أ كان كلّ هذا لي عندك؟

فقلت: و ما أخفى أكثر!

فقال و قد أذفت لحظة الرحيل: لو كنت أعلم، لكان لي و لك يا سكينه شأن آخر! و مشى يردّد:

و إن الألى بالطفّ من آل هاشم تأسوا فسنّوا للكرام التأسيا! «١» و قتل مصعب بغدر من الكوفيين عام ٧٠ هـ. و جاء المعزّون إلى قصر الإمارة

(١). مذكور باختلاف عند الدكتور بنت الشاطي في كتابها «سكينه بنت الحسين: ٨٦».

بالكوفة لتواجههم سكينه من جديد. و ما أشبه الليلة ببارحة ٦١ هـ، لكنّها الآن فى الثالثة و العشرين تنهض ظلًا و امتدادا لزئيب، لتواجه أهل الكوفة، ناظرة إليهم فى تعب و ملل، و هى تقول فى حزن هادئ جليل:

و الله يعلم أنى أبغضكم! قتلتم جدى عليا، و قتلتم أبى الحسين، و زوجى مصعبا، بأى وجه تلقوننى؟ أيتتمونى صغيرة، و أرملتمونى كبيرة! ... و أشاحت بوجهها.

و خرجت من الكوفة، و من العراق!

و ظلت بالمدينة، مجلس علم و فقه، و ثقافة نبوية حتى توفّاها الله تعالى عام ١١٧ هـ، و هى فى السبعين من عمرها «١».

(١). و هذا هو المشهور و المحكى فى كتب التاريخ، مثل: تاريخ الطبرى ٨: ٢٢٨، و تاريخ ابن الأثير ٥: ٧١، و وفيات الأعيان ضمن ترجمتها، و كذلك فى مرآة الياقى. و به قال النووى فى تهذيبه ١: ١٦٣، و ابن عماد فى شذراته ١: ١٥٤.

هذا و يحكى النووى فى تهذيب الأسماء ١: ١٦٣ أنّ وفاتها فى الشام بعد ما رجعت إليه، و أنّ قبرها هنالك. و به قال صاحب ثمار المقاصد فى ذكر المساجد: ١٠٦.

و يذهب الشعرانى إلى وفاتها بمراغة من أرض مصر، و أنّ قبرها بالقرب من قبر السيدة نفيسة. انظر لواقح الأنوار ١: ٢٣.

هذا و يذكر ياقوت الحموى فى المعجم ٦: ٢٦ أنّ أهل طبرية يزعمون أنّ بظاها قبر سكينه بنت الحسين عليه السلام. كما أنّ صاحب نور الأبصار يزعم أنّها توفيت بمكة! و حيث إنّ أغلب المؤرخين على أنّ قبرها بالمدينة، فهو بالصحة أجدر.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٩١

السيدة سكينه بنت الإمام الحسين عليها و على أبيها السلام «١»

إشارة

حنفى المحلاوى

من هى

أكّد العديد من المؤرخين و رواة التاريخ: أنّ السيدة سكينه رضى الله عليها ابنة الإمام الحسين بن على رضى الله عنه. و من أشهر هؤلاء المؤرخين: ابن خلّكان و السخاوى و الصبان و الشعرانى و آخرين «٢».

و السيدة سكينه- وفق ما نقله هؤلاء- اسمها الحقيقى آمنه بنت الحسين رضى الله عنها، و أمها هى الرباب ابنة امرئ القيس بن عدى بن أوس سيد بنى كلب.

و كانت ولادتها- على أشهر الروايات- فى عام ٤٨ هـ، و اختار لها أبوها الإمام الحسين اسم «آمنه» على اسم جدّتها أم النبى صلّى الله عليه و آله ثم لقبها أمها بسكينه «٣»؛ و ذلك

(١). مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».

(٢). راجع وفيات الأعيان ١: ٢٩٨، تحفة الأحباب: ٩٣، إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار:

٣٥٩، و انظر: المترادفات للمدائنى: ٦٤، و عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٢٥٧، و الأغانى ١٤: ١٦٣ و ما بعده.

(٣). قال الصبان: المشهور على الألسنة فى اسمها أنّه مكبر بفتح السين و كسر الكاف. (إسعاف الراغبين: ٢٠٢) لكن المحكى عن

شرح أسماء رجال المشكاة أنه مصغر، أى بضم السين وفتح الكاف، و مثله فى القاموس.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٩٢

لأنّ نفوس أهلها وأسرتها كانت تسكن إليها من فرط فرحها ومرحها وحيويتها. كما قيل عن سبب ذلك أيضا: ما لاح منها و هى طفلة من أمارات الهدوء والسكينة، وقد غلب هذا القلب على اسمها الحقيقى: آمنه «١».

نشأت السيدة سكينه و تربت فى أحضان والدتها الرباب، بإشراف والدها الإمام الحسين رضى الله عنه بالمدينة «٢» .. فسلكت طريق الصلاح والتقوى .. و كان الإمام الحسين رضى الله عنه يحب فتاته سكينه، كما كان يحب أمها رباب حبا جمّا، و روى عنه أنه لما رأى الأهل يلاحظون عليه ذلك أنشدهم هذا الشعر:

لعمرك إننى لأحب داراتحلّ بها سكينه و الرباب

أحبهما و أبدل فوق جهدى و ليس لعاذل عندى عتاب

و لست لهم و إن عتبا مطيعا حياتى أو يعينى التراب «٣» و بدأت شخصيه السيدة سكينه تظهر حين كانت تعيش فى مكه .. و لما بلغت الثالثة عشره من عمرها أصبحت قبله الأنظار لحسنها، و ظرف حديثها، و أناقتها، و سحرها، حتّى صارت مثلا يحتذى.

على أن مرحها و أناقتها لم تلهها عن التعبد الذى كان يصل إلى حد الاستغراق.

و قد شهدت السيدة سكينه معركة كربلاء فى عام ٦٠ هـ، عند ما خرجت مع والدها الإمام الحسين لملاقاة جيش يزيد بن معاوية، و عند ما قتل الإمام الحسين فى هذه

(١). و هو المشهور عند المؤرخين، و تؤكده روايه أبى إسحاق المالكي عنها عليها السلام قولها: «إنكم سميتونى باسم جدتى أم رسول الله صلى الله عليه و آله: آمنه بنت وهب». انظر: النجوم الزاهرة ١: ٢٧٦، و الكواكب الدرّية للمناوى ١: ٥٨. بينما يحكى أبو الفرج القول بأن اسمها: أمينه و أميمه.

(٢). صح أن ولادتها بالمدينة، و وفاتها فيها أيضا، لكن لم يتضح دقيقا سنه ولادتها و لا مقدار عمرها سلام الله عليها، و إن أمكننا القول بأنّها قاربت السبعين، بعد ملاحظه سنه وفاتها يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنه ١١٧ هـ، و كونها يوم الطف بالغه مبلغ النساء. انظر: تهذيب الأسماء ١: ١٦٣، نور الأبصار، ١٦٠، و ترجمتها فى معارف ابن قتيبه و تذكرة الخواص و وفيات الأعيان.

(٣). روى الأبيات فى زهر الآداب ١: ١٠٠ باختلاف فى بعض اللفظ.

أهل البيت فى مصر، ص: ٢٩٣

المعركة، سقت السيدة سكينه مع السبايا والأسرى إلى دمشق، و ذلك مع كل آل البيت.

و بعد فترة إقامتها بدمشق سمح لها يزيد بن معاوية أن ترجع إلى المدينة المنورة فى صحبة عمّتها السيدة زينب .. و هناك أقامت مع أمها الرباب حتّى توفيت، فأقامت السيدة سكينه مع أخيها زين العابدين حتّى تزوجت.

و قد اختلف الرواة و المؤرخون فى عدد أزواج هذه السيدة الطاهرة، فقيل: إنّها تزوجت اثنين، و قيل: واحدا. على أن جمهور الروايات تجمع على أنّهم ثلاثة، و هم:

مصعب بن الزبير، ثم عبد الله بن عثمان بن عفان، ثم يزيد بن عثمان بن عفان، و قال ابن خلكان: إنّها تزوجت من الأصعب بن عبد العزيز بن مروان «١».

و إذا كانت السيدة سكينه قد عاصرت مقتل والدها الإمام الحسين فى معركة كربلاء، فكذلك عاصرت مصرع زوجها مصعب بن الزبير الذى تولّى إمارة المدينة عام ٦٥ هـ من قبل أخيه عبد الله بن الزبير بن العوّام .. فبعد أن رزق مصعب بابنته من زوجته السيدة سكينه استشهد بالعراق فى عام ٧٢ هـ ضدّ جيش عبد الله بن مروان القادم من الشام.

و بعد رحيل زوجها لازمت السيدة سكينه طاعة الله بالصيام نهارا و قيام الليل، و البرّ بالمساكين و الفقراء، حتّى اختارها الله إلى جواره في اليوم الخامس من شهر ربيع الأول عام ١١٧ هـ عن عمر يناهز السبعين عاما.

صفاتهما و علمهما

أجمع المؤرّخون و كتّاب سيرة أهل البيت رضوان الله عليهم أنّ السيدة سكينه ابنة الإمام الحسين رضى الله عنهما كانت كلّما كبرت في سنّها من بعد مولدها، كلّما كانت تزداد تأدّبا مع نفسها و مع الآخرين، ثم مع الله ... هذا الأمر جعلها قد اشتهرت

(١). يكاد ينفرد به ابن خلكان. و قد تقدّم الحديث عن هذه المسألة.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٩٤

بين نساء آل البيت بالذكاء و حدّة الذهن، و سرعة الخاطرة، و قوّة الحجّة. و يضربون لذلك العديد من الأمثال .. و ممّا يروونه في هذا السياق: أنّ هذه السيدة الطاهرة سكينه ابنة الإمام الحسين رضى الله عنهما كانت تحضر في يوم من الأيام مجتمعا لمثيلاثها من الشابات، كنّ يتحدّثن فيه عن فضل الشهداء و درجاتهم عند الله، أمثال أمراء المؤمنين: عمر بن الخطاب، و عثمان بن عفّان، و على بن أبى طالب، و ابنه الإمام الحسين، مستشهدات بقول الله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عند ربّهم يُرزقون* فَرِحِينَ بما آتاهم الله مِنْ فَضْلِهِ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

و كان في هذا المجتمع إحدى بنات سيدنا عثمان رضى الله عنه، فقالت مفتخرة بأبيها: إنّها بنت الشهيد الثانى، و فهمت السيدة سكينه بذكائها أنّ ابنه عثمان كانت تقصد بكلامها هذا أنّ أباهما استشهد قبل استشهاد كلّ من الإمام على جدّ السيدة سكينه، و الإمام الحسين والداها.

و كان ذلك قبيل دخول وقت من أوقات الصلاة، فسكت السيدة سكينه حتّى أدّن المؤذّن، و ذكر اسم جدّها محمد صلّى الله عليه و آله عقب ذكر اسم الله تعالى، حيث قال: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله، و أشهد أنّ محمدا رسول الله .. فاتّجعت السيدة سكينه إلى ابنة سيدنا عثمان و قالت: هذا جدّى، ذاك أبوك، فقالت ابنة سيدنا عثمان: من الآن لا أفتخر عليكم أبدا.

و لما بلغت السيدة سكينه رضى الله عنها الثالثة عشرة من عمرها، كان جسمها ناميا كأنها بنت العشرين .. و كانت مضرب الأمثال فى العفة و الإيمان، مع رفعة مكانتها من البيت النبوى الكريم.

و قد عاشت أخريات أيامها حيث لازمت طاعة الله بصيام النهار و قيام الليل، و البرّ بالفقراء و المساكين، حتّى رحلت إلى جوار ربّها. و هناك من الرواة من ينسب إليها الكثير من الأعمال و الأقوال، و قد شكّك في ذلك فريق آخر من هؤلاء الرواة، و نحن ننقل هنا ما قيل بشأن هذه و ذاك. فقد ذكرت بعض كتب هؤلاء الرواة أنّ السيدة سكينه رضى الله عنها كانت تصفّ شعرها،

أهل البيت في مصر، ص: ٢٩٥

أى جمتها- قصّتها- تصفيها لم ير أحسن منه حتّى ضرب بها المثل، فقيل «جديّة سكينه» و «طرّة سكينه» (١)! و ذلك يقتضى قضاء بعض الوقت فى تصفيف شعرها لتجعل منه طرّة جميلة، يستحسنها كلّ من يراها.

و ردّا على ذلك ذكر الشيخ محمد عثمان فى أحد كتبه: أنّ هذه القول يناقض قول الحسين للمثني- ابن أخيه الحسن السبط- حينما جاء ليخطبها، فقال له عمه: إنّ سكينه مستغرقة فى الله، تصوم النهار و تقوم الليل، فهى لا تصلح لرجل .. (٢) و زوّجه أختها السيدة فاطمة النبوية.

كذلك قالوا عن السيدة سكينه: إنّ الشعراء يجتمعون فى دارها .. و قد اجتمع لديها ذات يوم خمسة من فحول الشعراء، منهم: جرير بن عطية و الفرزدق و آخرون، و قد عرضوا عليها أشعارهم، فكانت تعلق على شعر كلّ منهم بما اقتنع به صاحبه، كما قدّمت لكلّ منهم

ألف دينار! إلاً جميل بثينه فأعطته ثلاثة آلاف دينار!

(١). و حكاية تصفيف الشعر و اشتهاه كحديث أنها كانت برزة من النساء، تجالس الأجله، يحكيها أبو الفرج في كتابه الأغاني ١٤: ١٥٩ عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب، و هما معروفان بعداوتهما لأبناء علي عليه السلام علي ما تبه إليه المرزباني فقال: «انحرف الزبير بن بكار عن أهل البيت ظاهر، فلا يقبل ما جمعه من سرقات كثير الشاعر لتشييعه و هجائه لآل الزبير» (الموشح: ١٥٤-١٥٥). و لعلماء الرجال و التراجم كلمتهم في هذين الرجلين تبين للقارئ ما هما عليه من مستوى في مقام النقل و الحديث. يقول ابن الأثير: «كان مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام منحرفاً عن علي» (الكامل ٧: ١٩ ضمن حوادث سنة ٢٣٦ هـ).

و يقول ابن حجر: «لم يعتمد أحمد بن علي السليمانى على روايات الزبير بن بكار؛ لإكثاره الرواية عن الضعفاء» (تهذيب التهذيب ٣: ٣١٣).

و يقول ابن النديم: «كان مصعب الزبيرى و أبوه عبد الله من شرار الناس، متحاملين على ولد علي» (الفهرست: ١٦٠). و ذكر الشيخ المفيد أنه لم يكن الزبير بن بكار مأموناً في الحديث و لا موثقاً في النقل فيما يرويه من القذائف في حق أهل البيت عليهم السلام. (المسائل السروية: ٦١ مسألة رقم (١٠)).

(٢). إسعاف الراغبين: ٢٠٢.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٩٦.

وصف المقبره

على الرغم من أن بعض الرواة و المؤرخين قد شككوا في إقامة السيدة سكينه بالحجاز، و مع ذلك هناك فريق آخر من هؤلاء الرواة و المؤرخين من الذين أكدوا إقامتها بمصر، حين قدمت مع عمّتها السيدة زينب بعد معركة كربلاء، و ظلت تعيش في دار بالقرب من دار عمّتها السيدة زينب حتى توفيت و دفنت بها؛ و بالتالى أقيم في هذه الدار ضريحها الموجود حالياً بالمسجد الذى يحمل اسمها. و مما قيل في هذا السياق .. إنها من بعد وصولها إلى مصر في عام ٦١ هـ خطبها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان أمير مصر، و بينما هي في طريقها إلى مصر بلغها بغى الأصبغ و فجوره، فأقسمت ألا تكون زوجة له، فاستجاب الله لدعائها .. فلم تصل إلى مصر حتى كان الأصبغ قد مات.

و يشكك الشيخ محمد عثمان في كتابه «في البيت النبوى» .. في هذه الرواية .. بل و في علاقتها بالأصبغ بن عبد العزيز بن مروان من أصله .. فيقول عن ذلك مستندا على ما جاء في كتاب «النجوم الزاهرة» من أن الأصبغ المذكور، لم يل إمارة مصر إلا نيابة عن والدها في مدّة و جيزة من سنة ٧٥ هـ، قضاها والده بدمشق عند أخيه عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى الخامس، فيعلم من ذلك أن الأصبغ لم يمت سنة إحدى و ستين، و أنه لم يكن أميراً على مصر في تلك السنة، و أنه في سنة إحدى و ستين المذكورة تزوج بالسيدة سكينه مصعب بن الزبير، و كان مقيماً بالمدينة المنورة، ثم أسندت إليه إمارتها سنة خمس و ستين هجرية «١».

(١). حكاية أخرى من جملة الحكايات التى ينقلها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه «الأغاني» الذى لم تكن غايته من تأليفه إلا إمتاع النفوس و القلوب و الاذواق كما صرح هو بنفسه في مقدمته، فكتابه لا يعدو كونه مجموعة نافعة لأندية الغناء و مجتمعات اللهو و الطرب و مغاني الشرب و السمر على حد قول الدكتور زكى مبارك في كتابه النشر الفنى ١: ٢٣٥ و ما بعده. فكتاب الأغاني ما هو إلا سجل للهو و السمر يدور حول-

أهل البيت في مصر، ص: ٢٩٧

ومن الذين أتدوا مقدمها إلى مصر، وإقامتها فيها حتى وفاتها، الإمام الشعراني في طبقاته، حيث قال: إنها مدفونة في مصر بالقرافة، بالقرب من السيدة نفيسة رضي الله عنها. وكذلك في طبقات المناوي والحلي. كما أكد ذلك أيضا ابن زولاق فقال: إن أول من دخل مصر من ولد علي كرم الله وجهه سكينه بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم، وذلك أنها حملت إلى الأصبح بن عبد العزيز بن مروان ليدخل بها، فوجدته قد مات، فخرجت إلى المدينة المنورة.. وكذلك النسابة العبيدي الذي قال: إن السيدة سكينه صحبت عمته السيدة زينب في خروجها إلى مصر حين أدرك الخليفة يزيد مقامها بالمدينة، فأمر أن يفرق بينها وبين الناس حتى لا تكون فتنة.

وللدكتور «بنت الشاطي» رأي أورده الدكتور سعاد ماهر في كتابها عن المساجد والأولياء، فيما يخص مكان ضريح السيدة سكينه.. ومما قالته عن ذلك: إن هذا الضريح ربما كان من أضرحة الرؤيا، وليس على سبيل اليقين.. هذه الأضرحة التي كانت تقام وقت الشدة والحروب.. فعند ما كان أحد أولياء الله الصالحين يشاهد رؤيا في منامه بخصوص إقامة مسجد أو ضريح لأحد أهل البيت، فكان عليه أن يقيم ذلك الضريح باسم من رآه في منامه! (١).

وبشكل عام فقد قدم لنا العديد من رجال التاريخ ومن رجال الآثار عدده

الطرائف و قصص الملوك أيام الجاهلية بأسلوب لا يخلو من الخيال والمرح وجذب القلوب.

و أميا من الجانب الآخر فلا يشتمل على حقائق تاريخية يمكن الاطمئنان إليها وإن ضم أسانيد في رواياته وحكاياته، وبذلك فلا يمتلك قيمة علمية ولا تاريخية يمكن الاستناد إليها.

ومما يجدر ذكره أنه من يراجع معجم الأدباء لياقوت ٥: ١٦٠ وهو يروي قصة عن أبي الفرج نفسه في إحدى سلوكياته الماجنة، يكتشف مستوى هذا الرجل وتوجهاته في حياته، ودرجة الشناعة التي بلغها في ذوقياته!!

(١). هذه نظرية ضعيفة جدا، فلا يعقل أن يقوم جمع من العلماء والعقلاء ببناء مسجد وضريح لمجرد الرؤيا! ومن الصحيح أن نقول: إنه كانت بأيديهم وثائق وأدلة، لم تصل لأيدينا، ومن ثم فلا بد أن نتابع الأمر، حتى نصل إلى الحقيقة التاريخية لكل ضريح ومقبرة ومسجد بنى باسم الأولياء أو آل البيت في مصر أو غيرها من البلاد الإسلامية.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٩٨

دراسات عن هذا الضريح، و صفوا فيها مكانه و تطوره عبر الزمان.

فقد أشار إليه على باشا مبارك في خططه، فقال: إنه أقيم بحى الخليفة عن شمال الذهاب إلى القرافة الصغرى.. و كان في بدايته زاوية صغيرة، ثم ألحق بالضريح مسجد أقامه الأمير عبد الرحمن كتحدا عام ١١٧٤ م، ثم أجرى فيه عباس باشا عمارة، وله ثلاثة أبواب غير الميضاة، اثنان على الشارع، مكتوب على وجه أحدهما:

حرم به بنت الحسين مؤرخ بسكينه تصب المواهب كلها و على وجهه الآخر:

ذا مسجد يا آل طه مؤرخ شمس هدى بنت الحسين سكينه و الثالث: الباب المقبول فى الجهة القبليه، و يفتح على درب الأكراد، مكتوب:

لك مظهر بنت الحسين مؤرخ ليج هاهنا تابوت فيه سكينه و هذا المسجد تقام فيه الشعائر، و يشتمل على ستة أعمدة من الرخام، و منبر من الخشب النقى، و دكة، و فيه خلوتان، يسكنهما الخدمه، و مدفن قديم لصاحب البحر و أخيه صاحب النهر الحنفيين المشهورين. و بجوار القبة شباك مطلق على ضريح السيدة سكينه رضي الله عنها، و هو ضريح مجلل بالبهاء و النور، عليه تابوت من الخشب من داخل مقصورة كبيرة من النحاس الأصفر متقن الصنع، من إنشاء المرحوم عباس باشا.

و يحيط بذلك قبة جميلة مرتفعة، بها أربعة أعمدة من الرخام، و إيوان صغير يجلس عليه القراء في ليالي الحضرة، و بأسفلها إزار من خشب ارتفاعه نحو متر، و بأعلاها نقوش، و على وجه بابها: «رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت، إنه حميد مجيد» و حضرتها كل ليلة خميس، و لها مولد كل سنة قبل مولد السيدة نفيسة رضى الله عنها «١».

(١). راجع الخطط التوفيقية لعلی باشا مبارك، المجلد الخامس.

أهل البيت في مصر، ص: ٢٩٩

و كان ضريح السيدة سكينه قبل عهد الخديوي عباس الثاني منخفضا عن سطح الأرض، فرفع الضريح إلى ما يقرب من مستوى سطح المسجد، و أحيط بمقصورة من النحاس شبيهة بالموجودة في مشهد السيدة نفيسة رضى الله عنها .. كما جدد الخديوي عباس ذلك الضريح و مسجد السيدة نفيسة، و ما زالت تلك التجديدات موجودة إلى الآن، ثم قامت وزارة الأوقاف بآخر عمارة للمسجد و للضريح، على الشكل الذي نراه عليه الآن.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٠١

مرقد السيدة سكينه بنت الإمام الحسين عليهما السلام «١»

الدكتورة سعاد ماهر

أما عن ضريح السيدة سكينه الذي يقع بحي الخليفة بالقاهرة، بالشارع المسمى باسمها، فقد اختلف المؤرخون في صحته وجودها به، و الذين يقولون بوجودها بمصر يعتمدون على القصة التالية: خطبها الأصبح بن عبد العزيز والي مصر من قبل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فكتبت إليه تقول: «إن أراضى مصر وخمئة» فبنى لها «مدينة الأصبح»، و لكن هذا الأمر لم يرق في عين الخليفة، فحسده و كتب إليه: أن تأخذ ولاية مصر أو سكينه! فكف عن زواجها.

و قال ابن زولاق: إن أول من دخل مصر من ولد على كرم الله وجهه سكينه بنت الحسين بن على رضى الله عنهم، و ذلك أنها حملت إلى الأصبح بن عبد العزيز بن مروان ليدخل بها، فوجدته قد توفى، فرجعت إلى المدينة، و قيل غير ذلك. و يقول النسابة العبيدي: إن السيدة سكينه صحبت عمته السيدة زينب في خروجها إلى مصر حين أدرك الخليفة يزيد خطر مقامها بالمدينة، فأمر أن يفرق

(١). مقتبس من كتاب «مساجد مصر و أولياؤها الصالحون».

أهل البيت في مصر، ص: ٣٠٢

بينهما و بين الناس حتى لا تكون فتنة «١».

و تعلق الدكتور بنت الشاطي على ذلك فتقول: و إذا صحت هذه الرواية، فلعل السيدة سكينه قد عادت إلى الحجاز بعد وفاة عمته زينب سنة ٦٢ هـ «٢».

و على أية حال، فقد ظهر في العصور الوسطى، و خاصة في أوقات المحن و الحروب التي لا تجد فيها الشعوب من تلوذ به غير الواحد القهار، أن يتلمسوا أضرحة آل البيت و الأولياء للزيارة و البركة و الدعاء؛ ليكشف الله عنهم سوء و يرفع البلاء، و من ثم ظهر ما يعرف باسم أضرحة الرؤيا، فإذا رأى ولى من أولياء الله الصالحين في منامه رؤيا مؤداها أن يقيم مسجدا أو ضريحا لأحد من أهل البيت أو الولي المسمى في «الرؤيا» فكان عليه أن يقيم الضريح أو المسجد باسمه «٣».

و المسجد الموجود حاليا يرجع إلى عهد عبد الرحمن كتحدا سنة ١١٧٣ هـ، ثم جددته بعد ذلك وزارة الأوقاف في القرن الثالث عشر

الهجرى، و على باب المقصورة النحاسية نجد لوحة تذكارية مؤرخة سنة ١٢٦٦ هـ.

(١). سكينه بنت الحسين لبنت الشاطى: ٣٥-٣٦.

(٢). المصدر السابق.

(٣). كما سبق أن أشرنا: أن هذه نظريه غير صحيحه، ولا يمكن قبولها، فلا بد أن ندرس الأمور أكثر وأكثر؛ حتى نجد الوثائق والأدلة الصحيحة المعقولة الموجودة عند الناس الذين قاموا ببناء هذه الأضرحة والمساجد والمشاهد، ولا يجوز أن نكتفى بنظريه «الرؤيا»!! فقط.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٠٣

٥- السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها و على أبيها السلام

إشارة

بقلم مجدى فتحى السيد حنفى المحلاوى

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٠٥

فاطمة بنت الحسين عليهما السلام «١»

إشارة

مجدى فتحى السيد

حفيدة من حفيدات الرسول صلى الله عليه وآله، روت عن جدتها مرسلًا وأبيها حسين بن على، وعمتها زينب بنت على، وأخيها على بن الحسين، وعبد الله بن عباس، وعائشة أم المؤمنين، وأسماء بنت عميس، وبلال المؤذن مرسلًا «٢».

وروى عنها بنوها: عبد الله، وإبراهيم، والحسن، وأم جعفر بنو الحسن بن الحسن، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وأم هشام بنت زياد، وأم الحسن بنت جعفر بن الحسن.

وتعد من التابعيات الروايات للحديث النبوى «٣»، وكانت مع أبيها أثناء مقتله فى كربلاء، ثم أتى بها إلى دمشق مع إختوها، ثم خرجت إلى المدينة.

وفاطمة بنت الحسين أمها: أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمى، تزوجها ابن عمها حسن بن حسن بن على بن أبى طالب، فولدت له عبد الله، وإبراهيم، وحسنا، وزينب.

(١). مقتبس من سيرة آل بيت النبى الأظهار، ط. المكتبة التوفيقية، القاهرة ٢٠٠١ م.

(٢). انظر الذرية الطاهرة للدولابى: ١٢٦ و ما بعده و ١٣٥ و ١٤٤ و ما بعده، وأعلام النساء لابن عساكر: ٢٧٤ ترجمة رقم (٢٠٢).

(٣). أعلام النساء لعلى محمد على دخيل: ٣٦٣.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٠٦

ثم مات عنها، فخلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، تزوجها إياه ابنها عبد الله بن حسن بأمرها، فولدت القاسم ومحمدا، الملقب بالديباج، وقد لقب بذلك لجماله، و رقيه بنى عبد الله بن عمرو، وكان يقال لعبد الله بن عمرو: المطرف؛ لجماله، فمات

عنها.

و استعمل عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهرى على المدينة، فخطب فاطمة بنت الحسين فقالت: والله ما أريد النكاح و لقد قعدت على بنى هؤلاء.

و جعلت تحاجره، و تكره أن تبادل به لخوفها إياه، و ألحّ عليها، فقال: والله لئن لم تفعلنى لأجلدّن أكبر ولدك فى الخمر! يعنى عبد الله بن الحسن.

فبينما هى كذلك، و كان على ديوان المدينة ابن هرمز، قال: فكتب إليه يزيد بن عبد الملك أن يرتفع إليه للمحاسبة، فدخل على فاطمة يودّعها، فقال: هل من حاجة؟ فقالت: تخبر أمير المؤمنين ما ألقى من ابن الضحّاك، و ما يعترض به منى. و بعثت رسولا بكتاب إلى يزيد تذكر قرابتها و رحمها، و ما ينال ابن الضحّاك منها، و ما يتوعدها به.

فقدم ابن هرمز فأخبر يزيد، و قرأ كتابها، فنزل من أعلى فراشه فجعل يضرب بخيزرانه فى يده، و هو يقول: لقد اجترأ ابن الضحّاك، من رجل يسمعى صوته فى العذاب، و أنا على فراشى؟ ثم دعا بقرطاس فكتب إلى عبد الواحد بن عبد الله النصرى، و هو يومئذ بالطائف: قد وليتك المدينة، فأغرم ابن الضحّاك أربعين ألف دينار، و عدّبه حتى أسمع صوته، و أنا على فراشى «(١)».

(١). نقل الحكاية ابن سعد فى طبقاته ٨: ٤٧٤ و عمر رضا كحالة فى أعلام النساء ٤: ٤٧. و هذا يعدّ من الخيال المفرط!! أو يقرب من قصص ألف ليلة و ليلة. إذ كيف يقدم ابن الضحّاك و بهذه الضراوة على خطبة بنت الحسين، العدو اللدود لبني أمية، و هو عامل لهم على المدينة، و أحد الأفراد الذين لا يتوانون فى فعل أى شىء من أجل كسب رضا الخليفة؟! و الأغرب من هذا غيره يزيد المعروف عنه بهتك الحرمات ... على فاطمة إحدى بنات الرسالة اللاتى ذقن الأمّرين إبان الأسر و القهر و التطواف فى البلدان بعد كربلاء!! أهل البيت فى مصر، ص: ٣٠٧

و بلغ ابن الضحّاك الخبر فهرب إلى الشام، فلجأ إلى مسلمة بن عبد الملك، فاستوهبه من يزيد فلم يفعل، و قال: قد صنع ما صنع و أدعه!!

فردّه إلى النصرى إلى المدينة، فأغرمه أربعين ألف دينار، و عدّبه، و طاف به فى جبة من صوف. و هذا جزاء من استعلى و تكبر، و افترى و تبختر على الصالحات التقيّات، نساء آل البيت رضى الله عنهنّ أجمعين. و قد كان لها كثير من الحكم و المواعظ، فمن كلامها: «ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئا، و لا أدركوا من لذاتهم شيئا، إلّا و قد ناله أهل المروءات، فاستتروا بجميل ستر الله».

و وقع ذكرها فى صحيح البخارى، فى كتاب الجنائز، قال البخارى رحمه الله: لما مات الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم، ضربت امرأته القتيّة - الخيمة - على قبره سنة، ثم رفعت، فسمعوا صائحا يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه الآخر: بل يسوا فانقلبوا «(١)».

قال ابن المنير: إنّما ضربت الخيمة هناك للاستمتاع بالميتّ بالقرب منه؛ تعليلا للنفس، و تخيلا باستصحاب المألوف من الأنس، و مكابرة للحس، كما يتعلّل بالوقوف على الأطلال البالية، و مخاطبة المنازل الخالية، فجاءتهم الموعظة على لسان الهاتفين بتقييح ما صنعوا، و كأنهما من الملائكة، أو من مؤمنى الجنّ.

و إنّما ذكره البخارى لموافقته للأدلة الشرعية.

و لعلّ من أشدّ المواقف تأثيرا فى حياة فاطمة بنت الحسين: موقف مقتل والدها فى أرض كربلاء شهيدا.

(١). أخرجه البخارى فى صحيحه ١: ٤٤٦ كتاب الجنائز ب ٦٠ ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، و ابن عساكر فى أعلام النساء:

٢٧٨ برقم ٢٠٢ ترجمه فاطمه بنت الحسين عليهما السلام عن المغيرة بن شعبه.

اهل البيت فى مصر، ص: ٣٠٨

فاطمة بنت الحسين و مقتل الحسين

يروى عوانه بن الحكم فيقول: لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنِ، وَجِئَ بِالْأَثْقَالِ وَالْأَسَارَى حَتَّى وَرَدُوا بِهِمْ إِلَى الْكُوفَةِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَبَيْنَا الْقَوْمُ فِي الْحَبْسِ، إِذْ وَقَعَ حَجْرٌ فِي السَّجْنِ، مَعَهُ كِتَابٌ مَرْبُوطٌ، وَفِي الْكِتَابِ: خَرَجَ الْبَرِيدُ بِأَمْرِكُمْ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا إِلَى يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ، وَهُوَ سَائِرُ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا، وَرَاجِعٌ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ سَمِعْتُمْ التَّكْبِيرَ فَأَيُّقِنُوا بِالْقَتْلِ، وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا تَكْبِيرًا فَهُوَ الْأَمَانُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قال: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ قُدُومِ الْبَرِيدِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً إِذَا حَجْرٌ قَدْ أُلْقِيَ فِي السَّجْنِ، وَ مَعَهُ كِتَابٌ مَرْبُوطٌ وَ مَوْسَى، وَ فِي الْكِتَابِ: أَوْصُوا وَ اعْهَدُوا، فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ الْبَرِيدُ يَوْمَ كَذَا وَ كَذَا.

فَجَاءَ الْبَرِيدُ وَ لَمْ يَسْمَعْ التَّكْبِيرَ، وَ جَاءَ كِتَابٌ بِأَنَّ سَرَّحَ الْأَسَارَى إِلَيَّ، قَالَ: فَدَعَا عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ مَحْفِزَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَ شَمْرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا بِالثَّقَلِ وَ الرَّأْسِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ.

قال: فَخَرَجُوا حَتَّى قَدَمُوا عَلَى يَزِيدَ، فَقَامَ مَحْفِزُ بْنُ ثَعْلَبَةَ «١» فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

جئنا برأس أحق الناس و ألامهم!!

فقال يزيد: ما ولدت أم محفز الأم و أحق، و لكنّه قاطع و ظالم.

قال: فَلَمَّا نَظَرَ يَزِيدُ إِلَى رَأْسِ الْحُسَيْنِ، قَالَ:

يَفْلِقُنْ هَامَا مِنْ رِجَالِ أَعْزَةِ عَلَيْنَا وَ هُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَ أَظْلَمَا «٢» ثُمَّ قَالَ: أَ تَدْرُونَ مِنْ أَيْنَ أُوتِيَ هَذَا؟ قَالَ: أَبِي عَلِيٍّ خَيْرٍ مِنْ أَبِيهِ، وَ أُمِّي فَاطمة خَيْرٍ مِنْ أُمِّهِ، وَ جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ خَيْرٍ مِنْ جَدِّهِ، وَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ. فَأَمَّا قَوْلُهُ: أَبُوهُ خَيْرٌ مِنْ أَبِي، فَقَدْ حَاجَّ أَبِي أَبَاهُ، وَ عَلَّمَ النَّاسَ أَيُّهُمَا حَكَمَ لَهُ،

(١). اختلف أهل التاريخ فى من قاد ركب العترة الطاهرة إلى الشام و منها إلى يزيد، و الأسماء التى عثرنا عليها كالاتى: مخفر بن ثعلبة و شمر، مخفر بن ثعلبة و شمر، مجفر بن ثعلبة العائذى و شمر، زحر بن قيس مع محقن بن ثعلبة و شمر، زفر بن قيس و أبو بردة بن عوف الأزدي و طارق بن ضبيان و غير ذلك. انظر: تاريخ أبي مخنف ١: ٤٩٧، الأخبار الطوال: ٢٦٠، المنتظم ٥: ٣٤١، البداية و النهاية لابن كثير ٨: ١٩٣.

(٢). البيت من الطويل للحصين بن الحمام المرى. راجع البداية و النهاية ٨: ١٩٣.

اهل البيت فى مصر، ص: ٣٠٩

و أمّا قَوْلُهُ: أُمِّي خَيْرٌ مِنْ أُمِّهِ، فَلَعَمْرِي فَاطِمَةُ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ خَيْرٌ مِنْ أُمِّي، وَ أَمَّا قَوْلُهُ:

جَدِّي خَيْرٌ مِنْ جَدِّهِ، فَلَعَمْرِي مَا أَحَدٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يَرَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِيْنَا عَدْلًا وَ نَدًّا، وَ لَكِنَّهُ إِنَّمَا أَتَى مِنْ قَبْلِ فَقْهِهِ، وَ لَمْ يَقْرَأْ: قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ «١» [آل عمران: ٢٦].

ثم أدخل نساء الحسين على يزيد، فصاح نساء آل يزيد و بنات معاوية، و أهله، و ولولن، ثم إنهن أدخلن على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين - و كانت أكبر من سكينه -: أ بنات رسول الله سبايا يا يزيد! فقال يزيد: يا ابنه أختي، أنا لهذا كنت أكره. و فى رواية أخرى قال: بل حرائر كرام، ادخلى على بنات عمك تجدين قد فعلن ما فعلت.

قالت: و الله ما ترك لنا خرص «٢».

قال: يا ابنه أخی! ما آت إلی أعظم ممّا أخذ منك، ثم أخرجن فأدخلن دار یزید بن معاویة، فلم تبق امرأة من آل یزید إلّا أتتهنّ، و أقمن المأتم، و أرسل یزید إلی كل امرأة ما ذا أخذ لك؟ و لیس منهنّ امرأة تدعى شیئا بالغاً ما بلغ إلّا قد أضعفه لها «٣».

فكانت سكينه تقول: ما رأيت رجلاً كافراً بالله خيراً من یزید بن معاویة!

ثم أدخل الأسارى إلیه، و فیهم علی بن الحسین، فقال له یزید: إیه یا علی!؟

فقرأ علی من كتاب الله تعالى: ما أصاب من مصيبةٍ فی المأرضِ و لا فی أنفسِكُمْ إلّا فی كتابٍ من قبل أن نبرأها إن ذلك علی الله یسیرٌ * لکیلاً تأسوا علی ما فاتکم

(١). ذکر الخبر الطبری فی التاريخ ٤: ٦٥٧-٦٥٨، و ابن الأثیر فی الكامل ٣: ٢٩٩، و ابن الجوزی فی المنتظم ٥: ٣٤٣.

(٢). الخرص: حلقة القرط، أى: ما ترك لنا صغيرة و لا كبيرة إلّا انتهوها منا.

(٣). إن أدنى ملاحظة أو متابعة لأخلاق یزید هذا، كما یحكيه تاريخه و سيرته، نجد خلاف هذا الذى يرويه ابن كثير فى البداية ٨: ١٩٧-١٩٨ و هو يعزیه إلی القیل.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣١٠

و لا تفرحوا بما آتاكم و الله لا یحب كل مختالٍ فخورٍ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فقرأ یزید علیه قوله تعالى: و ما أصابکم من مصيبةٍ فبما كسبت أیدیکم و یعفوا عن كثيرٍ [الشورى: ٣٠].

ثم جهّزه، و أعطاه مالا، و سرحه إلی المدينة «١».

و فى رواية أخرى قال علی بن الحسین: أما و الله لو رآنا رسول الله صلّى الله علیه و آله مغلولين لأحب أن یحلنا من الغلّ.

قال یزید: صدقت، فحلّوهم من الغلّ.

قال: و لو وقفنا بین یدى رسول الله صلّى الله علیه و آله على بعد لأحب أن یقرّنا.

قال: صدقت، فقرّبوهم، فجعلت فاطمة و سكينه تتناولان لیریا رأس أبيهما، و جعل یزید يتناول فى مجلسه لیستر عنهما رأس أبيهما، ثم أمر بهم فجهّزوا، و أصلح إلیهم، و أخرجوا إلی المدينة «٢».

و فاطمة بنت الحسین دخلت مع قواعد قومها على هشام بن عبد الملك - قدمته المدينة - فقال للأبرش الكلبى: كان عندى البارحة قواعد قومى، فما كان فیهنّ أخفر و لا أحیا من فاطمة بنت الحسین، و أمها أم إسحاق بنت طلحة، و كانت قبله عند الحسن بن علی، فولدت له طلحة.

فلما حضرت حسنا الوفاة قال لأخيه حسین: یا أخی، لا تخرجن أم إسحاق من دوركم، فخلف علی أم إسحاق الحسین بن علی بن أبى طالب.

مواقف عطرة من سيرة فاطمة بنت الحسین

و عاشت فاطمة بنت الحسین حتّى زوّجت ابنتها رقیة من هشام بن عبد الملك،

(١). تاریخ الطبری ٥: ٤٦٤، و انظر: الكامل فى التاريخ ٣: ٢٩٩، و إعلام الوری ١: ٤٧٤.

(٢). أعلام النساء لابن عساکر: ٢٧٦ برقم ٢٠٢ ترجمة فاطمة بنت الحسین علیه السلام. و انظر: تاریخ أبى مخنف ١: ٥٠٠، و الإرشاد ٢:

١٢٢، و فى سمط النجوم العوالى ٣: ١٨٣ تعليق بعد أن یدکر الخبر.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣١١

و دخلت هى و سكينه عليه، فقال هشام لفاطمة: صفى لنا يا بنت حسين ولدك من ابن عمك، و صفى لنا ولدك من ابن عمنا. فبدأت بولد الحسن، فقالت: أما عبد الله فسيدنا و شريفنا، و المطاع فينا. و أما الحسن فلساننا و مدرهنا «١»، و أما إبراهيم فأشبهه الناس برسول الله صلى الله عليه و آله شمائل و تقلعا و لونا، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله إذا مشى تقلع، فلا تكاد عقباه تقعان بالأرض «٢».

و أميا اللذان من ابن عمكم، فإن محمدا جمالنا الذى نباهى به، و القاسم عارضتنا التى تتمتع بها، و أشبهه الناس بأبى العاص بن أمية عارضة و نفسا!

فقال: و الله لقد أحسنت صفاتهم يا ابنة حسين، ثم وثب، فجدت سكينه بنت الحسين بردائه، و قالت: و الله يا أحول، لقد أصبحت تتهكم بنا، أما و الله ما أبرزنا لك إلّا يوم الطف.

قال: أنت امرأة كثيرة الشر «٣».

و أعطت فاطمة بنت حسين ولدها من حسن بن حسن من حسن، و أعطت ولدها من عبد الله بن عمرو مورثها من عبد الله بن عمرو، فوجد ولدها من حسن بن حسن فى أنفسهم من ذلك؛ لأن ما ورثت من عبد الله بن عمرو أكثر، فقالت لهم: يا بنى، إنى كرهت أن يرى أحدكم شيئا من مال أبيه بيد أخيه فيجد فى نفسه، فلذلك فعلت ذلك «٤».

(١). دره عن القوم: إذا تكلم عنهم و دافع.

(٢). رويت الأخبار التى تروى صفه مشى رسول الله صلى الله عليه و آله و أنه كان يتقلع فى مشيه، أى: كأنه ينحدر، يريد قوة مشيه، و أنه صلى الله عليه و آله كان يرفع رجليه من الأرض إذا مشى رفعا بائنا بقوة، لا- كمن يمشى اختيالا و تنعما كما عليه النساء. انظر: روايات مشيه صلى الله عليه و آله فى سنن أبى داود ١: ٣٦ حديث ١٤٣، و مسند أحمد ٤: ٣٣ و ٢١١، و دلائل النبوة للبيهقى ١: ٢٥٢.

(٣). أعلام النساء لابن عساكر: ٢٧٨.

(٤). المصدر السابق: ٢٧٩.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣١٢

و يحدث محمد بن عبد الله بن عمرو يقول: جمعنا أمنا فاطمة بنت الحسين فقالت: يا بنى ... إنه و الله ما نال أحد من أهل السفة بسفههم، و لا أدركوا ما أدركوه من لذاتهم، إلّا و قد أدركه أهل المروءات بمروءاتهم، فاستروا بستر الله «١».

و لمّا جاءه نصيبها من الخمس، و قد نالت خمسين ديناراً، فدعت يحيى بن أبى يعلى و قالت له: اكتب، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من فاطمة بنت الحسين .. سلام عليك، فإننى أحمد إليك الله الذى لا إله إلّا هو. أما بعد .. فأصلح الله أمير المؤمنين و أعانه على ما ولّاه، و عصم له دينه، فإن أمير المؤمنين كتب إلى أبى بكر بن حزم أن يقسم فىنا مالا من الكتيبة، و يتحرى بذلك ما كان يصنع من قبله من الأئمة الراشدين المهديين، فقد بلغنا ذلك و قسم فىنا، فوصل الله أمير المؤمنين، و جزاه من وال من خير ما جزى أحدا من الولاة، فقد كانت أصابتنا جفوة و احتجنا إلى أن يعمل فىنا بالحق، فأقسم لك بالله يا أمير المؤمنين، لقد اختدم من رسول الله صلى الله عليه و آله من كان لا خادم له، و اكتسى من كان عاريا، و استنفق من كان لا يجد ما يستنفق.

و بعثت إليه رسولا. قال: فأخبرنى الرسول قال: فقدمت عليه، فقرأ كتابها، و إنه ليحمد الله و يشكره، و أمر لى بعشرة دنانير، و بعث إلى فاطمة بخمسمائة دينار، و قال:

استعنى بها على ما يعروك، و كتب إليها يذكر فضلها، و فضل أهل بيتها، و يذكر ما أوجب الله لهم من الحق. قال: فقدمت عليها بذلك المال «٢».

وفاء فاطمة بنت الحسين

عاشت فاطمة بنت الحسين، و عمرت حتى ماتت، و قد قاربت التسعين سنة،

(١). تاريخ بغداد ٥: ٣٨٦، أعلام النساء لابن عساكر: ٢٧٩.

(٢). أعلام النساء: ٢٧٩.

أهل البيت في مصر، ص: ٣١٣

و اختلف في سنة وفاتها، فقيل: سنة عشر و مائة، و قيل: و أربع عشرة، و قيل: سنة سبع عشرة، و قيل: سنة ثمانى عشرة «١». و رجح كثيرون أنها توفيت في سنة عشر و مائة «٢»، و كان ذلك في خلافة هشام بن عبد الملك. فرحمها الله رحمة واسعة. و ذكرت فاطمة بنت الحسين عند عمر بن عبد العزيز، و كان لها معظما، فقيل: إنها لا تعرف الشر. فقال عمر: عدم معرفتها الشر جنبها الشر.

فرضى الله عن فاطمة بنت الحسين في عداد بنات حول الرسول صلى الله عليه و آله.

(١). راجع أعلام النساء لابن عساكر: ٢٨٠.

(٢). نور الأبصار: ٣٨٥.

أهل البيت في مصر، ص: ٣١٥

السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليها و على أبيها السلام «١»

إشارة

حنفى المحلاوى

من هي

إنها السيدة فاطمة النبوية ابنة الإمام الحسين ابن الإمام على كرم الله وجهه، و هى لذلك أخت السيدة سكينه من أبيها الإمام الحسين رضى الله عنهما، و أمها- كما أجمعت على ذلك معظم المصادر التاريخية الإسلامية- هى أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله القرشى، أحد العشرة المبشرين بالجنة.

ولدت السيدة فاطمة النبوية فى عام ٤٥ هـ، و ذلك قبل مولد أختها السيدة سكينه بنحو سنتين، و قد نشأت و ترعرعت فى حجر والدها الإمام الحسين رضى الله عنه، و ورثت عنه التقوى و الصلاح.

و لما بلغت السيدة فاطمة مبلغ النساء، و اشتهرت بين مثيلاتها من النساء بالزهد و العفاف، و الجمال و الكمال، حضر إلى والدها الإمام الحسين ابن عمها الحسن بن الإمام الحسن السبط- و كلمة «سبط» هنا تعنى الأمة، و قيل: ولد البنت، و الحفيد،

(١). مقتبس عن كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».

أهل البيت في مصر، ص: ٣١٦

ولد الولد، و الجمع: حفدة- و ذلك لخطبة إحدى بنات عمه: فاطمة أو سكينه. فأدخله عمه بيته و خيره بينهما، فاستحيا أن يختار إحداهما دون الأخرى، فأخبره عمه بأن سكينه مستغرقة فى صوم النهار و تقوم الليل؛ و لذلك فهى لا تصلح له حاليا زوجة، و قد اخترت لك فاطمة؛ لأنها تكبر سكينه، كما أنها كثيرة الشبه بجدها فاطمة الزهراء، و بالتالى فقد زوجها إياه، ثم رزق منها بابنهما عبد الله و لقب بالمحض، أى:

الخالص، ثم رزق منها بولدين آخرين، هما: إبراهيم القمر، و الحسن المثلث «١».

على أن أهم الأحداث السياسية التى عاصرتها هذه السيدة الطاهرة فاطمة النبوية كانت معركة كربلاء، عند ما قتل والدها الإمام الحسين رضى الله عنه، و بعد المعركة سبقت السيدة فاطمة النبوية مع الأسرى و السبايا إلى دمشق حيث مقر الخليفة يزيد بن معاوية، ثم أعيدت مع نساء آل البيت إلى المدينة المنورة مع عمته السيدة زينب و أختها السيدة سكينه بالمدينة، حيث لازمت صيام النهار و قيام الليل، و العطف على الفقراء و المساكين، حتى توفيت فى عام ١١٠ هـ؛ و بالتالى دفن جسدها الطاهر بالبقيع «جبانة» مدينة جددها المصطفى صلى الله عليه و آله.

صفاتها و أخلاقها

و من أهم ما اتصفت به السيدة الطاهرة فاطمة النبوية صاحبة المقبرة أو الضريح بمدينة القاهرة ... أنها كانت تشبه جدتها لأنها فاطمة الزهراء صغرى بنات الرسول صلى الله عليه و آله و زوجته الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه، كذلك كانت السيدة فاطمة النبوية ابنة الإمام الحسين رضى الله عنه إحدى بنات هذا الإمام الشهيد التى حضرت مع والدها معركة كربلاء، و هى الفتاة الوضيئة التى كان سيطلع فيها أحد جلساء يزيد بن معاوية حين عرض عليه رأس أبيها الإمام الحسين بدمشق فى الشام.

(١). نقلا عن كتاب «فى البيت النبوى الكريم» للشيخ محمد عثمان، سلسلة كتب إسلامية ط. القاهرة.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣١٧

و ممّا يحكى عن وفاء و إحسان السيدة فاطمة النبوية: أنه بعد مقتل أبيها، و إرسال الرأس إلى يزيد .. و بعد قرار الخليفة إرسال السيدات إلى المدينة بحراسة رجل أمين من أهل الشام، و لما وصلن إلى هناك بسلام، أشارت السيدة فاطمة على أختها السيدة سكينه بأنه ما دام هذا الحارس الأمين قد أحسن إليهنّ، فلا بدّ من أن نمنحه شيئا .. فقالت السيدة سكينه: ما معى إلّا سواران، فأخذتهما السيدة فاطمة و قدّمتهما إلى هذا الحارس، فردّهما بأدب شديد و تواضع، و قال: لو كان ما صنعته رغبة فى الدنيا ما كنت اكتفى بهذا .. و الله ما فعلته إلّا لله، و لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه و آله، فشكرن له هذا الجميل، و دعون له بالخيرات «١».

و قد ظلّت حتى أخريات أيامها تعيش مع الله .. فى عبادته دائمة، كانت تصوم النهار و تقوم الليل .. كما كانت كثيرا ما تعطف من مالها الخاص على المساكين ممّن كانوا حولها «٢».

زهدا و قربها من الله

السيدة زينب عمّتها، و التى تولّت تربيتها من بعد رحيل والدها الإمام الحسين رضى الله عنه .. هذه السيدة الطاهرة التى عاشت كلّ أيامها تتقرب إلى الله بالنوافل ..

سواء و هى تعيش فى المدينة أو حين مقدمها إلى مصر .. و قد تركت آثار زهدا و قربها من الله داخل نفس كلّ من السيدة فاطمة النبوية و أختها السيدة سكينه، حيث تولّت تربيتها بعد رحيل والدها و أمهما أيضا.

وصف الضريح

فإنَّ ضريح- أو مقبرة- السيدة فاطمة النبوية و الذى ينسب إليها بالقاهرة الآن

(١). البداية و النهاية لابن كثير ٨: ١٩٧، الدرر المنتور فى طبقات ربّات الخدور: ٣٦١.

(٢). انظر نور الأبصار: ٣٨٣ فصل فى مناقبها.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣١٨

عليه خلاف ... ففى الوقت الذى أشار فيه بعض المؤرّخين إلى أنّها دفنت بالبقيع بالمدينة .. أشار عدد آخر لا بأس به إلى أنّ جسدها الطاهر هو المدفون فى مقبرتها الموجودة بالضريح الملحق حاليا بمسجدها الموجود بالدرب الأحمر.

وقد استند أصحاب هذا الرأى إلى أنّ السيدة فاطمة النبوية قد قدمت إلى مصر مع عمّتها السيدة زينب و أختها السيدة سكينه، من بعد إبعادهما من المدينة من قبل يزيد بن معاوية، و لذلك فقد ظلّت تعيش بمصر حتّى توفّيت فى عام ١١٠ هـ، و دفنت فى المكان الموجود به الضريح الآن.

و من أشهر المؤرّخين الذين ذكروا ذلك: العلامه الأجهورى فى كتابه «مشارك الأنوار» حيث قال: إنّ السيدة فاطمة ابنة الإمام الحسين رضى الله عنه مدفونه خلف الدرب الأحمر، بزقاق يعرف باسم فاطمة النبوية، فى مسجدها الجليل، و مقامها العظيم .. و عليه من المهابة و الجلالة و الوقار ما يسرّ قلوب الناظرين .. أمّا ما اشتهر من أنّ السيدة فاطمة النبوية مدفونه بدرب سعادة فهو غير صحيح.

و أضاف الأجهورى تعليقا على هذا القول: و على تقرير صحّة ذلك يحتمل أن يكون معبدها، و يحتمل أن تكون فاطمة النبوية أخرى من بيت النبوة. ثم أكد ذلك أيضا الشيخ الصبان .. و قال: إنّ ضريحها موجود بمصر، و فى الموضع الموجود به حاليا «١». و بعد فترة زمنية غير معروفة ألحق بالضريح مسجد، و هو المسجد المعروف الآن باسم مسجد النبوية الموجود بالدرب الأحمر. و قد أنشئ فى عام ٢٦٦ هـ، بالجهة القبليه من ذلك الضريح، و فى العام نفسه ركب على الضريح مقصورة نحاسية فى غاية الروعة. و فى عام ١٩٣٠ م ... تمّ تجديد محراب المسجد، و كسى بطبقه من القيشانى على أشكال زخرفية بديعة.

(١). إسعاف الراغبين: ٢٠٢.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣١٩

٦- السيدة رقية بنت الإمام على عليها و على أبيها السلام

إشارة

بقلم د. حمزة النشترى حنفى المحلاوى

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٢١

السيدة رقية بنت الإمام على عليها و على أبيها السلام «١»

إشارة

حمزة النشرتي

من هي

يقول بعض الرواة: إنّ السيدة رقية التي يقع مشهدها بين مشهدي السيدتين نفيسة و سكينه هي بنت الإمام على كرم الله وجهه، وإنّ أمها هي أم حبيب الصهباء التغلبية، كانت أم ولد، تزوّجها على رضى الله عنه، فولدت له رقية و عمر الأكبر «٢»، قيل: كانا توأمين، و عاش عمر خمسا و ثمانين سنة «٣».

و قال الليث بن سعد: إنّ رقية هذه بنت على من فاطمة الزهراء رضى الله عنها «٤». أهل البيت فى مصر ٣٢١ من هي ص : ٣٢١ بعضهم يقول: إنّها بنت الإمام على الرضا، و هناك على باب ضريحها يوجد بيت من الشعر يشير إلى ذلك، هو: بقعة شرقت بآل النبي و بنت الرضا على رقية «٥»

(١). مقتبس من كتاب «سيرة آل بيت النبي صلى الله عليه و آله» المجلد الثالث، ط. القاهرة.

(٢). مروج الذهب ٢: ٩٢، نور الأبصار: ٣٦٣، أعيان الشيعة ٧: ٣٤.

(٣). الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٨٨، نور الأبصار: ٣٦٣.

(٤). حكاة الشبلنجى فى نور الأبصار: ٣٦٣ عن الليث و الدار قطنى.

(٥). ذكر البيت الشبلنجى فى كتابه: ٣٦٣، لكنّه ينسبها إلى الإمام على عليه السلام، نقلا عن الشعرانى فى الباب-

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٢٢

و ربّما كان هذا أقرب إلى الصواب.

و لنقرأ معا هذا التقرير الذى كتبه الأستاذ أحمد أبو كف فى كتابه القيم «آل بيت النبي فى مصر» عن هذا الموضوع ... و هو يسمّى هذه المنطقة التى يوجد بها المشهد المذكور ببيع مصر الصغير. و سمى هذه المنطقة بهذا الاسم؛ نظرا لوجود عدّة أضرحة منسوبة لأهل البيت فيها.

و هو يقول عن ضريح السيدة رقية: إنّ على مبارك فى خطه التوفيقية أشار إلى أنّ هناك تكية معروفة بتكية السيدة رقية، و هى غاية فى الخفة و النورانية، و بداخلها ضريح السيدة رقية، و يعلوه قبة لطيفة، و بقربه عدّة أضرحة.

ثم يتحدّث بعد ذلك عمّا قرأه فى المصادر المختلفة حول السيدة رقية و وجودها فى مصر، فيقول: يذكر الحافظ السلفى وفاة سيدنا على بن أبى طالب، و عدّ له من الأولاد ثلاثين ولدا، و عدّ رقية منهم، و قال: رقية هذه من الصهباء «١».

و يؤيد ذلك ما جاء فى كتاب الرياض النضرة فى مناقب العشرة الذى ذكر أنّ السيدة رقية من بنات سيدنا على رضى الله عنه «٢».

و فى الباب العاشر من من الشعرانى، يقول حول وجود السيدة رقية بمصر:

و أخبرنى سيدى على الخواص: أنّ رقية بنت الإمام على كرم الله وجهه، فى المشهد القريب من جامع دار الخليفة، و معها جماعة من أهل البيت، و هو معروف بجامع شجرة الدر، و هذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة، المكان الذى فيه السيدة رقية عن يمينه، و قيل: إنّ للسيدة رقية ضريحا بدمشق «٣».

العاشر من مننه قال: أخبرنى يعنى الخواص: أنّ رقية بنت الإمام على كرم الله وجهه ... الخ غير أنّ المصنّف سيأتى على ذكر هذا الرأى قريبا.

(١). الصهباء أم حبيب بنت عباد بن ربيعة بن يحيى بن العبد من سبى اليمامة أو سبى عين التمر، اشتراها أمير المؤمنين عليه السلام

فأولدها عمر الأطراف و رقية عليها السلام.

(٢). الرياض النضرة ٢: ٢١١.

(٣). حكاية الشبلنجي في نور الأبصار: ٣٦٣.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٢٣

أما ابن عين الفضلاء صاحب كتاب «مصباح الدياتي» فيقول: قال عبيد الله بن سعيد: بعث لي الحافظ عبد المجيد في الليل، فجننت مع الذي دعاني له، فقلت: ما تريد؟ فقال: رأيت مناما، فقلت: ما هو؟ قال: رأيت امرأة متلففة، فقلت: من أنت؟ قالت: بنت علي - رقية - فجاءوا بنا إلى هذا الموضوع، فلم نجد به قبرا. فأمر ببناء هذا المشهد، فبنى. و هو مكان معروف بالدعاء. و ربما يقصد صاحب «مصباح الدياتي» هنا أن أول من بنى مشهدا على قبر السيدة رقية، هو الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله عام ٥٢٤هـ - ٥٤٤هـ.

و يؤيد ذلك النص في كتاب ابن محمود السخاوي «تحفة الأجاب و بغية الطلاب في الخطط و المزارات و البقاع المباركات» حيث يقول: «و بنى هذا المشهد تميم، المكتى بأبي تراب الحافظي» (١) أقول: كان في آخر مدة الفواطم. و الحافظ المنسوب إليه تميم المذكور، كانت وفاته بعد الأربعين و الخمسمائة، و قد بنى هذا المحل سنة ثلاث و سبعين و مائة و ألف الأمير عبد الرحمن كتخدا، و هو مشهد مقصود بالزيارة، له مولد كل سنة. و يقول الشيخ الأجهوري حول مجيء السيدة رقية إلى مصر: إن السيدة رقية لما جاءت من المدينة، اعترضها شخص من خصوم أبيها و أراد قتلها، فوقفت يده في الهواء و سقط ميتا (٢).

و لكن هذا يخالف ما ذكره صاحب كتاب «العدل الشاهد في تحقيق المشاهد» نقلا عن كتاب الشيخ محمد الصبان «إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى و أهل بيته الطاهرين» حيث يقول: و أما السيدة رقية رضي الله عنها فإنها ماتت قبل البلوغ، و محلها بعد السيدة سكينه بشيء يسير. و واضح في المصادر إذا الاختلاف على السيدة رقية.

(١). تحفة الأجاب: ٢٤٦.

(٢). نقل عنه هذه الكرامة الشبلنجي في نور الأبصار: ٣٦٤.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٢٤

مصادر تقول: إن أمها هي السيدة فاطمة الزهراء، و أخرى ترى أنها ليست أمها، و إنما أمها أم حبيب الصهباء التغلبية، من سبي الردة. و البعض الثالث يرى أن هناك رقية صغرى، و رقية كبرى، و أن رقية التي في مصر هي بنت أسماء بنت عميس الخثعمية. و هناك من المصادر من يقول: إن السيدة رقية ماتت دون البلوغ. و هناك من يرى رأيا آخر يقول: إن للسيدة رقية ضريحا بدمشق الشام.

و جمهور المؤرخين و أصحاب السير يجمعون على أن للإمام علي رقية واحدة، من غير السيدة فاطمة الزهراء، و لكن يخالفهم في ذلك الليث بن سعد، الذي قال: إن السيدة رقية من السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله (١).

و كما يوجد الاختلاف على من هي رقية المدفونة في مصر، فهناك خلاف حول أمها، و خلاف حول موتها.

البعض يقول: إنها جاءت إلى مصر مع السيدة زينب بنت علي أختها بعد معركة كربلاء. و البعض لا يرى هذا الرأي.

و هناك رأى له بعض المنطق، يقول: إن السيدة رقية ليست بنت الإمام علي بن أبي طالب، و ليست السيدة فاطمة الزهراء أمها ... بمعنى أنها ليست أخت الحسن و الحسين رضي الله عنهما، بل يقولون: إن السيدة رقية المدفونة في مشهدها في شارع الخليفة هي

بنت الإمام على الرضا ابن الإمام الحسين بن علي «٢» .. ذكر ذلك في أحد الأبحاث للشيخ محمد زكي إبراهيم، وهو من العلماء الأفاضل ورئيس جماعة العشيرة المحمدية.

و تأسيساً على هذا الرأي فإن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق الراقدة في مشهدها القريب من السيدة رقية تعتبر عمّتها؛ لأن السيدة عائشة أخت الإمام موسى الكاظم المولود في عام ١٢٨ هـ. كما أن السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور تعتبر زوجة عم

(١). راجع نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: ٣٦٣ فصل في ذكر مناقب السيدة رقية.

(٢). لا يخفى أن الإمام على الرضا من أبناء الإمام أبي الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام، فهو على بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، فهو إذاً أحد أجداده الطاهرين، وليس أباه.

اهل البيت في مصر، ص: ٣٢٥

السيدة رقية. وهو إسحاق المؤتمن.

و تأسيساً على التأسيس - كما يقول المناطقة - فإنه ربما يكون هناك خلط جرى بين تاريخ و حياة السيدة عائشة، و بين تاريخ و حياة السيدة رقية ... أقول: ربما يكون هناك خلط بين الاثنين، فهناك تشابه غريب في وفاتهما.

فالمؤرخون يرون أن السيدة عائشة ماتت دون البلوغ، تماماً مثلما يقولون عن السيدة رقية. وهذا ما تركه للعلماء و الباحثين في تاريخ آل البيت في مصر و في غير مصر ليقولوا رأيهم، و إن كنا نحن نميل إلى الرأي القائل بأن السيدة رقية هي بنت الإمام على الرضا ابن موسى الكاظم، و هي ليست بالقطع بنت الإمام على بن أبي طالب و السيدة فاطمة الزهراء.

على أن ذلك ينقلنا إلى قضية أخرى، بمعنى أن السيدة رقية إذا ثبت أنها بنت الإمام على، فهي من مواليد الربع الأول من القرن الأول الهجري، و إذا ثبت أنها بنت الإمام على الرضا فتكون من مواليد النصف الأول من القرن الثاني الهجري، و بالطبع شتان ما بين التاريخين من سنوات و أحداث بالنسبة لآل البيت.

لكن - و بلا شك - فسواء كانت السيدة رقية تنتمي للقرن الأول الهجري، أو القرن الثاني الهجري، فهي بالتأكيد أيضاً تنتمي لآل البيت، و هي درّة من درره النفيسة.

و على أية حال، فالثابت أن السيدة رقية تنتمي لآل البيت، و أنها تنتمي إلى السيدة فاطمة الزهراء، و أن الزهراء رضی الله عنها جدّتها، و ليست أمّها.

و يقوّى من رأينا و يدعمه ما قالته الدكتورة سعاد ماهر عميدة كليّة الآثار، و أستاذة العمارة الإسلامية فيها، و هي مهتمة بتاريخ آل البيت في مصر، تقول:

فمشهد السيدة رقية يعتبر من المشاهد الفاطمية البارزة و الباقية في مصر حتّى الآن، بجانب مشهدين فاطميين آخرين، هما مشهد السبع بنات في مصر القديمة الفسطاط و الذي شيّد عام ٤٠٠ هـ، و المشاهد الفاطمية في جبانة أسوان، و التي يرجع تاريخ معظمها إلى القرن الخامس الهجري.

اهل البيت في مصر، ص: ٣٢٦

و بالإضافة إلى ذلك، فإن مشهد السيدة رقية يشبه أحلى و أرق الآثار الفاطمية في حى النحاسين بالأزهر، و أقصد الجامع الأقمر، خاصيةً و اجتهته الغربية، و الجامع الأقمر بنى في عصر الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله عام ٥١٩ هـ. إنه يشبه تماماً في واجهته الغربية مشهد السيدة رقية، و هذه الواجهة الغربية تعتبر من أجمل واجهات المساجد في مصر، للنقوش و الكتابات المزهرة عليها، و كلّها منحوتة في الحجر، بالإضافة إلى تلك العقود و الحنيات المجوّفة و المقرنصات التي تتوسطها دوائر، كتب عليها: محمد و على ... كما توجد دائرة كبيرة فوق الباب كتب عليها: بسم الله الرحمن الرحيم إنّما يريد الله ليذبح عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم

تَطْهِيراً [الأحزاب: ٣٣].

والذى نريد أن نقوله: إنَّ أغلب ما فى واجهة الأقرم، يوجد مثله فى مشهد السيدة رقية و فى محاريبه الثلاثة، حتّى إنَّ الناظر إليهما، و المقارن بينهما، يظنُّ أنَّ الجامع الأقرم، و مشهد السيدة رقية عملا فى وقت واحد... و لكنَّ الثابت أنَّ الذى بنى مشهد السيدة رقية هو الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله، ثامن الخلفاء الفاطميين، بينما الجامع الأقرم أنشئ فى عهد الخليفة الفاطمى الأمر بأحكام الله. و ممَّا يثبت أنَّ السيدة رقية من آل البيت، و أنَّ جدَّتها السيدة فاطمة الزهراء، ما قيل من أنَّ الفاطميين بالذات كانوا من الحرص بحيث لا- يبنون مشهدا على قبر، إلّا بعد تأكدهم من أنَّ صاحبه أو صاحبتة من آل البيت، و من سلالة فاطمة الزهراء و على بن أبى طالب بالذات.

و نحن لو عرفنا أنَّ فى مصر يزيد عدد المشهور من الأضرحة و المشاهد على الألف، فإنَّ اهتمام الفاطميين ببعض هذه الأضرحة و المشاهد- و منه مشهد السيدة رقية- دليل دامغ على أنَّها فى مصر. و إذا كان بناء القبّة فى مصر قد تطوّر- من خلال العمارة الإسلامية- و صار لها وظيفة مهمّة هى تغطية المساحات المربّعة- و فضلا عن الإشارة إلى أهميّة هذا الجزء- فإنَّ قبّة السيدة رقية قد بنيت لتقول: هنا ترقد السيدة الشريفة رقية رضى الله عنها.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٢٧

المشاهد التى بجوارها

هذا بالنسبة للسيدة رقية، الراقدة فى مشهدها- أو ضريحها- فى شارع الخليفة، و ليس هناك اختلاف بين المشهد و الضريح، و إنّما الشيعة يطلقون على القبّة اسم «المشهد»، و أهل السنّة يطلقون عليه «الضريح»، بمعنى أنَّ المشهد و الضريح اسمان لمسمّى واحد. و لكن ما ذا عن الأضرحة أو المشاهد الموجودة فى رحاب السيدة رقية أو فى تكيّة السيدة رقية، كما يسمّيها على باشا مبارك، فى إطار بقية مصر الصغير؟!

* مشهد السيد محمد المرتضى

أول هذه المشاهد إلى يمين الداخل لمشهد السيدة رقية، هو قبر السيد محمد الشهير بمرتضى، و قبر زوجته السيدة زبيدة... يقابل ذلك على يسار الداخل قبر يحمل اسم السيدة أسماء، و على بعد عدّة أمتار قبتان أثريتان من نفس طراز قبّة السيدة رقية لضريحين: أحدهما للسيدة عاتكة، و الآخر للسيد على الجعفرى... و لتحدّث عن هذه الأسماء التى ذكرناها:

* مشهد أسماء

و نبدأ بالسيدة أسماء، فالذين يرجحون أنَّ السيدة رقية هى بنت الإمام على بن أبى طالب، يرون أنَّها أسماء بنت عميس الخثعمية، زوجة الإمام على، و بذلك يقولون: إنَّ القبر هو قبر والدة السيدة رقية: السيدة أسماء، أمّا هؤلاء الذين يرون أنَّ السيدة رقية من بنات على الرضا، فيقولون عن أسماء: إنّها كانت خادمة السيدة رقية و دفنت بجوارها. و نحن نميل إلى الرأى الذى يقول: إنَّ قبر السيدة أسماء هو قبر لخادمة السيدة رقية.

* مشهد السيدة زبيدة

و نثى بقبر السيدة زبيدة، و السيد محمد الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٢٨

و المعلومات عنهما وفيرة. وجدنا بعضها فى الجبرتى، و بعضها فى بقيق على مبارك.

و السيد محمد الشهير بمرتضى الحسينى الزبيدى، كما يصفه الجبرتى هو: «الفقيه المحدث، اللغوى النحوى، الأصولى، الناظم الناثر، أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق، الشهير بمرتضى الحسينى الحنفى ... جاء إلى مصر فى تاسع صفر سنة سبع و ستين و مائة و ألف ... درس فى مصر حتى راج أمره و ترونق حاله، و اشتهر ذكره عند الخاصّ و العام» (١).

و الواقع أنّ الشيخ عبد الرحمن الجبرتى قد أفاض فى سيرة الشيخ مرتضى الحسينى، و أفرد له كثيرا من السطور و الصفحات (٢)، كما أنّ هذه الشخصية فرضت نفسها على الكتاب و الأمراء و ذوى السلطان فى عصرها، و هو القرن الثانى عشر الهجرى، و كما كان هذا الشيخ مشهورا فى مصر، كان أيضا من المشهورين فى المغرب .. يقول الجبرتى: و له عند المغاربة شهرة عظيمة و منزلة كبيرة (٣). هذا بالرغم من أنّ أصله من زبيدة اليمن.

أمّا عن زوجته السيدة زبيدة- فقد ذكر أنّها ماتت فى سنة ستّ و تسعين و مائة و ألف- فحزن عليها حزنا كبيرا، و دفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقيّة، و عمل على قبرها مقاما و مقصورة، و ستورا و فرشاً و قناديل، و لازم قبرها أياما كثيرة، و كان يجتمع عنده الناس و الفقراء و المنشدون، و يعمل لهم الأعممة و الثريد و القهوة (٤).

و يقول على باشا مبارك: إنّ السيد محمد الشهير بمرتضى، اشترى مكانا بجوار مقبرة زوجته، و عمّره بيتا صغيرا، و فرشاه، و أسكن فيه أمّها- أى أمّ زوجته- و كان يبيت به أحيانا. كما كان يقصده الشعراء بالمرأى، فيقبل منهم ذلك و يجيزهم عليه،

(١). تاريخ عجائب الآثار ٢: ١٠٣ و ١٠٤.

(٢). من ص ١٠٣ إلى ص ١١٤ من المجلد الثانى من تاريخه.

(٣). المصدر السابق: ١٠٤.

(٤). المصدر نفسه: ١٠٩.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٢٩

و لحبه الشديد لزوجته رثاها بجملة قصائد ذكرها الجبرتى.

و قد مات السيد مرتضى بالطاعون، و دفن فى القبر الذى أعده لنفسه بجوار زوجته بمشهد السيدة رقيّة (١).

و قد عدّد على باشا مبارك مؤلّفات الشيخ مرتضى، فذكر منها الكثير، فبجانب شرح القاموس، و شرح الإحياء له كتب أخرى منها: كتاب الجواهر المنيفة فى أصول أدلّه مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه، و له أيضا: كتاب العقد الثمين فى طريق الإلباس و التلقين، و حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق، و إعلام الأعلام بمناسك حجّ بيت الله الحرام، و رشف سلاف الرحيق فى نسب حضرة الصديق، و القول المثبوت فى تحقيق لفظ التابوت، و منح الفيوضات الوفيه فيما فى سورة الرحمن و من أسرار الصفة الإلهية، و ترويح القلوب بذكر ملوك بنى أيوب، و كثير من الكتب و المؤلّفات ذكرها الشيخ الجبرتى (٢)، و لا نستطيع حصرها فى هذه السطور.

مشهد عاتكة و الجعفرى

و أخيرا نأتى إلى مشهدين: للسيدة عاتكة، و للسيد على الجعفرى. فبالنسبة للسيدة عاتكة فالعامّة يقولون: إنّها السيدة عاتكة عمّة الرسول صلّى الله عليه و آله. و لكنّ الحقيقة أنّ القبر و القتيّة هما للسيدة عاتكة بنت شرحبيل، زوجة محمد بن أبى بكر، كان من المتشيعين لعلى كرم الله وجهه، و له موقف ضدّ الأمويين.

وقد ولد محمد بن أبي بكر في سنة حجة الوداع. و لموقف محمد بن أبي بكر من الأمويين، و وقوفه ضدّهم بعد التحكيم معروف، و بعد قتل الإمام على رحل إلى مصر، خاصّة و أنّ مصر كانت تلعب دورا خطيرا في سياسة دولة الإسلام منذ أن دخلت الإسلام. و ثابت أنّ السيدة عاتكة كانت مع زوجها محمد بن أبي بكر في مصر، و أنّها دفنت فيها،

(١). المصدر: ١١٣.

(٢). المصدر المتقدم: ١١١.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٣٠

لكنّ تاريخها لا يزال يحتاج إلى إماطة اللثام عنه و عن زوجها محمد بن أبي بكر الصديق.

أمّا الضريح الثاني لسيدى على الجعفرى، فليس لصاحب الضريح ترجمة فيما تيسر من المصادر و إن كانت الصفة التي يحملها اسمه تدلّ على أنّه ينتسب للإمام جعفر الصادق، لكنّ وجود هذا الضريح قرب ضريح السيدة رقية يدعم الرأى الذى يرى أنّ السيدة رقية هي بنت الإمام على الرضا. و يجوز أن يكون سيدى على الجعفرى واحدا من أسرتها، بل ربّما كان شخصيه مهمه من أبناء جعفر الصادق، تحتاج من المؤرّخين لآل البيت إلى وقفه «١».

تعليق:

أمّا الدكتور سعاد ماهر فتذكر ما يأتى بالنسبة لمشهدى السيدة عاتكة و الجعفرى: مشهد الجعفرى هو مشهد محمد الجعفرى، لا على الجعفرى «٢»، و هو المعروف بمحمد الديباج ابن جعفر الصادق الذى سبق الحديث عنه. و أمّا مشهد عاتكة فتقول عنها: هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية، عاصرت الرسول صلّى الله عليه و آله و هاجرت إلى المدينة، و كانت شاعره حسناء، تزوّجها عبد الله بن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما، و قد شغلته بجمالها عن الجهاد، فأمره أبوه أن يطلقها، فطلقها و أنشد يقول:

يقولون طلقها وخيم مكانها مقيما تمنى النفس أحلام نائم

و إن فراق أهل بيت جمعتهم على كبر منى لإحدى العظام

أرانى و أهلى كالعجول تروحت إلى بؤها قبل العشار الروائم «٣»

(١). كتاب «آل بيت النبى في مصر» لأحمد أبو كف.

(٢). و لكّنه يوجد فى اللوحة على الباب: «هذا مقام سيدى على الجعفرى ابن جعفر الصادق» و ليس محمدا الجعفرى!

(٣). أسد الغابة ٧: ١٨٣. و العجول من النساء و الإبل: الوالدة التى فقدت ولدها، الثكلى لعجلتها فى ذهابها و إياها جزعا. و البؤ: ولد الناقة.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٣١

و دخل عليه أبوه يوما و هو ينشد:

أ عاتك قلبى كلّ يوم و ليلة إليك بما تخفى النفوس معلق

و لم أر مثلى طلق اليوم مثلها و لا مثلها فى غير جرم تطلق

لها خلق جزل و رأى و منصب و خلق سوى فى الحياء و مصدق فرّق له أبوه و أمره أن يراجعها، فراجعها و قال:

أ عاتك قد طلقت فى غير ريبه و روجعت للأمر الذى هو كائن

كذلك أمر الله غاد ورائح على الناس فيه ألفةً و تباين و أصيب عبد الله بن أبي بكر بسهم في حصار الطائف، استشهد منه بعد عودته إلى المدينة، و حزنت عليه عاتكة حزنا شديدا، ثم تزوجها عمر بن الخطاب رضى الله عنه و استشهد عنها، ثم تزوجها الزبير بن العوام فمات عنها في موقعة الجمل، ثم تزوجت محمد بن أبي بكر الذى تولّى إمرة مصر من قبل الخليفة على بن أبي طالب رضى الله عنه، فلما قتل بمصر رثته عاتكة بقولها:

إن تقتلوا و تمثّلوا بمحمد فما كان من أجل النساء و لا الخمر و خطبها على بن أبي طالب بعد مقتل محمد بن أبي بكر، فقالت: إني أضنّ بك يا ابن عم رسول الله صلّى الله عليه و آله على القتل.

لقد علمت أنّ كلّ من يتزوجها يقتل، حتّى أصبح المسلمون يتندرون قائلين: من أحبّ الشهادة فليتزوّج عاتكة! و قيل: إنّ الحسن بن على تزوّجها، جاء ذلك في كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر، و لم يذكر أنّ محمد بن أبي بكر تزوّجها، و جاء في كتاب «الأغانى» أنّ آخر أزواجها الحسين بن على رضى الله عنهما «١».

(١). راجع مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ٢: ١١٧-١١٨.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٣٣

السيدة رقية من آل بيت النبوة «١»

إشارة

حنفى المحلاوى

من هي

مما لاحظناه- و نحن في سبيل البحث عن معلومات موثقة عن هذه السيدة الطاهرة السيدة رقية رضى الله عنها ... بمناسبة الحديث عن ضريحها- وجود خلاف واضح و كبير بين عدد من المؤرخين في من تكون هذه السيدة صاحبة الضريح!؟

و قد انقسم المؤرخون حيال ذلك إلى فريقين ... فريق يرى: أنّ الضريح الموجود بالقاهرة هو للسيدة رقية بنت رسولنا الكريم صلّى الله عليه و آله، و فريق ثان يرى أنّه للسيدة رقية ابنة الإمام على رضى الله عنه.

كما لاحظنا في الوقت نفسه وجود خلاف كبير بين طائفة ثالثة من المؤرخين حول الضريح نفسه .. فمنهم من قال: إنّ به جثمان السيدة الطاهرة رقية ... و منهم من قال: إنّ السيدة رقية- سواء ابنة الرسول صلّى الله عليه و آله أو ابنة الإمام على- قد دفنت بأرض البقيع بالمدينة المنورة ...

و على ذلك فإنّ الضريح الموجود حاليا باسمها هو ضريح قد أقيم ضمن أضرحة الرؤيا.

(١). مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».

أهل البيت في مصر، ص: ٣٣٤

و من أجل حسم هذا الخلاف وجدنا من الضروري التعريف بكلّ من السيدة رقية ابنة الرسول صلّى الله عليه و آله و السيدة رقية ابنة الإمام على رضى الله عنه.

أمّا بخصوص حديث التعريف بالسيدة رقية ابنة رسولنا الكريم صلّى الله عليه و آله فتقول عنها كتب التاريخ: إنّها إحدى بنات الرسول

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ زَوْجَتِهِ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ، وَهِيَ تَصْغُرُ أختها السَّيِّدَةُ زَيْنَبُ بَثَلَاثَ سَنَوَاتٍ ... زَوْجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، وَأَقَامَتْ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ نَزَلَتْ آيَةُ الْكُرَيْمَةِ مِنْ سُورَةِ الْمَسَدِ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ لَوْلَدَهُ: يَهْجُونِي مُحَمَّدٌ وَابْنَتُهُ عِنْدَكَ؟! رَأْسِي مِنْ رَأْسِكَ حَرَامٌ إِنْ لَمْ تَفَارِقْ ابْنَهُ مُحَمَّدًا! فَفَارَقَهَا، فَتَزَوَّجَتْ مِنْ بَعْدِهِ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَهَاجَرَ بِهَا إِلَى الْحَبْشَةِ، وَكَانَتْ بَارِعَةً الْجَمَالَ!

وَوَلِدَتِ السَّيِّدَةَ رَقِيَّةَ لِعَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ: عَبْدُ اللهِ، وَبِهِ يَكْتَنِي، وَقَدْ عَاشَ هَذَا الْوَلَدُ سِتَّةَ أَعْوَامٍ، ثُمَّ مَاتَ بَعْدَهَا. وَلَمَّا عَادَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ بِزَوْجَتِهِ مِنَ الْحَبْشَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَرِحَتْ السَّيِّدَةُ رَقِيَّةُ بِلِقَاءِ أَبِيهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِلَّا أَنَّهَا حَزَنْتَ لَمَّا عَلِمَتْ أَنَّ أُمَّهَا السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ قَدْ تَوَفَّيَتْ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرٍ مِنْ مَبِيعَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَمْرُهُ خَمْسُونَ عَامًا.

وَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ ... لَحِقَتْ بِهِ ابْنَتُهُ السَّيِّدَةُ رَقِيَّةُ بِصَحْبَةِ زَوْجَتِهَا عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ. وَلَمَّا خَرَجَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَزْوَةِ بَدْرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ كَانَتْ السَّيِّدَةُ رَقِيَّةُ قَدْ مَرَضَتْ بِالْحَصْبَةِ؛ مِمَّا تَسَبَّبَ فِي تَخَلُّفِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ عَنِ الْخُرُوجِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ! وَظَلَّتْ عَلَى مَرَضِهَا حَتَّى أَوَائِلِ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ حَتَّى تَوَفَّيَتْ، وَنُقِلَ جِثْمَانُهَا الطَّاهِرُ إِلَى أَرْضِ الْبَقِيعِ لِتُدْفَنَ بِجِوَارِ الشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ «١».

وَجَاءَ فِي كِتَابِ الْبَسْتَانِ - كَمَا ذَكَرَتْ الدُّكْتُورَةُ سَعَادُ مَاهِرٌ - أَنَّ السَّيِّدَةَ رَقِيَّةَ مَاتَتْ

(١). رَاجِعْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ ٨: ٣٦-٣٧، نِسَاءٌ حَوْلَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ١٦٢، وَمَا بَعْدَهُ الْقِسْمُ السَّادِسُ: بَنَاتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إِعْلَامُ الْوَرَى بِإِعْلَامِ الْهُدَى لِلطَّبْرَسِيِّ: ١٥٣-١٥٤، وَفِيهِ: «فَطَلَّقَهَا عَتَبَةُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، وَلَحِقَهَا مِنْهُ أذى، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَى عَتَبَةَ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ، فَتَنَاوَلَهُ الْأَسَدُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ ..»، رِبْعُ الشَّيْخَةِ لِابْنِ طَاوُسٍ: ٩٨، أَعْيَانُ الشَّيْخَةِ ٧: ٣٤-٣٥.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٣٥

بَعْدَ مَا خَرَجَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى بَدْرٍ، وَلَمَّا عَادَ وَجَدَهَا قَدْ مَاتَتْ، فَتَزَوَّجَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ أختها أُمَّ كَلْثُومَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِحَدِيثِ الْمَعْرِفَةِ عَنِ السَّيِّدَةِ رَقِيَّةَ ابْنَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَمِمَّا ذَكَرَ عَنْهَا قَوْلُ الْمُؤَرِّخِينَ - عَلَى لِسَانِ الْحَافِظِ السَّلْفِيِّ - أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْجَبَ أَطْفَالَ، كَانَ مِنْ بَيْنِهِمُ السَّيِّدَةُ رَقِيَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ أَيْضًا الشَّيْخُ عَلَى الْخَوَاصِّ حَيْثُ قَالَ: إِنَّ رَقِيَّةَ بِنْتَ الْإِمَامِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ.

وَالْغَرِيبُ أَنَّنَا قَدْ عَثَرْنَا فِي هَذَا السِّيَاقِ عَلَى قَوْلِ ثَالِثٍ يَخْصُ سَيِّدَةَ أُخْرَى وَاسْمُهَا رَقِيَّةُ أَيْضًا ... وَهِيَ رَقِيَّةُ بِنْتُ الْإِمَامِ عَلِيِّ الرِّضَا بْنِ الْإِمَامِ مُوسَى الْكَوَظِمِ بْنِ الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ بْنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ بْنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَوَالِدُهَا بِنَاءٌ عَلَى ذَلِكَ هُوَ الْإِمَامُ عَلِيُّ الرِّضَا الَّذِي وُلِدَ بِالْمَدِينَةِ فِي عَامِ ١٤٨ هـ. ثُمَّ اخْتَارَهُ الْخَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ الْعَبَّاسِيُّ وَلِئِنَّا لَعَهْدُهُ عَامَ ٢٠١ هـ، ثُمَّ تَوَفَّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي آخِرِ صَفَرِ عَامِ ٢٠٣ هـ، وَدُفِنَ بِجِوَارِ قَبْرِ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ طَرطُوسَ بِالْعِرَاقِ «١».

صفاتهما و أخلاقهما

وَلَمَّا كَانَ هُنَاكَ خِلَافٌ كَبِيرٌ بَيْنَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي مَنْ تَكُونُ السَّيِّدَةُ رَقِيَّةُ صَاحِبَةً هَذِهِ الْمَقْبَرَةَ الْمَوْجُودَةَ فِي مِصْرٍ حَالِيًا ... فَقَدْ آثَرْنَا التَّوَقُّفَ عِنْدَ حُدُودِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ...

الخاصة بالصفات والأخلاق .. وَأَخْصَّ مَا نَقُولُهُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ: إِنَّ صَاحِبَةَ هَذَا الْمَقَامِ الشَّرِيفِ .. تَنْتَسِبُ إِلَى آلِ الْبَيْتِ، سِوَاكَ كَانَتْ هِيَ السَّيِّدَةُ رَقِيَّةُ ابْنَةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُمَّ كَانَتْ رَقِيَّةُ غَيْرَهَا ... ذَلِكَ وَوَقْفًا لِمَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ الدُّكْتُورَةُ سَعَادُ مَاهِرٌ بِقَوْلِهَا: إِنَّ

(١). هذا خطأ، و الصواب أن الإمام الرضا دفن في خراسان أو طوس بإيران. وقد أطلق على موقع مدفنه اسم مدينة مشهد. و هناك يوجد بجواره قبر هارون الرشيد ... و مدينة مشهد معروفة عند الجميع، يفتد إليها ملايين من الناس من كل العالم الإسلامي لزيارة ضريح الإمام الرضا عليه السلام.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٣٦

صاحبه هذا المشهد لا بدّ و أن تكون من آل البيت، و إلّا لما أقام الخليفة الحافظ القبة الفاطمية التي ترجع إلى سنة ٥٢٦ هـ عليها ... و أضافت الدكتورة سعاد قولها: لذلك فإنني أرحح أن تكون صاحبه هذا المقام هي السيدة الفاضلة رقية بنت الرسول صلى الله عليه و آله، و شقيقة السيدة فاطمة الزهراء التي تنتسب إليها الدولة الفاطمية.

لقد أكدت معظم كتب التاريخ التي تناولت المشاهد و الأضرحة ... أن ضريح السيدة رقية رضي الله عنها، و الموجود حاليا بشارع الخليفة، إنما هو من مشاهد الرؤيا، و التي لا يوجد بها جثمان صاحبه المقام، و قد استند هؤلاء الذين أشاروا إلى ذلك إلى رواية ذكرها أحد السلف الصالح و يدعى عبد الله بن سعيد .. و جاء فيما رواه:

أن الحافظ عبد المجيد طلبه في الليل، فلما جاءه أخبره بأنّه رأى مناما ... فقلت له:

ما هو؟ قال: رأيت امرأة ملثمة، فلما سألتها: من أنت؟ قالت: بنت الإمام علي ... رقية! لقد جاءوا بنا إلى هذه المواضع فلم نجد بها قبراً ... فأمر ببناء هذا المشهد، فبنى، و هو مكان معروف بالدعاء «١».

و قد أكدت هذا المعنى الدكتورة سعاد ماهر حين قالت: و على أيّ حال، فسواء أ كان هذا المشهد للسيدة رقية صاحبه السيرة العطرة، أم رقية غيرها من آل البيت، فهي من مشاهد الرؤيا كما أجمع على ذلك كل المؤرخين، مثل ابن الزيات و السخاوي .. و غيرهما «٢».

وصف الضريح

و يقع ضريح السيدة رقية في الربع الكبير الذي يفصل بينه و بين شارع الخليفة أو بينه و بين جامع شجرة الدرّ المقابل بابا من الحجارة، محفوراً في أعلاه بيت يقول:

(١). راجع عواصم مصر الإسلامية لحسن البرّاز ٦: ٢٤١ (كتاب الشعب).

(٢). انظر مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ١: ٢٨٧.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٣٧ بقعة شرقت بآل النبي و بنت الرضا علي رقية و عن ذلك الموقع يقول علي باشا مبارك: يقع مشهد السيدة رقية بجوار البوابة الموصلة إلى السيدة نفيسة، بالقرب من جامع شجرة الدرّ على يمين الذهاب من السيدة سكينه طالبا المشهد النفيسي.

كما يوجد ذلك المشهد داخل أسوار تحيط به مجموعة من الغرف، كان يطلق عليها في العصر العثماني اسم «التكية»، و يمكن الدخول إلى المشهد عن طريق سقيفة تتقدمه، لها ثلاث فتحات معقودة، يبلغ طول هذه السقيفة ١٢ / ٥ متر، و عرضها ٢ / ٥ متر.

أما ضريح السيدة رقية فهو يتكوّن من مستطيل يتوسط ضلعه الغربي المدخل، و على جانبيه محراب، يعلو كلا منهما شكل محارة تتفرّع فصوصها من الوسط، كما ينقسم الضريح إلى ثلاثة أقسام: المتوسط منها مربع يبلغ طوله خمسة أمتار، أما

القسمان الجانبيان فيبلغ مساحته كلّ منهما ٢٥ / ٨٥ أمتار، و قد غطى سقف القسمين الجانبيين، و كذا السقيفة التي تتقدم الضريح سقف خشب مسطح. أما القسم المتوسط حيث توجد المقبرة فتغطّيها قبة.

أما عن تاريخ عمارة هذا الضريح فقد نسبته المقرئزي إلى الأميرة «علم الأميرة» «١»، حيث ترجع أقدم النصوص المؤرخة في هذا

الضريح إلى عام ٥٢٧هـ / ١١٣٢ م، فى شريط يدور حول رقبه القبة، إضافة إلى كتابة أثرية أخرى بالخط الكوفى على التابوت الخشبى، تحمل تاريخ عام ٥٣٣هـ «٢».

(١). علم، جهه مكنون، زوجة الخليفة الفاطمى الأمر بأحكام الله، عرفت بالاحسان لسكان مصر، و ترميم و بناء أماكن العبادة، من آثارها مسجد الأندلس شرقى القرافة الصغرى بالقاهرة، و رباط الأندلس بجانب المسجد. و أما أنها عرفت بجهه مكنون لاختصاص القاضى مكنون بخدمتها، توفيت نحو عام ٥٤٥هـ.

راجع خطط المقريزى ٢: ٤٤٦، ٤٥٤، و الأعلام للزركلى ٤: ٢٤٨.

(٢). الآثار الإسلامية فى مصر للدكتور عبد الله شيحة.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٣٨

و السيدة «علم الأمية» هى زوجة الخليفة الأمر بأحكام الله ... و قد أمرت القاضى مكنونا الحافظى ببناء هذا الضريح.

هذا و تحتوى قبة الضريح على ٢٤ ضلعا، و تركز على مئمة تقوم بدورها على دلايات فى أركان المربع، و يرجع تاريخ إنشاء ذلك المشهد أو ضريح السيدة رقيه، اعتمادا على المحراب الخشبى المتنقل و الموجود بمتحف الفن الإسلامى، إلى عام ٥٢٨هـ / ١١٣٤ م. و استطاع الأستاذ «كرويل» العثور على تاريخ ذلك المشهد على القبة مع كتابات قرآنية باللون الأزرق على أرضية بيضاء. هذه الكتابات جاء فى بعضها أن القاضى مكنونا الحافظى، الذى كان يعرف بأبى تراب، هو الذى بنى هذا المسجد بما فيه الضريح.

و أبو تراب هذا هو أبو تميم تراب الحافظ، الذى بلغ منصب الوزارة فى أيام الحافظ الفاطمى.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٣٩

٧- إبراهيم ابن الإمام الحسن عليهما السلام

إشارة

بقلم د. سعاد ماهر

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٤١

مرقد إبراهيم بن الحسن عليهما السلام «١»

د. سعاد ماهر

لقد تعددت أسماء هذا المسجد، فقد عرف قديما بمسجد التبر، و مسجد الجميزة، و مسجد التبريز. و تسميه العامة: مسجد التبن، أما الاسم الذى يعتمد على أسانيد تاريخية صحيحة، فهو مسجد تبر أو مسجد إبراهيم.

أما بالنسبة لإبراهيم المقصود بالذكر هنا، فهو إبراهيم الجواد ابن عبد الله الملقب بالكامل ابن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنهم.

و يقول المقريزى: «إن الخليفة المنصور قتله سنة خمس و أربعين و مائة، و أرسل رأسه إلى مصر، فنصبت فى المسجد الجامع العتيق (جامع عمرو) «٢».

و يضيف أبو المحاسن: «أن إبراهيم رحمه الله، كان ضحية الطمع و الجشع، نشأ فى بلدة «باغمرى» من أعمال الكوفة». و يصف كيف جاءت الرأس إلى مصر، فيقول:

«و بينما الناس في ذلك قدم يزيد برأس إبراهيم بن عبد الله، فنصب في المسجد أياما،

(١). مقتبس من كتاب «مساجد مصر و أولياؤها الصالحون» مطبوع في خمسة مجلدات، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة.

(٢). خطط المقرئى ٤: ٢٧١.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٤٢

ثم طيف به، و دفن في الضاحية التي تعرف بمنية مطر» (١).

و كذلك أورد القضاعى هذه الرواية، إذ يقول: «مسجد تبر بنى على رأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب، أنفذه المنصور، فسرقه أهل مصر و دفنوه هناك» (٢).

و جاء في كتاب الولاية و القضاة: «ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب في ذى الحجة سنة خمس و أربعين و مائة لينصبوه في المسجد الجامع، و قامت الخطباء فذكروا أمره» (٣).

و قد حقق الشيخ الشبلنجى الاسم في كتابه «نور الأبصار في مناقب آل البيت» و انتهى إلى أنه هو إبراهيم بن عبد الله المحض أخو محمد المهدي، و كان مرضى السيرة، من كبار العلماء، و روى أن الإمام أبا حنيفة بايعه، و أفتى الناس بالخروج معه و مع أخيه محمد. قال أبو الحسن المعمرى: قتل إبراهيم في ذى الحجة سنة خمس و أربعين و مائة، و هو ابن ثمانى و أربعين سنة، و حمل ابن أبى الكرام رأسه الشريف إلى مصر (٤).

و جاء في حوادث سنة ١٤٥ هـ في كتاب «العبر في خبر من غبر»: «فيها ظهر محمد بن عبد الله بن حسن، فخرج في مائتين و خمسين نفسا بالمدينة، فندب الخليفة المنصور لحره ابن عمه عيسى بن موسى يدعو إلى الإنابة، و يبذل له الأمان، فلم يسمع، ثم أنذر عيسى أهل المدينة و رغبهم و رهبهم أياما، ثم زحف على المدينة، فظهر عليها، و بادر محمدا و ناشده الله، ثم قتل في المعركة و بعث إلى المنصور» (٥).

(١). ابن تغرى بردى ٣: ١٣٦.

(٢). راجع تاريخ القضاة: ١٢٢-١٢٣، و ذكره الشبلنجى في نور الأبصار: ٤٠٦.

(٣). الولاية و القضاة للكندى: ٥٧، نور الأبصار: ٤٠٦.

(٤). نور الأبصار: ٤٠٦.

(٥). العبر ١: ١٩٩-٢٠٢ و قد أورده المؤلف بتصرف و اختصار.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٤٣

و يضيف الذهبى فيقول: و فيها (أى سنة ١٤٥ هـ) خرج أخوه إبراهيم بن عبد الله بن حسن بالبصرة، و كان قد سار من الحجاز إلى البصرة، فدخلها سرا في عشرة أنفس، و لما بلغ المنصور خروجه تحوّل فتزل الكوفة حتى يأمن غائلة أهلها، و ألزم الناس بلبس السواد، و جعل يقتل كل من اتهمه أو يحبسه، و تهاون متولّى البصرة في أمر إبراهيم حتى اتسع الخرق، فجهّز المنصور لحره خمسة آلاف، فكان بين الفريقين عدّة وقعات، و قتل خلق من أهل البصرة و واسط. و بقى إبراهيم سائر رمضان يفرّق العمال على البلدان ليخرج على المنصور من كلّ جهة فتقا، فأتاه مصرع أخيه بالمدينة قبل الفطر بثلاثة أيام، فلم يبرح أن ردّ المنصور من المدينة عيسى بن موسى فوجهه لحره إبراهيم (١).

و لعلّ استطرادنا في سرد تفاصيل الحوادث التي دارت بين المنصور و إبراهيم ما يبّر جزّ المنصور لرأس إبراهيم و الطواف به في

الأمصار؛ ليكون عبرة لمن تحدّثه نفسه من العلويين للخروج عليه أو على غيره من آل العباس، فقد جاء في أحداث سنة ١٤٥ هـ أنّ المنصور مكث لا يقّر له قرار، فجّهز العساكر، و لم يأو إلى فراش خمسين ليلة. و كلّ يوم يأتيه فتق من ناحية «٢». و يضيف الحافظ الذهبي: و لولا السعادة لثلّ عرشه بدون ذلك، فلو هجم إبراهيم بالكوفة لظفر بالمنصور، و لكنّه كان فيه دين، قال: أخاف إن هجمتها أن يستباح الصغير و الكبير. و كان أصحابه مع قلّة رأيه يختلفون عليه «٣». و أخيرا استطاع جيش عيسى بن موسى أن يحيط بجيش إبراهيم، و حمل على عسكره فوقت الهزيمة على أصحاب إبراهيم حتى بقى سبعون، و اشتدّ القتال حتّى تفانى خلق تحت السيف طول النهار، و جاء سهم غريب لا يدري من رمى به في

(١). تاريخ الإسلام ٩: ٣٦ و ما بعده، العبر في خبر من غبر ١: ١٩٩.

(٢). العبر في خبر من غبر ١: ٢٠٠، و انظر تاريخ الإسلام ٩: ٣٨.

(٣). العبر ١: ٢٠١.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٤٤

خلق إبراهيم، فأنزله و هو يقول: «و كان أمر الله قدرا مقدورا، أردنا أمرا و أراد الله غيره»، و اجتمع أصحابه يحملونه. و أنكر عيسى اجتماعهم و حمل عليهم، فتفرّقوا عن إبراهيم، فنزل جماعة و اجتزّوا رأسه و بعثوا به إلى المنصور، و ذلك في الخامس و العشرين من ذي القعدة، و عمره ثمانى و أربعين سنة «١».

أمّا عن أثر هذه الأحداث في مصر، و كيف جاء رأس إبراهيم إليها، فيحدّثنا ابن ظهيرة في كتابه «الفضائل الباهرة في محاسن مصر و القاهرة» فيقول: و في أيام يزيد بن حاتم والى مصر من قبل الخليفة المنصور، ظهرت بمصر دعوة بنى الحسن بن على بن أبى طالب، و تكلم بها الناس، و بايع كثير منهم لبنى الحسن فى الباطن، و ماجت الناس بمصر، و كاد أمر بنى الحسن أن يتم، و البيعة كانت باسم على بن محمد بن عبد الله.

و بينما الناس فى ذلك قدم يزيد برأس إبراهيم بن عبد الله بن على بن أبى طالب فى ذى الحجّة سنة خمس و أربعين و مائة، فنصب فى المسجد أياما «٢».

و ممّا يدلّ على تحرّج الحالة فى مصر، كما يقول ابن ظهيرة: «إنّ يزيد قد منع أهل مصر من الحجّ؛ بسبب خروج العلويين بالمدينة، فلما قتل إبراهيم أذن لهم» «٣».

و لابن ظهيرة فى كتابه «الفضائل الباهرة فى محاسن مصر و القاهرة» رأى آخر عن مكان دفن رأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب، إذ يقول:

«مسجد البئر و الجميزة فى طريق الجب، بنى على رأس إبراهيم بن عبد الله، أرسله أبو جعفر المنصور إلى الأمصار، فأخذه أهل مصر، و دفنوه فى هذا الموضع».

و فى تفسيره لمكان البئر و الجميزة يقول: «هما العريش» «٤».

(١). المصدر السابق: ٢٠٢.

(٢). الفضائل الباهرة: ٨٧.

(٣). المصدر السابق: ٨٩.

(٤). المصدر نفسه.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٤٥

أما عن السبب في تسمية المسجد باسم مسجد تبر، فيرجع كما يقول المقرئى:

نسبة إلى «تبر»، أحد الأمراء الأكابر في أيام الأستاذ كافور الإخشيدي، فلما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر الإخشيدي هذا في جماعة من الكافورية والإخشيديّة و حاربه، فانهزم بمن معه إلى أسفل الأرض، فبعث جوهر يستعطفه، فلم يجب، و أقام على الخلاف، فسير إليه عسكرا حاربه بناحية صهرجت، فانكسر و صار إلى مدينة صور التي كانت على ساحل البحر، فقبض عليه بها و أدخل إلى القاهرة، فسجن إلى صفر سنة ستين و ثلاثمائة، فاشتدّت المطالبه عليه، و ضرب بالسياط، و قبضت أمواله، و حبس عدّه من أصحابه بالمطبق من القيود إلى ربيع الآخر، ثم خرج و أقام أياما مريضا و مات «١».

و يضيف المقرئى: فسلك بعد موته و صلب عند كرسى الجبل، و يقول ابن عبد الظاهر: إنّه حشى جلده تبنا و صلب، فرّما سمّت العامة مسجده بذلك! «٢»

و جاء في «تحفة الأحياء و بغية الطالب» للسخاوى «٣»: و قد ظلّ هذا المسجد يعرف باسم مسجد تبر إلى عهد بعيد، ثم تحوّل إلى زاوية صغيرة، ثم اندثرت المبانى و بقيت التربة فقط. و من عهد قريب تطوّع الأهالى ببنائه، فأعيد إلى شبه حالته سنة ١٩٢٢ م. و هو باق إلى الآن بالمطرية بشارع البرنس «ماهر حاليا» يعرف بجامع سيدى إبراهيم، و عليه ضريح يزار، لكن بعض العامة تقول: إنّه إبراهيم الدسوقي! و هذا خطأ بطبيعة الحال.

و توجد زاوية سيدى إبراهيم فى شارع ماهر «البرنس سابقا» و على ناصية حارة سيدى إبراهيم، و تتكوّن من مبنى مستطيل الشكل، مدخلها فى الجهة الجنوبيّة، حيث يوجد بابان داخل حنيتين، يعلوهما عقد ذو ثلاثة فصوص، و يعلو الباب نافذة

(١). خطط المقرئى ٤: ٢٧١-٢٧٢، و أورده عنه الشبلنجى فى نور الأبصار: ٤٠٧.

(٢). المصدران السابقان.

(٣). تحفة الأحياء: ٢٢.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٤٦

صغيرة معقودة، و الجدران الخارجيّة مزخرفة بطلاء جيرى مخطّط باللون الأحمر و الأبيض، و تبدو و كأنّها أبلق.

أما داخل الزاوية فبسيط جدّا، و يتكوّن من ستة أروقة موازية لحائط القبلة، و بكلّ رواق أربعة أعمدة. و بالرواق الثانى و أمام المحراب توجد قبة بها ثمانى فتحات، القصد منها الإنارة.

و قد اقتطع من الزاوية مستطيل فى الركن الشمالى الغربى، توجد فى جزء منه مقبرة سيدى إبراهيم، و هى عبارة عن حجرة مربّعة، غطّيت بقبة تقوم على رقبه مئمنه، بكلّ ضلع منها نافذة، و فوقها تقوم قبة مديّبة. أما جدران المستطيل فقد فتحت فى كلّ من الضلع الشرقى و الغربى نافذتان قنديليتان. و فى الجهة الغربية من الزاوية توجد الميضأة و دورة المياه.

و لعلّ السبب فى اختيار جهة المطرية لتكون مقرا لرأس إبراهيم، هو إبعاد الناس عن زيارة المقبرة حتّى تخمد الثورة، و تضعف الدعوة للعلويين. فقد كانت منطقة المطرية فى ذلك الوقت مهجورة غير مسكونة، لبعدها عن العاصمة، و هى الفسطاط ثم العسكر، كما أنّ مقابر المسلمين فى ذلك الوقت كانت عند جبل المقطم. و ممّا ينهض دليلا على أهميّة هذه المقبرة فى تلك المنطقة النائبة- و أعنى بها المطرية- هو اهتمام الأمير «تبر» ببناء مسجد بجوارها.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٤٧

بقلم أحمد أبو كف

أهل البيت في مصر، ص: ٣٤٩

الإمام حسن الأنور والد السيدة نفيسة، و شيخ بنى هاشم فى عصره «١» أحمد أبو كف

هذا الذى حدث منذ سنوات، ما زال فى ذاكرة الناس و كأنه حدث بالأمس؛ فى منتصف إحدى الليالى، و كان بعض عمال المعمار يجددون القبلة، فتح ملاحظ المسجد باب الغرفة التى تضم ضريحى سيدى حسن الأنور و أبى سيدى زيد الأبلج، و فاجأ الملاحظ ضوء باهر، كأنه نور الشمس يتجمع و يسقط على العمامة فوق غطاء ضريح سيدى حسن الأنور، و أجفل الملاحظ عبد الوهاب حسن و أغمض عينيه، ثم أغلق الباب ثانية، و تمتم بآيات الله البينات.

و لاحظ العمال ما حدث، فاعتقدوا أنه من الكهرباء! لكن أنوار المسجد أطفئت كلها، لتظل بقعة الضوء فى الضريح تخرج إشعاعاتها من تحت عقب الباب، وسط الظلام الشديد.

و يتوقف العمال، بعد أن تأكدوا و شاهدوا بأنفسهم الأنوار الربانية، و يذهبون إلى مقاوليهم، و فجأة يأتى الصباح الجديد، و يشتري المقاولون على حسابهم كميات

(١). مقتبس من «سيرة آل بيت النبى صلى الله عليه و آله فى مصر» ط. دار المعارف، القاهرة.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٥٠

من مواد البناء من أجل أن يتجدد المسجد كله، و تتضاعف مساحته، من أجل هذا القطب من آل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله. *** هذه الشخصية الكريمة من آل بيت النبى صلى الله عليه و آله لها فى نفوس المؤمنين بمصر الشىء الكثير، فهى قد أنجبت الدرّة النفيسة من درر آل البيت على أرض الكنانة.

و أقصد بها السيدة نفيسة التى أجمع المؤرخون- و لم يختلف منهم أحد- على أنها مدفونة فى مسجدها فى حى الخليفة بالقاهرة. و الشخصية الكريمة بالطبع هى سيدى حسن الأنور ابن زيد الأبلج ابن حسن السبط ابن على بن أبى طالب عليهم السلام. و هذه الشخصية النبوية الكريمة تعتبر من أهم شخصيات آل البيت فى القرن الثانى الهجرى، بل هى أهمها جميعا. إن سيدى حسن الأنور- رغم تلك الشذرات المتناثرة حوله من المخطوطات و الكتب- من القلائد من آل البيت الذين لعبوا دورا مهما فى العصر العباسى الأول.

فقد كان واليا على المدينة المنورة، و هذه- كما أرى- تعتبر استثناء لكل من يتتبع تاريخ آل البيت بعد كربلاء و فى أيام الأمويين، بل هى استثناء كذلك فى عهد العباسيين، الذين سرعان ما تنكروا لآل بيت النبى، و فعلوا مع أبناء عمومته ما فعله الأمويون من قبل، بل و أشرس مما فعلوا.

و حتى سيدى حسن الأنور الذى تولى إمارة المدينة و عمره ٦٧ سنة من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور، و ظلّ فيها حوالى ست سنوات من عام ١٥٠ إلى ١٥٥ هجرية، لم ينج من اضطهاد العباسيين، رغم أنه- كما تذكر بعض الكتب، و منها ما جاء فى ديوان ابن هرمة- دون بقاء آل البيت، أول من لبس السواد شعار العباسيين «١»؛ تأييدا لهم، و تدعيما لقيام دولتهم، و السواد بالطبع جاء سنة عن رسول الله صلى الله عليه و آله،

(١). راجع عمدة الطالب: ٧.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٥١

و اعتبره العرب رمزا للقوة كما يقول كتاب «سمط الدرر العوالى»، فالرسول صلى الله عليه و آله لبس عمامة سوداء و هو يفتح مكة.

لقد عزل الحسن الأنور فجأة من ولاية المدينة المنورة وألقى في غياهب السجن عام ١٥٦ هـ، إلى أن ولي المهدي العباسي فأخرجه منه «١»؛ لأنّ هذا الخليفة كان يعرف أقدار الأشراف من آل البيت، وكان فاضلاً حتّى إن ابن طباطبا في كتابه الفخرى في الآداب السلطانية، وصف المهدي قائلاً: كان شهماً كريماً، شديداً على أهل الإلحاد والزندقة، ولا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم، وكان يجلس في كلّ وقت للمظالم، كما كان ذكياً فصيحاً بعيد الهمة، شديد الرأي، ثاقب الفكر، قوى البيان، فصيح اللسان، عالماً بضروب السياسة وفنونها؛ ممّا أهله لأن يلي الأمور «٢».

و نحن لو عرفنا أنّ المهدي تولّى الخلافة ابتداء من عام ١٥٨ الهجري، فإنّ سيدي حسن الأنور قضى في سجن المنصور سنتين أو يزيد «٣».

و كانت العلاقة بين بنى هاشم - آل البيت - من علويين و عباسيين - كما يقول د. حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام السياسي - تقوم على الودّ و الصفاء أيام كان البيتان متّحدين على العدو المشترك و هو بنى أمية، و لكن ما أن قام البيت العباسي، و سلس له قيادة الخلافة الإسلامية، حتّى تنكّر العباسيون لآل البيت «٤».

و الواقع أنّ العلويين لم ينسوا حقّهم في الخلافة بعد كربلاء، بل كانت هي شغلهم الشاغل. فإنّهم ما فتئوا في كلّ أدوار حياتهم يطلبون حقّهم بكلّ وسيلة، فإذا ما وجدوا الفرصة سانحة لإعمال القوة و تجريد السيف اغتموها، و لم يدعوها تمرّ،

(١). انظر تفصيله في تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩ و ما بعده، و المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ٨: ٢٩٤، و شذرات الذهب ٢: ٢١.

(٢). الفخرى في الأنساب السلطانية: ١٤٢.

(٣). انظر: تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩، تهذيب ٢: ٢٧٩، المشجر الكشّاف عن أصول السادة الأشراف: ٧٦، أعيان الشيعة ٥: ٧٥.

(٤). تاريخ الإسلام ٢: ١١.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٥٢

و إذا آنسوا من أنفسهم ضعفا استكانوا مكتفين بلقب الإمام، و قرباتهم من الرسول صلّى الله عليه و آله و آثروا المعيشة الهادئة و الاشتغال بالتجارة، و الانصراف إلى العبادة على الاشتغال بالسياسة و الحرب، اللهم إلّا في أواخر الدولة الأموية، حين قام والد سيدي حسن الأنور، و هو الإمام زيد بن علي زين العابدين، و ابنه يحيى، في عهد هشام بن عبد الملك، الخليفة الأموي مطالبين بحقّهم في الخلافة. و هنا لا قوا عسفا و اضطهادا، بل شدّة و قتلا و صلبا.

و على العموم، فقد عاش العلويون عيشة هادئة، إلى أن تجددت الدعوة لآل البيت على أيدي العباسيين. لكن لما ظفر العباسيون بالخلافة دونهم نابذوهم العدا، و نظروا إليهم كما ينظرون إلى الأمويين من قبل.

و هكذا صار اضطهاد آل البيت قضية العباسيين «١»، خاصّة في عصر الهادي العباسي، الذي تولّى الخلافة عام ١٦٩ هـ، و كان الهادي كما وصفه المسعودي في مروج الذهب: قاسى القلب، شرس الأخلاق، صعب المراس «٢». و ممّا يؤخذ عليه تنكيه بالعلويين، كما أنّ عصر الهادي شاهد ثورة أخرى للعلويين قادها الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، و كانت موقعة فخّ «٣» .. التي وصفت بأنّها لم تكن مصيبة بعد كربلاء، أشدّ و أفجع من فخّ.

(١). حتى قيل لأبي جعفر المنصور: لقد هجمت بالعقوبة حتّى كأنّك لم تسمع بالعفو! فقال: لأنّ بنى مروان لم تبل رممهم بعد، و نحن بين قوم قد رأونا بالأمس سوقة و نحن اليوم خلفاء، فليس تتمهّد مصيبتنا في نفوسهم إلّا بنسيان العفو و استعمال العقوبة!! انظر: تاريخ

دمشق ٣٢: ٣٣١، سير أعلام النبلاء ٧: ٨٥.

(٢). مروج الذهب ٣: ٣٣٥.

(٣). وفتح موضع يبعد عن مكة ستة أميال. وحدثت الواقعة سنة ١٦٩ هـ يوم التروية، وهو اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، وكان على رأس الجيش العباسي موسى بن عيسى الذي جاء برأسه إلى الخليفة الهادي ليقبض جائزته، لكنه رأى السخط عليه و كأنه لم يرسله لمحاربته، وبدلاً من ذلك قبض الخليفة أمواله ليرى للناس أنه لم يرض بصنع ابن عيسى هذا! وذكر المسعودي أنه أقاموا ثلاثة أيام لم يواروا القتلى حتى أكلتهم السباع والطيور! انظر مروج الذهب ٣: ٣٣٦.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٥٣

وكان من أوائل العلويين المطالبين بحقهم في الخلافة أيام العباسيين: محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب «١»، وأخوه إبراهيم «٢». واستمرت سلسلة اضطهاد آل البيت أيام العباسيين.

لقد وصف الحسن الأنور - كما يذكر الشيخ أحمد فهمي في كتابه «كريمة الدارين، الشريفة الطاهرة السيدة نفيسة بنت الحسن رضي الله عنها» - بأنه كان شيخ بنى هاشم في زمنه من بنى الحسن، حتى إن رئاسة البيت الهاشمي انتهت إليه في عصره.

و كما في تهذيب التهذيب عن ابن سعد في طبقاته: كان أبو محمد الحسن الأنور عابداً ثقة، وكان إماماً عظيماً من كبار آل البيت، وكان مجاب الدعوة «٣»، بل إن الزبير بن بكار وصفه بأنه كان فاضلاً شريفاً.

*** ولد الحسن الأنور لأبيه زيد بن الحسن السبط عام ٨٣ هـ. و كما في خطط المقرئ: «أن أمه أم ولد» «٤»، وأم الولد هي الجارية التي يعتقها سيدها و يتزوجها على عادة العرب. وقد نشأ الحسن في بيت شريف، وفي رحاب أبيه زيد في المدينة، و تربى تربية إسلامية جليلة.

(١). و محمد هذا هو الملقب بالأرقط و بالمهدى و بالنفس الزكية، كان أحد الأشراف من الطالبين، ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ، فلما قامت الدولة العباسية لم يبايع السفاح و توارى، فطلبه المنصور خوفاً على عرشه، و قبض على أبيه و اثني عشر من أهل بيته و عذبهم، فماتوا بحبسه بعد سبع سنوات! فلما علم محمد بموت أبيه خرج ثائراً، فغلب على مدن كثيرة، ثم حدثت بينه و بين جيش المنصور وقعة على أبواب المدينة، فقتل فيها سنة ١٤٥ هـ. انظر الأعلام ٦: ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢). و أخوه إبراهيم المعروف بقتيل باخمري، و كان على شاكله أخيه محمد في الدين و العلم و الشجاعة و الثورة على الظلم، بايعه أربعة آلاف مقاتل، فاستولى على البصرة فهزم المنصور منها إلى الكوفة، و استولى على بلاد كثيرة أخرى، و جرت وقائع مع المنصور حتى انتهت باستشهاده. انظر مقاتل الطالبين: ٢١٠ - ٢٥٦.

(٣). تهذيب التهذيب ٢: ٢٧٩، و انظر المشجر الكشاف عن أصول السادة الأشراف: ٧٦.

(٤). المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بخط المقرئ ٤: ٣٢٥.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٥٤

و يروى: أنه كما كان سيدي حسن الأنور يأخذ ابنته نفيسة، و يدخل معها حجرة الرسول صلى الله عليه و آله، و يقول: يا رسول الله أنا راض عن ابنتي نفيسة. فقد كان الإمام زيد و والد سيدي حسن الأنور يأخذ ابنه، حتى رأى النبي صلى الله عليه و آله في المنام يقول له: «يا زيد إنني راض عن ابنك حسن برضاك عنه، و الحق سبحانه و تعالى راض عنه برضاى عنه» «١».

و قد توفي الإمام زيد - كما يقول الشبلنجي في نور الأبصار «٢» - في عام ١٢٠ هـ، أي أنه توفي و الحسن الأنور في السابعة و الثلاثين من عمره، و ترك والده عليه دينا مقداره، كما يحدده الخطيب البغدادي في كتاب تاريخ بغداد «٣»: أربعمائة دينار، فحلف الحسن - كما في خطط المقرئ «٤» - ألا يظن رأسه تحت سقف إلا سقف مسجد جدّه الرسول صلى الله عليه و آله، أو رجل يكلمه في حاجة حتى يقضى ما على أبيه من دين، و كان أن وفي الدين «٥».

و الواقع أن سيدى حسن الأنور قد نشأ فى رحاب جدّه الرسول صلّى الله عليه وآله، يقرأ القرآن الكريم، و يكثر العبادة و القيام و الصيام، مع زهد و ورع، و تقوى و صلاح.

و قد صقلته هذه الحياة، و فتح الله عليه بالعلم و البيان و الثراء، حتّى صار إماما عالما، و له تلاميذ و مریدون، و حمل الكثير من الألقاب التى ذكرت فى كثير من الكتب، جمعنا منها هذه الألقاب، و هى: شيخ الشيوخ، شيخ بنى هاشم، من كبار آل البيت، أبو محمد المدنى الأنور، التابعى، النابه، عالم، عابد، فاضل، شريف، علوى.

و قد صار ثقة فى رواية الأحاديث، و من تلاميذه الإمام مالك بن أنس، و محمد بن إسحاق، و محمد بن أبى ذئب المحدث الجليل، و أبو أويس، و وكيع.

(١). نور الأبصار: ٣٣٧.

(٢). المصدر السابق.

(٣). تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩.

(٤). خطط المقرئى ٤: ٣٢٦.

(٥). راجع المنتظم لابن الجوزى: ٢٩٤.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٥٥

أما عن شيوخه- كما جاء فى تهذيب التهذيب لابن حجر «١»- فمنهم: أبوه الإمام زيد، و ابن عمه عبد الله بن الحسن، و عكرمة، و معاوية بن عبد الله بن جعفر، و غيرهم «٢».

و لذا صار سيدى حسن الأنور قطبا و إماما، و كان- كما يقول كتاب مصباح الدياجى لمجد الدين بن الناسخ- يقصده الناس من القرى و البلاد، و كان يعدّ بألف من الكرام «٣».

و الواقع أن حياة الإمام حسن الأنور التى امتدّت ٨٥ عاما دارت فى عدّة محاور، أهمها:

أولا: المحور الدينى و العلمى: و يكفيه تربيته للسيدة ابنته. و كذلك ابنه إسماعيل العالم العابد الناسك. و كان سيدى حسن الأنور متشددا و حازما فى المسائل الدينية، و الأخذ على أيدى الناس بآداب الإسلام. و من يقرأ كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة يجد فيه الكثير.

ثانيا: المحور السياسى: و قد استطاع الحسن الأنور أن يعيش نافذ الرأى، متقلدا لمنصب الولاية فى دولته تضطهد العلويين و تتوجّس منهم.

ثالثا: المحور الاقتصادى: فهو رغم علمه و تقواه، اشتغل بالتجارة؛ ليصبح ذا ثروة كبيرة، أغنى بها الحياة، و أمسك نفسه عن أن يردّ طالب حاجة.

الحياة الدينية و العلمية

من الأحاديث المنسوبة إلى سيدى حسن الأنور فى ابن حبان «٤» عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنه احتجم و هو صائم، و معنى الاحتجم، أى استخراج الدم من الجبهة. و هذا دليل إجازة الحجامه فى الصيام. و هذا الحديث موجود فى كتاب الذهبى «ميزان الاعتدال» «٥».

(١). تهذيب التهذيب ٢: ٢٧٩.

(٢). هذا و عدّه الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

(٣). انظر خطط المقریزی ٤: ٣٢٥.

(٤). انظر الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٤: ١٥٦ باب حجامه الصائم، و ذكره عنه الذهبي في الميزان ١: ٤٩٢.

(٥). ميزان الاعتدال ١: ٤٩٢ رقم ١٨٥٠.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٥٦

و في أمالي المرتضى «١» عن «الفرائد و درر القلائد» نسب للإمام حسن الأنور، أنه رأى رجلا محرما في مكة المكرمة، و على صلته الغالية- و هي نوع من الطيب كالعجين- و لم يعترض الإمام الحسن الأنور على ذلك، و هذا يعني أن الطيب قبل الإحرام جائز شرعا. و في كتاب «الكامل» «٢» للمبرد: أن سيدي حسن الأنور ذهب للحج، فلفت نظره شخص يزاحم الحجيج، فأشار إليه بيده- فعل الغائلة، أى مثل التي تغزل صوفها- و قال: «خرقاء وجدت صوفا!» بمعنى أن المزاحمة و السرعة في الحج تضر أكثر مما تكسب من الإيمان. و هذا كما يقولون يقترب من حديث رسول الله صلى الله عليه و آله: «إن المنبت لا أرضا قطع، و لا ظهرا أبقى» «٣»، أى: أن المنقطع عن الرفقة، أى المتخلف عن الركب بسبب السرعة يجهد دابته، فتعجز عن مواصلة الطريق.

أما في معجم البلدان «٤» لياقوت الحموي، فقد روى أن سيدي حسن الأنور عزل عبد الله بن مسلم بن جندب الهزلي عن إمامة الصلاة في مسجد الأحزاب.

فقال له: لم تعزني عن منصب أبي و أجدادي؟

فردّ عليه حسن الأنور قائلا: إنما عزلك عنه يوم الأربعاء! و كان هذا اليوم مسموحا فيه للنساء بالصلاة في المسجد، و قد تعرّض الرجل لبعض النساء بأبيات غزلية، لم يحملها سيدي حسن الأنور محمل العفو. و هذه الواقعة تدلّ على شدة سيدي حسن الأنور في الدين، كما تدلّ أيضا على أنه كان ناقدا للشعر، متذوقا، و حافظا له.

لقد وصف الحسن و هو والي المدينة المنورة بأنه: «كان ذا حزم في ولايته، و عزم

(١). أمالي المرتضى ٢: ١٨٦.

(٢). الكامل ٤: ٢٢١.

(٣). أخرجه البيهقي في السنن ١: ١٩.

(٤). معجم البلدان ٥: ٨٦-٨٧.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٥٧

في إمرته، و شدة في أخذ الناس بالحدود و حرمان الله، لا تأخذه رافة في دين الله، و لا توقفه رحمة عن إقامة حدوده».

و الأمثلة على حزم سيدي حسن الأنور كثيرة: فلقد كان للحسن شاعر مشهور من أصفيائه و مواليه يسمّى ابن هرمه، و له معه أحاديث ظريفة و ذكريات ممتعة، فلما صار الحسن واليا على المدينة المنورة، جاء بهذا الشاعر و قال له بحزم، بعد أن سمع أنه يشرب الخمر: أنا لست كمن باعك دينه رجاء مدحك، أو خوفا من ذمك، فقد رزقني الله عزّ و جلّ بولادة نبيه الممدوح، و جنبني المقابح، و أن من حقّه عليّ ألا أغضى عن تقصير في حقّ ربي. و أنا أقسم بالله لئن أوتيت بك سكرانا لأضربنك حدّا للخمر و حدّا للسكر، و لأزيد لموضع حرمتك بي، فليكن تركك لها لله تعالى، تعن عليها، و لا تدعها للناس فتوكل إليهم «١».

و شاعر آخر اسمه ورد بن عاصم، جاءت قصيدته مع الإمام حسن الأنور في عيون الأخبار «٢». هذا الشاعر هجا الحسن أثناء ولايته للمدينة لتشده في إقامة الحدود، فلما سمع الحسن هجاءه طلب الشاعر، لكنّه خاف و هرب، إلى أن مثل بين يديه، و اعتذر للحسن بتقصيره، و هنا يعفو عنه و يصله بمال.

ومع الحزم كان العطف، فقد جرىء إليه بشاب ذى حسب و نسب هو سكران، فقال الشاب: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لا أعود، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله: «أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم» (٣)، وأنا ابن أبى أمامة بن سهل بن حنيف، و كان أبى مع أبيك.

فقال الحسن للشاب: صدقت، هل أنت عائد؟

قال الشاب: لا والله. فأقاله الحسن، و أمر له بخمسين ديناراً، و كان الحسن يبزه دائماً «٤».

(١). خطط المقرئى ٤: ٣٢٦.

(٢). عيون الأخبار ٢: ١٦١.

(٣). رواه الإمام أحمد فى المسند ٦: ١٨١، و أبو داود فى السنن ٤: ٣٣ حديث ٤٣٧٥.

(٤). راجع خطط المقرئى ٤: ٣٢٥.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٥٨.

على أنه مع الشدة، كان التواضع الجَم لسيدى حسن الأنور، و نذكر هنا حادثة جاءت فى كتاب «حسن المحاضرة» (١). فقد دخل على الحسن الأنور و هو والى المدينة المنورة أحد الشعراء لينشده قصيدة مطلعها:

الله فرد و ابن زيد فرد

و بسرعة يردّ عليه الحسن قائلاً:

بفيك الأثلب! ألا قلت:

الله فرد و ابن زيد عبد

و ينزل الحسن من على كرسى الإمارة، أو سرير الإمارة كما يسمّى، و يلصق خدّه بالأرض، و يمرغ وجهه فى التراب، و يستريح الله العلى القدير، و يستغفره و يبكى «٢».

حياة الحسن الأنور السياسية

إنه رغم القرابة بين سيدى حسن الأنور و العباسيين، بل المصاهرة، فإن ابنته أم كلثوم - أخت السيدة نفيسة - كانت متزوجة من أبى العباس السفاح، أقول رغم ذلك فلم يشفع هذا القطب آل البيت فى زمنه عند المنصور العباسى الذى أقصاه عن الولاية، و صادر ممتلكاته، و ألقاه فى غياهب سجن مظلم.

ولا شك أن العباسيين كانوا يتوجسون من آل البيت، و يرصدون عليهم العيون فى كل مكان، حتى من كسب ثقتهم، ربّما لاعتقاد العباسيين من جهة أنهم اغتصبوا الخلافة من مستحقّيها، و لإيمان العلويين من جهة أخرى بحقهم المغتصب الذى ينبغى أن يعود إليهم. و هذا ما جعل العباسيين يأخذون بالوشايات، بل لا يتحققون كثيراً فيما إذا كانت هذه الوشايات صحيحة أم دسيسة.

(١). حسن المحاضرة فى أحوال القاهرة: ٢٣٢.

(٢). ذكره الشبلنجى فى نور الأبصار: ١٣٧.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٥٩.

و نحن قد بحثنا فى الماوردى «الآداب السلطانية» عن مهام الولاية، أيام الحسن الأنور، و الذى كان نقيباً للأشراف كذلك، فأتضح أن الوالى كان مسئولاً عن أخلاق الناس و أمنهم، كما كان مسئولاً عن تدبير أمر الجيوش، و كذلك إمامة الصلاة، و تعيين الأئمة، و

إقامة الحدود، لكنّ الملاحظ أنّ العباسيين حين ولّوا سيدي حسن الأنور، أعفوه من مهمّة تدبير أمر الجيوش حتّى لا يقوى الولاء من آل البيت، و يخرج أحدهم على الخلافة!

و الوشاية جاءت من شخص مقرب للإمام حسن الأنور، و اسمه ابن أبي ذئب محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة، و هذا ذهب إلى المنصور العباسى و أخبره أنّ الحسن الأنور «يطمح للخلافة، و يتشوّف لنسيمها، و يعمل على عودها للعلويين». و هذا الواشى - رغم قربه من الإمام حسن الأنور - غلب على ظنّه طماحية آل البيت للخلافة، و لذلك أسرع إلى المنصور العباسى، و كان الواشى نفسه - كما يقولون - يؤمن فى قرارة نفسه أنّ الخلافة حقّ للعلويين، رغم أنّ عمله كان عينا للعباسيين على سيدي حسن الأنور.

و نتيجة لذلك، يظلّ الحسن الأنور سجين العباسيين أكثر من ستين، حتّى يتولّى المهدي الخلافة، الذى كان يقدر فى سيدي حسن الأنور علمه و اعتداله و زهاده، فأمر بإخراجه من السجن، و ردّ عليه ما أخذ من ماله، لكنّه من الثابت أنّ المهدي لم يعد الحسن إلى ولايته، رغم أنّ البعض يقول: إنّ بعد الإفراج عنه عاد الحسن إلى منصبه واليا على المدينة، بل إنّ هناك رأيا يرى أنّ المنصور نفسه و الذى أمر بالحبس، هو الذى أخرج سيدي حسن الأنور من السجن لمّا ظهر له كذب الواشى، لكنّ هذا الرأى أضعف من أن يقف مع ما أجمع عليه الطبرى و ابن كثير و الزركلى و غيرهم «١».

(١). كالخطيب البغدادي و ابن حجر و ابن الجوزى و السيد محسن الأمين.

اهل البيت فى مصر، ص: ٣٦٠

الحياة الاقتصادية

أمّا ثالث المحاور فهو الجانب الاقتصادى، فقد كان الحسن كريما غاية الكرم، و كان معطاء. و فى الأغاني «١» لأبى الفرج الأصفهاني أنّه كان لسيدي حسن الأنور قصور فى بطحاء ابن أزهري فى المدينة المنورة، و كان الناس يقصدون سيدي حسن من كلّ مكان طمعا فى كرمه و نواله. فقد كانت له تجارة رابحة، حتّى إنّهُ أراد توسيع جامع الرسول صلّى الله عليه و آله على نفقته، لكنّ المنصور العباسى عارض هذا الأمر.

و هناك قصّة تدلّ على كرم سيدي حسن الأنور، رواها ابنه سيدي إسماعيل، و جاءت فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادي «٢». فلقد أتاه فى الصباح الباكر مصعب بن ثابت الزبيرى و ابنه عبد الله، أتياه و هو يهّم بالركوب إلى ماله - أملاكه - بالغابة فى الطريق إلى مكة المكرمة، استجارا به حتّى يدفع عنهما دينا، فأرسل الحسن إلى صاحب الدين و اسمه ابن ثوبان فسأله، فقال: على الشيخ سبعمائه، و على ابنه مائة! و هنا يقضى الدين عن الرجل و ابنه، بل زاد و أعطاهما مائتى دينار.

لقد اشتهر الحسن الأنور بالعتاء، و لم يكن يردّ صاحب حاجة، بل إنّهُ كان يصل أعداءه، و ربّما لأنّ أباه مات و هو عليه دين، فقد نذر أن يدفع دين كلّ من يلجأ إليه، و كان يؤمن بأنّ المال مال الله، و أنّه يجب أن يصرف فى سبيل الله.

*** كيف لاقى الحسن وجه ربّه؟ و أين دفن؟ و ما هى حكاية مشهده بالقرب من سور مجرى العيون أو سور القاهرة القديم؟

خلال الخمسة و الثمانين عاما التى عاشها سيدي حسن الأنور، عاش حياة واسعة ثرية متعدّدة الجوانب، و أنجب أحد عشر ولدا تسعة ذكور «٣»، و اثنتين من الإناث هما:

(١). الأغاني ١٤: ١٦١.

(٢). تاريخ بغداد ٧: ٣١٠ - ٣١١.

(٣). وقد ذكر صاحب عمدة الطالب: ٧١ أنه أعقب سبعة ذكور و ليس تسعا، و هم: القاسم و على و زيد و إبراهيم و عبد الله و إسحاق و إسماعيل.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٦١

نفسه و أم كلثوم، و كما يقول الشبلنجي في «نور الأبصار»: إن أمهم جميعا هي أم سلمة زينب بنت الحسن المثني ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب (١).

لكن الخلاف كثير حول موت الحسن الأنور، و حول دفنه. فقد ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢): أنه مات بمصر، لكنه غير مشهور. و قيل: إنه توفي ببغداد و دفن في مقبرة الخيزران (٣)، و يرى ابن خلكان (٤) أنه مات بالحاجر، أثناء حجة المهدي سنة ثمان و ستين و مائة، و هو ابن خمس و ثمانين سنة (٥).

أما الشيخ عبد الخالق سعد في كتابه «الجواهر النفيسة» فيؤكد أنه جاء مصر مع ابنته نفيسة، بعد ما زار معها قبر الخليل إبراهيم، و أنه عاش في مصر القديمة بدءا من يوم السبت السادس و العشرين من شهر رمضان سنة ثلاث و تسعين و مائة من الهجرة. و هذا الرأي بالطبع يحتاج إلى تمحيص، إذا عرف أن المراجع أجمعت على أن الحسن الأنور مات سنة ١٦٨ هـ، أو ١٨٦ هـ كما تقول مراجع قليلة. فالسيدة نفيسة جاءت لتعيش في مصر في التسعينيات من القرن الثاني الهجري، و توفيت عام ٢٠٨ هـ، فلربما جاء الحسن الأنور مع ابنته و هو في أخريات أيامه.. و نحن بالطبع لا نميل إلى هذا الرأي.

لكن الملاحظ أن أسرة سيدي حسن الأنور فيها الكثيرون الذين دفنوا بمصر، بل البعض يؤكد أن سيدي زيدا مدفون في ضريح ابنه سيدي حسن الأنور... الذي مات عن تسعين عاما.. و البعض يقول: إن الضريح ليس لسيدي زيد الأبلج، و إنما هو

(١). نور الأبصار: ٣٣٨.

(٢). وفيات الأعيان ٢: ٢٦٨.

(٣). ذكر الخطيب عن محمد بن خلف و كيع أنه مات ببغداد، و دفن في مقابر الخيزران، لكنه لم يقويه. راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩.

(٤). وفيات الأعيان ٥: ٤٢٣ عند ترجمة السيدة نفيسة برقم (٧٦٧).

(٥). و هو قول أغلب النسابة. انظر عمدة الطالب: ٧٠، و المنتظم ٨: ٢٩٤. و حاجر: موضع يبعد عن المدينة مسافة خمسة أميال باتجاه مكة.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٦٢

لزيد بن حسن الأنور، كما يقولون: إن السيدة نفيسة بنت زيد الأبلج، عمّة السيدة نفيسة بنت الحسين أيضا مدفونة في مصر. كما أن سيدي محمدا الأنور أخا سيدي حسن الأنور، مدفون في مشهده القريب من مسجد السيدة سكينه على يمينه الذهاب إلى السيدة رقيه و السيدة نفيسة.. كما يؤكد ذلك كتاب «العدل الشاهد في تحقيق المشاهد».

و السؤال ما زال مطروحا: هل الحسن الأنور مدفون في مصر؟!!

يؤكد لي فضيلة الشيخ عبد الغفور محمود جعفر شيخ جامع سيدي حسن الأنور، و الذي يبحث دائما في تاريخه، أن هناك مخطوطا ينقل عن ابن النحوي قصة طويلة مفادها: أن السيد حسن الأنور توفي في ريف مصر، و أنه إن صح هذا الكلام، فقد نقل رفات الحسن الأنور إلى مسجده الحالي.

و يتفق مع رأي الشيخ ما أورده الشيخ الصبان في كتابه «إسعاف الراغبين» (١) نقلا عن الشعراني (٢) في منته: «أن الإمام حسن الأنور و والد السيدة نفيسة في التربة المشهورة قريبا من جامع القراء، بين مجراه القلعة و جامع عمرو». و أن الذي أشهر هذه التربة و بنى عليها قبة - كما يرى على مبارك (٣) - حضرة عبد الرحمن كتحدا أحسن الله إليه، و أسبل سرادقات لطفه عليه.

من هذا يتضح اختلاف الكتاب حول دفن الحسن الأنور في مصر و إن كان الإمام الشعراني يرى أن الروح في البرزخ كمن يسبح في نهر جار، يطف في أي مكان، أي يظهر في أي مكان وهذه - كما يقول البعض - مظاهر شوهدت، أو ظهر فيها الروح، بل إن هناك من الصوفية يعتقدون أن هناك نقلا باطنيا، فبعد أيام قليلة من دفن القطب، يفتحون القبر، فلا يجدون به شيئا، وإنما يوجد في مكان آخر.

(١). إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار: ٢٣٨، وانظر لواقع الأنوار في طبقات الأخيار ٢: ٢٧١.

(٢). انظر لواقع الأنوار ٢: ٢٧٠.

(٣). الخطط التوفيقية ٥: ٢٧١-٢٧٢.

اهل البيت في مصر، ص: ٣٦٣

و الواقع أن هناك شواهد كثيرة تدل على وجود لآل البيت في مصر، خاصة الذين ثار حول دفنهم الخلاف. و الحسن الأنور - من خلال ضريحه و مسجده - في التاريخ و المعمار تجعلنا نقول: إن إثبات دفنه أو نقل جسده الطاهر إلى مصر يحتاج إلى أبحاث المجتهدين.

*** إن أقدم تاريخ عثرت عليه لجامع سيدي حسن الأنور، منذ أيام دولة المماليك البحرية، في القرن الثامن الهجري، و في عصر الناصر محمد بن قلاوون، أي منذ حوالي ستة قرون. و ليس معنى ذلك أن الجامع قد بدأ بناؤه في هذا التاريخ، و إنما قبل ذلك. يدل على ذلك ما ورد في خطط علي مبارك، إذ يقول: عمّر القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله، ناظر الجيش باسم الملك الناصر محمد بن قلاوون، و انتهت عمارته سنة ٧١٢هـ، و أقيمت فيه الجمعة حيثذ، و له أربعة أبواب، و فيه ١٣٧ عمودا، و ذرعه أحد عشر ألف ذراع و خمسمائة ذراع، بذراع العمل، و ما برح من أحسن المنتزهات إلى أن خرب ما حوله «١».

لكن لسبب أو لآخر، فإن ما أقامه قلاوون سقط أيضا، مع أن الجامع كما يقول الشعراني: «كانت مساحته كبيرة، و كان حوله بساتين من أجمل المنتزهات ..» و يؤكد ذلك علي مبارك حين يقول: «.. ثم زالت آثاره بالكليّة، و قيل - أي الجامع -: كان محلّ السبع سواقي ذات البناء الضخم بجوار فم الخليج، التي تنقل الماء من النيل إلى مجراة القلعة. و يدلّ على ذلك ما اشتهر من أن الفرنساوية زمن دخولهم مصر وجدوا هناك كثيرا من العمد الرخام الضخمة، و أحجارا، و نحو ذلك» «٢».

لكن عمارة المماليك سرعان ما انهارت هي أيضا، بعد حوالي أربعة قرون و نصف.

(١). الخطط التوفيقية ٥: ٢٧٥.

(٢). المصدر السابق: ٢٧٨.

اهل البيت في مصر، ص: ٣٦٤

و ظلّ الجامع متخربا حتى تجدد في عام ١٢٨٠هـ - و كما جاء في علي مبارك - على يد ناظره الشيخ أبي زيد إسماعيل كما هو مرقوم بأعلى بابه الغربى، عليه قبة حديثة، و تحت تابوته حجر من الرخام مكتوب عليه اسم سيدي حسن الأنور، و بجوار هذا الضريح ضريحان: أحدهما لسيدى زيد الأبلج، و اسمه منقوش على قطعة حجر تحت تابوته، و الآخر لسيدى جعفر، و لا يعرف من هو سيدى جعفر حتى الآن.

لكن هذا التجديد لا ينفي أن الأمير عبد الرحمن كتحدا في القرن الثاني عشر الميلادى كان قد بنى قبة على ضريح سيدي حسن الأنور، كما سبق أن أسلفنا.

و كما هو ظاهر فإن المسجد الحالى بمقارنته بما فى أوراق الأوقاف، فإن مساحته قلت كثيرا، بل إنه الآن ليس حوله خضرة سوى نخلة

واحدة، رغم ما يقوله على مبارك من أنه كان «بجوار ميضأته شجرتان من اللبخ و نخلات»، و حتى الخمسينيات من القرن العشرين وصل المسجد إلى حالة يرثى لها؛ مما دفع بعض أهل الحى إلى الاشتراك فى تجديده و توسيعه. و هكذا تبدو أهمية جامع سيدى حسن الأنور، و أهميته تكمن بالطبع فى الضريحين الموجودين به لسيدى حسن الأنور و والده اللذين ينتميان للحسن السبط، و هو فرع كثير من أوراقه المضيئة على تراب مصر. *** يقع ضريح حسن الأنور فى المنطقة التى تسمى بخرطه أبى السعود بمصر القديمة، من جهة سور القاهرة، فى الطريق إلى مسجد عمرو بن العاص.

و قد حدثوا عنه أنه كان تقيا ورعا مجاب الدعوة، و كان إماما عظيما عالما، من كبار أهل البيت، معدودا من التابعين. و كان أبوه زيد الأبلج رضى الله عنه جليل القدر كريم الطبع، يتصف بالصفات الكريمة، و كان يتولّى أمر صدقات رسول الله صلى الله عليه و آله، و كان يقصده الناس فيبهرهم و يكرمهم، و يفد أهل البيت فى مصر، ص: ٣٦٥

إليه الشعراء فيمدحونه و ينالون عطاءه، فكان ذلك سببا فى إيغار صدر سليمان بن عبد الملك عليه، فكتب إلى عامله بالمدينة يقول له: أما بعد، فإذا جاءك كتابى هذا فاعزل زيد بن حسن عن صدقات رسول الله صلى الله عليه و آله و ادفعها إلى رجل - سماء - من ذوى قرابته ..

و لكن عمر بن عبد العزيز حينما تولّى الخلافة ردّه عليها. و من الشعر الذى امتدح به زيد قول محمد بن بشر الخارجى: و زيد ربيع الناس فى كل شتوة إذا اختلفت أبراقها و رعوها حمول لأشتات الديات كأنه سراج الدجى قد قارنتها سعودها و حينما مات بكى عليه الناس كثيرا، و رثاه الشعراء، و من ذلك قول قدامة بن موسى الجمحى:

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه فقد كان معروف هناك وجود
و أن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى به و هو محمود الفعال حميد هذا هو والد الحسن الأنور الذى كان زعيم البيت النبوى فى حياته. أما ابنه حسن الأنور، فقد سار على نهج أبيه، و صار علما من أعلام التقى و الصلاح و النور ...

حسن الأنور و الولاية

جاء أبو جعفر المنصور فولّى حسن بن زيد إمارة المدينة - و لعله أراد أن يستلّ بذلك سخائم أهل البيت - و قرّبه و كرمه، و قد انتهت إلى حسن الأنور بعد أبيه رئاسة بنى الحسن، و قصده الشعراء يمدحونه. و كان كريما متواضعا. و من الشعر الذى امتدح به الحسن، ما يرويه الحصرى فى زهر الآداب «١» قائلا:

كان أبو عاصم الأسلمى قد هجا الحسن بن زيد قبل تولّيه الإمارة، فلما ولي المدينة

(١). زهر الآداب و ثمر الألباب ١: ١٢٣ و ما بعده.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٦٦

جاءه متنكرا فى زى الأعراب، فقال:

سنأتى مدحتى الحسن بن زيدو تشهد لى بصفين القبور

قبور لم تزل منذ غاب عنها أبو حسن تعادىها الدهور

قبورا لو بأحمد أو على يلوذ مجيرها حمى المجير

هما أبواك من وضعا فضعه و أنت برفع من رفعا جدير فقال الحسن: من أنت؟

قال: أنا الأسلمى.

قال: إذن حباك الله، و بسط له رداءه و أجلسه عليه، و أمر له بعشرة آلاف درهم.

و كان كريما سخيا، يطعم فيه الطامعون، حدّث الحصرى أيضا قال: أتى الغاضرى المتطفّل يوما إلى الحسن بن زيد، فقال: جعلت فداك، إنى عصيت الله و رسوله.

قال: بئسما صنعت، و كيف ذلك؟

قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: «لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة» و أنا أطعت امرأتى، فاشترت غلاما فهرب منى.

قال الحسن: فاختر واحدة من ثلاث: إن شئت فتمن الغلام و خذ ثمنه .. و إن شئت ..

قال الغاضرى: بأبى أنت، قف عند هذه و لا تتجاوزها.

قال الحسن: أعرض عليك الخصلتين.

قال: لا، حسبى هذه «١».

و كان عفوا متسامحا، محسنا إلى من أساء إليه .. ففى أثناء ولايته على المدينة أحسن إلى رجل فقير و قرّبه، يقال له: ابن أبى ذئب حتى كثر ماله، و قدّمه إلى المنصور.

و لكن هذا الرجل قابل الإحسان بالإساءة، فقد سعى بالحسن إلى المنصور، و ما زال به حتى أوغر صدره عليه و تنكّر له، فعزل المنصور الحسن عن ولاية المدينة.

(١). المصدر السابق: ١٩٨.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٦٧

و بعد فترة تبين للمنصور كذب هذا الساعى، فردّ الحسن إلى عمله، و أحسن صلته، و اعتذر إليه، و ردّ عليه أمواله التى صادرها «١».

و أبى الحسن مع ذلك أن يعاتب ابن أبى ذئب، و كان قد قصده، فعفا عنه و أمده بمال و أهده، و هذه طبيعة هذا البيت الكريم «٢».

و يقال: إنّ الذى ردّ للحسن بن زيد اعتباره و أعاده إلى عمله هو المهدي، و ليس المنصور، و كان ذلك فى اعتذار طويل له «٣».

و قد تولّى الأنور المدينة و عمره ١٧ سنة، و ظلّ فيها ستّ سنوات، من عام ١٥٠ إلى عام ١٥٥ هـ، ثم لم ينج من اضطهاد العباسيين،

فعزل عن الولاية، و أودع السجن سنة ١٥٦ هـ إلى أن ولى المهدي الخلافة فأخرجه من السجن عام ١٥٨ هـ «٤».

و كان والد الحسن - الإمام زيد - قد توفّى و ترك دينا قدره أربعة آلاف دينار، فحلف الحسن ألا يظّل رأسه سقف، إلّا سقف مسجد

رسول الله صلّى الله عليه و آله أو بيت رجل يكلمه فى حاجة، حتى يقضى دين أبيه «٥». و وفى يمينه، و أدّى دين والده.

ذرية الحسن

و قد أعقب الحسن الأنور من الذرية الكثير من الأبناء البررة .. و هم كما يسميهم الأستاذ صلاح عزّام «٦»: أبا القاسم، و محمدا، و عليا،

و إبراهيم، و زبيرا، و عبد الله، و يحيى،

(١). و المشهور أنّ المنصور لم يرده و يعيد إليه أمواله، بل حبسه ما يقارب السنتين، و ضيق عليه حتى وفاته، فلما ولى المهدي الخلافة

قام بإخراجه من السجن، و قرّبه و أعاد إليه أمواله. راجع: تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩، تهذيب التهذيب ٢: ٢٧٩، المنتظم فى تاريخ الملوك و

- الأمام ٨: ٢٩٤، أعيان الشيعة ٥: ٧٥.
- (٢). راجع خطط المقرئزي ٤: ٣٢٦.
- (٣). نفيسة العلم و المعرفة لصلاح عزام: ١٩.
- (٤). انظر كتاب السيدة نفيسة لتوفيق أبو علم: ٥٨ و ما بعده، من تحقيقنا، طبع و نشر المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.
- (٥). راجع خطط المقرئزي ٤: ٣٢٥.
- (٦). نفيسة العلم و المعرفة: ٢٥.
- أهل البيت في مصر، ص: ٣٦٨
- و إسماعيل، و أسماء، و أم كلثوم، و نفيسة. و كلهم من أم سلمة، و هي زينب ابنة عمه الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. و كان الحسن محبًا لها، مهتمًا بأمرها.
- و قد كانت شغله الشاغل في معتقله على عهد المنصور، فكان يسأل عنها، و يتابع ما حفظت من كتاب الله و علوم دينها.

منزلته العلمية

كان الحسن عالما عاملا بعلمه، و قد ورث عن أبيه كثيرا من العلوم، و أصبحت له ألقاب تشير إلى منزلته العلمية، فكان يقال له: شيخ أهل البيت، و شيخ الشيوخ، و العابد، و الفاضل، و الشريف.

كما كان ثقة راويا، و من تلاميذه: الإمام مالك بن أنس، و محمد بن إسحاق، و محمد بن أبي ذئب المحدث الجليل - و هو غير ابن أبي ذئب الذي وشى به - و من تلاميذه أيضا: أبو أويس و وكيع.

و شيوخه: منهم أبوه الإمام زيد، و ابن عمه عبد الله بن الحسن، و أخذ عن عكرمة، و معاوية بن عبد الله بن جعفر.

و جاء في كتاب الكامل «١» للمبرّد: أن حسن الأنور ذهب إلى الحجّ فلفت نظره شخص يزاحم الحجيج، فأشار إليه و قال: خرقاء وجدت صوفا. و معنى ذلك أنه يفعل فعلا يضرّ أكثر ممّا ينفع، و كأنه بذلك يفسد حجّه؛ لأنّ المزاحمة في الحجّ مكروهة.

تشده في إقامة معالم الدين

و كان الحسن في أثناء ولايته مثلا في إقامته الحدود، و مراعاة الآداب الدينية و الشرعية.

و حدث أنّ عزل عبد الله بن مسلم بن جندب الهزلي عن إمامة الصلاة في مسجد الأحزاب.

(١). الكامل ٤: ٢٢١ و قد تقدّم ذكره.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٦٩.

فقال له: لم تعزلي عن منصب أبي و أجدادي؟

فقال: إنّما عزلك يوم الأربعاء.

و كان هذا اليوم مسموحا فيها للنساء بالصلاة في المسجد، و قد تعرّض هذا الرجل لبعض النساء بأبيات غزلية، فعاقبه الأنور عليها بالعزل «١».

و كان هناك شاعر اسمه ابن هرمه له مع الحسن أحاديث ظريفة، فلما ولي الحسن إمارة المدينة قال له: أنا لست كمن باعك دينه رجاء مدح، أو خوفا من ذمّ، فقد رزقني الله عزّ و جلّ بولادة نبية الممدوح، و جنبني المقابح، و إنّ من حقّه عليّ ألا أغضى عن تقصير في حقّ ربّي، و أنا أقسم بالله لئن جىء بك سكران لأضربنك حدّا للخمر و حدّا للسكر، و لأزيدنّ لموضع حرمتك بي، فليكن

تركك لها لله تعالى، تعن عليها، و لا تدعها للناس فتوكل إليهم «٢».

كرمه

و كان كريما سخيا معطاء. حكى الخطيب البغدادي قال: جاءه في الصباح الباكر مصعب بن ثابت الزبير و معه ابنه عبد الله، و كان الحسن يهّم بالركوب إلى مال له بالغباء في الطريق إلى مكة، و استجارا به حتى يدفع عنهما ديننا مستحقًا، فأرسل الحسن إلى صاحب الدين و اسمه ابن ثوبان، فسأله، فقال: على الشيخ سبعمائة، و على ابنه مائة «٣». فقضى عنهما الدين، و أعطاهما مائتي دينار .. و هذا مجرد مثل من أمثله كثيرة.

وفاته

عاش الأنور حياةً مديدة، تقدّر بخمسة و ثمانين عاما ... و يذكر الرواة في مكان وفاته أقوالا متعدّدة.

(١). معجم البلدان ٥: ٨٦-٨٧.

(٢). خطط المقرئى ٤: ٣٢٦.

(٣). تاريخ بغداد ٧: ٣١٠-٣١١.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٧٠

فقد قال ابن خلكان: مات بمصر، لكنّه غير مشهور «١». و قيل: إنّه توفى ببغداد و دفن في مقبرة الخيزران «٢». و قيل: مات بالحاجر أثناء حجّه مع المهدي عام ثمانية و ستين و مائة «٣».

و يذكر ابن إياس في تاريخه: أنّ السيدة نفيسة دخلت مصر مع أبيها الأمير حسن في بعض الأقوال «٤».

و يؤكّد الشيخ عبد الخالق سعد في كتابه الجواهر النفيسة: أنّ الإمام الأنور جاء مصر مع ابنته نفيسة بعد ما زارا معا قبر الخليل إبراهيم، و عاش في مصر القديمة بدءا من السبت السادس و العشرين من شهر رمضان سنة ثلاث و تسعين و مائة. إلّا أنّ هذا التاريخ ليس دقيقا؛ لأنّ الأنور مات قبل ذلك بكثير .. و يقول: لكن الملاحظ أنّ أسرة سيدي حسن الأنور فيها الكثيرون الذين دفنوا بمصر.

بل إنّ البعض يقول: إنّ زيدا مدفون في ضريح ابنه سيدي حسن الأنور .. الذي مات عن تسعين عاما .. و البعض يقول: إنّ الضريح ليس لزيد الأبلج، و إنّما هو لزيد بن حسن الأنور.

كما يقولون: إنّ السيدة نفيسة بنت زيد الأبلج مدفونة في مصر، كما أنّ محمدا الأنور أخا حسن الأنور، مدفون في مشهده القريب من مسجد السيدة سكينه، على يمينه الذهاب إلى السيدة رقية، و السيدة نفيسة .. كما يؤكّد ذلك كتاب العدل الشاهد في تحقيق المشاهد. و السؤال ما زال مطروحا: هل الحسن الأنور مدفون في مصر؟!

(١). وفيات الأعيان ٢: ١٦٨.

(٢). قاله محمد بن خلف و كيع. راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩.

(٣). و هو القول المشهور بين أصحاب التراجم و النسابة. راجع تاريخ بغداد ٧: ٣٠٩ و ٣١٣، عمدة الطالب: ٧٠، المنتظم ٨: ٢٩٤.

(٤). تاريخ ابن إياس: ٢١ و ٢٣ ط. الشعب، و ابن إياس ينقل ذلك عن وفيات الأعيان لابن خلكان.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٧١

يؤكد فضيلة الشيخ عبد الغفور محمود جعفر - شيخ جامع حسن الأنور، والذي يبحث دائما في تاريخه - أن مخطوطا ينقل عن ابن النحوى قصة طويلة مفادها: أن السيد حسن الأنور توفى في ريف مصر، وإن صحَّ هذا الكلام فقد نقل رفاة الحسن إلى مسجده الحالى.

و يتفق مع رأى الشيخ ما أورده الشيخ الصبان في كتابه «إسعاف الراغبين» (١) نقلا عن الشعرانى فى مننه: من أن الإمام حسن الأنور والد السيدة نفيسة فى التربة المشهورة قريبا من جامع القراء بين مجراة القلعة و جامع عمرو. و أن الذى أشهر هذه التربة و بنى عليها قبة - كما يرى على مبارك (٢) - حضرة عبد الرحمن كتحدا، أحسن الله إليه، و أسبل سرادقات لطفه عليه.

من هذا يتضح اختلاف الكتاب حول دفن الحسن الأنور فى مصر، و إن كان الإمام الشعرانى يرى «أن الروح فى البرزخ كمن يسبح فى نهر جار، يطفو فى أى مكان» أى يظهر فى أى مكان.

و الواقع أن هناك شواهد كثيرة تدل على وجود لآل البيت فى مصر، خاصة الذين ثار حول دفنهم الخلاف. و الحسن الأنور من خلال ضريحه و مسجده فى التاريخ و المعمار، تجعلنا نقول: إن إثبات دفنه أو نقل جسده الطاهر إلى مصر يحتاج إلى أبحاث المجتهدين. إن أقدم تاريخ عثر عليه لجامع الإمام حسن الأنور، منذ أيام دولة المماليك البحرية، فى القرن الثامن الهجرى، و فى عصر الناصر محمد بن قلاوون، أى منذ حوالى ستة قرون، و ليس معنى ذلك أن الجامع قد بدأ بناؤه فى هذا التاريخ، و إنما قبل ذلك. يدل على ذلك ما ورد فى خطط على مبارك (٣)، إذ يقول: «... عمّره القاضى

(١). إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار: ٢٣٧، و انظر لواقع الأنوار ٢: ٢٧١.

(٢). الخطط التوفيقية ٥: ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣). المصدر السابق: ٢٧٥.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٧٢

فخر الدين محمد بن فضل الله، ناظر الجيش باسم الملك الناصر محمد بن قلاوون، و انتهت عمارته سنة ٧١٢ هـ، و أقيمت فيه الجمعة حيثنذ، و له أربعة أبواب، و فيه ١٣٧ عمودا، و زرعه أحد عشر ألف ذراع و خمسمائة ذراع، بذراع العمل، و ما برح من أحسن المنتزهات إلى أن خرب ما حوله.

لكن لسبب أو لآخر، فإن ما أقامه قلاوون سقط أيضا، مع أن الجامع كما يقول الشعرانى: «كانت مساحته كبيرة، و كان حوله بساتين من أجمل المنتزهات ...»

و يؤكد ذلك على مبارك حين يقول: «... ثم زالت آثاره بالكلية، و قيل: إن الجامع كان محلّ السبع سواقى ذات البناء الضخم بجوار فم الخليج، التى تنقل الماء من النيل إلى مجراة القلعة. و يدل على ذلك ما اشتهر من أن الفرنسيين زمن دخولهم مصر، وجدوا هناك كثيرا من العمد الرخام الضخمة و أحجارا و نحو ذلك» (١).

لكن عمارة المماليك سرعان ما انهارت هى أيضا بعد حوالى أربعة قرون و نصف، و ظلّ الجامع متخربا حتى تجدد فى عام ١٢٨٠ هـ - و كما جاء فى خطط على مبارك (٢) - على يد ناظره الشيخ أبى زيد إسماعيل - كما هو مرقوم بأعلى بابه الغربى - عليه قبة حديثه، و تحت تابوته حجر من الرخام مكتوب عليه اسم: سيدى حسن الأنور، و بجوار هذا الضريح ضريحان: أحدهما لزيد الأبلج، و اسمه منقوش على قطعة حجر تحت تابوته .. و الآخر لجعفر. و لا يعرف من هو جعفر حتى الآن.

لكن هذا التجديد لا ينفى أن الأمير عبد الرحمن كتحدا فى القرن الثانى عشر الميلادى قد بنى قبة على ضريح سيدى حسن الأنور، كما سبق أن أسلفنا.

و كما هو ظاهر فإنَّ المسجد الحالي بمقارنته بما في أوراق الأوقاف ... فإنَّ مساحته قلَّت كثيرا، بل إنه الآن ليس حوله خضرة سوى نخلة واحدة، بالرغم ممَّا

(١). المصدر السابق: ٢٧٨.

(٢). المصدر نفسه: ٢٧٩.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٧٣

يقوله على مبارك من أنه كان «بجواره شجرتان من اللبخ و نخلات». و حتى الخمسينيات من القرن العشرين وصل المسجد إلى حالة يرثى لها؛ ممَّا دفع بعض أهل الحى إلى الاشتراك في تجديده و توسيعه.

و هكذا تبدو أهميَّة جامع الأنور .. و أهميته تكمن بالطبع في الضريحين الموجودين به لحسن الأنور و والده، اللذين ينتميان للحسن السبط، و هو فرع كثير من أوراقه المضيئة على تراب مصر.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٧٥.

٩- الإمام زيد ابن الإمام على زين العابدين عليهما السلام

إشارة

بقلم حنفى المحلاوى د. سعاد ماهر

أهل البيت في مصر، ص: ٣٧٧.

الإمام زيد بن على زين العابدين عليهما السلام «١»

إشارة

حنفى المحلاوى

من هو

حين يأتي الحديث عن الإمام زيد بن الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين رضى الله عنهم أجمعين، لا بدّ و أن نقرب بذات الحديث من والده الإمام على زين العابدين ... و ذلك لعدّة أسباب، أولها: أنّ المقبرة أو الضريح أو المشهد الموجود بالقاهرة الآن ... يعرف باسم ضريح زين العابدين ابن على ... و قد نسب إليه حى بأكمله يقع بالقرب من حى السيدة زينب. أمّا السبب الثانى و الرئيسى فهو أنّ الإمام على زين العابدين، هو الابن الذى نجاه الله ربّ العالمين من بين يدي يزيد بن معاوية ... و عن طريقه زادت ذريّة الإمام الحسين عليهم السلام، و أنارت الدنيا بأخلاقها و علمها و صفاتها الطيبة.

و بطبيعة الحال فإنَّ الحديث عن الأب لا شكّ سوف يقربنا كثيرا من الابن، و بالتالى التعريف به ..

و كما هو معروف تقريبا- وفق الإجماع- فإنَّ الإمام على زين العابدين قد ولد

(١). مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».

أهل البيت في مصر، ص: ٣٧٨

في المدينة، وفي بيت جدته السيدة فاطمة الزهراء، وذلك في يوم الخميس السابع من شعبان في السنة السابعة والثلاثين من الهجرة (١)

وقد علمه والده الإمام الحسين علوم الدين وهو طفل، فمما والدين يملأ عقله وقلبه، وكما مرّ علينا من قبل، فقد شاء القدر أن يسافر مع والده الإمام الحسين ليشهد موقعة كربلاء، واستشهاد أبيه، بل كان هو نفسه قاب قوسين أو أدنى من الموت لو لا موقف عمته السيدة زينب رضي الله عنها.

اشتغل الإمام علي زين العابدين بالتجارة، ففاضت عليه بالرزق الوفير... وقد خصّص جانباً كبيراً من ماله لتحرير الموالى، الذي كان يشترطهم ويؤدّبهم بأدب الإسلام، ثم يعتقهم لوجه الله.

والغريب أنّ الإمام الشعرائي قد ذكر في طبقاته أنّ علياً زين العابدين، عند ما مات نقل جثمانه الشريف إلى القاهرة في عام ٥٢٩ هـ (٢)، بل وهناك رواية أخرى تقول: إنّ وفداً إلى مصر بصحبة عمته السيدة زينب! (٣).

هذا عن الأب.. أمّا عن زيد بن علي زين العابدين، فقد ولد عام ثمانين من الهجرة (٤)،

(١). الإجماع على محلّ ولادته عليه السلام وهي المدينة، أمّا تاريخ ولادته عليه السلام فهناك اختلاف فيه بين العلماء، فقيل: الخامس من شعبان، وقيل: السابع منه، وقيل: التاسع منه، وقيل: بل النصف من جمادى الأولى. وهكذا في سنة ولادته، فقيل: ٣٦ هـ وقيل: ٣٧ وقيل: ٣٨. راجع سيرة المعصومين: ٢٦ والأنوار البهية: ١٠٧. (٢). كذا.

(٣). والمشهور أنّه توفّي عليه السلام بالمدينة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٩٤ أو ٩٥ للهجرة وله يومئذ ٥٦ أو ٥٧ سنة ودفن بالمدينة، وقبره في البقيع في القبّة التي فيها العباس وعمه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام. وقد سمّيت سنة وفاته بسنة الفقهاء؛ لكثرة من مات فيها من العلماء والفقهاء، حيث مات بعده:

سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وسعيد بن جبيرة.. راجع ارشاد المفيد: ٢٥٤، توضيح المقاصد: ٣ وما بعده، تاج المواليد: ٣٨، نور الأبصار: ٢٨٦، مسار الشيعة: ٤٥، تذكرة الخواص: ٣٣٢، الأنوار البهية: ١٢٧.

(٤). اختلفت الأقوال في سنة ولادته، فقيل: ولد سنة ٥٥ هـ، وقيل: ٦٦ أو ٦٧ هـ، وقيل: ٧٨ هـ، وقيل: ٨٠ هـ كما في تقريب التهذيب لابن حجر. لكن رواية شراء المختار لأمه وبعثه إياها إلى أبيه علي بن-

أهل البيت في مصر، ص: ٣٧٩

وأمه أم ولد... وهي امرأة كانت مملوكة لأبيه، وإليه تنسب طائفة الزيدية، وهي إحدى الطوائف الشيعية، وأكثرها اعتدالاً وقرباً إلى أهل السنة.

وكان خلفاء بني أمية يهابون زيد بن علي زين العابدين ويخشونه، ويقولون عنه:

إنّ له لساناً أحدّ من السيف، وكلاماً أبلغ من السحر (١).

وعند ما نقرأ سيرة هذا الإمام الذي ينتسب إلى آل البيت... نجد أنّه حاول في مسيرته نحو تحقيق حلم الخلافة أتباع خطوات جدّه الإمام الحسين.. ثم جدّه الأعلى الإمام علي رضي الله عنهم أجمعين.

وقد بدأ تحقيق أولى خطوات الحلم بتكوين جيش صغير من مجموعة من أتباعه... ثم ثار بعد ذلك إلى الكوفة، ولكنّه همّ بالرجوع إلى المدينة المنورة، فتنبّه أهل الكوفة وأقنعه بالبقاء لمحاربة بني أمية، وتحقيق حلمه وحلم أجداده!!

والغريب فيما يرويه التاريخ: أنّ أهل الكوفة قد أعطوه ميثاقاً... رغبة منهم في أن يكون هذه الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية، وما

زالوا على ذلك حتى أعادوه إلى الكوفة... و هم في ذلك قد أتبعوه معه نفس ما أتبع مع جدّه المباشّر الإمام الحسين، و جدّه الأكبر الإمام على بن أبي طالب عليهما السّلام.

و لما علم بذلك الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك «٢»... حدّث في شأنه أمير

الحسين عليهما السّلام، و الحديث الحاكي عن سبب تسميته يزيد يدلّان على أنّها علقت به في السنّة التي بعثها المختار إلى الإمام زين العابدين عليه السّلام، و المختار- كما هو معروف- قتل سنة ٦٧هـ، فلا يمكن و الحال هذه أن تكون ولادته في سنة ٨٠هـ و لا سنة ٧٥هـ كما يرويها صاحب الحقائق الوردية، و لا سنة ٧٨هـ كما في تاريخ ابن عسّاكر.

(١). انظر زهر الآداب و ثمرة الألباب ١: ٧٢، و الروض النضير ١: ٧٢-٧٣.

(٢). هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، من ملوك الدولة الأموية، ولد في دمشق ٧١هـ، و بويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ، نشبت في أيامه حروب هائلة، خصوصا مع خاقان الترك فيما وراء النهر، انتهت بمقتل خاقان و الاستيلاء على بعض بلاده، فاجتمع في خزائنه من المال ما لم يجتمع في خزانه أحد من ملوك بني أمية، توفي بدمشق سنة ١٢٥هـ. (اعلام الزركلي ٨: ٨٦)

أهل البيت في مصر، ص: ٣٨٠

الكوفة التابع له... يوسف بن عمر الثقفي «١»، الذي أعدّ بدوره جيشه لملاقاة زيد ابن الإمام على زين العابدين، و جرى بين هذين الفريقين قتال «٢» تفرّق فيه أصحاب زيد، و بقي منهم فئة قليلة من أهله يقاتلون معه قتالا شديدا، حتى سقط هو الآخر شهيدا... و كان ذلك في شهر صفر عام ١٢٢هـ، و قيل: ١٢١هـ.

و وقع له ما وقع لجدّه الإمام الحسين... حيث قطعوا رأسه و أرسلوا به إلى الخليفة في دمشق! و قد دفن جسده في الكوفة بعد انتهاء المعركة..

أمّا رأسه الشريفه قد اختلف الرواة في مكان دفنها، فقيل: إنّ هذه الرأس حملت إلى الكوفة ثم أحرقت، و ذرى رمادها في الفرات! «٣». و قيل أيضا: إنّّه قد بعث بها إلى

(١). يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي، من جبابرة الولاة في العهد الأموي، ولي اليمن لهشام سنة ١٠٦هـ، ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة ١٢١هـ، و ما لبث أن أضاف إليه إمرة خراسان، فأقام بالكوفة بعد أن قتل سلفه في الإمارة خالد بن عبد الله القسري تحت العذاب و استمر حتى أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فعزله أواخر سنة ١٢٦هـ و قبض عليه فحبسه بدمشق، و لبث إلى أن أرسل إليه ابن خالد القسري من قتله بالسجن ثارا لأبيه. كان شديدا ظلوما، يضرب بالتيه و الحمق (وفيات الأعيان ٢: ٣٦٠، الاعلام ٨: ٢٤٣).

(٢). فقد جرت جملة معارك انتهت أخيرا باستشهاده. و كان قد بايعه أربعون ألفا، و لم يبق معه سوى ثلاثمائة رجل، حتى إذا كان عند جنح الليل رمى زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى، فنزل السهم في الدماغ.

راجع حوادث سنة ١٢١هـ من كتب التاريخ: الطبري و ابن الأثير و المسعودي.

(٣). روى الصدوق في أماليه من المجلس (٦٢) حديث ٢ بسنده إلى محمد بن أبي عمير عن حمزة بن حمران قال: دخلت إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السّلام فقال لي: يا حمزة من اين أقبلت؟ قلت: من الكوفة، فبكي حتى بليت دموعه لحيته، فقلت: يا ابن رسول الله ما لك أكثر البكاء؟ قال: ذكرت عمي زيد و ما صنع به فبكيت، فقلت له: و ما الذي ذكرت منه؟ فقال: ذكرت مقتله، و قد أصاب جبينه سهم فجاء ابنه يحيى فانكبّ عليه، و قال له: ابشر يا أبتاه، فإنك ترد على رسول الله و على و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم، قال: أجل يا بني. ثم دعى بحداد فنزع السهم من جبينه، فكانت نفسه معه، فجيء به إلى ساقية تجري عند

بستان زائده، فحفر له فيها و دفن، و أجرى عليه الماء، و كان معهم غلام سندی لبعضهم، فذهب إلى يوسف بن عمر من الغد فأخبره بدفنهم إياه، فأخرجه يوسف فصلبه في الكناسة أربع سنين، ثم أمر به فأحرق بالنار و ذرى في الرياح. و بنحوه ذكر أبو الفرج في المقاتل، و المسعودي في مروج الذهب.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٨١

هشام بن عبد الملك فنصبها على باب دمشق ثم أرسلها إلى المدينة «١» .. أما الكندي فيؤكّد قدوم الرأس إلى مصر، كما قيل في شأن هذه الأمر في كتاب «الجواهر المكنون» أنه بعد قدوم رأسه إلى مصر، طيف بها، ثم نصبت على المنبر الجامع بمصر أي «جامع عمرو» في سنة ١٢٢ هـ، فسرت و دفنت في هذا الموضع، إلى أن ظهرت و بنى عليها مشهد في الدولة الفاطمية.

صفاته و بلاغته

كان من شأن شخصية فريده مثل شخصية زيد بن علي زين العابدين، أن تتأثر كثيرا في صفاتها و أخلاقها بما كان عليه والده علي زين العابدين الذي أطلق عليه هذا اللقب؛ نظرا لأنه كان يصوم النهار و يقوم الليل، أي يتعبّد آناء الليل و أطراف النهار .. كما لقب والده أيضا بشيخ الساجدين؛ لأنه كان يطيل السجود لله تعالى، و كذلك لقب بشيخ البكّائين؛ لأنه كان يبكي حتى تخضّل لحيته بالدموع. و قد قدّم لنا و للتاريخ أبو إسحاق و صفا فريدا للإمام زيد، قال فيه: «رأيت زيد بن علي فلم أر في أهله مثله، و لا أعلم منه و لا أفضل من زيد بن علي، و لا أفقه و لا أشجع و لا أزهد و لا أبين قولا، لقد كان منقطع القرين ..» «٢».

و تنسب إليه طائفة الزيدية، و هي من أكبر فرق الشيعة و أكثرها اعتدالا «٣» .. و لعل

(١). الخطط المقريزي ٣: ٣٣١، النفحة العنبرية: ٧٣.

(٢). القول منسوب إلى أبي حنيفة. راجع تاريخ دمشق ٢٣: ٢٩٩، خطط المقريزي ٣: ٣٣٥، الروض النضير للسياغي ١: ٩٨.

(٣). و هي الطائفة القائلة بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في وقته، ثم ابنه يحيى بن زيد بعده. تشتمل على جملة عقائد و أحكام تميّزت بطابع خاصّ بها ميّزها عن غيرها من الطوائف الأخرى.

ففي التوحيد تقول هو عدم شرك الغير بالله تعالى، و تقول: إنّه ليس المراد من الوحدة العددية التي يتركب بها الأعداد، و يعلّون ذلك بقولهم: إنّ البرهان قام عن طريق التفكير و التدبير، كما أنّ معرفة الله هو اليقين -

أهل البيت في مصر، ص: ٣٨٢

ذلك يرجع في الاساس إلى إمامها زيد بن علي، الذي تتلمذ عليه واصل بن عطاء، فتأثر به في علمه، و قوة حجّته، و سلامة حكمه. و الطائفة الزيدية الشيعية هذه «١» ... قد انتشرت في طبرستان و اليمن.

و سبق أن أوضحنا كيف كان الأمويون يخشون على أنفسهم من لسانه لفصاحته، و ممّا يروى في هذا السياق ... تلك المحاوره التي وقعت بين الخليفة الأموي هشام

عليه، و يكون على وجهين: إثبات و نفى معا، فالإثبات هو اليقين به و الاقرار به، و النفي هو نفى التشبيه عنه. و أمّا في العدل فتقول: إنّ الله لا يفعل القبيح، و لذا فهو لا يعذب أحدا إلّا على ذنب ارتكبه أو جرم اقترفه، و هو لا يحب الفساد، و لا يخلق أفعال العباد، كذلك فهو لا يثب أحدا إلّا بعمله. و تقول أيضا بالوعد و الوعيد، و أنّه لا يخلف وعده. و تؤمن بالمنزلة بين المنزلتين. و أمّا الإمامة فعندها من أفرض الفرائض و أوكدها، و هي نوع من النبوة، و هي تأتي على طريقين:

١- اليقين: و هي لا تكون إلّا في أهل البيت.

٢- والترشيح: بمعنى أن يختار من آل البيت مَن تتوفر فيه شروط الإمامة. و آل البيت سواء من نسل الحسن أو الحسين واحد. ولا تشترط فى الإمامة العصمة، ولا أفضل أهل زمانه، وإنما شرطه أن يكون من ولد فاطمة، وأن يكون شجاعا عالما، يخرج بالسيف. وبعض الزيدية أجاز الإمامة فى غير الفاطميين من ولد على عليه السلام و هو من أقوالهم الشاذة.

هذا و يذكر أن الزيدية تعتقد بإمامة على بن أبى طالب، إلا أن إمامته لم تكن عن طريق نص الرسول صلى الله عليه وآله، بل تراه إماما حين دعا إلى نفسه، فهو بالانتخاب و الوصف إمام لا بالنص. و أما فقهمم فأخذونه من فقه زيد الذى هو قريب من فقه الأئمة المشهورين فى وقته، فلم تخرج عن فقهاء الأمصار، و منهاجهم فى الاستنباط لا يبعد عن منهاج الأئمة المعاصرين كأبى حنيفة و ابن أبى ليلى و الزهرى. فهم يأخذون بالكتاب ثم السنّة. و عندهم نصوص الكتاب مراتب و كذلك السنّة. فإن لم يكن فالقياس، و يدخلون الاستحسان و المصالح المشتركة فى القياس، و يتممّ يكون بفتح باب الاجتهاد. و لا يقولون بالتيقن بمكان. و يذلك يتبين أن الزيدية ليسوا من الشيعة. كما أنهم ليسوا من السنّة و لا- من الخوارج، بل هم طائفة مستقلة بين الشيعة و السنّة. راجع معجم الفرق الاسلاميه شريف يحيى الأمين ١٢٧-١٢٩، و تاريخ الفرق الاسلاميه للعلامة محمد خليل الزين ١٧٧-١٨١.

(١). تقدّم فى الهامش السابق بأنّ الزيدية ليست من الشيعة؛ لأنهم لا يوجبون النصّ على الإمام، و لا يشترطون الإمامة من ولد الحسين عليه السلام، و يجيزون تقديم المفضول، كما أنهم ليسوا من السنّة، لأنهم حصروا الإمامة فى ولد فاطمة الحسن و الحسين، و يعتقدون بإمامة على بن أبى طالب، فليسوا اذا من الخوارج. هذا إلى أنهم يأخذون بفقه أبى حنيفة، و أن فقهمم أقرب إلى الفقه الحنفى منه إلى الإمامية.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٨٣

بن عبد الملك و بين الإمام زيد. فقد حدث أن اجتمع الخليفة بالإمام زيد، فقال له هشام: بلغنى أنك تريد الخلافة، و أنت لا تصلح لها؛ لأنّ أمك أم ولد!

فردّ عليه زيد قائلا: كان لنبى الله إبراهيم ولدان، أحدهما: إسماعيل من هاجر، و هى أمه، أى: مملوكه، و إسحاق من حرّة، و هى سارة، فأخرج الله من صلب إسماعيل خير ولد آدم، و هو جدنا محمد صلى الله عليه وآله. فقال له هشام: قم.

فقال زيد بن على زين العابدين: إذن لا ترانى إلا حيث تكره! (١).

رحم الله الإمام زيد بن على زين العابدين، فقد لاقى مثل ما لاقاه جدّه الإمام الحسين، و جدّه الأعلى الإمام على بن أبى طالب عليهم السلام.

و كان هذا الإمام العابد- و منه ما أكدده عبد الرحمن الشرقاوى فى كتابه عن الأئمة- يدعو دائما إلى إعمال العقل، فالعقل وحده هو الذى يحكم على الأفعال بالحسن أو بالقبح، و كان الحكام آنذاك يحاولون أن يخنقوا الفكر و الرأى، و أن يعطلوا العلم و العقل؛ ليفرضوا على الأمة قبول ما يفعلون.

و بقدر ما كانت الأمة تحتقر صنّاع الزيف من أشباه الفقهاء، كانت تكبر كبار الفقهاء و العلماء الشرفاء، و المفكرين الأحرار؛ لذلك كان الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان و عماله على الأمصار يتربصون بهؤلاء الشرفاء... و قد خافوا ذلك و ابتعدوا عن السياسة.. و لكن الإمام زيد بن على زين العابدين، قد سلك طريقا آخر.. طريق البحث عن الحقيقة.. و أعلن أنّه لا يحقّ لمسلم أن يقبل هدية أو عطاء من حاكم ما لم يكن عادلا- يحقّ مصالح الأمة... ثم أذن فى الناس بأنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر واجب شرعى، و أصل من أصول الدين... كما كان يصرّح فى مجالسه

(١). روى تفصيل القصة ابن عساكر فى تاريخه ٢١: ٣٣٣-٣٣٤، و المسعودى فى مروج الذهب ٣: ٢٠٦، و ابن حجر فى الصواعق:

٢٤٦-٢٤٧.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٨٤

كثيرا برأيه فى شروط الخلافة .. و جاهر بأن الخليفة لا يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله و أميرا للمؤمنين إلّا فى ضوء هذه الشروط «١».

وصف المشهد

هناك اتجاه عام لدى العديد من المؤرخين ... بشأن جثمان كل من الإمام على زين العابدين، و رأس ابنه زيد ... إذ أكد معظم هؤلاء أن المقام أو الضريح أو المشهد الموجود حاليا بحى زين العابدين بالسيدة زينب، إنما يحوى جثمان كل من الإمام زين العابدين و رأس ابنه زيد .. و قد أكد ذلك الكاتب الصحفى الإسلامى الراحل عبد المنعم قنديل فى كتابه حياة الصالحين عند ما قال: «و حين يدخل الزائر إلى مقامه يجد عماتين على المقام .. الأولى تشير إلى زين العابدين، و الثانية إلى ابنه زيد الذى قتل فى الكوفة و نقل رأسه إلى القاهرة».

و مما يقال بشأن مقبرة زيد ابن الإمام على زين العابدين ... إن والى مصر حنظلة بن صفوان هو الذى دفن الرأس الشريف بالمكان الذى يعرف الآن بمشهد الرأس بحى زين العابدين بالقاهرة.

هذا المشهد أنشئ فى بادئ الأمر داخل بناء قديم لم يبق منه الآن إلّا مدخله بالوجهة الغربية فى الفتحة الصغيرة، المركب فوقها مصراع واحد من الجرانيت، و محاط بحلق من الجرانيت أيضا. و يوجد بالطرفه الداخلى للمشهد عقد فاطمى على يمين الداخل للمصلى و المسجد الحالى ... عدا بقايا المبنى القديم.

هذه المقبرة أو هذا المشهد - كما يحلو لرجال الآثار تسميته - يوجد الآن بحى زين العابدين، نسبة إلى العصر الإسلامى باسم «الحمراء القصى» - وفق ما أورده المقرئى فى خطه - هى منطقة تقع إلى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط - مصر

(١). تقدّم آنفا الكلام حول هذه الشروط.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٨٥

القديمة الآن - و عليها أسس العباسيون مدينة العسكر ثانية عواصم مصر الإسلامية.

أمّا المسجد الملحق به المقبرة، و المعروف باسم مسجد زين العابدين، فيرجع تاريخه إلى أوائل القرن التاسع عشر، حيث جدده و أعاد معظم مبانيه عثمان آغا مستحفظان .. و قد بنى له و للسيدة حرمه حفيظة هانم مقبرة بالمسجد، حيث دفن بها بعد وفاته عام ١٢٣١ هـ / ١٨١٦ م .. كما لحقته زوجته بعد وفاته، حيث توفيت عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٦ م ... و ذلك كما هو واضح مما كتب على قبر كل منهما. أمّا العمارة الفاطمية لهذا المسجد و لهذه المقبرة فلم يتبق منها إلّا لوحة تذكارية مثبتة على مدخل المسجد القديم بالوجهة الغربية، و قد كتب عليها: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا مشهد الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين بن على بن أبى طالب، صلوات الله عليهم أجمعين، فى سنة ٥٤٩ هـ».

أمّا القبة التى تعلق المقبرة فترجع إلى العصر المملوكى ... حيث شيدت فى القرن الثامن الهجرى، و فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى شيدت مقصورة جديدة للضريح، و هى تعتبر - على حد قول الدكتور سعاد ماهر - نموذجا لصناعة الحديد المزخرف فى مصر ... كتب عليها: «أنشأ هذه المقصورة سعادة محمد قفطان باشا سنة ١٢٨٠ هـ، و هو الذى كسا عتبة باب القبة ببلاطات من القيشانى الأزرق العثمانى الجميل».

و يؤكد الكاتب الإسلامى الراحل عبد المنعم قنديل فى حديثه عن الإمام على زين العابدين على أن الزائر حين يدخل إلى المقام يجد

عمامتين على المقام ..

الأولى تشير إلى الإمام على زين العابدين ... و الثانية تشير إلى زيد ابنه الذي قتل في الكوفة و نقل رأسه إلى القاهرة. و كان لا- يمكن لنا أن نترك البحث عن هذه المقبرة دون أن نذكر ما جاء في كتاب خطط المقریزی، تحت عنوان: «ذكر المشاهد التي تتبرك الناس بزيارتها» (١) و ممّا

(١). خطط المقریزی ٣: ٣٣٨.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٨٦

ذكره المقریزی في هذا الشأن قوله: هذا المشهد فيما بين الجامع الطولوني و مدينة مصر، تسميه العامة مشهد زين العابدين و هو خطأ، و إنما هو مشهد رأس زيد بن على المعروف بزين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب حين أنفذه هشام بن عبد الملك إلى مصر، و نصب على المنبر بالجامع، فسرقه أهل مصر و دفنوه في هذا الموضع.

و قال الكندي في «كتاب الأمراء»: و قدم إلى مصر في سنة اثنتين و عشرين و مائة أبو الحكم بن أبى الأبيض القبس خطيباً برأس زيد بن على رضوان الله عليه، يوم الأحد لعشر خلون من جمادى الآخرة، و اجتمع الناس إليه في المسجد.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٨٧

مرقد زين العابدين «١»

د. سعاد ماهر

يوجد هذا المشهد في الحى المعروف الآن بحى زين العابدين، و كان يعرف في أوائل العصر الإسلامى باسم «الحمراء القصوى»، و تقع هذه المنطقة إلى الشمال الشرقى من مدينة الفسطاط- مصر القديمة الآن- و عليها أسس العباسيون مدينة العسكر، ثانياً عواصم مصر الإسلاميه.

و المسجد الموجود حالياً يرجع إلى أوائل القرن التاسع عشر، فقد جدده و أعاد معظم مبانيه عثمان آغا مستحفظان، أمّا عمارة الدولة الفاطمية فلم يبق منها سوى عقد واحد يوجد بالطرق الداخلية، على يمين الداخل إلى رواق القبلة، كما توجد لوحة تذكارية مثبتة على مدخل المسجد القديم بالواجهة الغربية، كتب عليها ما يلى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا مشهد الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام على بن أبى طالب صلوات الله عليهم أجمعين فى سنة ٥٤٩هـ».

أمّا القبة التي تعلق الضريح فترجع إلى العصر المملوكى فى القرن الثامن الهجرى، و فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى عملت مقصورة جديدة للضريح تعتبر نموذجاً

(١). مقتبس من كتاب «مساجد مصر و أولياؤها الصالحون».

أهل البيت في مصر، ص: ٣٨٨

لصناعة الحديد المزخرف بمصر، كتب عليها: «أنشأ هذه المقصورة سعادة محمد قفطان باشا سنة ١٢٨٠هـ»، كذلك كسا عتب باب القبة ببلاطات من القيشانى الأزرق العثمانى الجميل (١). أهل البيت في مصر ٣٨٨ مرقد زين العابدين ص : ٣٨٧

(١). المرقد الآن تحت التجديد و التوسعة، و يقول بعض المؤرخين: إن هذا المرقد مقبرة للإمام زيد ابن الإمام علي زين العابدين عليهما السلام، و قد نقلنا آراءهم في هذا الكتاب.

أهل البيت في مصر، ص: ٣٨٩

١٠- محمد الجعفرى ابن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام

إشارة

بقلم حنفى المحلاوى

أهل البيت في مصر، ص: ٣٩١

الإمام محمد الجعفرى ابن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام «١» حنفى المحلاوى

من هو

و تتوالى فيوضات آل البيت الذين اختاروا مصر مقاما لهم ... بعد ما وجدوا فيه الأمان في الحياة و في العبادة ... و قد سكنها- كما سبق و بينا- ثمانية من هؤلاء الأشراف من الذين قدموا إلى مصر؛ للمقام بها في الدنيا و في الآخرة! هذا، و يحتل الإمام محمد الجعفرى ابن الإمام جعفر الصادق عليهما السلام مرتبة متقدمة في أشراف آل البيت الذين عاشوا في مصر، و دفنوا تحت ترابها و ينسب الإمام محمد إلى والده الإمام جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبى طالب عليهم السلام ... و مما يقال في هذا السياق: إن الإمام جعفرا قد أنجب من الأولاد غير ما هو معروف الكثير «٢»، و هم: موسى، و إسماعيل .. و منهم

(١). مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».

(٢). ذكر صاحب المجدى في أنساب الطالبيين: ٩٦ و ما بعده: أنه ولد اثني عشر ذكرا و أربع عشرة امرأة،-

أهل البيت في مصر، ص: ٣٩٢

عبد الله الأطفح، و محمد الديباج المعروف باسم محمد الجعفرى ... صاحب المقبرة الموجودة حاليا في القاهرة «١». و قد ذكر أبو الحسن النوبختى في كتابه «فرق الشيعة»: أن فريقا من هؤلاء ذهب إلى أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه محمد، أخو موسى و إسحاق! «٢».

و قبل الاسترسال في الحديث عن سيرة هذا الإمام ... رأينا ضرورة أن نعرّف الذين يتابعون معنا هذه الرحلة فوق هذه الأوراق ... بجعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن علي زين العابدين، و أخى الإمام زيد رضى الله عنهم أجمعين.

و من أشهر الكتب الحديثة التي تناولت حياة هذا العبد الصالح، ما كتبه الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى في كتابه المهم «أئمة الفقه التسعة» و مِمَّا قاله عن الإمام جعفر الصادق: «إنه لم يجمع الناس على حبّ أحد في عصره كما أجمعوا على حبّ الإمام جعفر ابن الإمام محمد، الذى اشتهر فيهم باسم جعفر الصادق ... و هو من العترة الطاهرة، عترة رسول الله صلّى الله عليه و آله إذ كان جدّه لأمه هو أبو بكر، و جدّه لأبيه هو الإمام علي بن أبى طالب ... و هو نسب لم يجتمع لأحد غيره» «٣».

ولد الإمام جعفر الصادق في المدينة سنة ٨٠ هـ، و مات فيها سنة ١٤٨ هـ، و خلال هذا العمر المديد .. أغنى الحياة و الفكر، بحسن السيرة و العلم الغزير.

و هنّ: خديجة و حكيمة و زينب و أسماء و فاطمة و عالية و ريطه و أم كلثوم و أم محمد و لبابه و مليكة و عشيرة و بريهة و رقيه. و أما الرجال: إسحاق و عبيد الله و عبد الله و جعفر و الحسن الأكبر و الأصغر، و إسماعيل و الحسين و محمد و على و العباس و موسى.

(١). المشهور بين المصادر أنه توفى فى ايران، منهم من قال: توفى بخراسان، و إن المأمون بنفسه حمله من سريره و وضعه فى لحدّه. راجع مقاتل الطالبيين: ٣٦٠. و من علماء الإمامية أنه مات بجرجان بعد ما أخرج من خراسان. راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠٧ حديث ٨، بحار الأنوار ٤٩: ٣٢، موسوعة الإمام الصادق عليه السلام ٢: ١٨٨.

(٢). فرق الشيعة: ٧٦.

(٣). أئمة الفقه التسعة لعبد الرحمن الشرقاوى، ط. القاهرة (منه).

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٩٣

و قد حفظ القرآن الكريم و هو صبى، كما أخذ يتقن تفسيره، و يحفظ الأحاديث و السنّة من أوثق مصادرهما عن آل البيت. و كان عصر ذلك الإمام قد شهد التوتر و النزاعات السياسية التى راح ضحيتها العديد من آل البيت. كما كانت الدولة الأموية تضع العيون و الجواسيس على آل البيت منذ استشهاد الإمام الحسين، فقد كانت تضطهدهم، و تخشى أن ينهض واحد منهم لينتزع الخلافة. و كان الإمام جعفر، منذ رأى بطش الحكّام بآل البيت و أنصارهم، و بالباحثين عن الحقيقة، و بمقاومى الاستبداد، قد أخذ بمبدأ التقيّة، فلم يجهر بالعداء لبني أمية؛ اتقاء شرّهم، و حذر الفتنة. و رأى أن خير ما يقاوم به البغى هو الكلمة المضيئة التى تنير للناس طريق الهداية.

و كان قد اختار العراق مقاما له بعد ما ترك المدينة؛ أملا فى توصيل علمه و أفكاره إلى قطاع عريض من المسلمين هناك، و للبلاد التى حولها.

و لكن هذه الأفكار لم ترق لخلفاء بنى العباس ... فطلب منه الخليفة المنصور - و هو الخليفة الثانى من خلفاء الدولة العباسية - أن يغادر البلاد! فتركها و هو فى سنّ الخامسة و الستين من عمره إلى المدينة ... حيث عاش حتّى مات و دفن هناك.

و قد اعتبره المؤرّخون إمام الشيعة و شيخ أهل السنّة، لما تركه وراءه من ثروة من الفقه و العلم و التأملات «١».

و إذا كان ما سبق و مرّ علينا من كلمات هى بحقّ تعبير عظيم عن إمام اجتهد كثيرا فى الله، بما أوتى من علم و فقه حتّى صار أحد أئمة الفقه الإسلامى ...

(١). و الحديث فى هذا الموضوع يتطلّب المجلّدات، و لعلّ خير ما اختصر ذلك الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى فى كتابه «الإمام جعفر الصادق عليه السلام» حيث أشار بعناية إلى نبوغ الإمام فى زمانه، و مدرسته الكبرى، و أهم ملامح منهجه العلمى و الاقتصادى و الاجتماعى و ربما السياسى. و هو كتاب يجدر مطالعته بعد ما تمّ تحقيقه و طبعه و نشره بأجمل حلله على يد المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٩٤

هذا الإمام كان حفيّا به أن ينبج إماما آخر من الأئمة، و من العلماء الذين واصلوا العطاء .. حتّى صار ينسب إليه معظم فرق الشيعة ... و هو الإمام محمد الجعفرى صاحب المقام و المقبرة التى هى حديث الأوراق.

ولد محمد الجعفرى من أم ولد يقال لها: حميدة، و كان محمد منذ نعومة أظفاره و قورا، يتربّع عن الصغائر، و لا يجارى أتراه فى لعبهم و لهوهم.

و كان هذا الصبى قريبا إلى قلب والده الإمام جعفر لشده شبهه بالوالد، و برسول الله صلى الله عليه و آله «١».

و عن هذا الحب الخالص بين الأب و ابنه أورد المؤرّخون الكثير من الحكايات، منها: أنّ محمدا دخل على أبيه جعفر يوما و هو صبي، فعدا نحوه، فكبا في قميصه و وقع لحرّ وجهه، فقام إليه جعفر و قبله، و مسح التراب عن وجهه، و وضعه على صدره، و قال: سمعت أبي يقول: إذا ولد لك ولد يشبهني فسّمه باسمي، فهو شبيهي و شبيه رسول الله صلّى الله عليه و آله و على سنّته. و يضيف النوبختي على ذلك فيقول: لذلك فقد جعل جماعة من الشيعة الإمامة لمحمد بن جعفر و ولده من بعده فرقة، و هذه الفرقة تسمّى «السمطية» التي تنسب إلى رئيس لهم، يقال له: يحيى بن أبي سميط! «٢».

و دعوة محمد بن جعفر الصادق الشيعية في الإمامة، لم تمت بموته كما أقرّ ذلك كلّ مؤرخي الشيعة، حيث ذكر ذلك المؤرّخ يحيى بن الحسين في كتابه المهمّ «تاريخ الأئمة السادة على مذهب الزيدية» و ممّا قاله في السياق: و قد كاتبه أهل البصرة و الأهواز، و حثّوه على الظهور، فاتّصل خبره بمسامع الخليفة! فأمر بالتشديد في طلبه ... فلم يطب للقاسم المقام في مصر، فعاد إلى الحجاز، و منها إلى تهامة.

و لحق به جماعة من بني عمه و غيرهم ... فبثّوا الدعوة باسمه في بلخ و البلقان

(١). الرواية ينقلها النوبختي في كتابه فرق الشيعة: ٧٦-٧٧ سيذكرها المؤلف بلفظها.

(٢). المصدر السابق: ٧٧.

اهل البيت في مصر، ص: ٣٩٥

و مرو، و غيرها ... فذاع خبره، و بعث الخليفة إلى بلاد اليمن جندا يطلبونه، فاختم في حيّ من بدو كثيف، فانتقض عليه أمره، و ذلك عام ٢٢٠ هـ.

صفاته و علمه

نظرا لاحتلال الإمام محمد الجعفرى هذه المكانة الدينية داخل عقول و قلوب أصحاب مذهب الشيعة، فقد حظى بالكثير من الدراسات التي قدّمت لنا و صفا له و لغزارة علمه.

فقد وصفه المؤرّخ محمد بن الحسن الطوسي في كتابه «فهرست كتب الشيعة»، فقال عن مرحلة رجولته: و كان محمد بن جعفر شيخا من شيوخ آل أبي طالب، يقرأ عليهم العلم، روى عن أبيه رضوان الله عليه علما جمّا، فمكث بمكة مدّة «١».

أمّا الفخرى فقال عنه في كتابه «الآداب السلطانية» و ذلك عند حديثه عن خلافة المأمون: و في أيامه خرج محمد بن جعفر الصادق رضوان الله عليهما بمكة، و بويع خليفته، و سمّوه أمير المؤمنين، و كان بعض أهله قد أحسن له ذلك حين رأى كثرة الاختلاف ببغداد، و ما بها من فتن و خروج الخوارج. و كان الغالب على أمر محمد ابنه و بعض بني عمه، فلم يحمد سيرتهما، و أرسل المأمون إليهم عسكريا، فكانت الغلبة له، و ظفر به المأمون، و عفا عنه «٢».

وصف المقبرة

نحن نقدم من خلال هذه الإطلالة السريعة و صفا للمقبرة التي قيل: إنّ الإمام محمد بن جعفر الصادق المعروف باسم محمد الجعفرى، قد دفن بها، رغم ما قيل و يقال عن هذه المقبرة أو هذا المشهد، من أنّه ينتمى إلى مشاهد الرؤيا التي أقيمت بدون أحداث! و لقد أقرّت هذه الصفة الدكتورّة سعاد ماهر في كتابها عن المساجد و الأضرحة،

(١). فهرست كتب الشيعة و أصولهم: ٤٤٦.

(٢). الآداب السلطانية: ٢١٨.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٩٦

و لأجل تأكيد ما توصلت إليه روت قصة، ثم أردفتها بتعليق سوف نقف عنده كذلك.

و تفاصيل هذه القصة تقول على لسان يحيى بن الحسن عن خادم القاسم بمصر:

ضاعت بالإمام القاسم الممالك، و اشتدّ الطلب، و نحن مخفون معه خلف حانوت إسكاف يقطن قرب مشهد السيدة نفيسة، فنودى نداء يبلغنا صوته: برئت الذمة ممن أوى القاسم بن إبراهيم، و ممن لا يدلّ عليه، و من دلّ عليه فله ألف دينار، و من البز كذا و كذا ... و الإسكاف يسمع و يعمل و لا يرفع صوته، فلما جاءنا قلنا له: أما ارتعت؟

قال: من لى، و ما ارتاعى منهم ... و لو قرضت بالمقاريض بعد إرضاء رسول الله صلى الله عليه و آله حتّى فى وفايتى لولده بنفسى؟! أمّا بالنسبة للتعليق الذى ذكرته الدكتور سعاد ماهر، تأكيداً لكلامها السابق عن مقبرة الإمام الجعفرى ... فقالت له: إننا نستطيع أن نستنتج من هذه القصة نقطتين هامتين بالنسبة لموضوع مشهد الجعفرى الذى ينسب إلى الإمام محمد بن جعفر الصادق:

أولاهما: أن المكان الذى اختبأ فيه أخوه القاسم عند الإسكافى كان بالقرب من ضريح السيدة نفيسة.

و ثانيتهما: أنه من المرجح أن المصريين قد اعتزوا بهذا المقام الذى سكنه أحد أفراد آل البيت، و أقاموا مكانه زاوية أو مسجداً أعاد بناءه خلفاء الدولة الفاطمية، أو لعله من الأضرحة أو مشاهد الرؤيا التى كثر بناؤها فى العصور الوسطى، و خاصة لآل البيت «١».

و قد اهتم رجال الآثار، بتقديم وصف شكلى لهذا المشهد أو لمقبرة الإمام محمد الجعفرى ... و مما قالوه فى هذا السياق: إنه يتكوّن من شكل مربع يبلغ طول ضلعه ثلاثة أمتار و ثمانين سنتيمتراً، و سمك الحائط سبعون سنتيمتراً.

(١). ليس من المعقول أن يقوم الناس العقلاء، و معهم العلماء الأزهريون، ببناء ضريح أو مسجد كبير، لأى من الأولياء أو آل البيت لمجرد الرؤيا!! فلا نشكّ أنه كانت هناك وثائق و أدلّة دامغة لأجل بناء الأضرحة و المقابر لآل البيت و الأولياء فى مصر أو غيرها من البلاد الإسلامية، لم تصل بأيدينا، و كانت عند الذين قاموا ببناء هذه المشاهد المشرفة، و لنا أن ندرس و نحقق أكثر فأكثر، حتّى نصل إلى واقع الأمر و حقيقة التاريخ.

أهل البيت فى مصر، ص: ٣٩٧

و كان باب المشهد أو هذه المقبرة يوجد بالجهة المقابلة للقبلة، أو الجهة الغربية، و لكنّه سدّ و بنى مشهد السيدة عاتكة ملاصقاً لمشهد الجعفرى فى تلك الجهة، حيث حلّ محراب مشهد السيدة عاتكة محلّ باب مشهد الجعفرى، و هذا يدلّ على أن مشهد الجعفرى أسبق تاريخياً من مشهد السيدة عاتكة.

لذلك فمن المرجح أن يكون تاريخ حفر هذه المقبرة عام ٥١٣هـ، لأنّ مشهد السيدة عاتكة أقيم عام ٥١٥هـ.

و هناك من رجال الآثار، من جمع فى حديثه عن مقبرة الإمام محمد الجعفرى بين ما تضمّنته هذه المقبرة و بين ما يوجد بمشهد السيدة عاتكة ... باعتبار وجود المقبرتين فى مكان واحد تقريباً.

و ممّا ذكره الدكتور مصطفى شبيحة أستاذ و رئيس قسم الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة عن هذين المشهدين، قوله: توجد هذه المجموعة بشارع الأشرف على مقربة من جامع أحمد بن طولون، حيث يضمّهما بقعة واحدة، يتمّ الدخول إليهما بواسطة فتحة مدخل معقودة يعلوها عتب منقوش عليه بحران من الكتابة النسخية، تقرأ: بقعة شرفت بآل البيت.

هذا المدخل يفضى إلى دهليز مستطيل ممتدّ، و يعلوه جزء من سقف خشبى، و بالجهة الجنوبية الشرقية منه مشهد السيدة رقية، و ينكسر هذا الدهليز فى نهايته جهة اليمين حيث يؤدّى إلى قبتي عاتكة و الجعفرى «١».

و قبة الجعفرى حالياً مجدّدة، و يقع مدخلها فى الضلع الشمالى الشرقى، و تقوم على بناء مربع، و بصددتها تجويف المحراب الخالى

من الزخارف.

(١). كتب على باب مرقد محمد بن جعفر: «هذا مقام سيدى على الجعفرى بن جعفر الصادق» انظر ملحق الصور فى آخر الكتاب.
أهل البيت فى مصر، ص: ٣٩٩

١١- السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق عليهما السلام

إشاره

بقلم حنفى المحلاوى د. سعاد ماهر

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٠١

السيدة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق عليها و على أبيها السلام «١»

إشارة

حنفى المحلاوى

من هى

من أشهر الأضرحة أو المقابر الموجودة فى مصر الآن، و منذ زمن بعيد ... ضريح السيدة عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام على زين العابدين ابن الإمام الحسين رضى الله عنهم جميعا.
وقد تحدّثت كتب السيرة و كتب التاريخ باستفاضة عن صاحبة هذا الضريح، و عن مدى تفانيها فى العبادة، شأنها فى ذلك شأن سيدات آل البيت من الأهل و الأحفاد، و لقد قدمت السيدة عائشة إلى مصر و عاشت بها طويلا حتّى توفيت، و دفنت بأرض مصر، و فى المنزل الذى كانت تقيم فيه .. و حدث ذلك فى عام ١٤٥ هـ.
و ممّا جاء فى الأثر عن هذه السيدة العابدة القول بأنّها وفق النسب السابق تعدّ من آل البيت، حيث أبوها جعفر الصادق الذى كان إماما نبيلًا، أخذ الحديث عن

(١). مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت».

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٠٢

أبيه، و عن جدّه لأمه: القاسم بن محمد بن أبى بكر، و عروة و عطاء و نافع و الزهرى «١».

و جاءت السيدة عائشة إلى مصر فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور فرارا من بطشه، و قد سبقها إلى ذلك معظم آل البيت من الذين فرّوا إلى المغرب طلبا للأمان، و كان فى صحبة السيدة عائشة فى رحلتها إلى مصر: إدريس بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب، و كعادة أهل مصر فقد لاقت السيدة عائشة حفاوة بالغه حين عرفوا بمقدمها الشريف ... و قد عرفها كلّ من كانوا حولها بلقب «أم فروة»، كما تزوّجت من عمر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم، و الذى تولّى إمارة المدينة.
عرفت السيدة عائشة رضى الله عنها بزهدا و عبادتها الخالصة لله تعالى «٢» ...

و كانت تدرك تماما أن الخوف من الله يعنى الهروب إليه ... من هنا اكتسب ضريحها و مسجدها شهرة كبيرة، خاصة لدى مريديها من أهل الله الذين يحتفلون بمولدها كل عام في الفترة من ٩ إلى ١٤ شعبان.

و يجمع المؤرخون ممن تناولوا سيرة أهل البيت بالبحث و الدراسة على أن السيدة عائشة رضی الله عنها قد شرفت أرض مصر، و أقامت بها حتى توفيت في عام ١٤٥ هـ. و قد جاء في كتاب تحفة الأحباب (٣) للسخاوي ... أنه رأى قبرا للسيدة عائشة ... و قد ثبت به لوح رخامي مكتوب عليه: «هذا قبر السيدة الشريفة عائشة من أولاد جعفر الصادق ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه».

- (١). يقول المستشار عبد الحليم الجندی في كتابه عن الصادق عليه السلام ما نصه: «و لقد كان علم أهل البيت حسبه - حيث تلقى من أبيه كل ما وعاه قلبه - فكيف إذا اجتمع إليه علوم هؤلاء، ليملاً بالفقه الشيعي و بالفقه المقارن مدينة الرسول، من يوم مات أبوه و هو بعد في ثلاثيناته؟! الإمام الصادق عليه السلام: ١٨٤ الفصل الثاني: إمام المسلمين.
- (٢). نور الأبصار: ٣٨٦ نقلا عن الشعراني في طبقاته.
- (٣). تحفة الأحباب: ٥٥١.
- أهل البيت في مصر، ص: ٤٠٣

صفات و علمها

و من أخص صفات السيدة عائشة رضی الله عنها، وفق الإجماع: الورع و التقوى ..

إذ كانت بحق من السيدات العابدات القانتات المؤمنات برضا الله عنهن ... لذلك يؤثر عنها أنها حين كانت تتعبد، كانت تتوجه إلى الله سبحانه و تعالى بقولها: و عزتك و جلالك، لئن أدخلتني النار لأخذت توحيدى بيدي و أطوف به على أهل النار و أقول: وحدثه فعذبني! (١)

كما كانت رضی الله عنها، تدرك من كثرة ورعها: أن الخوف من الله يعنى الهروب إليه وحده (٢).

و حتى عند ما جاءت إلى مصر و استقر بها المقام فيها، ظلت على تقواها و ورعها، تعيش في رحاب الله و عبادته إلى أن توفيت و دفنت حيث كانت تقيم.

و مِمَّا لاحظنا، و نحن ننقب في آثار هؤلاء العظماء من آل البيت: أن هناك نوعا من الندرة المعلوماتية فيما يخص مناقب و صفات السيدة الطاهرة عائشة بنت الإمام جعفر الصادق، و قد قرأنا في أحد المصادر أن ذلك ربما يرجع في الأساس إلى حياتها القصيرة! إذ عاشت فقط حوالي عشرين عاما، و كل ما قيل و يقال عنها في هذا السياق هو ارتباطها فقط بآل البيت من ناحية جدّها الإمام الحسين رضی الله عنه، و ذلك في تصورنا يكفيها شرفا ما بعده شرف. و قد ذكره حسن الرزاز في موسوعته المصوّرة «عواصم مصر الإسلامية».

وصف المقبرة

أشار العلامة شمس الدين بن محمد في كتابه «الكواكب السائرة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى و الصغرى» إلى ضريح السيدة عائشة رضی الله عنها،

(١). نور الأبصار: ٣٨٦ نقلا عن طبقات الشعراني و المناوي.

(٢). المصدر السابق.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٠٤

و ذكر الإمام الشعرانى أن أستاذه على الخواص أخبره أن السيدة عائشة رضى الله عنها بنت الإمام جعفر الصادق دفنت بباب القرافة بحى الرملة بالقلعة، وقد دفنت السيدة عائشة رضى الله عنها بالدار التى تقيم بها منذ أن قدمت إلى مصر .. و كانت تلك الدار تقع فى الطريق الموصل إلى جبل المقطم ناحية القلعة، و هو مكان الضريح حاليا، و مكان مسجدها أيضا.

هذا الضريح كان فى البداية مزارا صغيرا و بسيطا حتى القرن السادس الهجرى ...

و كان فى بدايته يتكوّن من حجرة مربعة الشكل، تعلوها قبة ترتكز على صفتين من المقرنصات.

و هناك العديد من المصادر التاريخية التى أشارت إلى موضع مقبرة السيدة عائشة رضى الله عنها، كما ذكرها على باشا مبارك فى خطه حين قال: إنه يوجد خارج «ميدان محمد على» بالقرب من قزة ميدان، شمال الذهاب إلى القرافة الصغرى من بوابة حجاج، فى خط يعرف بها الآن ... و الضريح أو مقبرة السيدة عائشة يتبع الآن «حى الخليفة» (١).

و قد اهتمّ الفاطميون ثم الأيوبيون بهذا الضريح، حيث أنشئوا بجوار قبر السيدة عائشة مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، فى الوقت نفسه الذى أحاط فيه الناصر صلاح الدين الأيوبي عواصم مصر الإسلامية الأربع «الفسطاط-العسكر-القطائع-ثم القاهرة» بسور ضخّم طوله ١٥ كيلومترا، و لما فصل هذا السور قبة السيدة عائشة عن باقى القرافة ... فتح فى سور القاهرة باب يسمّى «باب عائشة» و المعروف الآن بباب القرافة.

و يؤكّد الأثرى حسن عبد الوهاب: أن هناك العشرات من الأدلة على وجود ضريح السيدة عائشة فى المكان الموجود به حاليا ... و من هذه الأدلة أن ابن الزيات

(١). الخطط التوفيقية ٥: ٦٢١.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٠٥

- و هو خير من ألف فى أعلام القرافتين الكبرى و الصغرى- قد أكد ذلك عند ذكره لمشاهد باب القرافة، فقال: و أصح ما بالحوامة مشهد السيدة عائشة، و لها نسب متّصل بالإمام الحسين بن على بن أبى طالب. ثم تبعه السخاوى فى كتابه «تحفة الأجباب» فقال: إن السيدة عائشة مدفونة بمصر، و إنه عين قبرها فى تربة قديمة، على بابها لوح رخامى مدوّن عليه حسبها و نسبها، و قد توفيت فى عام ١٤٥ هـ (١).

و قد ألحق بهذا الضريح مسجد يعرف الآن بمسجد السيدة عائشة، و هو الموجود بشارع السيدة عائشة عند بداية الطريق إلى المقطم، و قد تهدّم المسجد القديم و تمّ إعادة بنائه فى عام ١١٧٦ هـ / ١٧٦٢ م على يد الأمير عبد الرحمن كتحدا.

و يتكوّن هذا المسجد من مربع يتوسطه صحن تحيط به الأروقة ... كما أقيم بداخله الضريح الذى تأكّد منه المرحوم أحمد باشا زكى، فكتب عن ذلك يقول: «إنّ المشهد القائم جنوب القاهرة باسم السيدة عائشة النبوية، هو حقيقة متشرّف بضمّ جثمانها الطاهر، و فيه مشرق أنوارها، و مهبط البركات بسببها».

و لمسجد السيدة عائشة واجهه غربيه شملت بايين فوقهما منارة، و الموجود منها الآن دورتها الأولى، و من هذا الباب يتمّ الوصول إلى داخل المسجد، أما الباب الثانى فتوجد على يساره المنارة، و هو يؤدّى إلى طرقة، على يسارها باب له عقد تحيط به كرانيس متعرجة، و يؤدّى أيضا إلى المسجد، ثم إلى باب القبة.

و يؤكّد الأثرى حسن عبد الوهاب أنه من المرجح وجود حجرة تحت أرضية القبلة الموجودة الآن، و تضم تابوتا أثريا، كما هو مألوف فى كثير من المشاهد.

هذا وقد تمّ هدم المسجد في عام ١٩٧١ م، و تمّ إعادة بنائه على ما هو عليه الآن، و تبلغ مساحته الكلية حوالي ٦٦٠ متراً.

(١). تحفة الأجيال: ٥٥٢.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٠٧.

مرقد السيدة عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق عليها و على أبيها السلام «١»

د. سعاد ماهر

يقع المسجد بشارع السيدة عائشة، عند بداية الطريق إلى مدينة المقطم، و قد تهدّم المسجد القديم و أعاد بناءه الأمير عبد الرحمن كتحدا في القرن الثامن عشر.

و يتكوّن المسجد من مربع يتوسطه صحن، و تحيط به الأروقة. و ممّا يسترعى النظر في رواق القبلة أنّ المحراب لا يتوسط جدار القبلة، و إنّما يقع في الركن الجنوبي الشرقي للجدار.

و مثل هذه الظاهرة وجدناها في مشاهد الموصل، التي بنيت في العصر السلجوقي، و يوجد بالواجهة الغربية للمسجد بابان، بينهما المئذنة التي لم يبق منها سوى الدورة الأولى، و قد كتب على الباب البحري ما نصّه:

مسجد أمّة التقى فتراه كبدور تهدي بها الأبرار

و عباد الرحمن قد أرّخوه تلاًّلاً بحبّه الأنوار و كتب على الباب القبلي ما نصّه:

(١). مقتبس من كتاب «مساجد مصر و أولياؤها الصالحون».

أهل البيت في مصر، ص: ٤٠٨ بمقام عائشة المقاصد أرّخت سل بنت جعفر الوجيه الصادق و قد كتب على باب القبّة ما نصّه:

لعائشة نور مضى و بهجته و قبتها فيها الدعاء يجاب

أهل البيت في مصر، ص: ٤٠٩.

١٢- السيدة كلثوم حفيده الإمام جعفر الصادق عليهما السلام

إشارة

بقلم حنفي المحلاوي

أهل البيت في مصر، ص: ٤١١.

السيدة كلثوم بنت القاسم ابن محمد بن جعفر الصادق عليهم السلام «١» حنفي المحلاوي

من هي

و خير ختام لجولتنا وسط مقابر و مشاهد المشاهير من آل البيت ... أن نتوقف عند مقبرة السيدة كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر

الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ... و هي أخت السيد يحيى الشيبه.

و على الرغم من شهرة هذه السيدة؛ لما اتّصفت به من الورع و التقوى، هذا بالإضافة إلى كونها من آل البيت، إلّا أنّهم لم يزيدوا عن

قولهم: و شهرتها تغنى عن الإطناب في مناقبها.

و يقال عن هذه السيدة العظيمة - رغم قلّة المعلومات المدوّنة عنها -: إنّها تزوّجت و أقامت في مصر ... كما أنجبت عددا من الأولاد لم يذكر عددهم و لا أسماؤهم، و يفهم من العبارات التي تواترت عنها في كتب المؤرّخين أنّ أولادها ماتوا جميعا دون أن تترك ذريّة!

(١). مقتبس من كتاب «مقابر المشاهير من آل البيت» ط. القاهرة.

أهل البيت في مصر، ص: ٤١٢

و قد أكّد ذلك كتاب «الكواكب السيارة» لابن الزيات عند ما قال: إنّها تزوّجت و حصل لها أولاد، و قد انقرضت ذريّتها، و قيل: إنّ معها في قبرها جماعة أولادها، و قيل: لم يكن بالمشهد غيرها. توفيت السيدة كلثوم بعد والدها القاسم الطيّب، و ذلك في نهاية القرن الثالث الهجري.

علمها و ورعها

لقد تربّت هذه السيدة صاحبة هذا المقام المنير في حجر والدها القاسم الطيّب ... الذي قيل: إنّ كان أحفظ الناس لحديث رسول الله صلّى الله عليه و آله، كما كتب عنه أربعمائة محرّرة، و تأثرا و تأسيّا بوالدها العالم و التقى الجليل القاسم الطيّب فقد حفظت السيدة كلثوم كلّ ما كتب عن والدها، و كانت تحدّث به بعد وفاته، و قد ذكر الإمام الرازي:

أنّ أتباع القاسم كانوا يعرفون بالطّهارة ... أمّا الأسعد النسابة فقال كذلك: كانوا يعرفون بالكلثميين، نسبة إلى هذه السيدة الطاهرة. أمّا المقرئزي (١) فقد وصفها في كتابه بأنّها من السيدات الزاهدات العابدات، و قد اختلط الأمر على بعض كتّاب السير و التراجم بين السيدة كلثوم و السيدة أم كلثوم ابنة الإمام محمد بن جعفر الصادق عليهم السّلام؛ ذلك لأنّ الأخيرة مدفونة بمشهد آخر يعرف بمشهد الضياء ... و السبب في هذا الخلط - كما تؤكّد ذلك الدكتورة سعاد ماهر (٢) - أنّ كلا من هذين المشهدين موجود بطريق الإمام الليث بن سعد.

وصف المشهد

ذكر الإمام تقى الدين المقرئزي في كتابه عن خطط القاهرة (٣): أنّ مقبرة أو مشهد

(١). خطط المقرئزي ٤: ٤٦٣.

(٢). مساجد مصر و أولياؤها الصالحون: ٣٧٨.

(٣). خطط المقرئزي ٢: ٢٠٧ و ما بعده.

أهل البيت في مصر، ص: ٤١٣

السيدة كلثوم إنّما هو الموجود بموضع يعرف بمقابر قريش بجوار الخندق ... أمّا بالنسبة لتحديد مكانه في العصر الحديث، فهو يقع بمنطقة القرافة بالقرب من مشهد يحيى الشبيه.

و يرجع بناء هذا المشهد فوق مقبرة السيدة كلثوم إلى عام ١١٢٢/٥٥١٦ م. كما يبعد هذا المشهد كذلك مقدار مائة ياردة عن ضريح أبي منصور الثعالبي (١).

و يتكوّن المشهد حاليا من زاوية بسيطة مغطّاة بسقف خشبي، يتوسّطها الضريح، و يعلو المحراب الرئيسي طاقة على شكل محارة، و هي تعتبر الأولى من نوعها في مصر، و تشمل هذه الزاوية إلى جانب الضريح مساحة مستطيلة يتوسّطها أربعة أعمدة، يعلوها كمر

خشبي يحمل السقف الذي بنى حديثا، و يتوسط هذه الأعمدة مقصورة خشبية تحيط بالتركيبة التي تعلو قبرها. أما محراب الزاوية فهو مجوّف من الحجر المنحوت، و به زخارف حجرية منحوتة أيضا ... و على يسار هذا المحراب محرابان صغيران لا يوجد بهما زخارف. كما يوجد شاهد مثبت على الجدار في موضع رأسى، تحته مباشرة شاهد آخر مثبت أفقيا. و على الشاهد الأول، نقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تشهد به فاطمة بنت يحيى، تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أن محمدا عبده و رسوله، أرسله الله بالهدى و دين الحق، و أن الله باعث من فى القبور، على ذلك حيت، و عليه ماتت، و عليه تبعث إن شاء الله، غفر الله ذنبا، و فسح لها فى قبرها، و ألحقها بنبيها محمد صلى الله عليه و آله. توفيت فى شهر المحرم سنة اثنتين و مائتين».

أما الشاهد الثانى، فيتكوّن من سبعة أسطر، و يبدأ بالبسملة، فسورة الإخلاص، و يحمل اسم نصر الله، لأربعة خلون من سؤال سنة أربع و خمسين!

(١). أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، من أئمة اللغة و الأدب، ولد فى نيسابور عام ٣٥٠ هـ، و كان فزاء يخطط جلد الثعالب، فنسب إلى صناعته، و اشتغل بالأدب و التاريخ فنبغ، و سافر و صنّف كتبا كثيرة، أشهرها: يتيمة الدهر و فقه اللغة و طبقات الملوك و الأمثال ... و غيرها، توفى عام ٤٢٩ هـ.

(وفيات الأعيان ١: ٢٩٠، الأعلام ٤: ١٦٣-١٦٤).

أهل البيت فى مصر، ص: ٤١٥

زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام

بقلم النبوى جبر سراج

أهل البيت فى مصر، ص: ٤١٧

زيارة قبور أهل البيت عليهم السلام «١» النبوى جبر سراج

لم يختلف العلماء فى نفع الدعاء للأموات، لثبوته بنص القرآن الكريم، فى قوله تعالى فى سورة الحشر: وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ [الحشر: ١٠].

أما العبادات، فقد اختلف العلماء فى وصول ثواب من يؤدّيها بنية وصول ثوابها للموتى، و كذلك تلاوة القرآن و إهدائه للموتى، فهم ما بين معترض و مؤيد، فيما عدا فريضة الحج، غير أنه ورد أن الصحابة كانوا يعتمرون و يهدون ثواب العمرة لرسول الله صلى الله عليه و آله، و منهم ابن الموقق و ابن عمر أيضا، كما ورد أن رجلا يسمّى السراج ختم عشرة آلاف ختمه قرآن، و أهدى ثوابها لرسول الله صلى الله عليه و آله.

و يرى العلماء أنه يفضل لمن يتصدّق نفلا، أن ينوى بصدقته جميع المؤمنين و المؤمنات، فإنّ ثوابها يصل إليهم، و لا ينقص من ثوابه شىء.

و من العلماء من ردّ على منكرى زيارات قبور الأولياء و الصالحين بحجّة وقوع

(١). مقتبس من كتاب «أحفاد النبى صلى الله عليه و آله» ط. مكتبة طاهر للتراث- القاهرة ٢٠٠١ م.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤١٨

بعض المنكرات، فقالوا فى ردّهم: لا- يجب أن تترك القربات و الأعمال الصالحة لمثل هذه الأسباب، كاختلاط الرجال بالنساء عند

القبور، لكن الواجب أن يؤدى الإنسان الزيارة و هو ينكر ما يراه منكرا، فإن زيارة القبور مندوبة، و الرحلة إلى المندوب مندوبة كذلك، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكركم بالآخرة».

الحديث عن ابن مسعود «١».

و لقد شرعها رسول الله صلى الله عليه و آله؛ لأنها تذكّر بالآخرة، و تحث على الزهد فى متاع الدنيا، و عدم الاغترار بها، و الإقبال على الآخرة.

هذا مع ملاحظة أنّ قبر رسول الله صلى الله عليه و آله يزيد فى فضله على ذلك، فالزائر يرجو شفاعته رسول الله صلى الله عليه و آله، فتحصل للزائر منفعة عظيمة إذا شملته شفاعته رسول الله صلى الله عليه و آله، فقد قال صلى الله عليه و آله.

«من زار قبرى وجبت له شفاعتى».

و الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما «٢».

(١). و لفظ رواية ابن مسعود: «فإنها تزيّد فى الدنيا، و تذكّر الآخرة». و فيها زيادة بعد «زيارة القبور»: «و أكل لحوم الأضاحى فوق ثلاث، و عن نبيذ الأوعية...». أخرجه عنه الحاكم فى المستدرک ١: ٣٧٥. و فى الباب عن أبى سعيد الخدرى و أبى هريرة و أنس بن مالك و أم سلمة و بريدة بألفاظ متقاربة. انظر كنز العمال ١٥:

٦٤٦ رقم ٤٢٥٥١ إلى ٤٢٥٥٩. و راجع تاريخ البخارى ٢: ٢٨٧ و ٦: ٢٤٧، و سنن البيهقى ٤: ٧٧ و ٨:

٣١١، و اتحاف السادة المتقين ١٠: ٣٦٣.

(٢). أخرجه بهذا اللفظ الدارقطنى فى السنن ٢: ٢٧٨، و الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤: ٢. و أمّا فى الترغيب و الترهيب ٢: ٢٢٤ بلفظ: «من زار قبرى كنت له شفيعا و شهيدا»، عنه فى كشف الخفاء ٢: ٣٤٦-٣٤٧.

و فى المصادر الإمامية عن طريق أهل البيت عليهم السّلام عن على عليه السّلام عنه صلى الله عليه و آله قال: «من زارنى بعد وفاتى كمن زارنى فى حياتى، و كنت له شهيدا و شافعا يوم القيامة» رواه ابن قولويه فى كامل الزيارات:

٤٥ رقم ١٧، بحار الأنوار ١٠٠: ١٤٢. و رواية السدوسى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«من أتانى زائرا كنت له شفيعا يوم القيامة» المصدر السابق رقم ١٨-.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤١٩.

و لا شك أنّ أولياء الله هم أقرب الناس إلى خالقهم بعد الأنبياء، و هم فى درجات عليا عند ربهم لهم ما يشاؤون عند ربهم [الزمر: ٣٤]. و الناس حين يثقون فى ولاية واحد من أهل الله المتقين، فإنهم يعتقدون فيه البركة التى ينالونها على يديه فى حياته، متمثلة فى دعائه و فى خيره الذى يصلهم بواسطته من عند الله تعالى، و لم تكن هذه الثقة قد جاءتهم إلا بعد ممارسات و تجارب أكدت لهم أنّ له عطاء من عند الله يستفيد منه أهل محبته، و يستشفع به عند الله فى حسن ظنّ به، و لم تنقطع هذه البركة بعد وفاته.

و الذى ثبت أنّ زوار أهل البيت و الأولياء الصالحين فى أضرحتهم، ليسوا جميعا من العوام الذين لا تكتمل الثقة فى رواياتهم، بل المشهور أنّ هؤلاء المترددين على المزارات من أهل العلم و الثقافة، و من أهل الثقة الذين لا يشكّ فى رواياتهم، و هذا يدلّ على أنّ الذين يذوقون حلو الزيارة، و يشعرون بجمالها، يلزمون أنفسهم المداومة عليها، و ينشدون الراحة النفسىة و السكينة فى هذه الرياض الطيبة.

فقد وصلوا إلى حدّ الاعتقاد بأنّ الضريح فى مكان طاهر يستجاب فيه الدعاء، و هذا الأمر مجرّب لديهم، و من يأتى إلى مكان طاهر كهذا فإنه يكون فى حالة قرب من الله تعالى، فالملائكة تفرّح حول الطهارة و التقوى، و بإذن الله تقضى حاجات الزائرين، و

يستجاب دعاؤهم عندها.

و إن قيل: إن الإنسان بعد الموت يبلى! ألا يعلم أن الروح موصولة بالجسد، تحوم حوله؟ و إلاً فما فائدة قراءة السلام على الأموات عند القبور؟ و ما فضل دعاء الولد الصالح لأبيه و هو فى قبره؟

و يروى الشيخ الطوسى فى التهذيب ٦: ٢٠ و الشيخ المفيد فى المقنعة: ٧٢ و ابن قولويه فى كامل الزيارات: ٣٩ رقم ١ حديثاً مسنداً عن عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام قال: «بينما الحسين بن على عليه السلام فى حجر رسول الله صلى الله عليه و آله إذ رفع رأسه فقال له: يا أبه ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يا بنى، من أتانى زائراً بعد موتى فله الجنة، و من أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة، و من أتى أخاك زائراً بعد موته فله الجنة، و من أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة».

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٢٠

و قد سنّ رسول الله صلى الله عليه و آله لنا ذلك، و أمرنا القرآن بذلك و قلّ ربّ ازحّمهما كما ربّبانى صغيراً [الإسراء: ٢٤]. و لقد جاء فى كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة» بضرورة الحرص على زيارة الأضرحة و تذكّر يوم الحساب، و هى عامه فى كلّ الأيام عند الحنابلة، و عند الشافعية من عصر يوم الخميس إلى طلوع يوم السبت، و عند المالكية و الحنفية تكون الزيارة أيام الخميس و الجمعة و السبت، كما اهتمّ أئمة المذاهب بزيارة قبور الصالحين؛ لأنّ هذه الأماكن تأنس لها الملائكة، و يستجيب الله فيها الدعاء، فإنّ الصالحين كانت لهم أعمال و أنوار من الله، و نور الله لا يحجب عنهم: أحياء و ميّتين «١».

و إذا كان هناك من ينهى عن زيارة الأضرحة من باب سدّ الذرائع، فهذا قياس مع الفارق؛ لأنّ الذين كانوا يتجهون إلى الأصنام، كانوا كفّاراً مشركين يعبدونها، بينما هؤلاء مسلمون موحّدون يحبّون أصحاب القبور، و فرق بين المحبّة و العبادة، بدليل أنّ الزائر المسلم يصلّى لله و يعبده فى نفس المكان، و لا يصلّى إلاً لله قبل الزيارة.

و لقد كان الأئمة و الصالحون حريصين على زيارة أضرحة أهل البيت، و منهم الإمام الشعرانى رضى الله عنه- و كان شيخاً للأزهر- يقول فى كتابه «المنن»: و ممّا منّ الله تعالى به علىّ: زيارتى بين فترة و أخرى لآل البيت الذين دفنوا فى مصر، كلّهم أو

(١). فالقبور تضمّ أجساد الأنبياء و المرسلين الذين حملوا على عاتقهم رسالات السماء و بلغوها الناس، و تضمّ أيضاً أبناءهم و أحفادهم الذين عرفوا بالتقوى و الإيمان و الورع و الصلاح، فكانوا محطّ أنظار الناس و احترامهم، ثم على الامتداد من العلماء و الفقهاء الورعين الذين عاشوا حياة الزهد و الحرمان و طلب العلم و نشر الدين و الأخلاق الكريمة بصورة كتابات جليّة و آثار رائعة جذبت قلوب و عقول الناس، و الناس يزورون هؤلاء باستمرار، و يذرفون الدمع الغزير، و يستذكرون تضحياتهم، و يستمدّون منهم روح الصبر و التقرب إلى الله تعالى، و امتثال أوامره.

إنّ زيارة قبور الأولياء و الصالحين و الشخصيات العظيمة هى- بالحقيقة- نوع من الوسائل التى تدفع الإنسان إلى الميل باتجاه الدين و الخلق الكريم من جهة، و من جهة أخرى إعلام للأجيال المتلاحقة بأنّ هذا جزاء الذين يسلكون دين الحق و طريق الهدى و الفضيلة، و كلاهما يصبّ فى خدمة دين الله، و ليس فيهما محذور.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٢١

بعضهم، حيث أزورهم فى السنّة ثلاث مرّات بقصد صلة رحم رسول الله صلى الله عليه و آله، و لم يكره ذلك أحد إلاً لقلّة فهمه و إدراكه لمنزلتهم، أو لعدم ثبوت دفنهم فى قبورهم المقامة، و هذا جمود، فإنّ الظنّ يكفينى فى كلّ خير.

و إنّ المؤمنين لا- يلجئون إلى قبور الأولياء الصالحين و آل البيت المطهّرين إلاً حباً فيهم، و اتعاطا و تأسّياً بأخلاقهم، و كذا ترخّما و استغفاراً من الزائر للمزور، و دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب خير للثنين، و كلّ من ترجى بركتته فى الدنيا ترجى بركتته كذلك فى

الآخرة، فإن للصالحين شفاعَةٌ لإخوانهم عند الله تعالى.

كما أن لروح الميت تعلقًا شديدًا بجسده، وعند ما يقف الزائر عند القبر- وخاصةً قبور الصالحين- تتلاقى الأرواح، فيسلم الزائر و تردّ روح المزور السلام، ومن هنا تكون الزيارة سببًا لراحة الزائر والمزور، ولهذا شرّعت الزيارة، كما أن اتصال أرواح الأموات بالأحياء ثابت بالسنة.

و إذا كان البعض يخشى على الزائر الوقوع في الشرك، فينظر إلى الزائر وهو يتوجّه إلى القبلة يدعو الله؛ ليقينه أن المعبود هو الله، وأن المتوجّه إليه بالدعاء هو الله سبحانه وتعالى لا غير، وليس هناك بين الزائر والمزور إلا علاقة اتصال روحى تسرى بينهما. وفي الأثر: أن الملكين الموكلين بالعبد في الدنيا يقولان عند ما يموت العبد: «يا ربّ مات فلان فأذن لنا أن نصعد إلى السماء، فيقول الله تعالى: إن سماواتي مملوءة من ملائكتي يسبحونني، فيقولان: ربنا نقيم في الأرض، فيقول الله تعالى: إن أرضي مملوءة من خلقي يسبحونني، فيقولان: يا ربّ فأين نكون؟ فيقول الله تعالى: كونا على قبر عبدى فكبرانى وهللانى وسبحانى، و اكتبنا ذلك لعبدى إلى يوم القيامة» (القرطبي).

ومع هذا فإن هناك من يرفض الزيارة و حتى الصلاة في هذه المساجد، متعللاً بمفهومه من الحديث الشريف «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، و مسجدى هذا، و المسجد الأقصى» (١).

(١). أخرجه مسلم ٢: ١٠١٤ حديث ٥١١، و أحمد ٢: ٢٧٨ عن أبي هريرة.

اهل البيت في مصر، ص: ٤٢٢

غير أن الواضح من معنى الحديث: أن هذه الصيغة لا تفيد المنع من الرحلة إلى مساجد غير المذكورة، بل تفيد التفضيل لثواب الصلاة في هذه المساجد على غيرها، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله و من بعده الصحابة الكرام يشدون الرحال للصلاة في مسجد قباء بضواحي المدينة المنورة. و من هنا فإن شد الرحال إلى بيوت الله غير ممتنع، و لكن ثوابها أقل من شدّها إلى هذه المساجد الثلاثة المذكورة في الحديث الشريف (١).

كما أن التضييق على المسلمين في زيارة الأولياء في قبورهم و أضرحتهم بعد الصلاة لله في هذه المساجد الملحقة بها أضرحتهم يمنع خيرا عن المسلمين. و لقد بلغت المغالاة في النهي ببعض إلى إبطال الصلاة إذا كانت نية المصلّي بعدها هي الزيارة! فتلك دعوى فيها تضيق، و تعطّل بيوت الله، بينما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا» (٢) و قال: «ألا و قد نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها» (٣).

(١). و ثمة ردّ آخر يورد على ما ذهب إليه البعض استدلالا بهذا الحديث، و هو أن تقدير المستثنى منه يكون في صورتين: الأولى: لا تشدّ إلى مسجد من المساجد إلا ثلاثة مساجد...، و الثانية: لا تشدّ إلى مكان من الأمكنة إلا إلى ثلاثة مساجد...، فإذا كان على التقدير الأول كان معنى الحديث: عدم شدّ الرحال إلى أى مسجد من المساجد سوى المساجد الثلاثة المذكورة، و لو سلم فهو لا يعنى عدم جواز شدّ الرحال إلى أى مكان آخر حتى لو لم يكن مسجدا. فلا- يشمل النهي من شدّ الرحال لزيارة الأنبياء و الأئمة الطاهرين و الاولياء الصالحين.

و أما على التقدير الثانى فلازمه النهي عن شدّ الرحال إلى كل بقاع العالم ما عدا المساجد الثلاثة المذكورة، أى حرمة شدّ الرحال إلى كل مكان سوى المساجد الثلاثة، و فيه ما فيه، إذ المسلمون طالما شدّوا الرحال فى موسم الحج للسفر إلى عرفات و المشعر و منى...، و شدّ الرحال لطلب العلم فى بغداد أو بخارى أو جبل عامل أو...، و هكذا لطلب الجهاد فى سبيل الله فى الثغور و غيرها. انظر إحياء علوم الدين للغزالي ٢: ٢٤٧ آداب السفر، و كذلك الفتاوى الكبرى ٢: ٢٤.

(٢). أخرجه الترمذى ٢: ١٣١ ذيل حديث ٣١٧، و النسائي ٢: ٥٦، و ابن ماجه ١: ١٨٧ حديث ٥٦٧، و الصدوق في الخصال: ٢٠١ بلفظ «فصلت بأربع: جعلت لى الأرض...» و فى الفقيه ١: ١٥٥ حديث ٧٢٤ «أعطيت خمسا لم يعطها أحد قبلى: جعلت لى الأرض...».

(٣). نقلته كتب الحديث بأسانيد صحيحة و بألفاظ متقاربة عن ابن مسعود و أنس و ابن عباس و زيد و أبى هريرة و بريدة و أم سلمة و عائشة. راجع سنن النسائي ٤: ٨٩، مستدرک الحاكم ١: ٣٧٤ و ٣٧٥، سنن ابن ماجه ١: ٤٧٦، مسند أحمد ١: ٤٤١، سنن أبى داود ٢: ٧٢، سنن البيهقى ٤: ٧٦.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٢٣

و كلمة أخيرة نقولها لمن يقاطع زيارة أهل البيت و الأولياء الصالحين، و يتشكك فى الصلاة فى المساجد المسماة بأسمائهم أو التى تضم قبورهم و أضرحتهم: إذا كان الهجر لكل مسجد فيه قبر، لهجر مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله، ففيه دفنت إلى جوار رسول الله صلى الله عليه و آله السيدة فاطمة الزهراء، و دفن سيدنا أبو بكر و سيدنا عمر و بعض الصحابة رضى الله عنهم، و يزور المسلمون و السلف الصالح القبر الشريف، و يسلمون على فاطمة، و أبى بكر و عمر رضى الله عنهم بعد أداء واجب العبادة لرب العالمين، بل إن الصلاة فى المسجد النبوى بألف صلاة فيما سواه، و لما قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «ما بين قبرى و منبرى روضة من رياض الجنة» (١)

و قياسا على ذلك قال الإمام النووى: يسن الإكثار من زيارة القبور، و الإكثار من الوقوف عند قبور أهل التقوى و الصلاح. كما قال ابن الحاج فى مدخله: ما زال العلماء كابرا عن كابر، مشرقا و مغربا، يتبركون بزيارة قبور الصالحين، فإن بركتهم جارية بعد موتهم كما كانت فى حياتهم.

و إن السفر لأجل العبادة يدخل فى جملة زيارة قبور الأنبياء و الصحابة و التابعين، و سائر العلماء و الأولياء.

فما القول بعد ذلك فى زيارة أضرحة أهل البيت، الذين وصانا رسول الله صلى الله عليه و آله بمودتهم، و حدث عن فضلهم؟ فمن اعتقد خلاف ذلك فهو المحروم؛ و لذلك تبارى أهل المحبة فى الحديث عن فضل زيارة أهل البيت، أحفاد النبى صلى الله عليه و آله خاصة فى كل عصر و زمان.

و ما أصدق المحب شاعر الأولياء الشيخ على عقل حين أنشد:

يقولون من هم قلت آل محمد همو ثقنى روحى لهم تتبتل

(١). أخرجه مسلم ٢: ١٠١٠ حديث ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢، و أحمد ٣: ٦٤، و الصدوق فى معانى الأخبار: ٢٦٧ حديث ١، و فى الفقيه ٢:

٣٤١ حديث ١٥٧٣ و ١٥٧٤ و ١٥٧٥، و فى الكافى ٤: ٥٥٤ حديث ٣ و ٥ بلفظ «بيتى» بدل: «قبرى».

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٢٤ و حبهمو فرض على الكل واجب بنص حديث للبرية يشمل

و معناه أنى تارك فيكم الهدى كتابى و أهلى و عترتى فهو أشمل

إذا اتخذت جاه الملوك وسيلة فإنى بأهل المصطفى متوسل

على بابهم ما دمت حيا و إن أمت يؤانسنى منهم ضياء مجمل

و آتى بأصحابى إلى باب عزهم يقال لنا تحت الستار ألا ادخلوا

فأعتابهم من فوق رأسى نسيمها كأتى بدار الخلد إذ أنا أنهل و يدعو الولى الشيخ صالح الجعفرى رضى الله عنه الزائر إلى تطهير قلبه بتلاوة القرآن، و بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه و آله، لكى ينال بركة الزيارة، و تكون نافعة بإذن الله، فيقول:

نحن آل البيت يا من جئتنا طهر القلب إذا ما زرتنا

و اذكر المختار طه جدنا و اقرأ القرآن تلقى و دنا و قال العارف بالله أحمد الحلوانى فى قصيدته «الحلواء» فى مدح أبناء الزهراء رضى

اللّه عنهم أجمعين:

بنفسى أفدى الزهر من بضعة الزهراو إن هم رضوا نفسى فقد عظمت قدرا
هم الدين و الدنيا لعمرى هم هم فقل ما شئت فيهم لا ترهبين نكرا
و عال بهم من شئت إن ذكروا العلى و فاخر بهم من شئت إن ذكروا الفخرا
بدور سمت عن شمس أكرم مرسل أناروا دياجى الكون بالطلعة الغزا
و بالحلم و الندى و بالبز و التقوى و بالعلم و الفتوى و بالذكر و الذكرى
و من ذا يدانى أو يقارب بضعة بهم تنتهى العلياء و الرتبة الكبرى
محبتهم باب الرضا و رضاهم ويسام بأرواح المحبين لو يشرى
فيا من يواليهم و يحفظ ودهم و يكرم مثوهم هنيئا لك البشرى

فلا بدّ يوم العرض تسمع قائلا تفضّل بفضل فادخل الجنة الخضرا و ربّما يكون صاحب «الكشاف» قد أوضح المقصود بآل البيت فى تعليقه على حديث رسول الله صلى الله عليه و آله: أنه لما نزلت الآية: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ فِي مِصْر، ص: ٢٢٥

القُرْبَى سئل رسول الله صلى الله عليه و آله: من قرابتك هؤلاء يا رسول الله الذين وجبت علينا مودّتهم.

فقال: «على و فاطمة و ابناهما» (١) «أى الحسن و الحسين.

فثبت أنّ هؤلاء الأربعة هم أخصّ أقاربه صلى الله عليه و آله، و هو المخصوصون بمزيد من الفضل.

و يستدلّ على ذلك بأنّ رسول الله صلى الله عليه و آله كان يحبّ فاطمة رضى الله عنها؛ لقوله: «فاطمة بضعة منّى، يرببنى ما رابها، و يؤذيني ما آذاها» (أحمد فى مسنده و الحاكم فى مستدركه) (٢).

كما ثبت بالنقل المتواتر أنّه صلى الله عليه و آله كان يحبّ عليا، فقد تولّى تربيته، و عاشره معاشره الأب و الأخ، و كذلك الحسن و الحسين، فقد دعا لهما و أشهد الناس على حبّه لهما، و ما دام ذلك قد ثبت، فقد أصبح لزاما على الأمة محبة هؤلاء الأربعة؛ لقوله تعالى: وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [الأعراف: ١٥٨] و لقوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب: ٢١].

و يدلّ كذلك على لزوم و وجوب محبة آل البيت: هذا الدعاء لهم فى التشهد فى

(١). الكشاف ٤: ٢١٩- ٢٢٠ ضمن تفسير الآية: ٢٣ من سورة الشورى. و قد أخرج الحديث الطبرانى فى الكبير ٣: ٣٩ و ١١: ٤٤٤، و

الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧: ١٠٣، و ابن كثير و القرطبى فى تفسيرهما عند تفسير الآية: ٢٣ من سورة الشورى.

(٢). مسند أحمد ٤: ٣٢٣، مستدرك الحاكم ٣: ١٥٨. و يذكر أنّ الخبر متواتر و بالفاظ مقاربة، فمنها: «مضغة منّى» و منها: «شجنة

منّى»، و منها زاد: «فمن أغضبها فقد أغضبني» و منها: «يقبضنى ما يقبضها و يبسطنى ما يبسطها». و البضعة و المضغة واحد، و هو

القطعة من اللحم. راجع صحيح البخارى بحاشية السندى ٢:

٥٥٠ حديث ٣٧٦٧ باب مناقب فاطمة و ٢: ٥٣٨ حديث ٣٧١٤ باب: مناقب قرابة الرسول، فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر

٧: ٤٧٧ و قال: أخرجه الترمذى و صحّحه، مصابيح السنّة ٢: ٤٥٥ حديث ٢٧١٢، شرح السنّة للبغوى ٨: ١٢٠ حديث ٣٩٥٦ و قال: هذا

حديث صحيح، المعجم الكبير ٢٠:

٢٥ حديث ٣٠ و ٢٢: ٤٠٤ حديث ١٠١٢ و ٤٠٥ حديث ١٠١٤، مصنف ابن أبى شيبة ١١: ١٨٤ حديث ٣٢٨٠٨، السنن الكبرى للنسائى

٥: ٩٧، كشف الخفاء للعجلونى ٢: ٨٠ حديث ١٨٢٩ و قال: رواه الشيخان عن المسور، و رواه أحمد و البيهقى، فى القدير

٤: ٥٥٤ حديث ٥٨٣٣ و قال: استدللّ به السهلى على أنّ من سبّها كفر؛ لأنّه يغضبّه صلى الله عليه و آله، فضائل الصحابة: ٧٨، سبل

الهدى ١٠: ٣٢٧ وقال: وهو يقتضى تفضيل فاطمة على جميع نساء العالم، ومنهن: خديجة وعائشة وبقية بنات النبي، فضائل الصحابة لأحمد ٢: ٧٥٥ حديث ١٣٢٤، وغيرها.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٢٦

كل صلاة: «اللهم صل على محمد و على آل محمد»، وهذا دعاء لهم بالصلاة التي هي الرحمة من الله تعالى عليهم. ولهذا، فقد أظهرت مصر تعاطفا كبيرا مع أهل البيت أيام كربلاء و بعدها، فأحسنت استقبال السيدة زينب و من معها من آل البيت حين اختارت مصر مقاما لها عقب مقتل الحسين رضى الله عنه، و مع أن الخلفاء العباسيين حاولوا فيما بعد إخماد شعله التعاطف لدى المصريين مع آل البيت، إلا أن المصريين ازدادوا تعاطفا و حبا لهم، و يشهد على ذلك كثرة الأضرحة التي تضمها مصر لآل بيت النبي صلى الله عليه و آله، و لإيثارهم الإقامة فيها دون غيرها من الأمصار الإسلامية.

رغم أن بعض الحكام في الشام و في العراق كانوا يرسلون رءوس القتلى من آل البيت إلى مصر؛ لتخويف أهلها من الالتفاف حول آل البيت و التعاطف معهم، لكن ظل المصريون أكثر الناس حبا لهم، مع أنه كانت ظاهرة التنكيل بالعلويين من ذرية الإمام على على امتداد العصور: الأموي و العباسي، فيما عدا بعض الخلفاء الذين عرفوا حق آل البيت و منزلتهم، مثل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، الذي لم يكن يخاف على ملكه و سلطانه مثل باقي الخلفاء الأمويين، و مثل الخليفة العباسي المأمون، الذي كان بطبيعته يميل إلى أهل البيت، فقد قرّب الإمام على الرضا منه، ثم ولّاه العهد في حياته، و وصّى له بالخلافة، غير أنه لم يتم له تولّى الخلافة. و لقد عرفت مصر حب آل البيت المحمدي منذ عرف أهلها حب رسول الله صلى الله عليه و آله، آخذا من توجيه الله تعالى في كتابه العزيز: قُلْ لاَ أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى [الشورى: ٢٣]، و من توجيه رسول الله صلى الله عليه و آله: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعم، و أحبوني لحب الله، و أحبوا آل بيتي لحبى لهم» (١) (عن ابن عباس رواه الترمذى و الحاكم).

(١). أخرجه الترمذى ٥: ٦٦٤ حديث ٣٧٨٩، و الطبرانى فى الكبير ٣: ٤٦ حديث ٢٦٣٩، و أبو نعيم فى الحلية ٣: ٢١١، و الخطيب فى التاريخ ٤: ١٦٠، و الحاكم فى المستدرک ٣: ١٤٩، و الشيخ الطوسى فى الأمالى: ٢٧٨ حديث ٥٣١ المجلس (١٠).
أهل البيت في مصر، ص: ٤٢٧

و إن كان هناك من يشكك فى سكنى آل البيت أضرحتهم فى مصر، فنحن نعلم أن تاريخ الإسلام بصفة عامة كتبه رجال ثقات، و منهم المقرئ الذى عرض لموضوع رأس الحسين، فقال فى خطه: «و بنى الصالح طلائع الوزير مسجدا للرأس خارج باب زويلة من جهة الدرب الأحمر، و هو المعروف بجامع الصالح طلائع، فغسل الرأس فى المسجد المذكور على ألواح الخشب». ثم قال كذلك، و هو المؤرخ الثقة: «ثم نقلت رأس الحسين رضى الله عنه من عسقلان إلى القاهرة فى يوم الأحد ثامن من جمادى الآخرة سنة ثمان و أربعين و خمسمائة» (١)

و كذلك جاء فى كتاب «العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد»: أن عبد الرحمن كتحدا لما أراد توسيع المسجد المجاور للمسجد الشريف سنة خمس و سبعين و مائة و ألف للهجرة، قيل له: إن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن رأس الحسين، فأراد التحقق من ذلك، فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس، و نزل به العالمان الجليلان:

الشيخ الجوهري الشافعي و الشيخ الملوي المالكي، فشهدا- كما ذكرا بعد أن خرجا- كرسيًا من الخشب الساج، عليه طست من الذهب، فوّه ستارة من الحرير الأخضر، تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق داخله الرأس الشريف.

و على أية حال، فإن الإمام ابن الجوزى قال فى هذا المقام: «ففى أى مكان كان رأس الحسين أو جسده، فهو ساكن فى القلوب و الضمائر، قاطن فى الأسرار و الخواطر».

و لهذا نقول: إن حب آل البيت، و حسن الظنّ بأماكن أضرحتهم، خير من الإعراض عن زيارتهم بحجج لا يقين معها، و صدق

المحبّ القائل:

لا تطلبوا المولى الحسين بأرض شرق أو بغرب

و ذروا الجميع و يَمْمُونَحْوِي فمشهده بقلبي و من هنا فإنّ الزائر مثاب على قراءة شيء من القرآن و الدعاء لواحد من

(١). خطط المقرئى ٢: ١٨١.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٢٨

المسلمين، و مثاب على نيته بصله رحم رسول الله صلى الله عليه و آله.

و من العجيب أنّ أناسا قد حرموا أنفسهم من نعمه حبّ آل البيت، لقصور فهمهم لدلالة الآية الكريمة التي تقول: ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر: ٣]، و لم يفتنوا إلى كلمة ما نَعْبُدُهُمْ فى الآية تشير إلى العبادة بما فيها من ركوع و سجود! نقول لهم: فرق كبير بين العبادة و المحبّة، فأحاب أهل البيت يقولون: نحن نحبهم طاعة لوصية رسول الله صلى الله عليه و آله، و بعد أن نصلى لله و نركع و نسجد خشوعا و خضوعا؛ إقرارا بأننا عبيد لله تعالى، و بعد أن تؤدّى واجب الطاعة تؤدّى واجب المحبّة بالدعاء لأهل البيت؛ إظهارا لمكانتهم فى قلوبنا. فالمعبود هو الله و لا أحد غيره، و المحبّة له سبحانه و لرسوله صلى الله عليه و آله و لآل بيته، كما و صانا بذلك صلى الله عليه و آله: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعم، و أحبوني لحبّ الله، و أحبوا آل بيتى لحبى» (١) (عن ابن عباس رواه الترمذى و الحاكم).

فلا- يجب أن تكون الغيرة الخاطئة سببا فى قطع رحم رسول الله صلى الله عليه و آله، فحتّى الرجل العامى حين يدخل مسجدا فيه ضريح، يبدأ بأداء واجب الطاعة و هى تحية المسجد بالصلاة، ثم يزور الوليّ و يدعو له، و يقرأ ما تيسّر من القرآن صلة و هدية له، و هذا العمل إنّما يؤدّى إلى شيوع المحبّة بين المسلمين، كما أنّه اقتداء بالصالحين، و بيان منزلة أولياء الله الصالحين فى قلوب الناس (٢).

و الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول: من لم يصلّ على الآل فى التشهد تبطل صلاته، فقال فى هذا المعنى:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفضل أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

(١). تقدم تخريجه آنفا.

(٢). سبق أن ذكرنا أنّ لزيارة أضرحة الأنبياء و الأولياء و الصالحين، و عظام التاريخ من المؤمنين، أهدافا و آثارا أخرى كثيرة تؤدّى بمجموعها إلى بثّ روح الدين بين الناس، و تكريس احترام الآخرين فيهم، و تعزيز التمسك بالأخلاق الحميدة. و كلّها فضائل يطلبها الإسلام و يدعو إليها.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٢٩

و معلوم أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله لا- يزيد فى الدين شيئا من عنده، بل لا بدّ أنّ الله تعالى أوحى إليه أن يعلم المسلمين الصلاة و الدعاء لآل البيت فى التشهد، أن يقولوا فى التشهد: اللهم صلّ على محمد و على آل محمد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم. و المعنى كما ذكره سيدى محيى الدين ابن عربى: «اللهم صلّ على سيدنا محمد من حيث ما له آل، كما صليت على سيدنا إبراهيم من حيث ما له آل، و حيث إنّ آل سيدنا محمد ليس فيهم نبيون؛ لأنّ النبوة و الرسالة ختمت بسيدنا محمد صلى الله عليه و آله، فالمعنى ينصرف إلى آل صلى الله عليه و آله؛ ليكونوا فى الفضل كآل سيدنا إبراهيم الذين فيهم أنبياء كسيدنا إسماعيل و سيدنا يوسف عليهما السلام، فالرفعة لآل سيدنا محمد لا له صلى الله عليه و آله؛ لأنّ مقامه معروف عند ربّه، و هو أسمى مقام، و إنّما

الدعاء و الصلاة فى التشهد لآل البيت، و كل مسلم يفعل ذلك. و يدل ذلك على أنهم مكرّمون من الله تعالى، و من يحبهم يكرم بكرامتهم، و يحشر معهم إن شاء الله».

***... و هذا الكتاب أيها القارئ الكريم هو كتاب محبّية، و دعوة من القلب إلى القلب لمحبّية أهل البيت، بأداء واجب المودة التى هى وصية رسول الله صلى الله عليه و آله بآل بيته و ذريته من باب الوفاء له صلى الله عليه و آله، و قد دلت أفعالهم و أحوالهم على أنهم استحقّوا شرف الانتساب لأكرم خلق الله، فلهم جهاد فى سبيل الحق، و لهم مواقف كريمة، و لهم كلام نافع، شهد لهم العلماء بذلك؛ لذلك كانت لهم منزلتهم الكريمة عند السلف الصالح، و خاصّة الخلفاء الراشدين، فكان سيدنا أبو بكر رضى الله عنه يقول: «لصلة رحم رسول الله صلى الله عليه و آله أحبّ إلّى من صلة رحمى»، كما تزوّج سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالسيدة أم كلثوم بنت الإمام على؛ لتكون له صلة بذرية المصطفى صلى الله عليه و آله، كما أخبر بذلك، ثم سار على ذلك أهل الصلاح و كلّ المحبّين لرسول الله صلى الله عليه و آله.

و أحفاد رسول الله صلى الله عليه و آله الذين يحدّثك عنهم هذا الكتاب، هم المطهّرون الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّرههم تطهيرا، لشرف انتسابهم إلى أحبّ أحبّاه صلى الله عليه و آله،
أهل البيت فى مصر، ص: ٤٣٠

و لتمسّكم بأخلاقه و بسلوكة، و اهتدائهم بهداه، فاستحقّوا محبة الناس الذين وصف محبّتهم، فقال أحدهم:
فإن كان ذنبى أن قلبى يحبهم فإنّ ذنوبى لن تلمّ بها حصرا و من هنا، فإنّ محبة آل البيت أحفاد النبى صلى الله عليه و آله، ليست إلّا تعويضا لهم عن معاناه و آلام تحمّلوها صابرين، لا لذنب اقترفوه، و إنّما لسوء ظنّ الحكّام بهم، كما خذلهم بعض أعوانهم، الذين قالوا لهم: قلوبنا معكم، و لكن سيوفنا على رقابكم!! نكتنا للعهد، و خوفا من بطش السلطان.

فما أحوجهم إلى نفحة الحبّ و المودة! فهم نماذج إسلامية رائعة، يلزم أن تعرف الأجيال عنهم مواقفهم و مبادئهم الكريمة، و سلوكهم الطيب المهتدى بسلك المصطفى صلى الله عليه و آله، فلهم واجب المودة التى يعبر عنها بزيارتهم فى أضرحتهم و الدعاء لهم، و أنّ أرواح الصالحين لتتعارف مع أرواح الزوّار، و خاصّة فى أماكن جرّب الناس عندها استجابة الدعاء، و نزول السكينة و الرحمة، بشرط أن يكون بنية الزائر الالتزام بالآداب الشرعية لزيارة أحد هؤلاء الأحفاد فى المسجد أو المزار المنتسب إليه، و الذى يحمل اسمه.

و قد تكون المساجد و المزارات التى تسمى بأسماء أحفاد المصطفى صلى الله عليه و آله مثل:
مسجد السيدة سكينة، و السيدة فاطمة النبوية، قد شيدها بعض الصالحين الذين نذروا لله أن يبنوا مسجدا يحمل اسما شريفا من آل البيت، تيمّنا و تبرّكا و إحياء لذكرى أهل البيت الذين لهم فى قلوب الناس المنزلة الكبيرة و المحبّة.
كما قد يكون المسجد قد بنى بسبب رؤيا منامية لأحد الصالحين، يفهم منها أن يقيم بيتا لله يحمل اسما شريفا من أسماء آل البيت، و هذه البيوت تعرف بمشاهد الرؤيا .. و هى منتشرة فى كثير من البلاد الإسلامية، و مصر خاصّة لها النصيب الأكبر من هذه المساجد و الزوايا و المشاهد و الأضرحة، و كلّها معدّة للصلاة و العبادة، و تلاوة القرآن و ذكر الله فى كلّ وقت، فهى بيوت أذن الله أن ترفع لذكره.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٣١

و إذا اختلف المؤرّخون فى من دفن فى القبر الذى بجوار المزار أو المسجد، فإنّ ذلك لا يقلل من ثواب المصلّى لله فى بيت من بيوت الله، كما يصل منه الثواب لمن سمى باسمه من الأحفاد كهديّة من المصلّى له من قراءة قرآن و دعاء، فضلا عن التأسى بأخلاق هؤلاء الذين دعا لهم رسول الله صلى الله عليه و آله و وصّانا بمحبّتهم و مودّتهم، و ما يعرف بالضريح تسمية أطلقها أهل السنّة، و ما يعرف بالمشهد تسمية أطلقها الشيعة، و كلاهما يعنى القبر الذى غالبا ما يعلوه قبة دفن تحتها رجل مسلم أو امرأة مسلمة من الأحفاد

الذين يعتقد فى صلاحهم و تقواهم، كالمشهد الحسينى، و المشهد الزينى، و ضريح الإمام الشافعى، فى مصر و فى كثير من بلاد المسلمين.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٣٣

خاتمة

من بين كتابات كثيرة عن أهل البيت فى مصر، تم انتخاب هذه الفصول التى حواها هذا الكتاب .. و مثل هذه الكتابات إنما تعكس مدى عمق حالة العشق التى يعيشها المصريون مع أهل البيت عليهم السلام، و هى تبرهن من جانب آخر على قيمة أهل البيت و عظمتهم فى نفوس المصريين من أهل الفكر و عامة الناس. و هذا الكتاب ليس فقط مجرد عرض لسيرة أهل البيت، و مشاهد أبناء الرسول صلى الله عليه و آله فى مصر، بل هو بالإضافة إلى ذلك، بمثابة مرشد و دليل لكل من يريد التعرف على مرقد أهل البيت و تاريخها و حالتها المعمارية، فهو يحوى وصفا مجملا لهذه المراقد، و ما فيها من زخارف و فنون، و ما لعبه الأمراء و التجار و كبار البلد من دور فى رعاية هذه المراقد، و توفير الخدمات الخاصية بها، فى شتى العصور الإسلامية حتى عصرنا الحاضر.

إن وجود أهل البيت فى مصر، متنفس كبير للمصريين على المستوى الاقتصادى و الاجتماعى و السياسى، فإن بركاتهم و كرماتهم دائمة، و مستمرة على مصر و أهلها.

و لقد طغى الواقع على القلم، فقدّم الوقائع و الشواهد و شتى الأدلة الملموسة التى

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٣٤

تجرى طوال العام بلا انقطاع حول مرقد أهل البيت عليهم السلام، و التى هى أبلغ من القلم، و أشد تأثيرا من الكتب. و الرموز التى خطت فصول كتابنا هذا قد عبرت أصدق تعبير عن أهل البيت، بحيث لا يجد القلم مجالا للتعليق و الإضافة سوى أن يبارك هذا الجهد، و يدعو لأصحابه بدوام التوفيق. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيد هادى خسروشاهاى - القاهرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٣٥

ملاحق الكتاب

إشارة

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٣٧

ملحق (١) كتاب أخبار الزينبات

إشارة

تأليف العلامة الجليل أبى الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحجّة ابن عبيد الله الأعرج ابن الحسين الأصغر ابن الإمام السجّاد قدّم له سيد هادى خسروشاهاى

أهل البيت في مصر، ص: ٤٣٩

مقدمة

وثيقة تاريخية حول مرقد السيدة زينب عليها السلام

وقع بين أيدينا كتاب تاريخي قيم، من نفائس المخطوطات القديمة، يطل علينا لأول مرة، وهو كتاب «أخبار الزينبات» الذي قام بتأليفه علامة عصره أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحجّة ابن عبيد الله الأعرج ... و ينتهي نسبه إلى الإمام السّجاد زين العابدين عليه السلام و كان يعتبر من أفاضل العلماء في علم الأنساب، بل كان من أصحاب الشأن، و أهل العلم و المعرفة و التاريخ في عصره. جاء في ترجمته في كتاب: «الثبت المصان» لابن الأعرج الحسيني الواسطي، و «بحر الأنساب» للشريف الأزورقاني، و «نسب الطالبين» لتاج الدين الحسيني:

«أنّه يحيى بن الحسن بن جعفر الحجّة ابن الأمير عبيد الله الأعرج ابن الحسين الأصغر ابن الإمام علي زين العابدين. قال الحسيني في أنسابه: «هو أول من جمع الأنساب بين دفتين، و كان إلى بنيه إمارة المدينة، و هي في عقبه إلى يومنا هذا، صنّف كتاب نسب آل أبي طالب، ابتدأ فيه بولد أبي طالب، ثم بولدهم بطنا بعد البطن إلى قريب زمانه، و هو كتاب حسن، ما رأيت في مصنّفات الأنساب أحسن و لا أعدل و لا أنصف و لا أرضى منه».

أهل البيت في مصر، ص: ٤٤٠

و قال ابن الأعرج في «الثبت المصان» بعد ذكر نسبه: «و له من التآليف: أخبار المدينة، أخبار الزينبات، و كتاب النسب. سكن مدينة سيدنا رسول الله صلّى الله عليه و آله، و وليها بعد أبيه و جدّه، و لا زالت الإمارة في عقبه إلى عصرنا هذا، و كان سيدنا عظيم القدر، جليل الشأن، مشكور الطريقة، ولد في المحرم سنة ٢١٤ هـ بالمدينة بالعقيق في قصر عاصم، و توفى بمكة سنة ٢٧٧ هـ عن ٦٣ عاماً». و في «أقنوم الآثار في الكشف عن الكتب و الأسفار» لأبي يعقوب الأزموري الأمغاري: «أخبار الزينبات رسالة للعبيدلي يحيى بن الحسن شيخ الشرف، أولها:

بحمد الله و ثنائه نستفتح أبواب رحمته ... و له غيرها تأليف حسنة، منها: كتاب النسب، و له أخبار المدينة، و أنساب قبائل العرب ... توفى بمكة في ذي القعدة عام ٢٧٧ عن ٦٣ عاماً و صلّى عليه أميرها ...».

و له مؤلّفات أخرى، منها: كتاب المناسك، كتاب المسجد، كتاب الفواطم، رسالة الخلافة و غيرها ...

و قد قام آية الله المرحوم السيد شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي، الذي لا تزال آثاره و بركاته و مكتبته العامرة المليئة بالمخطوطات (أكثر من اثنين و ثلاثين ألف مجلّد في أكثر من ستين ألف عنوان ٦٠٪ منها باللغة العربية) بتحقيق هذه الرسالة المخطوطة بعد ما فتش عنها لمدة طويلة، و أخرجها إلى النور مع مقدّمة مفصّلة في تاريخ حياة المؤلّف و آثاره، بعد أن كانت طوال قرون متمادية محجوبة عن الأبصار، مع الحاجة الماسّة إليها لحسم الخلاف في مسألة مكان مرقد السيدة زينب عليها السلام.

و تعدّ هذه الرسالة وثيقة تاريخية معتمدة عن حياة السيدة زينب الكبرى بنت الإمام علي عليهما السلام، و أنّها دخلت مصر بعد إجبارها على الخروج من المدينة، و توفيت في مصر و دفنت بها. أمّا السيدة زينب المدفونة بالشام، هي زينب الوسطى بنت الإمام علي عليه السلام، المكناة بأمّ كلثوم.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٤١

و يكفي في هذا الموضوع، اعتماد آية الله المرعشي لهذه الوثيقة التاريخية، و دعوته إلى نشرها، فإنّ من شأنها أن تحسم الخلاف المستمرّ حول مكان مرقد المبرك.

و ها نحن ننشر هذه الرسالة الوثيقة، بتوفيق من الله سبحانه و تعالى كملحق لهذه الطبعة من كتاب «أهل البيت فى مصر» عسى الله أن ينفع به الجميع.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سيد هادى خسروشاهاى القاهرة- ١٤٢٣ هـ

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٤٣

تصدير

السيدة زينب رمز الحق و الفضيلة

إنّ اشتهار فضائل السيدة زينب، و الآثار المروية فيها و عنها فى كتب التاريخ، ليغنى عن التوسّع فى ترجمتها الشريفة، و بوجه إجمالى فهى ينبوع فضائل باقية الذكر، و لا عجب أن عدت المثل الأعلى لرمز الحقّ و مثال الفضيلة، و شأن الحقّ أن يستمرّ، و الفضيلة أن تستهتر.

و قد طبع آل على عليه السلام على الصدق، حتّى كأنهم لا يعرفون غيره، و فطروا على الحقّ فلا يتخطونه قيد شعرة، فهم مع الحقّ، و الحقّ معهم، يدور حيثما داروا.

و لقد كانت حركة أخيها الحسين عليه السلام المظهر الأتم للحقّ، و كانت هى فى هذه النهضة داعية للحقّ، هاتفة باسمه، و نور الحقّ لا يطفأ، و روح الصدق لا تبيد.

و لقد كانت مواقفها بين أمراء الظلم أمثولة الحقّ و العدل، حيثما كانت مواقف الظلمة أمثولة العسف و الجور، فكانت تحارب القوم بكلّ ثبات و جسارة و إقدام، الأمر الذى لم يقم به أحد من البشر غيرها، فإنّه لما أحيط بها و هى فى هذا الموقف الرهيب، ناداها منادى الحقّ، فهتفت باسمه، و أجابت تليته، و حينئذ قالت تخاطب يزيد:

«صدق الله يا يزيد! ثمّ كان عاقبة الذين أساؤا السواى أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزؤن [الروم: ١٠].»

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٤٤

أظننت يا يزيد! أنّه حين أخذ علينا بأطراف الأرض و أكناف السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا هوانا على الله، و أنّ بك عليه كرامة؟ و توهمت أنّ هذا العظيم خطر ك، فشمخت بأنفك، و نظرت فى عطفك جذلان فرحا، حين رأيت الدنيا مستوسقة لك، و الأمور متسقة عليك؟ إنّ الله إن أمهلك فهو قوله: و لا- يحسببن الذين كفروا أنّهم لن يفتنواهم إنّما نُملى لهم ليؤذوا و إنّما لهم عذاب مهين [آل عمران: ١٧٨].

أ من العدل يا ابن الطلقاء تخديرك بناتك و إمائك، و سوقك بنات رسول الله صلّى الله عليه و آله كالأسارى؟! قد هتكت ستورهنّ، و أصحلت أصواتهنّ، مكتنبات تجرى بهنّ الأباعر، و تحدو بهنّ الأعادى، من بلد إلى بلد، لا يراقبن و لا يؤوين، يتشوفهنّ القريب و البعيد، ليس معهنّ قريب من رجالهنّ! و كيف يستبأ فى بغضتنا من نظر إلينا بالشنق و الشنان، و الإحن و الأضغان؟ أ تقول: ليت أشياخى ببدر شهدوا؟! غير متأثمّ و لا مستعظم، و أنت تنكث ثنايا أبى عبد الله بمخصرتك؟! و لم لا تكون كذلك و قد نكأت القرحة، و استأصلت الشأفة بإهراقك هذه الدماء الطاهرة، دماء نجوم الأرض من آل عبد المطلب، و لتردن على الله وشيكا موردهم، و عند ذلك تودّ لو كنت أبكم أعمى و أنّك لم تقل: لأهلوا و استهلوا فرحا .. اللهم خذ بحقنا، و انتقم لنا ممّن ظلمنا.

يا يزيد، و الله ما فريت إلما فى جلدك، و لا- حزرت إلما فى لحمك، سترد على رسول الله صلّى الله عليه و آله برغمك، و لتجدن عترته و لحمته من حوله فى حظيرة القدس يوم يجمع الله شملهم من الشعث: و لا- تحسببن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بلّ أحياء

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ [آل عمران: ١٦٩].

و ستعلم أنت و من بؤأك و مكنك من رقاب المؤمنين، إذا كان الحكم ربنا، و الخصم جدنا، و جوارحك شاهدة عليك، فبئس للظالمين بدلا! هنالك تعلم أننا شرر مكانا و أضعف جندا! مع أني و الله أستصغر قدرك، و أستعظم تقريعك، غير أن العيون عبري، و الصدور حرى، و ما يجزى ذلك أو يغنى و قد قتل أخى الحسين.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٤٥

الأ- إن حزب الشيطان يقربنا إلى حزب السفهاء؛ ليعطوهم أموال الله عونا على انتهاك محارم الله، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، و هذه الأفواه تتحلب من لحومنا، و تلك الجثث الزواكى يعتامها عسلان الفلوات، فلئن اتخذتنا فى هذه الحياة مغنما، لتجدنا عليك مغرما حين لا تجد إلا ما قدمت يداك، تستصرخ بابين مرجانة و يستصرخ بك، و تتعاوى و أتباعك عند الميزان، و قد وجدت أفضل زاد تزودت به:

قتل ذرية محمد صلى الله عليه و آله! فو الله ما اتقيت غير الله، و ما شكوت إلا لله. فكذ كيدك، واسع سعيك، و ناصب جهدك، فو الله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبدا».

جثمان السيدة في مصر

لم أقصد بوضعي هذه الرسالة التي تضمنت كثيرا من أخبار هذه البضعة النبوية، إقامة الحجّة على من يستبعد وجود جثمانها الشريف فى مصر، و خاصة فى هذا الموضوع التي تزار به الآن، إذ التواريخ «١» لم ترو لنا ذلك، و لم يرد فيها تفاصيل ثابتة تؤيد هذا القول. و رواية أهل الكشف فى هذا الخصوص تتعلق بشخصياتهم؛ إذ هى من قبيل المشاهدات الروحية، و ليس لها فى بحثنا هذا مجال، و المقصود: الوقوف مع الحقائق الثابتة المؤيدة بأدلة علمية.

فلهذا كنت قد اعترمت على أن لا- أخوض هذا البحث؛ حيطه من الوقوع فيما لم يرد به نص ثابت، فاقصرت على ما أوردته من أخبارها التي تضم بين دفتيها أسلوبا من البلاغة العربية، و التي تمثل سلسلة فضائل يتخذ منها نموذجا ترتكز عليه شعور الأمم الحية، الأمر الذي جعل هذه السيدة الطاهرة فى مصاف شهيرات النساء.

فلما أتممت ما قصدت، و ألمت بما إليه أشرت، مع ما اندرج فى طي ذلك من المناسبات بقدر ما وصل إليه علمي، خطر لى أن أطرق باب البحث مرّة ثانية لعلّى

(١). المتناول منها كالمطبوع و بعض المخطوط، و هى أقلية سحيقة بالنسبة لما ألفت منها فى كل عصر.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٤٦

أصل إلى نتيجة تقضى على هذا الخلاف، لا سيما ما هو واقع لبعض معاصرنا، فعبثا حاولت، و ما كنت لأمل أو أشعر بالملل و لى شغف باستجلاء مثل هذه الآثار، فتماديت فى أبحاثى طويلا، فأسفرت لى هذه البحوث عن وجود حقائق غامضة لا بد و أن يكون وراءها نتائج حسنة، و عززت ذلك بما ظهر لى من تضارب أقوال المؤرخين و اضطراباتهم الكثيرة، فكلفت نفسى بعناء البحث، فصادفتى عقبات كثيرة، و كآنى بدور الكتب المصرية الغاصة بمئات الألوف من الكتب و الأسفار لم يرق فى نظرى منها شيئا، إذ ما أتطلبه منها مفقود.

كل هذه العقبات لم تكن من عزمى شيئا، فزاولت مهنتى التي كرسيت حياتى من أجلها، فتصادف أن ابتاعنى بعض الكتبيين مجموعة من الكتب، فجلت بنظرى فى بعضها، فإذا بى أجد من بينها رسالة صغيرة الحجم مخطوطة، عنوانها: «الرسالة الزينية لشمس الدين أبى الخير السخاوى المصرى» و كنت أحسبها لأول وهلة رسالة السيوطى «١»، فإذا بى أرى اسم مؤلف آخر، فتصفحيتها فإذا هى تفوق

رسالة السيوطى؛ لتضمنها ترجمة السيدة مع إثبات شرف فروعها، و أنهم يحوزونه و يمتازون به كبقية طوائف الأشراف، فكانها زادت على رسالة السيوطى بإيراد شذرة من ترجمة السيدة على نهج مختصر، وقف فيها على استقرار السيدة فى المدينة بعد تجهيزها من الشام عقب محنة أخيها الحسين، و لم يزد على ذلك، فهى و إن كانت جديرة بالعناية فليست بشيء، إذ ينقصها بحثى، فأهملتها. ثم بعد مرور فترة من الزمن كتبت إلى بعض أصدقائى بالشام، و هم من الذين اعتمد عليهم فى حلّ مثل هذه المشاكل، فكتب إلىّ يخبرنى أنّ المؤرخ «ابن طولون الدمشقى» له رسالة فى ترجمة السيدة زينب، و أنّها محفوظة بخزانة بعض أصدقائه

(١). «المجاجة الزرنيبية فى السلالة الزينية» منها مخطوط بدار الكتب المصرية، و طبعت بفاس على القاعدة المغربية، و اختصرها هو بنفسه بعض الاختصار فى كتابه «الحاوى فى الفتاوى» و أورد معظمها العدوى فى «النفحات الشاذلية» و «مشارك الأنوار».

اهل البيت فى مصر، ص: ٤٤٧

بنابلس، وعدنى بأن يكتب إليه و يستعيرها منه و يرسلها إلىّ، فلم يمض وقت طويل إلّا و جاءتنى هذه الرسالة، فإذا هى فى نحو كراسه و نصف ترجم فيها الشقيقة صاحبة الترجمة، السيدة زينب الوسطى المكناة بأم كلثوم، و قال: إنّها المدفونة بالشام، و كانت قد قدمت إليها فى وقعة الحرّة، و ترجم لأختها عرضا، و استشهد لصحة ما ذكره بما رواه «ابن عساكر» أنّ السيدة زينب الكبرى قدمت مصر و ماتت بها، و أنّ دفينه الشام هذه هى الوسطى، و لا صحة لما يزعمه أهل دمشق.

فاستسخت منها بعض ما أهمنى الوقوف عليه، ثم رددتها بالتالى.

و بعد فترة قصيرة من الزمن أرسل إلىّ صاحبى هذا رساله عثر عليها فى حلب عند بعض أصدقاء له هناك، عنوانها: «أخبار الزينبات للعبيدلى النسابة» و ذكر لى:

إنك تجد- إن شاء الله تعالى- فى هذه الرسالة أنشودتك الضالّة؛ و لذا فقد سمحت لك باستنساخها، فلما تصفحتها تلمحت منها ترجمة السيدة زينب الكبرى بنت على بن أبى طالب كرم الله وجهه و رضى عنه، و إذا بى أجد فى آخر الترجمة: أنّ السيدة زينب قدمت مصر بعد مصرع أخيها بيسير من الزمن، و ماتت بها، و دفنت بموضع يقال له: الحمراء القصوى حيث بساتين الزهرى ... فنسخت الكتاب و رددته لصاحبى شاكرًا له مسعاه، و نظرا لأهميه هذا الكتاب، استصوبت أن أدرجه هنا بنصّه حرفيا، إذ لا يوجد نظيره فى سائر دور الكتب على ما وصل إليه بحثى، و إذ هو الحجر الأول الأساسى الذى قضى على هذا الخلاف القائم بين جمهرة المؤرخين من قرون عديدة.

فهذه الرسالة مع صغر حجمها هى نفسها الحجّة على من كان يستبعد دخول السيدة إلى مصر، و وفاتها بها، و دفن جثمانها الشريف فى هذا الموضع، على أنّ المؤلف رحمه الله عرف عن الخطّة بهذا التعريف المذكور بحسب ما كان يعرف به فى عصره بين أهل مصر، و استطلعنا التعريف عنه قديما و حديثا من الخطط المصرية، و ممّا كتبه لى الأستاذ صاحب العزة مصطفى بك منير أدهم السكرتير العام لمصلحة

اهل البيت فى مصر، ص: ٤٤٨

التنظيم المصرية، أمتع الله بأنفاسه، و سيأتى بيان ذلك مفصلا فى محله.

و هذه الرسالة المشار إليها، و التى أدرجناها فى كتابنا هذا، نقلناها عن الأصل المرسل لنا من السيد المذكور، كتبت بتاريخ سنة ٦٧٦ هـ، و مخطوط بخطّ من يدعى الحاج محمد البلتاجى الطائفى المجاور بالحرم الشريف النبوى، و منقول عن أصل مؤرخ بتاريخ سنة ٤٨٣ هـ مخطوط بخطّ السيد محمد الحسينى الواسطى الأصل، المتوطن حيدرآباد.

و إنى لأغبط سرورا بتناولى هذه الوثيقة التاريخية التى أسعدنى بتناولها التوفيق، كما أنّى أشكر كلّ من تفضّلوا على بمديد المساعدة من أهل الفضل و السداد، و قفنا الله جميعا إلى خدمة العلم و الدين.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٤٩

أخبار الزينات للعلامة النسابة الجليل أبى الحسن يحيى العبدلى المتوفى سنة ٢٨٨ هـ

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم
 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
 حدثنا محمد بن سليمان، قال: حدثنى أبو طالب جعفر النقيب، قال: أخبرنا الشيخ أبو الفتح السلماني، قال: حدثنى الشريف أبو محمد الحسن والشريف مهنا بن سبيع القرشى، قالوا: حدثنا محمد بن يحيى بن الحسن، قال: أملى على أبى وأنا أكتب: بحمد الله وثنائه نستفتح أبواب رحمته، وبالصلاة والتسليم على نبيه الكريم نستمنح الفضل، ونستوهب القرب يوم القرب من حضرته.
 وبعده، فهذه رسالة جمعت فى طيها أخبار الزينات من آل البيت، و الصحايات اللاتي «١» عرفن بإشارة بعض الممتين إلى جنابنا لقصد له فى ذلك.

فمن الزينات:

* زينب بنت النبى صلى الله عليه وآله

أمها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، و كانت أكبر بناته صلى الله عليه وآله،

(١). فى نسخة: اللاتي وقفنا على أخبارهن، كذا بالأصل.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٥٠

زوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي قبل النبوة، و كانت أول من تزوج من بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، و أم أبى العاص هالة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى. و ولدت زينب لأبى العاص عليا و أمامة، فتوفى على و هو صغير، و بقيت أمامة فتزوجها على بن أبى طالب بعد موت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.
 حدثنا أبو عبد الله التميمي، قال: نا نعيم، عن جمال، عن يحيى التمار، عن سفيان الثوري، عن أبى عبد الحق بن عاصم، عن زرارة، عن على عليه السلام.

و حدثنى أبى، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن على، عن على بن الحسين، عن على عليه السلام، قالوا: إن زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تحت أبى العاص بن الربيع، و هاجرت مع أبيها.

و بالسند إلى عامر الشعبي، عن عائشة رضى الله عنها: أن أبا العاص كان فى من شهد بدرا مع المشركين، فأسره عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصارى «١»، فلما بعث أهل مكة فى فداء أسارهم، قدم فى فداء أبى العاص أخوه عمرو بن الربيع، و بعثت معه زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله - و هى يومئذ بمكة - بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار - اسم لجبل باليمن - و كانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بتلك القلادة على أبى العاص حين بنى بها، فبعثت بها فى فداء زوجها، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله عرفها ورق لها، و ذكر خديجة و ترخم عليها، و قال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها و تردوا إليها متاعها فاعلمتم»

قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوا أبا العاص بن الربيع، و ردّوا على زينب فإلادتها، و أخذ النبي صلّى الله عليه و آله على أبي العاص أن يخلّى سبيلها إليه، فوعده ذلك، ففعل.

حدثني موسى بن عبد الله، قال: حدثني محمد بن مسعدة، عن أبيه، عن جدّه، عن

(١). و الذي في سيرة ابن هشام: أن الذي أسره خزّاش بن الصمّة أحد بني حرام ... إلخ مصحّحه.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٥١

عمرو بن حزم، قال: توفيت زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله في أول سنة ثمان من الهجرة.

و بالسند إلى عبد الله بن رافع، عن أبيه، عن جدّه، قال: كانت أم أيمن ممّن غسل زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله.

و بالإسناد إلى أم عطية قالت: لمّا غسلنا زينب بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله ضفرنا شعرها ثلاثة قرون، ناصيتها و قرنيها، و ألقيناها خلفها، و ألقى إلينا رسول الله صلّى الله عليه و آله حقوة - أو قالت: حقوا - و قال: «أشعرنها هذا».

* زينب بنت جحش

ابن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه، أمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

أخبرنا الحسين بن جعفر، قال: حدثنا سلمة بن شبيب، قال: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: كانت زينب ممّن هاجر مع رسول الله صلّى الله عليه و آله، و كانت امرأة جميلة، فخطبها رسول الله صلّى الله عليه و آله على زيد بن حارثة، فقالت: يا رسول الله، لا أرضاه لنفسى و أنا أيم قريش، قال: «فإني قد رضيت لك». فتزوجها زيد بن حارثة.

حدثني جدّي بسنده إلى علي بن الحسين، عن أبيه، قال: جاء رسول الله صلّى الله عليه و آله بيت زيد بن حارثة يطلبه فلم يجده، فقامت إليه زينب بنت جحش، و قالت له: ليس هو هاهنا يا رسول الله، فادخل بأبي أنت و أمي، فأبى رسول الله صلّى الله عليه و آله أن يدخل و ولى معلنا بالتسبيح، يقول: «سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب». فجاء زيد إلى منزله فأخبرته امرأته أن رسول الله صلّى الله عليه و آله أتى منزله، فقال زيد: ألا قلت له أن يدخل؟

قالت: قد عرضت ذلك عليه فأبى، قال: أ فسمعت منه شيئاً؟ قالت: سمعته حين ولى يقول: «سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب».

فجاء زيد حتّى أتى رسول الله صلّى الله عليه و آله، فقال: يا رسول الله، بلغني أنك جئت منزلي، فهلما دخلت بأبي أنت و أمي يا رسول الله، لعلّ زينب أعجبتك أ فأفارقها؟ فقال له

أهل البيت في مصر، ص: ٤٥٢

رسول الله صلّى الله عليه و آله: «أمسك عليك زوجك». فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم، و كان يأتي إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فيخبره، فيقول له: «أمسك عليك زوجك»، ففارقها زيد و اعتزلها و حلّت. قال: فبينما رسول الله صلّى الله عليه و آله جالس يتحدّث مع عائشة أخذته غشيّة، فسرى و هو يتبسّم، و يقول: «من يذهب إلى زينب يبشرها أن الله قد زوجنيها في السماء» و تلا: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ [الأحزاب: ٣٧].

قالت عائشة: فأخذني ما قرب و ما بعد لما يبلغنا من جمالها، و ما هو أعظم من هذا مفاخرتها علينا بما صنع لها، زوجها الله من السماء، فخرجت سلمى خادمة رسول الله صلّى الله عليه و آله فحدثتها بذلك، فأعطتها أوضاحا عليها.

و بالإسناد المرفوع إلى ابن عباس رضى الله عنهما، قال: لَمَّا أُخْبِرَتْ زَيْنَبُ بِتَرْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهَا سَجَدَتْ. و عن محمد بن عبد الله بن جحش، قال: قالت زينب بنت جحش: لَمَّا جَاءَنِي الرَّسُولُ بِتَرْوِيجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنِّي جَعَلْتُ لِلَّهِ عَلَيَّ صَوْمَ شَهْرَيْنِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كُنْتُ لَا أَقْدِرُ أَصُومُهُمَا فِي حَضْرٍ وَلَا سَفَرٍ تَصِيْبِنِي فِيهِ الْقِرْعَةُ، فَلَمَّا أَصَابَتْنِي فِي الْمَقَامِ صَمْتَهُمَا.

و عن ثابت بن أنس قال: نزلت في زينب بنت جحش: فَلَمَّا قَضَى زَيْنَبٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا [الأحزاب: ٣٧] فكانت لذلك تفتخر على نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

و عن عائشة قالت: كانت زينب بنت جحش امرأة قصيرة، صناعة اليد، تدبغ و تحرز، و تتصدق في سبيل الله.

و عن الشعبي قال: سأل النسوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَيْنَا أَسْرَعُ بِكَ لِحُوقًا؟ قال:

«أطولكنَّ يدا» فلَمَّا تَوَفَّيْتُ زَيْنَبَ عَلِمْتُ أَنَّهَا كَانَتْ أَطْوَلَهُنَّ يَدًا فِي الْخَيْرِ وَ الصَّدَقَةِ.

ماتت زينب بنت جحش في خلافة عمر بن الخطاب، و صَلَّى عَلَيْهَا عَمْرٌ، و قالوا له: من ينزل في قبرها؟ قال: من كان يدخل عليها في حياتها.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٥٣

حدثني الزبير بن أبي بكر، عن محمد بن إبراهيم بن عبد الله، عن أبيه، قال: سئلت أم عكاشة بنت محسن: كم بلغت زينب يوم توفيت؟ فأجابت: قدمنا المدينة للهجرة و هي بنت بضع و ثلاثين سنة، و توفيت سنة ٢٠.

* زينب بنت عقيل بن أبي طالب

أمها أم ولد، و كانت فيما رويناه أسنّ بنات عقيل، و أوفرهنّ عقلا.

* زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب

أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و ولدت في حياة جدّها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و خرجت إلى عبد الله بن جعفر، فولدت له أولادا ذكرناهم في كتاب النسب.

أخبرني أبو الحسن ابن جعفر الحجّة، قال: أخبرني عبّاد بن يعقوب، عن يحيى بن سالم، عن صالح بن أبي الأسود، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن علي بن الحسين، قال: إِنِّي وَاللَّهِ لَجَالِسٌ مَعَ أَبِي الْحُسَيْنِ عَشِيَّةً مَقْتَلَهُ وَأَنَا عَلِيلٌ، وَهُوَ يَعَالِجُ تَرَسًا لَهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ «جون» مولى أبي ذرّ، فسمعتة يرتجز في خبائه و يقول:

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق و الأصيل

من طالب أو صاحب قتيل و الدهر لا يقنع بالبديل

و الأمر في ذلك للجليل و كلّ حيّ سالك السبيل قال: أمّا أنا فسمعتة و رددت عبرتي، و أمّا زينب عمّتي فسمعتة دون النساء، فلزمها الرقة و الجزع، فخرجت حاسرة تنادي: وا ثكلاه! وا حزنه! ليت الموت أعدمني الحياة، يا حسينا! يا سيّدها، يا حبيباه، يا بقية الماضين و شمال الباقين! بثت الحياة، اليوم مات جدّي و أمي، و أبي و أخي، فسمعها الحسين، فقال لها: يا أختاه! لا يذهب بحلمك الشيطان، و الله يا أختاه، لو ترك القطا لنام، فقالت: ما أطول حزني، و ما أشجى قلبي! ثم خرت مغشياً عليها، فلم يزل يناشدها و يواسيها حتّى احتملها و أدخلها الخباء.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٥٤

حدثني إبراهيم بن محمد الحريري، قال: حدثني عبد الصمد بن حسان السعدي، عن سفيان الثوري، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن الحسن بن حسن، قال: لما حملنا إلى يزيد وكنّا بضعه عشر نفساً، أمر أن نسير إلى المدينة، فوصلناها في مستهل «١» وعلينا المدينة عمرو بن سعيد الأشدق، فجاء عبد الملك بن الحارث السهمي فأخبره بقدمنا، فأمر أن ينادى في أسواق المدينة: ألا إن زين العابدين وبنى عمومتهم وعمّياتهم قد قدموا إليكم، فبرزت الرجال والنساء والصبيان، صارخات باكيات، وخرجت نساء بنى هاشم حاسرات تنادى: وا حسينا، وا حسينا! فأقمنا ثلاثة أيام لباليها ونساء بنى هاشم وأهل المدينة مجتمعون حولنا.

حدثنا زهران بن مالك، قال: سمعت عبد الله بن عبد الرحمن العتيبي، يقول:

حدثني موسى بن سلمة، عن الفضل بن سهل، عن علي بن موسى، قال: أخبرني قاسم بن عبد الرازق وعلينا بن أحمد الباهلي، قال: أخبرنا مصعب بن عبد الله، قال:

كانت زينب بنت علي و هي بالمدينة تألب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين، فلما قام عبد الله بن الزبير بمكة، وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين، وخلع يزيد، بلغ ذلك أهل المدينة، فخطبت فيهم زينب وصارت تؤلبهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلك عمرو بن سعيد، فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر، فكتب إليه أن فرق بينها وبينهم، فأمر أن ينادى عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء. فقالت: قد علم الله ما صار إلينا، قتل خيرنا، وانسقتنا كما تساق الأنعام، وحملنا على الأقتاب، فوالله لا نخرجنا وإن أهرقت دماؤنا، فقالت لها زينب بنت عقيل: يا ابنة عماء! قد صدقنا الله وعده، وأورثنا الأرض نبتوا منها حيث نشاء، فطيبى نفساً، وقرى عينا، وسيجزى الله الظالمين، أتريدين بعد هذا هواناً؟ ارحلى إلى بلد آمن، ثم اجتمع عليها نساء بنى هاشم وتلظفن معها في الكلام وواسينها.

(١). كذا بالمخطوط، ويبدو أن بهذا الموضع سقطا.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٥٥

و بالإسناد المذكور مرفوعاً إلى عبيد الله بن أبي رافع، قال: سمعت محمداً أبا القاسم ابن علي يقول: لما قدمت زينب بنت علي من الشام إلى المدينة مع النساء والصبيان ثارت فتنة بينها وبين عمرو بن سعيد الأشدق والى المدينة من قبل يزيد، فكتب إلى يزيد يشير عليه بنقلها من المدينة، فكتب له بذلك، فجهّزها هي ومن أراد السفر معها من نساء بنى هاشم إلى مصر، فقدمتها لأيام بقيت من رجب.

حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّي، عن محمد بن عبد الله، عن جعفر بن محمد الصادق، عن أبيه، عن الحسن بن الحسن، قال: لما خرجت عمّتي زينب من المدينة خرج معها من نساء بنى هاشم: فاطمة ابنة عم الحسين، وأختها سكينه.

وحدثني أبي، قال: روينا بالإسناد المرفوع إلى علي بن محمد بن عبد الله، قال:

لما دخلت مصر في سنة ٤٥ سمعت عسامة المعافري، يقول: حدثني عبد الملك بن سعيد الأنصاري، قال: حدثني وهب بن سعيد الأوسى، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري، قال: رأيت زينب بنت علي بمصر بعد قدومها بأيام، فوالله ما رأيت مثلها، وجهها كأنه شقّة قمر!

و بالسند المرفوع إلى رقيّة بنت عقبه بن نافع الفهري، قالت: كنت في من استقبل زينب بنت علي لما قدمت مصر بعد المصيبة، فتقدّم إليها مسلمة بن مخلد و عبد الله بن الحارث و أبو عميرة المزني، فعزّاهن مسلمة و بكى، فبكت و بكى الحاضرون، و قالت: هذا ما وعد الرّحمن و صدق المرّسلون ثم احتملها إلى داره بالحمراء، فأقامت بها أحد عشر شهراً و خمسة عشر يوماً، و توقّيت و شهدت جنازتها، و صلّى عليها مسلمة بن مخلد في جمع بالجامع، و رجعوا بها فدفنوها بالحمراء بمخدعها من الدار بوصيّتها.

حدثنى إسماعيل بن محمد البصرى - عابد مصر و نزيلها - قال: حدثنى حمزة المكفوف، قال: أخبرنى الشريف أبو عبد الله القرشى، قال: سمعت هند بنت أبى رافع بن عبيد الله بن رقية بنت عقبه بن نافع الفهرى، تقول: توفيت زينب بنت على عشيئاً أهل البيت فى مصر، ص: ٤٥٦

يوم الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة ٦٢ من الهجرة، و شهدت جنازتها، و دفنت بمخدها بدار مسلمة المستجدة بالحمراء القصوى، حيث بساتين عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى.

* زينب الوسطى بنت على بن أبى طالب

أمها و أم إختوها الحسن و الحسين و محسن و زينب الكبرى و رقية: فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و آله. حدثنا موسى بن عبد الرحمن، قال: حدثنى موسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب، عن أبيه، عن جدّه، قال: ولدت زينب قبل وفاة النبى صلى الله عليه و آله، و سمّتها أمها زينب، و كُناها رسول الله صلى الله عليه و آله أم كلثوم، و لما خطبها عمر بن الخطاب من أبيها، فوّض أمرها إلى العباس، فزوَّجها عمر، فولدت له زيدا و رقية، فقتل زيد فى حرب كانت فى بنى عدى ليلا، و كان قد خرج للاصلاح بينهم، ضربه خالد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب فى الظلام و لم يعرفه، فصرع، و عاش أياما و مات هو و أمه فى وقت واحد، و لم يعقب، فلم يدر أيهما مات قبل الآخر، فلما وضع للصلاة قدّم زيد قبل أمه ممّا يلى الإمام، و صلى عليهما عبد الله بن عمر بن الخطاب و سعيد بن العاص أمير الناس.

و عاشت رقية، و تزوّجت إبراهيم بن عبد الله النحام ابن أسد بن عبيد بن عولج بن عدى بن عمر بن الخطاب.

* زينب الصغرى بنت على بن أبى طالب

أمها أم ولد، تزوّجت ابن عمّها محمد بن عقيل، فولدت له القاسم و عبد الله و عبد الرحمن، أعقب منهم عبد الله، و ماتت زينب بالمدينة.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٥٧

* زينب بنت الحسن بن على بن أبى طالب

خرجت إلى على بن الحسين، فولدت له محمد بن على الباقر و أخاه عبد الله. حدثنى محمد بن القاسم، قال: أول من اجتمعت له ولادة الفرعين من العلويين: محمد الباقر و أخوه عبد الله، فإنّ أمهما زينب بنت الحسن بن على.

* زينب بنت على زين العابدين ابن على بن أبى طالب

حدثنى عمى الحسين بإسناده، قال: إنّ عليا زين العابدين له زينب. قال: و ماتت بالمدينة و أمهما أم ولد.

* زينب بنت عبد الله الكامل

ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط، خرجت إلى على العابد ابن الحسن المثلث ابن الحسن المثنى، و كان يقال لها: الزوج الصالح، و هى أم الحسين بن على صاحب فخ، و أمها هند بنت أبى عبيدة.

* زينب بنت خزيمه بن الحارث

ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة أم المساكين، زوج رسول الله صلى الله عليه و آله، سميت بذلك فى الجاهلية، و كانت عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، فتزوجها عبيدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر. حدثنى أبى، عن أبيه، عن جدّه، قال: روينا عن محمد بن بشير، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه و آله زينب بنت خزيمه الهلالية أم المساكين، فجعلت أمرها إليه، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه و آله و أصدقها اثنتى عشرة أوقية، فتزوجها فى رمضان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة، و مكثت عنده ثمانية أشهر.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٥٨

و توفيت فى آخر شهر ربيع الآخر على رأس مضى ٣٩ شهرا من الهجرة، و صلى عليها رسول الله صلى الله عليه و آله، و دفنها بالبقيع.

* زينب بنت يحيى بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب

أمها أم ولد.

حدثنى أبو جعفر الحسين، عن محمد بن يحيى العثماني، قال: كنت بمصر حين قدمت زينب بنت يحيى مع عمّتها نفيسة بنت الحسن، قال: سألتها: كم لك فى خدمه عمّتك نفيسة؟ قالت: أربعين سنة. ماتت زينب بنت يحيى بمصر، و لا عقب لها.

* زينب بنت عيسى بن زيد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب

تزوجها سليمان بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبى طالب، فولدت له محمدا، و له عقب.

* زينب بنت عيسى الجون ابن عبد الله الكامل ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب

تزوجها محمد بن جعفر الأمير، فولدت له عيسى و إبراهيم و داود و موسى، لهم أعقاب كثيرة.

* زينب بنت الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب

أمها أم ولد تدعى حميدة، تزوجها الحسن بن زيد بن الحسن بن على، فولدت له القاسم و محمدا و يحيى و أم كلثوم و سلمة و بها

كانت تكنى، و للقاسم عقب من ولديه: محمد و عبد الرحمن. ماتت زينب بنت الحسن المثنى بالمدينة سنة ١٦٠ هـ.
أهل البيت فى مصر، ص: ٤٥٩

* زينب بنت القاسم الطيب ابن محمد المأمون ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر

أمها أم الذرية بنت موسى الكاظم، تدعى فاطمة، قدمت مصر هى و أبوها و جماعة من بنى عمومتهما على أحمد بن طولون.

* زينب بنت موسى الكاظم

حدثنى جدى، قال: أحسب أن زينب بنت موسى الكاظم هاجرت إلى مصر مع زوج أختها القاسم بن محمد بن جعفر الصادق. و رأيت بخط عمى الحسين: كان فى من هاجر إلى مصر، و معه جماعة من الأشراف: القاسم الطيب، و زينب بنت موسى الكاظم، و سمى آخرين.

* زينب بنت محمد الباقر ابن على زين العابدين

تزوجها- فيما رويناها- عبيد الله بن أبى القاسم محمد بن عمر بن على بن أبى طالب، و أمها أم ولد، و لا عقب لها. و أم عبيد الله: خديجة ابنة على بن الحسين.

* زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن على بن أبى طالب

قال أبو القاسم بن الحنفية: ذكر لنا جعفر بن الحسن: أنها دخلت مصر هى و أخ لها يدعى محمدا فى سنة ٢١٢ مائتين و اثنتى عشرة، أو قال: و ثلاث عشرة.

* زينب بنت القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب

أمها أم ولد، و أم القاسم بن الحسن: أم سلمة زينب بنت الحسين المثنى ابن الحسن السبط. خرجت إلى عبد الله بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب، و لها عقب.
أهل البيت فى مصر، ص: ٤٦٠

* زينب بنت عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح

خرجت إلى عبد الله بن عمر بعد وفاة أبيها، زوجها إياها عمها قدامة بن مظعون، فأرغبه المغيرة بن شعبة فى الصداق، فكرهت الجارية النكاح و أعلمت رسول الله صلى الله عليه و آله، فردّ نكاحها، فنكحها المغيرة بن شعبة.

* زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب أخت عثمان بن مظعون

تزوجها عمر بن الخطاب، فولدت له عبد الله بن عمر، و حفصة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وآله.

* زينب بنت عمر بن الخطاب أم ولد تدعى فكيهة

روينا عن الزبير بن بكار وغيره: تزوج عمر فكيهة امرأة من اليمن، فولدت له عبد الرحمن و زينب، وهى أصغر ولد عمر.

* زينب بنت صيفى بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن مسلم

أمها نائلة بنت قيس بن النعمان بن سنان. تزوجها الحباب بن المنذر ابن الجموح، فولدت له خشرما و المنذر، أسلمت زينب و بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله.

* زينب بنت الحباب بن الحارث بن عمرو بن عوف بن مبدول من بنى النجار

تزوجها قيس بن عمرو من بنى ثعلبة ابن الحارث بن زيد، فولدت له سعيد بن قيس، و كانت ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله.

* زينب بنت أبى سلمة بن عبد الأسد بن هلال

مخزومية من بنى مخزوم، أمها أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة، زوج رسول الله صلى الله عليه وآله.

تزوجها عبد الله بن زمعة، فولدت له عبد الرحمن و يزيد و وهبا و أبا سلمة و كبيرا و أبا

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٦١

عبيدة و قرينه و أم كلثوم و أم سلمة و كان اسمها برة، فسماها رسول الله صلى الله عليه وآله و آله زينب، روت عن أمها، و عنها عروة بن الزبير، و كان أخالها من الرضاعة، و أرضعتها أسماء بنت أبى بكر. توفيت بالمدينة و دفنت بالبقيع و صلى عليها طارق أمير الناس و عبد الله بن عمرو، وهى و أخواتها: عمرة و درة و سلمة، ربائب رسول الله صلى الله عليه وآله.

* زينب بنت المهاجر الأحمسية أخت جابر بن المهاجر

روى عنها عبد الله بن جابر.

* زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبى عقيل أخت الحجاج الثقفى

زوّجها الحجاج من ابن عمه الحكم بن أيوب، وولاه البصرة.

* زينب بنت نبيط بن جابر بن مالك بن زيد بن النجار

أمها الفريعة بنت سعد بن زرارعة، تزوّجها أنس بن مالك.

* زينب بنت كعب بن عمير

روت عن الفريعة بنت مالك بن سنان، و هي أخت أبي سعيد الخدرى.

* زينب امرأة قيس بن أبى حازم

روت عن عائشة رضى الله عنها، و روى عنها زوجها قيس بن أبى حازم.

* زينب بنت الحارث

أخت أسماء بنت عميس لأمها، و أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج رسول الله صلى الله عليه و آله. أهل البيت فى مصر، ص: ٤٦٢

* زينب بنت عمر بن أبى سلمة المخزومى

أم عمرو بن مروان بن الحكم؛ أبو حفص الأموى.

* زينب بنت الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة

أمها زائفة بنت الحارث بن جبيلة، ولدت ببلاد الحبشة، و ماتت بها.

* زينب بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى

تزوّجها يعلى بن منية بنت الحارث بن جابر من بنى مازن بن منصور، و منية أمه و إليها نسب، و أبوه أمية بن أبى عبيدة من بنى زيد بن مالك بن حنظلة.

و جاء يعلى بابنه من زينب بنت الزبير، فدخل به على النبى صلى الله عليه و آله فقال: يا رسول الله، بايعه على الهجرة، فقال: «لا هجرة بعد الفتح». و لما ماتت امرأته زينب وجد عليها وجدا شديدا، و رثاها بقوله:

بوجهك عن مسّ التراب مضمّنة فلا تبعديني كلّ حى سيذهب

تنكرت الأبواب لَمّا دخلتها وقالوا ألا قد بانت اليوم زينب

أ أذهب قد خلّيت زينب طائعا ونفسى معى لم ألقها حيث أذهب و كان ليعلى ابن يقال له: عبد الله، و كان ينزل عليه إذا أتى مكة، و كان على بن أبى طالب يقول فى يعلى: «هو أنضى الناس» يعنى: أكثرهم مالا.

هذا ما أملاه علىّ والدى يحيى بن الحسن أمير المدينة و ابن أميرها رضى الله تعالى عنه و عن آباءه الطاهرين، و صلّى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٦٣

ملحق (٢) مالك الأشر

إشارة

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٦٥

مالك الأشر «١»

قال فى الإمام على: «كان لى كما كنت لرسول الله صلّى الله عليه و آله»، و قضى حياته لنصرة أهل البيت عليهم السّلام. و لَمّا كانت مصر كلّها موالية لأهل البيت ما عدا قرية «خربنا»- و منها ثار المسلمون فى وجه الظلم الأموى- و نظرا لأهميتها فى العالم الإسلامى، كان الجيش المعادى للإمام على يحاول بشتى الطرق أن لا تستمرّ فيها حكومة الإمام و ولاته، و كان للإمام على رضى الله عنه فيها أربعة و لاء، هم كالاتى:

أولا: محمد بن أبى حذيفة (اغتيال).

ثانيا: قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى (استدعاه الإمام على عليه السّلام للمشاركة فى حرب صفين).

ثالثا: مالك الأشر، الذى قتل مسموما، و كان آخرهم.

ولى الإمام على عليه السّلام مالك الأشر مصر فى عام ٣٧ هـ، و لَمّا أخبر بذلك معاوية أرسل رسولا إلى والى قلمز بأنّه سيعفيه عن الخراج ما دام حيا إذا تمكّن من اغتيال مالك، و لَمّا نزل مالك القلمز أكرمه غاية الإكرام، ثم سقاه شربة عسل مات على أثرها، و أبلغ معاوية بذلك، فقال: كان لعللى يمينان: قطع أحدهما بصفتين، و الآخر فى

(١). مقتبس من كتاب الأستاذ محمد حسين الحسينى الجلالى: «مزارات أهل البيت و تاريخها» ط. مؤسسة الأعلمى، بيروت.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٦٦

القلمز. يعنى بالأول الصحابى عمار بن ياسر، و بالثانى مالك الأشر رضى الله عنهما.

قال فى صبح الأعشى ج ٣ ص ٣١٩ ما نصّه: ثم وليها (مصر) عنه أمير المؤمنين على عليه السّلام مالك بن الحارث النخعى المعروف بالأشر، فى وسط سنة سبع و ثلاثين، و كتب له عنه عهدا يأتى ذكره فى الكلام على العهود، فسّم و مات قبل دخوله إلى مصر، انتهى.

قال الجلالى: أورد العهد فى ج ١٠، ص ١٢ و قد روى العهد بأسانيد متعدّدة، استوعبنا البحث حوله فى مستند نهج البلاغة، فليراجع.

ولا- يخفى أن مراد المقرئى بقوله: مصر هو خصوص القاهرة وحدها، و لا يزال هو المتبادر اليوم عند المصريين أنفسهم، فى عام

زيارتى لها (١٣٨٦ هـ) كان المصريون يعنون بمصر خصوص القاهرة، على خلاف غير المصريين فإنهم يعنون بمصر دولة مصر. و أما مرقد مالك، فقد عرفت أن المؤرخين صرحوا بأنه نزل القلزم و توفي بها مسموما، وقبره اليوم خارج القاهرة في منطقة تسمى: القلج، و تبعد حوالي عشرة كيلومترات عن القاهرة، و القبر عامر مشيد، عليه قبة عالية، و على القبر الشريف لوحة نصها كالآتي:

تلك آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار سيدنا مالك الأشتر النخعي هو مالك بن الحارث النخعي الكوفي، أحد الأبطال المشهورين من شيعه الإمام على بن أبي طالب سلام الله عليه، و كان جليل القدر، متقدما عند الخليفة و تابعيه، و رئيس قومه، و كان ممن شهد واقعة الجمل و صفين، ولّاه عمر بن الخطاب «١» رضى الله عنه على مصر بعد قيس بن سعد بن عباد، فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات رحمه الله عليه رحمه واسعة، فقد مات سعيدا

(١). كذا.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٦٧

و عاش حميدا، و كانت وفاته سنة ٣٧ هجرية و حفظ الأثر الجليل.

قد أبدع و أودع هذه العلامة عبد الرسول الشيرازي المقيم بمصر، أعانه الله و إيانا لما يحب و يرضى، و هو حسينا و نعم الوكيل في سنة ١٣٤٣ هجرية، انتهى.

و لنجعل هذا المزار ختام المسك لمزارات أهل البيت في القاهرة، عسى أن يقبض إليه بعض ذوى الهمة في التتبع و التحقيق عن سائرهما، و خاصة بعض أهلها، فإن أهل البيت هم أدرى بما في البيت.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٦٩

ملحق (٣) محمد بن أبي بكر رضى الله عنه

إشارة

أهل البيت في مصر، ص: ٤٧١

محمد بن أبي بكر رضى الله عنه «١»

هو ابن الخليفة الأول أبي بكر رضى الله عنه، و أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، تزوجها جعفر بن أبي طالب، فلما مات تزوجها أبو بكر، و لمّا مات تزوجها الإمام على، و قد ولّاه الإمام على بن أبي طالب على مصر في رمضان عام ٣٧ هـ، قال القلقشندى في قلاند الجمان ص ١٤٣ ما نصه: و كان من نساك قريش، و أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولّاه عثمان رضى الله عنه في خلافته مصر، ثم ولّاه له أيضا على في خلافته، بعد مرجعه من صفين، فجرى بينه و بين عمرو بن العاص حرب، انتهت به الحال فيه، إلى أن هرب محمد بن أبي بكر، فيقال: إنه وجد حمارا ميتا، فدخل في جوفه، فوجد فأحرق فيه فمات، و قيل: بل قتل ثم جعل فيه، و أحرق، و ذلك في سنة ثمان و ثلاثين من الهجرة، انتهى.

و كان عمرو بن العاص من ولاية مصر الذين هربوا منها حين ثار المصريون ناقلين عليه، و اتصلوا بعثمان و جرى ما جرى.

فاتصل بمعاوية و اشترط عليه ولاية مصر، و لم ينفك من الدسائس حتى دخلها على رأس جيوش الشام، و اقتتلوا قتالا شديدا، و لمّا أسر محمد بن أبي بكر في

(١). مقتبس عن كتاب «مزارات أهل البيت و تاريخها» ط. بيروت.

أهل البيت في مصر، ص: ٤٧٢

جمع من أصحابه طلب الماء، فقال معاوية بن خديج: لا- سقاني الله إن سقيتك قطرة أبدا! إنكم منعتم عثمان شرب الماء، والله لأقتلنك حتى يسقيك الله من الحميم الغساق.

فقال محمد بن أبي بكر: يا ابن اليهودية النساجة، ليس ذلك إليك، إنما ذلك إلى الله يسقى أوليائه، و يظمى أعداءه أنت و أمثالك، أما و الله لو كان سيفي بيدي لما بلغت من هذا.

فقال ابن خديج: أ تدرى ما أصنع بك؟ أدخلك جوف حمار ثم أحرقك بالنار!

فقال محمد بن أبي بكر: إن فعلت بي ذلك، فطالما فعلتم ذلك بأولياء الله تعالى، و إنى لأرجو أن يجعلها عليك و على أوليائك: معاوية و عمرو نارا تظنى، كلما أطفئت زادها الله سعيرا.

ثم قتله ابن خديج و ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار، كما في الكامل لابن الأثير: ج ٣ ص ١٨٠.

و قد دفن رأس محمد بن أبي بكر في المكان المعروف اليوم ب (جامع محمد الصغير) بشارع الوداع بمصر القديمة، تزوره العامة و تقرأ الفاتحة.

و قد جاء في وصف الجامع وصفا دقيقا في كتاب مساجد مصر للدكتور سعاد ماهر، طبع سنة ١٣٩٣ هـ، و إليك نص كلامها بطوله: يقع هذا المسجد في مصر القديمة، بشارع باب الودائع، قريبا من الباب عن يسرة السالك نحو الشرق إلى باب الوداع، و بجوار قبر منهدم يعرف بالكردى، و يعرف الجامع باسم (محمد الصغير) كما كان يعرف باسم (زمام)، و ذلك أنه بعد مضي مدة من قتله أتى زمام مولى محمد بن أبي بكر إلى الموضع الذي دفن فيه، و حفر، فلم يجد سوى الرأس، فأخذه و مضى به إلى المسجد المعروف اليوم بمسجد زمام، فدفنه فيه و بنى عليه المسجد. و يقال إن الرأس مدفون في القبلة، و به سمي مسجد زمام.

وقيل: لما شق بعض أساس الدار التي كانت لمحمد بن أبي بكر وجد رمة رأس

أهل البيت في مصر، ص: ٤٧٣

قد ذهب فكّه الأسفل، فشاع في الناس أنه رأس محمد بن أبي بكر، و تنادى الناس، و نزلوا الجدار و موضعه قبله المسجد القديم، كما حفر محراب مسجد زمام، و طلب الرأس منه فلم يوجد، و حفرت أيضا الزاوية الشرقية من هذا المسجد و المحراب القديم المجاور له، و الزاوية الغربية، فلم يجدوا شيئا، على أنه مهما قيل في وجود رأس محمد بن أبي بكر في المحراب أو في جدار بيته، فإنه من الثابت أن مشهده موجود في مكان المسجد المعروف باسمه بمصر القديمة الآن، فقد جاء في الكواكب السيارة: أن أكثر قبور أهل مصر فيها الاختلاف، و لم يكن بمصر أصح من قبر مسلمة بن مخلد، و مشهد محمد بن أبي بكر الصديق، و مشهد زين العابدين، و مشهد عقان، كذلك الأسعد النسابة في تاريخه (مشاهد الرؤوس)، و ذكر من بينها مشهد رأس محمد بن أبي بكر.

و قد أعيد بناء المسجد في القرن التاسع الهجري سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٦ م) في عهد السلطان الأشرف برسباي، على يدي المعز تاج الدين الشوكلي الشامي والى القاهرة، و أقيمت فيه صلاة الجمعة و باقى الأوقات، و عمل فيه السماعات، و هو مكان مشهور بإجابة الدعاء عند أهل مصر. ثم جدد في العصر العثماني سنة ١٢٨٧ هـ على يدي سعادة محمد باشا أمير، كما هو ثابت من اللوحة التي تعلق المدخل الرئيسي.

و يعتبر المسجد من الجوامع المعلقة، إذ يصعد إليه بمجموعة من الدرجات، و يقع المدخل الرئيسي في الجهة الشمالية المواجهة لحائط القبلة، و يتكون من عقد كبير مرتفع ذي ثلاثة فصوص، ملئ تجويفه بمجموعة من الدلايات المنحوتة في الحجر، و المسجد من الداخل مغطى كله، و في الركن الشمالي الغربي منه توجد غرفة الضريح التي ترجع عمارتها إلى العصر المملوكي، و هي عبارة

عن مرتع تحيط به أربعة عقود، و كانت تعلوها قبة سقطت هي و الجزء العلوى من المئذنة إثر زلزال

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٧٤

أطاح بها. و السقف مغطى الآن بألواح خشبية، و تعلو المئذنة مدخل المسجد، و تتكون من ثلاث دورات: الأولى مرتعة، و الثانية مثنى، و بكل وجه من أوجه المئذنة تجويف مخلق، فى جانبيه عمودان، و به فتحة واحدة يتقدمها شرفه للمؤذن، و يفصل بين الدور الثانية و الثالثة شرفه خشبية. أما الدورة الثالثة فهى مجددة، و ترجع إلى العصر العثمانى، و هى تشبه المسلة أو طرف قلم الرصاص، انتهى.

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٧٥

الفهارس الفتيية

إشارة

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٧٧

فهرس الآيات

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ۸٦، ١٢٧
 إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ٤٠، ٤١، ٤٢، ١٠٥، ١٠٦
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ١٢٦
 أَلَمْ نَشْرَحْ ١٢٧

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ١٣٢

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ١٦٢

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ٣٣٤

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوَاىَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ٤٤٣

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ٢٢٧

فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ٤٥٢

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ١٦٨، ٣٠٩

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ٣٩، ٤٦، ١٣٢، ١٧٤، ٤٢٤

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ٤٢٥

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٧٨

لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٤٥

لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ٤١٩
 مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ ١٧٣، ٣٠٩
 مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ٤٢٨
 هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ١٧٩، ٤٥٥
 وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ٤٢٥
 وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ ٤٥٢
 وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِي ٢٢٧
 وَالَّذِينَ جِئُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ٤١٧
 وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ٢٢٢
 وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَاؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ١٧٦
 وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٤٢٠
 وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٧١، ٤٤٤
 وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمَلِي لَهُمْ خَيْرًا لَأَنْفُسِهِمْ ١٧٠، ٢٧٨، ٤٤٤
 وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنْتَكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٢٧٧
 وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ١٧٣، ٣١٠
 وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ١٤٥
 و من ذريته عيسى ٤٩
 يَا بَنِي آدَمَ ٤٩
 يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٤٩
 أهل البيت فى مصر، ص: ٤٧٩

فهرس الأحاديث

أهل البيت فى مصر ٤٧٩ فهرس الأحاديث ص : ٤٧٩
 بالموت تخوفنى؟، ١٩٧
 أ تامرونى أن أطلب النصر بالجور، ١٩٢
 أ تطلبوننى بقتل منكم قتلته؟، ١٩٨
 أثبتكم على الصراط أشدكم حبا، ٣٦
 أحبوا الله لما يغذوكم به من نعم، ٤٢٦، ٤٢٨
 إذا استحال هذا التراب دما، ١٤٧
 أذكركم الله فى أهل بيتى، ١٨٤
 اشتد غضب الله على قوم اتخذوا، ٥١
 أصبحت ولى ربّ فوقى، ١٤٣
 أعرف ذلك يا أبى، ١٨٨

- اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله، ١٤٣
- أعيد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان، ١٣٦
- أقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم، ٢١٧، ٣٥٧
- ألا ترون الحق لا يعمل به، ١٩٥
- ألا وقد نهيتكم عن زيارة القبور، ٤٢٢
- الحسين منى و أنا منه، ١٠٩
- أهل البيت فى مصر، ص: ٤٨٠
- الحمد لله الذى أكرمنا بنبيّه، ١٦٠، ٢٧٥
- الحمد لله رب العالمين، و صلى الله على رسوله و آله أجمعين، ١٧٠
- الحمد لله عدد الرمل و الحصى، ١٥٦
- الزموا محبتنا أهل البيت، ٣٥
- أ لست ابن بنت نبيكم؟، ١٩٨
- اللهم اجعل غنائى فى نفسى، ١٤٠
- اللهم إنا نرغب إليك فى دولة كريمة، ٢٤
- اللهم أوسع على من رزقك الحلال، ١٤١
- اللهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك و بركاتك، ٤٠
- اللهم هؤلاء أهل بيتى، فاذهب عنهم الرجس، ٤٠
- المرء مع من أحب، ٧٣
- المعروف بقدر المعرفة، ١٣٩
- إلهى، أنعمتنى فلم تجدنى شاكرًا، ١٤٠
- إلهى و سيدى و مولائى: متعنى برضاك عني، ٢٤٥
- أمسك عليك زوجك، ٤٥٢
- أمرى خير من أمه، ١٦٨، ٣٠٩
- أنا على بن الحسين، ١٦١، ٢٠٥
- أنتما سيدا شباب أهل الجنة، ١٦٨
- أنت منى بمنزلة هارون من موسى، ٤٣، ١٣٥
- إن الله يتوفى الأنفس حين موتها، ٢٠٥
- إن أمتك ستقتله، و إن شئت أريتك، ١٤٥، ١٩٣
- إن جبريل أخبرنى أن ابنى هذا، ١٤٥
- إن رأيتم أن تطلقوا لها اسيرها، ٤٥٠
- إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط، ١٧٨
- إنكم ستفتحون مصر، و هى أرض يسمّى فيها القيراط، ٧١، ١٧٨
- أهل البيت فى مصر، ص: ٤٨١

- إني أوشك أن ادعى فأجيب، ٧٣
 إياكم و المثلة و لو بالكلب العقور، ١٩٢، ٢٧٤
 إياك و ما يعتذر منه، ١٤٣
 أيها الناس، من عرفنى فكفى، ١٥٧
 أى الأعمال أفضل، ١٣٩
 ثلثة الدين موت العلماء، ١٩٠
 جعل الله فيك الخير يا زينب، ١٨٧
 جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا، ٤٢٢
 حبيباه! يا ابن أخاه! يا ولدى، ١٩٧
 حوائج الناس إليكم من نعم الله، ١١٦، ١٤٣
 خابت صفقة من باع الدنيا بالدين، ١٩٠
 خف الله لقدرته عليك، ١٩٠
 خلق الناس من أشجار شتى، ٣٥
 دخلت الجنة فسمعت قراءة، فقلت من هذا؟، ٢٢٣
 رحم الله امرأ قبل نصيحتى و وصيتى، ١٥٨
 سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب، ٤٥١
 شر الولاة من خافه البرىء، ١٩٠
 على منى بمنزلة هارون من موسى، ١٨٨
 على و فاطمة و ابناهما، ٤١، ٤٢٥
 كان لى أخ أكبر منى يسمى عليا، قتله الناس، ٢٠٥
 كان لى كما كنت لرسول الله صلى الله عليه و آله، ٤٦٥
 كنت أدفن ابنى الحسين، ١٤٦
 لا تتكلف ما لا تطيق، و لا تنفق، ١١٦
 لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد، ٤٢١
 لا حاجة لى فى أمركم، ٥٧
 أهل البيت فى مصر، ص: ٤٨٢
 لأن أقتل خارجا منها بشبرين أحب لى، ٥٩
 لصله رحم رسول الله صلى الله عليه و آله أحب لى من صلته رحمى، ٤٢٩
 لكل بنى آدم عصبه، إلّا ابنى فاطمة، ٤٣
 لما ولد الحسن سميته حربا، ١٠٩
 لو رأنا رسول الله صلى الله عليه و آله مغلولين لفكك عنا، ١٧٣
 ما بال أقوام يتحدثون، ٣٦
 ما بال رجال يؤذوننى فى أهل بيتى، ٣٦

ما بين قبرى و منبرى روضه من رياض الجنه، ٥٢، ٤٢٣
 ما لى و لقريش، أما و الله لقد قتلتم كافرين، ١٩٢
 مناولة المسكين تقى ميتة السوء، ٢٢٤
 من زار قبرى وجبت له شفاعتى، ٤١٨
 نعم الحارس الأجل، ١٩٠
 و الله لقد أعطى على تسعة أعشار العلم، ١٨٨
 و الله ما ترك ذهابا و لا فضاة، ١٩٣
 و الله يا عم، لو وضعوا الشمس فى يمينى، ١٨٦، ١٩٦
 و محمداه! هذا الحسين بالعراء، ١٩١
 هذا المقبل حجّتى على أمتى يوم القيامة، ١٨٨
 هما ريحانتاى من الدنيا، ١٠٩
 هيهات هيهات! أيها الغدرة المكره، ١٥٨
 هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس، ١٠٦
 يا أماه، هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه و آله، ٦١
 يا حسن، زوج نفيسة من إسحاق المؤمن، ٢٢٣
 يا عماه! إن الله قادر أن يغير ما قد ترى، ١٣٨
 يا فلان ... يا فلان ... يا فلان ... أ لم تكتبوا إلتى، ١٩٨
 يا معشر قريش لتنتهنّ أو ليعثن الله، ١٩٢
 أهل البيت فى مصر، ص: ٤٨٣

فهرس الأعلام

إبراهيم عليه السلام، ٤٩، ٢٢٧، ٢٤٦
 إبراهيم الدسوقى، ٢٠٧، ٣٤٥
 إبراهيم بن المنذر، ٢٢٥
 إبراهيم بن عبد الله النحام ابن اسد بن عبيد بن عولج بن عدى بن عمر بن الخطاب، ٤٥٦
 إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، ١٠٢
 إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى، ٩٠
 إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على، ٧٢
 إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى طالب، ٩٣، ١٠٢، ٣٤٢، ٣٤٤
 إبراهيم بن عبد الله بن على بن أبى طالب، ٣٤٤
 إبراهيم بن محمد الحريرى، ٤٥٤
 ابن الأثير، ٢٥، ٨٧، ١٠٩، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٦، ١٩١، ١٩٢، ٢٨٩، ٢٩٥، ٣٠٩، ٣٨٠
 ابن الزيات، ٢٤٩، ٣٣٦، ٤٠٤

- ابن الضحاک، ١٤٦، ٣٠٦، ٣٠٧
- ابن الفحام الفقيه، ١٩
- ابن إياس، ٨٧، ١١٤، ٣٧٠
- ابن أبى أمامة بن سهل بن حنيف، ٢١٧، ٣٥٧
- ابن أبى حاتم الرازى، ١٩
- ابن أبى ذئب محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة، ٢١٦، ٣٥٩
- ابن بطوطة، ٧٧، ١٨٠
- أهل البيت فى مصر، ص: ٤٨٤
- ابن ثوبان، ٢١٩، ٣٦٠، ٣٦٩
- ابن جابر الأندلسى، ١٣٣
- ابن جبیر، ٨٢، ٨٣، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٨٠
- ابن جریر الطبرى، ١٩، ٣٥
- ابن حبان، ٣٦، ٣٧، ٧٣، ٣٥٥
- ابن حجر، ١٩، ٣٧، ٣٨، ٤٣، ٥١، ٧٣، ١٤٦، ٢٩٥، ٣٥٩، ٣٨٣
- ابن خالويه، ١٩
- ابن خلکان، ٧٦، ٢٢٧، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٦١، ٣٧٠
- ابن سريج، ٢٨٥، ٢٨٦
- ابن سعد، ١١٣، ١٥٩، ١٦٢، ٢٠٢، ٣٠٦، ٣٣٤، ٣٥٣
- ابن طباطبا، ٩٥، ٣٥١
- ابن عبد البر، ٤٤، ٥١
- ابن عساکر، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ١١٠، ١١٥، ١٣٦، ١٤٦، ١٨٠، ٣٠٧، ٣٧٨، ٣٨٣، ٤٤٧
- ابن عين، ٣٢٣
- ابن قتيبة، ١١١، ١٧٣، ٢٥٩، ٢٧٠، ٢٩٢
- ابن قحطبة، ١٠١
- ابن كثير، ٣٩، ٤٢، ٤٤، ٧٦، ٧٨، ١١٠، ١١١، ١١٤، ١٧٤، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٨٢، ٣٠٩، ٣٥٩، ٤٢٥
- ابن ميسر، ١١٤
- ابن هرمز، ٣٠٦
- أبو الحسن المعمرى، ٩٣، ٣٤٢
- أبو الحسن النوبختى، ٣٩٢
- أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحجة ابن عبيد الله الأعرج، ٤٣٩
- أبو الديلم، ١٧٤
- أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، ٤٥٠
- أبو العباس السفاح، ٩٦، ٢١٩

- أبو العباس الوليد بن مسلم الدمشقى، ٢٣٤
أبو الفتح السلمانى، ٤٤٩
أبو الفرج الأصفهانى، ١١٠، ٢٨٥، ٢٩٦
أبو القاسم بن الحنفية، ٤٥٩
أبو أويس، ٣٥٤، ٣٦٨
أبو أيوب الأنصارى، ٢٥
أبو بكر الصديق، ٦٣، ١٧٧
أبو تميم تراب الحافظ، ٣٣٨
أبو جعفر الحسين، ٤٥٨
أهل البيت فى مصر، ص: ٤٨٥
أبو حنيفة، ٥٠، ٢٢٢
أبو ذر الغفارى، ٢٥، ٧٤
أبو سعيد الخدرى، ١٠٧
أبو سفيان، ١٧٠، ١٨٦، ٢٧٧
أبو سلمان الدارانى، ٢٣٤
أبو طالب جعفر النقيب، ٤٤٩
أبو عاصم الأسلمى، ٣٦٥
أبو عبد الله التميمى، ٤٥٠
أبو عبد الله القرشى، ٤٥٥
أبو عميرة المزنى، ١٧٩، ٤٥٥
أبو كف، ٥٥، ٦٧، ٣٢٢، ٣٣٠، ٣٤٧، ٣٤٩
أبو لؤلؤة المجوسى، ٧٤
أبو محمد الحسن، ٢١٦، ٣٥٣، ٤٤٩
أبو محمد المدنى الأنور، ٣٥٤
أبو مسلم، ٧٩
أحمد المحروقى، ٢٠٧
أحمد بن حنبل، ٣٧، ١٠٩، ٢٣١، ٢٧٦
أحمد بن طولون، ١٨٠، ٣٩٧، ٤٥٩
أحمد حسن الباقورى، ٣٠
أحمد فهمى، ٣٥٣
إدريس بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى طالب، ٤٠٢
إسحاق المؤتمن ابن جعفر الصادق، ٢٢٣، ٢٤٢
أسماء بنت عميس، ٦٣، ٣٠٥، ٣٢٤، ٣٢٧، ٤٦١، ٤٧١

- إسماعيل، ٧١، ٨٢، ٨٥، ١١٧، ١١٨، ١٢٤، ١٧٩، ٢٠٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٧، ٣٥٥، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٨٣، ٣٩١، ٤١٣، ٤٢٩
- إسماعيل بن محمد البصرى، ٤٥٥
- أشعب، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٥
- أصبح بن عبد العزيز بن مروان، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠١
- الأجهورى، ٢٤٤، ٣١٨، ٣٢٣
- الإسكافى، ٣٩٦
- الإمام الحسن عليه السلام، ١٦٩
- الإمام الحسين عليه السلام، ٢٤، ١١٤، ١٧٣، ٢٢٤
- الامام الرضا عليه السلام، ٣٣٥
- الإمام الصادق عليه السلام، ٢٤، ٩٤، ٣٥٥، ٣٩٢، ٤٠٢
- الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، ٢٤
- أهل البيت فى مصر، ص: ٤٨٦
- الإمام مالك، ٩٨، ٩٩، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٤٧، ٣٥٤، ٣٦٨
- الآمر بأحكام الله، ٣٢٦، ٣٣٧
- الأمير المعز لدين الله، ٢٧
- الببلاوى، ١٣٣
- البخارى، ٤٤، ٤٥، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٨، ٧٣، ١٠٩، ١١٣، ١٣٥، ١٤١، ١٧٦، ٣٠٧، ٤١٨، ٤٢٥
- البيهقى، ٧٣، ١٠٩، ١٧٨، ١٨٤، ١٩٤، ٣٥٦، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٥
- الترمذى، ٤٢، ٤٤، ٥٠، ٧٣، ١٠٦، ١٠٩، ١٢٦، ١٤١، ١٤٢، ١٩٢، ٢٥٥، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٨
- الجعايبى، ١٩
- الجوهرى الشافعى، ٧٩، ٤٢٧
- الجزى، ٢٢٩، ٢٤٧
- الحافظ لدين الله، ٢٥١، ٣٢٣، ٣٢٦
- الحاكم، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٧٤، ١٠٨، ١٠٩، ١٣٦، ١٤٦، ٢١٨، ٢٧٦، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٨
- الحياب بن المنذر ابن الجموح، ٤٦٠
- الحجاج بن يوسف الثقفى، ٩٧
- الحسن بن زيد بن الحسن بن على، ٢٤١، ٤٥٨، ٤٥٩
- الحصين بن نمير، ٦٠
- الحكم بن أيوب، ٤٦١
- الخدويوى توفيق، ٢٠٧
- الخدويوى عباس الثانى، ١١٨، ٢٩٩
- الذهبى، ٤٠، ٤٣، ٩٩، ١٠١، ١١٠، ١٢٦، ٣٤٣، ٣٥٥
- الرباب بنت امرئ القيس، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٧٤، ٢٨٠

- الزبير بن أبي بكر، ٤٥٣
- الزبير بن بكار، ٢٨٢، ٢٩٥، ٣٥٣، ٤٦٠
- الزركلي، ٣٥٩، ٣٧٩
- الزهري، ٤٤، ٢٦٠، ٣٨١، ٤٠٢، ٤٤٧، ٤٥٦
- السبط ابن الجوزي، ١٩
- السبكي، ٥٠، ٢٦٤
- السخاوي، ١٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٧١، ٢٩١، ٣٢٣، ٣٣٦، ٤٠٥
- السري بن الحكم، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٥١
- أهل البيت في مصر، ص: ٤٨٧
- السلطان خان، ١١٧
- السلفي، ٣٢٢، ٣٣٥
- السيدة زبيدة، ٣٢٧، ٣٢٨
- السيدة عاتكة، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٩٧
- السيدة نفيسة، ٢٤، ٧٢، ١٠٧، ١٠٨، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤
- ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٨٩، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٢٤، ٣٣٧
- ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٩٦
- الشافعي، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٧٩، ٨٣، ١١٣، ١٣٠، ١٣٤، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١
- الشامي، ١٦٩
- الشبليجي، ٣٦، ٤٠، ٤٥، ٤٦، ٧٢، ٩٣، ١١٣، ٢١٨، ٢٤٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦١
- الشعراني، ٧٩، ٢٢٠، ٢٧١، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٦٢، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٨، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٢٠
- الصبان، ٢٥٨، ٢٨٧، ٢٩١، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٦٢، ٣٧١
- الطبراني، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٧٣، ٧٤، ١٠٩، ١٣٦، ١٤٥، ١٩٤، ٢٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦
- الطبري، ١٩، ٣٥، ٣٨، ٤٢، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٤٦، ١٦٨، ١٩٤، ١٩٦، ٢١٥، ٢٨٩، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٥٩، ٣٨٠
- الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، ٤٥٧
- العباس، ٢٦، ٣٦، ٤٤، ٥٠، ٥٠، ٤٣، ٤٦، ٩٦، ١١٢، ١٨٥، ٢٠٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٣٤، ٣٤٣، ٣٥٨، ٣٧٨، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٥٦
- العبيدي، ٧٧، ٨١، ٢٩٧، ٣٠١
- العقاد، ٥٣، ٧٦، ٨١، ١١٤
- الفخر الرازي، ١٩، ٤٦
- الفخري، ٩٥، ٣٥١، ٣٩٥
- الفرزدق، ٣٨، ١٧٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٩٥
- الفريرة بنت مالك بن سنان، ٤٦١
- أهل البيت في مصر، ص: ٤٨٨
- الفضل بن سهل، ٤٥٤

- القاسم بن إبراهيم، ٣٩٦
القاسم بن محمد بن أبي بكر، ٤٠٢
القاسم بن محمد بن جعفر الصادق، ٤٥٩
القضاعي، ٦٣، ٩٣، ٣٤٢
القلقشندی، ١١٤، ٤٧١
الكندي، ٩٣، ٣٨١، ٣٨٦
الليث بن سعد، ٢٤٧، ٣٢١، ٣٢٤، ٤١٢
الماوردي، ٤٣، ٣٥٩
المأمون، ٢٣٨، ٢٤٣، ٣٣٥، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٢٦، ٤٥٩
المبرد، ٢٧٠
المتوكل، ٧٨
المحب، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٣، ١٤٦، ٤٢٣، ٤٢٧
المرادي، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٢٩، ٢٤٧
المسعودي، ٦٠، ٧٨، ٩٨، ١١٠، ٣٥٢، ٣٨٠، ٣٨٣
المعزّ تاج الدين الشوكلي الشامي، ٤٧٣
المغيرة بن شعبه، ٣٠٧، ٤٦٠
المقداد بن الأسود الكندي، ٢٥
المقريزي، ٢٥، ٧١، ٨١، ٨٨، ٩٣، ١١٣، ١٢٢، ١٨٠، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢
٢٥١، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤١٢، ٤٢٧، ٤٦٦
الملك فؤاد، ١١٨
الملوي المالكي، ٤٢٧
المنذر، ٤٢، ٢٢٥، ٤٦٠
المنصور العباسي، ٩٣، ٩٦، ١٠١، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠
النويريج، ٧٨
الوالي عباس، ١١٧
الوليد بن عبد الملك، ٢١٥، ٣٨٠
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ١١١، ١٩٤
اليقوبي، ٩٧، ١١٠، ٢١٥
أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، ٣٠٥
أم البنين بنت حزام الوحيدية، ٦٣
أم الفضل بنت الحارث، ١٣٦
أمامة، ٢٠٢، ٢١٧، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٨، ٤٥٠
أهل البيت في مصر، ص: ٤٨٩

- أم أبى العاص هالة بنت خويلد بن اسد، ٤٥٠
 أم أبيها، ٦٣
 أم أيمن، ٤٥١
 أم جعفر، ٣٠٥
 أم حبيب الصهباء التغلبية، ٣٢١، ٣٢٤
 أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفى، ٦٣
 أم سلمة، ٤٢، ٤٤، ٦٣، ٧١، ١٠٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٧٨، ١٨٩، ١٩٤، ٢٢١، ٢٧٦، ٣٦٨، ٤١٨، ٤٢٢، ٤٥٩، ٤٦١
 أم عبد الله، ١٦٩، ١٨٩، ٢٠٣
 أم عطية، ٤٥١
 أم عكاشة بنت محسن، ٤٥٣
 أم عمرو بن مروان بن الحكم، ٤٦٢
 أم كلثوم، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ١٠٨، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٥، ١٨٠، ١٨٩، ٢٠٣، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٣، ٣٣٥، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٨
 ٣٩١، ٤١٢، ٤٢٩، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦١
 أم كلثوم الصغرى، ٦٣
 أم كلثوم الكبرى، ٦٣
 أم هانئ، ١٨٩، ٢٣٦، ٢٤٣
 أم هشام بنت زياد، ٣٠٥
 أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ٤٥١
 أنس بن مالك، ١٨٨، ١٩٣، ٤١٨، ٤٦١
 برقوق، ٨٨
 بلال، ٣٠٥
 بنت الشاطى، ١٨٧، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٠٢
 بيبرس، ٨٤، ٨٧، ١٢٢، ٢٠٦، ٢٠٩
 تاج الدين، ٨٧
 جرير، ١٩، ٣٥، ٤٢، ٧٨، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٩٥
 جعدة بنت الأشعث بن قيس، ١٩٣
 جعفر، ٤٣، ٦٣، ٩٤، ٩٥، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٩، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٨١، ٣٠٥، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٦٢
 ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٢، ٤٣٩، ٤٤٩
 ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥
 أهل البيت فى مصر، ص: ٤٩٠
 ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٧١
 جعفر الطيار، ٦٣، ١٨٩
 جعفر بن الحسن، ٤٥٩

- جعفر بن قيس بن مسلمة الحنفي، ٦٣
جمال، ٩٨، ١٤٢، ٢٢٣، ٢٣١، ٢٦١، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٥٠
جمال الدين، ١٢٢
جمال الدين عبد الله الجصاص، ٢٣٥، ٢٤٣
جمانة، ٦٣
حرملة، ٢٢٩، ٢٤٧
حسن إبراهيم حسن، ١٠١، ٣٥١
حسن الأنور، ٧٢، ٩٠، ٢٢٠، ٢٤١، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢
حسن الرزاز، ٤٠٣
حسن عبد الوهاب، ٨٣، ١٣٤، ٤٠٤، ٤٠٥
حسن كامل الملطوى، ٣٠
حسن كتخدا، ١١٧، ١٢٢
حفصة، ٤٦٠
حمزة المكفوف، ٤٥٥
حمزة سيد الشهداء، ١٥٢
حميدة، ٢٢٤، ٣٩٤، ٤٥٨
خالد بن عبد الله القسري، ٩٦، ٣٨٠
خالد محمد خالد، ٣٠
خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي، ٤٤٩
خولة بنت إياس الحنفي، ٦٣
داود، ٥١، ٧٣، ١٣٦، ١٤٦، ٣١١، ٣٥٧، ٤٢٢، ٤٥٨
درّة، ١٤، ٢٠، ٢٥، ٨٦، ٩٦، ١٢٧، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٨٧، ٣٢٥، ٤٦١
ذى النون المصري، ٢٤٧
راتب باشا، ١٢٥
رقية، ٦٣، ١٠٨، ٣٠٦، ٣١٠، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٦٢، ٣٧٠، ٣٩١، ٣٩٧، ٤٥٥، ٤٥٦
رقية بنت عامر الفهري، ١٧٩
رمل، ٦٣
أهل البيت في مصر، ص: ٤٩١
زبير، ٣٦٧
زرارة، ٤٥٠
زكى مبارك، ٢٦٥، ٢٩٦

زيد بن أبيه، ١٨٤

زيد الأبلج، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٧٠

زيد بن الأرقم، ١٥٩

زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب، ٢٤١، ٤٥٨، ٤٥٩

زيد بن على زين العابدين، ٧٢، ٩٠، ٣٥٢، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٣

زيد بن عمرو العثماني، ٢٦١

زينب الصغرى، ٦٣، ٤٥٦

زينب الكبرى، ٦٣، ١٨٠، ١٩٠، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٥٣، ٤٥٦

زينب بنت الحسن المثنى ابن الحسن، ٣٦١، ٤٥٨

زينب بنت جحش، ٤٥١، ٤٥٢

زينب بنت عقيل، ٤٥٤

زينب بنت عقيل بن أبى طالب، ٤٥٣

زينب بنت يحيى المتوَّج، ٢٢٧، ٢٢٨

زينب بنت يوسف بن الحكم بن أبى عقيل، ٤٦١

سارة، ٣٨٣

سعاد ماهر، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٨٧، ٨٩، ٩٢، ١٠٣، ١١٢، ١١٨، ١٢١، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٥١، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٢٥، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٩

٣٤١، ٣٧٥، ٣٨٥، ٣٨٧، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠٧، ٤١٢، ٤٧٢

سعد بن زرارة، ٤٦١

سعيد بن العاص، ٧٥، ٤٥٦

سفيان الثورى، ٤٥٠، ٤٥٤

سكينة، ١٠٨، ١٥٢، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٩، ٢٢٠، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤

٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤

٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٣٧، ٣٦٢، ٣٧٠، ٤٣٠، ٤٥٥

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٩٢

سلمان الفارسى، ١٨٧

سليمان بن إبراهيم بن محمد بن على ابن عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبى طالب، ٤٥٨

سليمان بن عبد الملك، ١١٣

سليمان خان، ١٢٢

سمرة بن جندب، ١٦٥

شمر بن ذى الجوشن، ٧٦، ١٦٥، ٣٠٨

شمس الدين أبى الخير السخاوى المصرى، ٤٤٦

شمس الدين بن محمد، ٤٠٣

شهاب الدين الحسينى المرعشى النجفى، ٤٤٠

- صالح الجعفرى، ٤٢٤
- صالح بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، ٢٢٥
- صلاح الدين الأيوبى، ٨٢، ٨٣، ١٣٤، ٤٠٤
- صلاح عزّام، ٣٦٧
- طلّاح بن رزيك، ٧٦، ٧٩، ٨١
- طه حسين، ٧٤، ٢٨٤
- عائشة، ٤٢، ٤٥، ١٠٨، ١٤٦، ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٠٥، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦١
- عائشة ابنة الإمام جعفر الصادق، ٤٠١
- عائشة بنت الإمام جعفر الصادق، ٤٠٣
- عائشة بنت جعفر الصادق، ٣٢٤
- عائشة بنت طلحة، ٢٥٩، ٢٦٣
- عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية، ٣٣٠
- عاتكة بنت شرحبيل، ٣٢٩
- عادل المعلم، ٣٢
- عامر الشعبي، ٤٥٠
- عباس باشا، ٢٠٧، ٢٥٢، ٢٩٨
- عباس كتخدا الفزدوغلى، ٧٩
- عبد الحسين شرف الدين العاملى، ٢٩
- عبد الحلیم البشرى، ٢٩
- عبد الحلیم الجندى، ٢٨، ٣٠، ٩٤، ٣٩٣، ٤٠٢
- عبد الحلیم محمود، ٣٠
- عبد الحميد جودة السّخّار، ٣٠
- عبد الرحمن، ١٨٥، ٢١٦، ٢٢٩، ٢٤٧، ٢٦٠، ٢٦٢، ٣٠٢، ٣٥٩، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٠
- أهل البيت فى مصر، ص: ٤٩٣
- عبد الرحمن البويطى، ٢٢٩، ٢٤٧
- عبد الرحمن الجبرتى، ٣٢٨
- عبد الرحمن الحسينى العلوى العيدروسى، ٢٠٧
- عبد الرحمن الشرقاوى، ٣٨٣، ٣٩٢
- عبد الرحمن بن الضحاك، ٣٠٦
- عبد الرحمن بن ملجم، ١٩٢
- عبد الرحمن كتخدا، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٥٢، ٢٩٨، ٣٢٣، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٧١، ٣٧٢، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٢٧
- عبد الرحيم البيسانى، ٨٢، ١٢٢

- عبد الرسول الشيرازي، ٤٦٧
عبد الصمد بن حسان السعدي، ٤٥٤
عبد العزيز العثماني، ٨٢
عبد العزيز سيد الأهل، ٣٠
عبد الفتاح عبد المقصود، ٣٠
عبد الله، ٣٨، ٤٣، ٤٤، ٥٢، ٥٨، ٦٠، ٦٣، ٧٢، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١٣٣، ١٤٠، ١٤١، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٤،
١٦٩، ١٧١، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٦، ٢٠٣، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨،
٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٦، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٦، ٣٦٠،
٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٨٠، ٣٩١، ٤٠٢، ٤١٨، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٢
عبد الله الافطح، ٣٩٢
عبد الله الشبراوي، ١٣٢
عبد الله المحض، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ١٦٩، ٣٤٢
عبد الله بن الحارث، ١٧٩، ٤٥٥
عبد الله بن الحسن، ٢٥٨، ٣٠٦، ٣٥٥، ٣٦٨
عبد الله بن الزبير، ٥٧، ٥٨، ٢٥٩، ٢٨٨، ٢٩٣، ٤٥٤
عبد الله بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب، ٤٥٩
عبد الله بن أبي بكر، ٣٣٠، ٣٣١
عبد الله بن جابر، ٤٦١
عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري، ٤٥٠
أهل البيت في مصر، ص: ٤٩٤
عبد الله بن جعفر المخزومي، ٢٢٥
عبد الله بن حسن، ٣٠٦، ٣٤٢، ٣٤٣
عبد الله بن رافع، ٤٥١
عبد الله بن زمعة، ٤٦٠
عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ٢٨٠
عبد الله بن سعيد، ٣٣٦
عبد الله بن عامر بن كرز، ١٦٧
عبد الله بن عباس، ٣٠٥
عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري، ١٧٩، ٤٥٥
عبد الله بن عبد الرحمن العتيبي، ٤٥٤
عبد الله بن عبد الملك، ٢١٥
عبد الله بن عبد الملك بن مروان، ٢٤٩
عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم ابن حزام، ٢٦٠

- عبد الله بن عفيف الأزدي، ١٦٣
عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، ٢١٩
عبد الله بن عمر بن الخطاب، ٤٥٦، ٤٠٢
عبد الله بن عمرو، ١٤١، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٤٥٧، ٤٦١
عبد الله بن مروان، ٢٩٣
عبد المجيد خان، ٨٥، ١٢٦
عبد المطلب، ٣٦، ٤٠، ٤٤، ١٠٨، ١٧١، ١٩٢، ٢٠٥، ٤٤٤، ٤٥١، ٤٥٧
عبد الملك بن الحارث السهمي، ٤٥٤
عبد الملك بن سعيد الأنصاري، ١٧٩، ٤٥٥
عبد الملك بن مروان، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٨٨، ٢٩٦، ٣٠١
عبد المنعم قنديل، ٣٨٤، ٣٨٥
عبد الواحد بن عبد الله النصري، ٣٠٦
عبيد الله المهدي، ٢٦
عبيد الله بن أبي القاسم، ٤٥٩
عبيد الله بن أبي رافع، ٤٥٥
عبيد الله بن زياد، ١١٢، ١٥٨، ١٦٥، ١٧٤، ١٩٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٧٤، ٢٧٩، ٣٠٨
عبيد الله بن سعيد، ٣٢٣
عبيدة بن الحارث، ٤٥٧
عتبة بن أبي لهب، ٣٣٤
عثمان بك الطنبورجي المرادي، ٢٠٧
عثمان بن عفان، ٧٤، ١٠٧، ١٢٧، ١٣٨، ١٩١، ٢٦٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٦، ٣٣٤، ٣٣٥
عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ٥٩، ٦٠
أهل البيت في مصر، ص: ٤٩٥
عروة بن الزبير، ٤٥، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٧٨، ٤٦١
عزة الميلاء، ٢٨٥، ٢٨٦
عسامة المعافري، ١٧٩، ٤٥٥
عطاء، ٣٦٥، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٠٢، ٤١٩
عقيل، ٥٩، ١٨٥، ٤٥٣، ٤٥٤
عكرمة، ٤١، ٣٥٥، ٣٦٨
علم الآمريه، ٣٣٧، ٣٣٨
علي الأكبر، ١٨٩، ٢٥٧، ٢٨٠
علي الجعفري، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٩٧
علي باشا الحكيم، ٢٥٢

علي باشا مبارك، ٨٢، ٨٥، ١٢٩، ٢٠٧، ٢٩٨، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٧، ٤٠٤

علي بن أحمد الباهلي، ٤٥٤

علي بن محمد بن عبد الله، ٢٦، ١٠٢، ١٧٩، ٣٤٤، ٤٥٥

علي بن موسى، ٤٥٤

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، ٣٢٤

عمار بن ياسر، ١٩١، ٤٦٦

عمر، ٣٨، ٤٢، ٥٨، ٦٣، ٧٢، ٧٥، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٩١، ٩٢، ٩٤، ١٠٦، ١٠٩، ١٢١، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٩، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٨، ١٨٩

١٩١، ١٩٧، ٢٠٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٠

٢٨١، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٦٣

٣٦٧، ٣٧١، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٣، ٤٠٢، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٣، ٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٧٢

عمر الأكبر، ٣٢١

عمر بن الخطاب، ٣٨، ٤٣، ٧٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٨٠، ٢٩٤، ٣٣١، ٤٠٢، ٤٢٩، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٦٦، ٤٦٦

عمر بن أبي ربيعة، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٨٤

عمر بن سعد، ١٥١، ١٩٨

عمر بن عبد العزيز، ٣٧، ٥٢، ٢٧٦، ٣١٣، ٣٦٥، ٤٢٦

أهل البيت في مصر، ص: ٤٩٦

عمرو بن العاص، ٦٩، ٩٣، ١٤١، ٢٢٠، ٢٢٨، ٣٦٤، ٤٧١

عمرو بن حريث، ١٦٠

عمرو بن حزم، ١١٥

عمرو بن سعيد الأشدق، ١٩٨، ٤٥٤، ٤٥٥

عمرة، ٤٦١

عوف بن خارجة المرّي، ٢٥٥

عون، ١٨٥، ١٨٩، ٢٠٣

عيسى عليه السلام، ٤٩، ٦١

عيسى بن موسى، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ٣٤٢، ٣٤٣

فاطمة الزهراء عليها السلام، ٢٦، ٢٧

فاطمة الصغرى، ١٥٥

فاطمة بنت الحسين، ١٦٨، ١٦٩، ١٨٩، ٢٧٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣

فرعون، ٦١، ١٧٦، ٢٦٢

فضة، ٧٧، ٨٧، ١٠٩، ١١٦، ١١٧، ١٣٦، ٢٣٤، ٢٧٣، ٢٨٧

قدامة بن مظعون، ٤٦٠

قيس بن سعد الأنصاري، ٢٥

قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، ٤٦٥

كافور الإخشيدى، ٣٤٥

كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، ٢٢٥

كرزويل، ١٢٩، ١٣٠

كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق، ٤١١

ليلى بنت أبى مرّة، ٢٨٠

ليلى بنت مسعود، ٦٣، ٢٠٣

محسن، ٦٣، ١٨٠، ٣٥٩، ٤٥٦

محمد، ١٥، ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥

٨٨، ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١٠، ١١٥، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٢، ١٤١، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٢

١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٦، ١٦٨، ١٧١، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٩، ١٩١، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٤

٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٩

أهل البيت في مصر، ص: ٤٩٧

٢٨١، ٢٩٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩

٣٧٢، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٢٩، ٤٤٥

٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٧٢، ٤٧٣

محمد الجعفرى، ٣٣٠، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧

محمد الحسينى الواسطى، ٤٤٨

محمد النفس الزكية، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٢

محمد أبو زهرة، ٣٠

محمد باشا الشريف، ١١٧، ١٢٢

محمد بن إبراهيم بن عبد الله، ٤٥٣

محمد بن إسحاق، ٣٥٤، ٣٦٨

محمد بن إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ٢٦

محمد بن الحسن الطوسى، ٣٩٥

محمد بن الحنفية، ٤٣

محمد بن القاسم، ٤٥٧

محمد بن أبى بكر، ٢٥، ٨٣، ١٢١، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩

محمد بن أبى ذئب، ٣٥٤، ٣٦٨

محمد بن بشر، ٣٦٥

محمد بن جعفر الأمير، ٤٥٨

محمد بن سليمان، ٤٤٩

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، ٦٨

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب، ٩٥، ٣٥٣

- محمد بن عبد الله بن جحش، ٤٥٢
 محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، ٣٠٥
 محمد بن عبد الله بن محمد اللواتى الطنجى، ٧٧
 محمد بن عقيل، ٤٥٦ أهل البيت فى مصر ٤٩٧ فهرس الأعلام ص : ٤٨٣
 مد بن قلاوون، ٨٢، ٨٨، ١٢٢، ٢٥٢، ٣٦٣، ٣٧١، ٣٧٢
 محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى، ٨٤
 محمد بن مسعدة، ٤٥٠
 محمد بن يحيى العثمانى، ٤٥٨
 أهل البيت فى مصر، ص: ٤٩٨
 محمد بن يحيى بن الحسن، ٤٤٩
 محمد خالد، ٣٠
 محمد خسرو باشا، ٢٠٧
 محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، ١٥٢، ٢٢٧
 محمد زكى إبراهيم، ٣٠، ٣٢٤
 محمد عثمان، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣١٦
 محيى الدين ابن عربى، ٤٢٩
 مروان بن الحكم، ٦٠، ١٦٦
 مروان بن الحكم الوليد، ١٩٤
 مروان بن محمد الطاطرى، ٢٣٤
 مسلم بن عقيل، ١١١، ١١٢، ١٩٥، ١٩٦
 مسلم بن عقيل بن أبى طالب، ١١١
 مسلمة بن عبد الملك، ٣٠٧
 مسلمة بن عقبه المرى، ٩٦، ٩٧
 مسلمة بن مخلد الأنصارى، ١٧٩، ٢٠٦
 مصعب بن الزبير، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٦
 مصعب بن ثابت الزبيرى، ٢١٩، ٣٦٠
 مصعب بن عبد الله، ٤٥٤
 مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن عبد الله بن الزبير بن العوام، ٢٩٥
 معاوية بن أبى سفيان، ٢٦، ٣٧، ٢٧٧، ٢٨٠
 معاوية بن عبد الله بن جعفر، ٢٢٥، ٣٥٥، ٣٦٨
 موسى بن سلمة، ٤٥٤
 موسى بن عبد الرحمن، ٤٥٦
 موسى بن عبد الله، ٤٥٠

موسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب، ٤٥٦

مهنا بن سبيع القرشى، ٤٤٩

ميمونة بنت الحارث الهلالية، ٤٦١

نائله بنت قيس بن النعمان بن سنان، ٤٦٠

نافع، ٢٣٠، ٤٠٢، ٤٢٩، ٤٥٥

نجم الدين أيوب، ٨٢، ٨٣، ١٢١

نعيم، ٣٩، ١٣٧، ٢٢٤، ٤٢٦، ٤٥٠

نفسه بنت زيد، ٢١٥، ٢٣٢

نور الدين، ٥٠، ٥٢، ١١٣

ورد بن عاصم، ٣٥٧

وكيع، ٣٥٤، ٣٦٨، ٣٧٠

ولى الدين أبو زرعة أحمد بن محمد، ٨٧

وهب بن سعيد الأوسى، ١٧٩، ٤٥٥

أهل البيت فى مصر، ص: ٤٩٩

هاجر، ٤٠، ٧١، ١٧٩، ٢٢١، ٢٥٢، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٨٣، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٩

هارون الرشيد، ٣٣٥

هشام بن عبد الملك، ٩١، ٢٢١، ٣١٠، ٣١٣، ٣٥٢، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٦

هشام بن عبد الملك بن مروان، ٣٨٣

هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ٣٧٩

هند بنت أبى رافع بن عبيد الله بن رقيه بنت عقبه بن نافع الفهرى، ٤٥٥

هند بنت أبى عبيده، ٤٥٧

يحيى، ٦٣، ٨٢، ١٢١، ١٢٦، ١٦٧، ١٧٥، ١٩٠، ٢١٩، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٤٧، ٢٥٩، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٥٢، ٣٦٧، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٤

٤١١، ٤١٣، ٤٤٩، ٤٥٣، ٤٥٨

يحيى التمار، ٤٥٠

يحيى بن الحسن، ٣٩٦، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٩، ٤٦٢

يحيى بن الحكم، ١٦٦، ١٦٧

يزيد بن عبد الملك، ٣٠٦

يزيد بن معاوية، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٩٧، ١١١، ١١٢، ١٤٤، ١٥٨، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٧٤، ٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠٨، ٣٠٩

٣١٦، ٣١٨، ٣٧٧

يعقوب بن حميد بن كاسب، ٢٢٥

يعقوب بن حميد بن كاسب المدنى، ٢٢٤

يعقوب بن محمد الزهرى، ٢٢٥

يعلى بن منية بنت الحارث بن جابر، ٤٦٢

يوسف بن عمر الثقفى، ٣٨٠
 أهل البيت فى مصر، ص: ٥٠١

فهرس الأماكن

استانبول، ١١٨، ١١٩
 إفريقيا الشمالية، ١١٤
 الاسكندرية، ٢٦، ٦٩
 البصرة، ٤٨، ٩٥، ٩٩، ١١١، ١١٢، ٢٠٣، ٢٨٨، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٩٤، ٤٦١
 البقيع، ٥٠، ٧٥، ٧٨، ١٠٧، ١١٣، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٧٨
 الحبشة، ٣٣٤، ٤٦٢
 الحجاز، ٦٠، ٦١، ٩٦، ٩٨، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٦٥، ٣٠٢، ٣٤٣، ٣٩٤
 الحره، ٥٩، ٦٠، ٩٧، ٤٤٧
 الحمراء القصوى، ٩٠، ٢٠٦، ٣٨٤، ٣٨٧، ٤٤٧
 الرقة، ٥٣، ٧٦، ٤٥٣
 الشام، ٦٠، ٦١، ٧٦، ٨٢، ٨٤، ٨٨، ٩٢، ١١٤، ١٣٨، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٠، ١٩٤، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٨٩، ٢٩٣، ٣٠٧، ٣٠٨
 ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٤، ٤٢٦، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٧١
 الطائف، ٣٣١
 العراق، ١٩، ٢١، ٢٣، ٦٠، ٦١، ١٠٧، ١٣٩، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٥٢، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٨٠، ٣٩٣، ٤٢٦
 العسكر، ٦٤، ٧٤، ٨٤، ١٠٠، ٢٣٨، ٣٤٦، ٣٨٥، ٣٨٧، ٤٠٤
 الفسطاط، ٢٠٦، ٣٢٥، ٣٤٦، ٣٨٤، ٣٨٧، ٤٠٤
 أهل البيت فى مصر، ص: ٥٠٢
 القاهرة، ١٤، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٣٥، ٥٣، ٥٧، ٦٤، ٦٨، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ١٠٢، ١٠٥، ١١٣، ١١٦، ١٢١
 ١٢٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٥١، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٩، ٢٠١، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٨٠، ٣٠٥، ٣١٦، ٣٢١، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٨، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٢، ٤١٧، ٤٢٧، ٤٣٤، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٧٣
 القدس، ٧٧، ٤٤٤
 القسطنطينية، ٨٢، ٨٥، ١١٤، ١٢٦، ٢٨١
 القطائع، ٦٤، ٤٠٤
 القلج، ٤٦٦
 الكوفة، ٤٨، ٥٨، ٥٩، ٩١، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١١٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٩، ١٨٤
 ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٤، ٢٢١، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٨، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٥٣، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٥
 المدينة المنورة، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٧٨، ٩١، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٧، ١١٣، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٨٣، ٢٩٣
 ٢٩٧، ٣١٦، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٧٩، ٤٢٢
 المطرية، ٩٢، ٩٣، ٣٤٦

المغرب العربي، ١٤٧
المقطم، ٤١، ٣٤٦، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٧
الموصل، ٨٢، ٢٤٨، ٤٠٤، ٤٠٧
اليمن، ١٦٣، ٣٢٨، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٩٥، ٤٦٠
ايران، ٢١، ٢٣، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ١٢٧، ٢١٣، ٣٩٢
باخمري، ١٠٠، ١٠١، ٣٥٣
باغمري، ١٠٠، ٣٤١
بغداد، ٨٢، ١٠٦، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٤، ٣١٢، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٤٢٢
بلييس، ٧١، ١٨٠، ١٩٩
تونس، ٢١، ٢٦، ٨٩
خير، ١٢٧
دمشق، ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٥٣، ٧٦، ٧٩
أهل البيت في مصر، ص: ٥٠٣
٨٢، ٨٣، ٨٤، ٩١، ١١١، ١١٣، ١١٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٤، ١٩١، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٤، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩٣
٣٠٥، ٣١٦، ٣٥٢، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٤٤٧
صهرجت، ٣٤٥
طبرستان، ١١٤، ٢٨١، ٣٨٢
طرطوس، ٣٣٥
طنطا، ٨٩
عسقلان، ٥٣، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨١، ١١٤، ١٤٧، ٤٢٧
قم، ٢٧، ٣٢، ٨٤، ٢٢١، ٣٨٣
قنطرة السباع، ٢٠٦، ٢٠٩
كربلاء، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٧٠، ٧٦، ٧٨، ٩٠، ١٠٢، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١٣٥، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧
١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧
٣١٦، ٣٢٤، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٨، ٤٢٦
مرو، ٢٤، ٣٧، ٦٠، ٧٦، ٧٩، ٨٦، ٩١، ٩١، ٩٨، ١١٤، ١٢٧، ١٣٧، ١٣٨، ١٩٥، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٢١، ٢٣٤، ٣٢١، ٣٥٢، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٩٥، ٤٤٦
مصر، ١، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١
٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٩، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١١٨
١٢١، ١٢٢، ١٣١، ١٣٢، ١٣٤، ١٤٧، ١٦٣، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٥
٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٧١، ٢٧٢
٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠١، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٦
أهل البيت في مصر، ص: ٥٠٤
٣٣٧، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩١، ٣٩٤

٣٩٦، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦٥،
٤٦٦، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣

مكة، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٧١، ٧٤، ٩٨، ١٠٧، ١١١، ١٩٥، ١٩٦، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٦١، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٢،
٣٣٤، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٩، ٤٥٠، ٤٦٢

ينبع، ٧٤، ٨٧، ٨٩

أهل البيت فى مصر، ص: ٥٠٥

مسجد الإمام الحسين عليه السلام و تظهر إلى اليمين قبة المرقد

أهل البيت فى مصر، ص: ٥٠٦

مسجد الإمام الحسين عليه السلام ليلا

أهل البيت فى مصر، ص: ٥٠٧

باب غرفة الآثار النبوية بمسجد الإمام الحسين عليه السلام

أهل البيت فى مصر، ص: ٥٠٨

صفحة من مصحف الإمام على بغرفة الآثار النبوية

أهل البيت فى مصر، ص: ٥٠٩

ميدان مسجد السيدة زينب

أهل البيت فى مصر، ص: ٥١٠

مسجد السيدة زينب فى ليلة الاحتفال بمولدها

أهل البيت فى مصر، ص: ٥١١

مسجد السيدة سكينه فى ليلة الاحتفال بمولدها

أهل البيت فى مصر، ص: ٥١٢

مسجد السيدة عائشة

أهل البيت فى مصر، ص: ٥١٣

مدخل مرقد السيدة عائشة

أهل البيت فى مصر، ص: ٥١٤

قبة مرقد السيدة رقيه

أهل البيت فى مصر، ص: ٥١٥

مدخل مرقد السيدة رقيه

أهل البيت فى مصر، ص: ٥١٦

لوحة تحوى تاريخ السيدة رقيه داخل مرقدها

أهل البيت فى مصر، ص: ٥١٧

مسجد السيدة نفيسة

أهل البيت فى مصر، ص: ٥١٨

مرقد السيدة النفيسة

أهل البيت في مصر، ص: ۵۱۹

مدخل مرقد عم السيدة نفيسة

أهل البيت في مصر، ص: ۵۲۰

مرقد علی بن جعفر الصادق علیه السلام

درباره مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (سوره توبه آیه ۴۱)

با اموال و جانهای خود، در راه خدا جهاد نمایید؛ این برای شما بهتر است اگر بدانید حضرت رضا (علیه السلام): خدا رحم نماید بنده‌ای که امر ما را زنده (و برپا) دارد ... علوم و دانشهای ما را یاد گیرد و به مردم یاد دهد، زیرا مردم اگر سخنان نیکوی ما را (بی آنکه چیزی از آن کاسته و یا بر آن بیافزایند) بدانند هر آینه از ما پیروی (و طبق آن عمل) می کنند

بنادر البحار-ترجمه و شرح خلاصه دو جلد بحار الانوار ص ۱۵۹

بنیانگذار مجتمع فرهنگی مذهبی قائمیه اصفهان شهید آیت الله شمس آبادی (ره) یکی از علمای برجسته شهر اصفهان بودند که در دلدادگی به اهل بیت (علیهم السلام) بخصوص حضرت علی بن موسی الرضا (علیه السلام) و امام عصر (عجل الله تعالی فرجه الشریف) شهره بوده و لذا با نظر و درایت خود در سال ۱۳۴۰ هجری شمسی بنیانگذار مرکز و راهی شد که هیچ وقت چراغ آن خاموش نشد و هر روز قوی تر و بهتر راهش را ادامه می دهند.

مرکز تحقیقات قائمیه اصفهان از سال ۱۳۸۵ هجری شمسی تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن امامی (قدس سره الشریف) و با فعالیت خالصانه و شبانه روزی تیمی مرکب از فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مختلف مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

اهداف: دفاع از حریم شیعه و بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) تقویت انگیزه جوانان و عامه مردم نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی، جایگزین کردن مطالب سودمند به جای بلوتوث های بی محتوا در تلفن های همراه و رایانه ها ایجاد بستر جامع مطالعاتی بر اساس معارف قرآن کریم و اهل بیت عليهم السلام با انگیزه نشر معارف، سرویس دهی به محققین و طلاب، گسترش فرهنگ مطالعه و غنی کردن اوقات فراغت علاقمندان به نرم افزار های علوم اسلامی، در دسترس بودن منابع لازم جهت سهولت رفع ابهام و شبهات منتشره در جامعه عدالت اجتماعی: با استفاده از ابزار نو می توان بصورت تصاعدی در نشر و پخش آن همت گمارد و از طرفی عدالت اجتماعی در تزریق امکانات را در سطح کشور و باز از جهتی نشر فرهنگ اسلامی ایرانی را در سطح جهان سرعت بخشید.

از جمله فعالیتهای گسترده مرکز :

الف) چاپ و نشر ده ها عنوان کتاب، جزوه و ماهنامه همراه با برگزاری مسابقه کتابخوانی

ب) تولید صدها نرم افزار تحقیقاتی و کتابخانه ای قابل اجرا در رایانه و گوشی تلفن همراه

ج) تولید نمایشگاه های سه بعدی، پانوراما، انیمیشن، بازیهای رایانه ای و ... اماکن مذهبی، گردشگری و ...

د) ایجاد سایت اینترنتی قائمیه www.ghaemiyeh.com جهت دانلود رایگان نرم افزار های تلفن همراه و چندین سایت مذهبی

دیگر

ه) تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و ... جهت نمایش در شبکه های ماهواره ای

(و) راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی (خط ۰۲۳۵۰۵۲۴)

(ز) طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...
 (ح) همکاری افتخاری با دهها مرکز حقیقی و حقوقی از جمله بیوت آیات عظام، حوزه های علمیه، دانشگاهها، اماکن مذهبی مانند مسجد جمکران و ...

(ط) برگزاری همایش ها، و اجرای طرح مهد، ویژه کودکان و نوجوانان شرکت کننده در جلسه

(ی) برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم و دوره های تربیت مربی (حضور و مجازی) در طول سال

دفتر مرکزی: اصفهان/خ مسجد سید/ حد فاصل خیابان پنج رمضان و چهارراه وفائی / مجتمع فرهنگی مذهبی قائمیه اصفهان

تاریخ تأسیس: ۱۳۸۵ شماره ثبت: ۲۳۷۳ شناسه ملی: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

وب سایت: www.ghaemiyeh.com ایمیل: Info@ghaemiyeh.com فروشگاه اینترنتی:

www.eslamshop.com

تلفن ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳-۲۳۱۱) فکس ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) دفتر تهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) بازرگانی و فروش ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور

کاربران ۲۳۳۳۰۴۵ (۰۳۱۱)

نکته قابل توجه اینکه بودجه این مرکز؛ مردمی، غیر دولتی و غیر انتفاعی با همت عده ای خیر اندیش اداره و تامین گردیده و لی جوابگوی حجم رو به رشد و وسیع فعالیت مذهبی و علمی حاضر و طرح های توسعه ای فرهنگی نیست، از اینرو این مرکز به فضل و کرم صاحب اصلی این خانه (قائمیه) امید داشته و امیدواریم حضرت بقیه الله الاعظم عجل الله تعالی فرجه الشریف توفیق روزافزونی را شامل همگان بنماید تا در صورت امکان در این امر مهم ما را یاری نمایند انشاءالله.

شماره حساب ۶۲۱۰۶۰۹۵۳، شماره کارت: ۶۲۷۳-۵۳۳۱-۳۰۴۵-۱۹۷۳ و شماره حساب شبا: -۰۶۲۱-۰۰۰۰-۰۰۰۰-۰۱۸۰-۰۰۰۰ IR۹۰

۵۳-۰۶۰۹ به نام مرکز تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان نزد بانک تجارت شعبه اصفهان - خیابان مسجد سید

ارزش کار فکری و عقیدتی

الاحتجاج - به سندش، از امام حسین علیه السلام: - هر کس عهده دار یتیمی از ما شود که محنت غیبت ما، او را از ما جدا کرده است و از علوم ما که به دستش رسیده، به او سهمی دهد تا ارشاد و هدایتش کند، خداوند به او می فرماید: «ای بنده بزرگوار شریک کننده برادرش! من در کرم کردن، از تو سزاوارترم. فرشتگان من! برای او در بهشت، به عدد هر حرفی که یاد داده است، هزار هزار، کاخ قرار دهید و از دیگر نعمت ها، آنچه را که لایق اوست، به آنها ضمیمه کنید».

التفسیر المنسوب إلى الإمام العسکری علیه السلام: امام حسین علیه السلام به مردی فرمود: «کدام یک را دوست تر می داری: مردی اراده کشتن بینوایی ضعیف را دارد و تو او را از دستش می رسانی، یا مردی ناصبی اراده گمراه کردن مؤمنی بینوا و ضعیف از پیروان ما را دارد، اما تو دریچه ای [از علم] را بر او می گشایی که آن بینوا، خود را بپدان، نگاه می دارد و با حجت های خدای متعال، خصم خویش را ساکت می سازد و او را می شکند؟».

[سپس] فرمود: «حتماً رهاندن این مؤمن بینوا از دست آن ناصبی. بی گمان، خدای متعال می فرماید: «و هر که او را زنده کند، گویی همه مردم را زنده کرده است»؛ یعنی هر که او را زنده کند و از کفر به ایمان، ارشاد کند، گویی همه مردم را زنده کرده است، پیش از آن که آنان را با شمشیرهای تیز بکشد».

مسند زید: امام حسین علیه السلام فرمود: «هر کس انسانی را از گمراهی به معرفت حق، فرا بخواند و او اجابت کند، اجری مانند آزاد کردن بنده دارد».

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

